

كتاب
التقراء
 صوت
 ابن خلدون

كتاب
 ابن خلدون

الزهراء عليها السلام

صوت أكثر واتره وقل ناصره

شبكة كتب الشيعة



الدكتور

shiabooks.net

mktba.net < ربيع

السيد فاضل محمد حسين العموري

**طبع الكتاب على نفقة المحسن
السيد فريق السيد حمزة راشد الحمد المعموري
مبرة منه لوالديه وولده
على ارواحهم الفاتحة**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الأول

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد حبيب آله العالمين وعلى آله الطيبين وأصحابه المنتجبين، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

إن لله رجالاً ونساءً لهم في الدنيا والآخرة شأن عظيم لا يستطيع المرء أن يعبر بلسانه لا بقلمه عن مآثرهم ولا عن جانب من جوانب العظمة فيهم مهما أوتي من طلاقة اللسان وفصاحة البيان، إلا على استحياء يصحبه شعور بالقصور والتقصير، لأن الأعين مهما أبصرت فلن تحيط بما وراء الظواهر من أسرار، ولا ما يترتب على وجودها من آثار وإن العقول مهما أدركت عن علم وبصيرة لمعنى من المعاني المتعلقة بالأخلاق والمكارم والسجايا والطباع - فإنها كثيراً ما تخفق في إدراك ما ينبغي أن يدرك على وجه التحقيق فإن الله في خلقه شؤوناً يُبديها ولا يبديها، يرفع بها أقواماً ويخفض بها آخرين.

إن تاريخنا الإسلامي لم يكن بدءاً من تاريخ الأمم والشعوب، فقد لعبت الأهواء والعصبيات دورها الكبير في تدوينه وكتابه وألقى الوضاعون والقصاصون ما في جمعيتهم من خرافات وأساطير فتلقفها كاتبوا التاريخ على أنها الحق والحقيقة،

فكانت المحصلة ما عرف فيما بعد بـ ((الموضوعات في الأخبار والآثار)) و((الإسرائيليات)).

وتزداد الصورة تعتيماً وتعقيداً إذا تعلق الأمر بتاريخ أهل البيت عليهم السلام والسبب في ذلك أنهم رفضوا الاعتراف بشرعية الخلافة المغتصبة وشكلوا مع أشياعهم وأتباعهم الخط المعارض لتلك الخلافة، وتحملوا في هذا السبيل الظلم الكبير والقهر الطويل والأذى المتواصل.

إن الحديث عن السيدة فاطمة عليها السلام حديث ذو شجون، حديث شاق صعب، فإرع الأديب مهما سما وعلا، وقلم الكاتب وإن أجاد وأفاد يتعثر، ويتلأأ ويتوقف إجلالاً وهيبة لكبر حقها وعظيم مكانتها، وجلال شخصيتها.

إنها فاطمة بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقلنة كبده وروحه التي بين جنبيه، إنها البتول الطاهرة المطهرة بعمرها القصير وعطائها الكبير. فرغم قصر عمرها كانت شخصيتها قطباً دارت ولا زالت تدور حوله الألسن والأقلام.

إلا أن هذه الأقلام لا يستطيع أن تصل كنه هذه الشخصية الحورية الأنسية لما لها من الأسرار والغيبات والمنزلة العالية والمكانة الرفيعة عند سيد الكائنات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. لم يبق لوناً من ألوان التكريم والتعظيم والتبجيل إلا أضفاه على بضعته في بهو جامعه، وعلى منبره، وفي مجالسه وهو تكريم غريب على ذلك المجتمع الذي يقابل المرأة بالإستهانة والإحتقار فكان الشخص منهم

يسود وجهه إذا ولدت زوجته بنتاً كما بين القرآن ذلك، قل تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ)^(١) وكانوا يؤدون بناتهم وهن أحياء. أما جهاد هذه المرأة العظيمة ابتداء من الزهد في الدنيا وعدم الاحتفاء برغباتها وزينتها فقد رضيت بالقناعة والعيش البسيط وما يسد الرمق.

وحين أنتقل النبي ﷺ إلى حظيرة القدس عانت فاطمة ألواناً من الرزايا والخطوب فقد غُصِبَ حقها وحُرِّقَت دارها وهُتِكَ حجابها من قبل المقربين إلى أبيها من أعمدة القوم وكبار الصحابة، فقد قوبلت بكل قسوة وجفاء، وتنكروا لعظيم منزلتها عند أبيها سيد الأنبياء والمرسلين.

ولم تقتصر الرزايا والنكبات على بضعة الرسول وإنما تابعت على أبنائها من بعدها، فالإمام الحسن عليه السلام جرعه معاوية بن أبي سفيان جميع ألوان المحن والخطوب حتى أغتاله بالسم.

وأما الإمام الحسين عليه السلام فنهايك عن تلك القصة المروعة التي لم يشهد التاريخ مثلها فقد مزق جسده الشريف وأبنائه وأنصاره السيوف والرماح على صعيد كربلاء وبيت عياله وأطفاله من بلد إلى بلد.

إن من يدرس تاريخ الإسلام في العصر الأموي بموضوعية مجردة فإنه يكون على نقه وإيمان بعمق المؤامرة التي دبرت ضد أهل البيت عليه السلام.

إن أبعاد علي عليه السلام عن الخلافة وأغتصاب حق الزهراء في فلك ظهر في خطابها التاريخي البالغ الأهمية الذي ألقته سيدة النساء في بهو جامع أبيها الذي كشفت

(١) سورة النحل، الآية: ٥٨.

عن الأخطار الهائلة التي تعيشها الأمة في مسيرتها، وما ستواجهه في مستقبلها من الأزمات الناجمة عن صرف الخلافة عن أهل البيت ومراكز الوحي، وأعملة الدين في دنيا الإسلام وقد عززت سلام الله عليها موقفها الرافض لحكومة أبي بكر بوصيتها لزوجها الإمام علي عليه السلام.

أن يوارى جسدها الطاهر ليلاً، ولا يحضر تشييع جنازتها أحد من الذين هضموها، وغصبوا حقوقها.

وهذا غيض من فيض. نسأل الله التوفيق وحسن المآب.

د. فاضل محمد حسين العموري

٢ / ربيع الثاني / ١٤٢٦ هـ

تسميتها:

سمى رسول الله ﷺ وليدته المباركة الطاهرة فاطمة كأسم فاطمة بنت أسد والدلة إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. سأل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم سميت فاطمة يا رسول الله؟ قال عليه السلام: لأنها فطمت هي وشيعتها من النار.

ألقابها:

لقب رسول الله ﷺ بضعته الزهراء بالقاب عديدة تدل على سمو شخصيتها وعظيم مكانتها لديه.

١- الصديقة: صدقت أبوها وآمنت بنبوته وما أخبر به من أمور الدين والدنيا وغيرها وكانت أصلق امرأة في الدنيا.

٢- المباركة: بارك الله بها وبذريتها حيث هم حجج الله وأوتاد الأرض وهم الصلة بين الأرض والسماء وهم نور الله والرحمة للعباد وإنما حلوا.

٣- الطاهرة: لأنها أطهر امرأة على وجه الأرض وفي دنيا الإسلام قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)^(١) أجمع المفسرون على أنها نزلت بحق أهل البيت عليهم السلام.

٤- الزكية: زكاها الله من الأثم والرجس والعدوان وهي أزكى امرأة فاقت نساء العالمين.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

٥-الراضية: رضيت بما قسم الله لها من رزايا ومصائب في حقها وحق أبيها وبعلمها وبالذرية الصالحة المؤمنة من أولادها ورضيت بما قسم الله لها من حطام الدنيا فكانت زاهلة في عيشها.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة الزهراء عليها السلام وعليها كساء من تلة الأبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله ﷺ لما ابصرها. فقال ﷺ: يا بنته تعجلي مرارة الدنيا بجلاوة الآخرة فقد أنزل الله تعالى عليّ (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) ^(١) فقالت عليها السلام: يا رسول الله الحمد لله على نعمائه والشكر على الآث.

٦-الحدثة: كانت تحدث أمها وهي في بطنها وحدثتها الملائكة كما كانت تحدث مريم بنت عمران عليها السلام من قبلها قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) ^(٢) ، كرم مريم لأنها أحصنت فرجها قال حسان بن ثابت:

وأن مريم أحصنت فرجها

وجاءت بعيسى كبدل الدجى

فقد أحصنت فاطم بعدها

وجاءت بسبطين نبي الهدى ^(٣)

٧-البتول: جاء في اللغة، البتل بمعنى القطع ^(٤).

(١) سورة الضحى، الآية: ٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣/٥.

(٤) لسان العرب: ٤٣/١١.

قيل سميت بالبتول حيث لم تأتها حالة من حالات النساء.

قيل سميت بالبتول لأنقطاعها إلى الله في عملها وعبادتها ولم تقيم أي وزن للدنيا. فاطمة الزهراء أفضل النساء شرفاً ودينياً وحسباً ونسباً وأطهر مولداً وقيل البتول لزهدها في الحياة الدنيا ولأخلاصها وأنقطاعها لله.

٨- الزهراء: سميت بالزهراء لأنها كانت عندما تجلس في محرابها تزهو وتضيء لما حولها وعمود نورها يشق إلى عنان السماء.

٩- الصديقة الكبرى: صدقت وآمنت برسالة رسول الله وما أنزل عليه ﷺ من السماء حين كذبه وحاربه قريش.

١٠- النورية السماوية: الزهراء مقتبسة من نور الله الواحد الأحد، بزغ نورها في السماء قبل بزوغه في الأرض، فكان نورها ساطع لامع تهتدي إليها النساء في الليلة الدكناء.

روي عن الصادق عليه السلام^(١) أنه قال: لفاطمة ؑ تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة والصديقة، والمباركة، والطاهرة والزكية، والراضية، والمرضية، والحديثة، والزاهدة، وفي مسند الرضا عليه السلام أن النبي ﷺ قال: إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله سبحانه فطمها وفطم من أحبها من النار، وسماها النبي البتول أيضاً.

وقل لعائشة: يا حمراء إن فاطمة ؑ ليست كنساء الأعميين ولا تغسل كما تغسلون ومعناه ما جاء في الحديث الآخر أن فاطمة ؑ لم ترّ دماً في حيض وقد روت العامة أيضاً.

(١) إعلام الوري بأعلام الهدى - الفضل بن الحسن الطبرسي: ١٥٥.

عن أنس بن مالك^(١) عن أم سليم زوجة أبي طلحة الأنصاري أنها قالت: لم تر فاطمة عليها السلام دماً قط في حيض ولا نفاس وكانت من ماء الجنة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسري به دخل الجنة وأكل من فاكهة الجنة وشرب من ماء الجنة.

كنيتها:

الكنية: هي من الكناية^(٢)، والكنية تقوم مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف بأسمه، والكنية من مفاخر العرب وعاداتهم، وهم يستعملونها توقيراً وتعظيماً وتكريماً للمكنى، وأن العرب يفضلون الكنية على اللقب.

١- أم أبيها:

وهذه كنية كناها بها رسول الله صلى الله عليه وآله. وفي مقاتل الطالبين^(٣) بأسناده إلى جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام أن فاطمة كانت تكنى (أم أبيها).

وذكر المجلسي في البحار: أن لها خمس كنى هي: (أم الحسن، وأم الحسين، وأم الخمسة، وأم الأئمة، وأم أبيها).

(١) إعلام الوری بأعلام الهدى - الفضل بن الحسن الطبرسي: ١٥٥.

(٢) قال الفيروز آبلخي في القاموس: كنى به كذا يكنى ويكون كناية تكلم بما يستدل به عليه أو تتكلم بشيء وأنت تريد غيره أو بلفظ يجاذبه جانباً حقيقةً ومجازاً وكنى به كنية بالكسر والضم به كأكنهه وكنهه وأبو فلان: كنيته وكنوته.

(٣) مقاتل الطالبين: ٤١٣.

وذكر بعضهم أن من جملة كناها: أم الخيرة، وأم المؤمنين، وأم الأخيار، وأم الفضائل، وأم الأزهار، وأم العلوم، وأم الكتاب، وعليه أول بعضهم قوله تعالى في كتابه الكريم: (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ....)^(١) وفي كشف الغمة: كان النبي ﷺ يعظم شأنها، ويرفع مكانها، وكان يكنيها بأم أبيها، ويحلها من محبته محلاً لا يقاربه فيها أحد، ولا يوازيها شرفاً والسر الكامن في كنيستها بذلك واضح أشد الوضوح منها:

أولاً: يريد النبي ﷺ إعلاء شأنها ورفع مقامها وإظهار منزلتها في المسلمين، فأعطاهما رتبة الأم من حيث الحق والواجب، وعظم المقام ولا جرم، فحق الأم مقدم على كل حق ما عدا حق الله ورسوله.

ثانياً: كانت الزهراء في حبها لأبيها ورعايتها له فاقت الحدود المقصورة لحب الأبناء إلى آبائهم، فكان حبها في جوهر ذاته هو حب أمومي رؤوم ولقد أتاحت لأبيها أن ينعم بظل هذا الحب، الذي فقدته بعد فقد سيدتنا آمنة بنت وهب رضي الله عنها كما أن حب الصديقة نظير ومشابه بل هو عين الحب الذي كانت تشبعه به سيدتنا خديجة الكبرى في ذلك الجو الأسري الكريم، ولم يفقد النبي ﷺ منه شيئاً وإن فقد صاحبته.

ثالثاً: لما كان النبي ﷺ هو والأئمة من أولاده نفس واحدة، وبما أن الصديقة الطاهرة هي أهمهم، فكأنها أم أبيها من هذه الجهة^(٢)

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤.

(٢) اللعة البيضاء: ١٢٤.

٢- أم أسماء:

وهي كنية قليلة الاستعمال بين أهل الحديث، إلا أن المجلسي روى عن كتاب معرفة الصحابة: ((... وكانت فيما قيل تكنى أم أسماء))^(١).

ويستفاد منه أنها كانت تكنى بذلك أوائل أيام ولادتها وقبل الهجرة وكان عرب الجاهلية يكونون أبنائهم وبناتهم بأحسن الكنى تفاؤلاً بالخير فلعلهم يرزقون من بعده ولدًا أو بنتًا فيسمونهم بـ ((أسماء)) خاصة كما صدق هذا التفاؤل في حق سيد الشهداء عليه السلام حيث رزق ولدًا سمه (عبد الله). ولعل هذه الكنية أطلقت على فاطمة الزهراء عليها السلام تفاؤلاً لترزق بنتًا تسميها (أسماء)، وهي في نفس الوقت تشريفًا وإكرامًا.

٣- أم الهناء:

وهي كنية غير مشهورة. والهناء: بفتح الهاء والنون من الهنا والعيش الهنيء، والحيلة الطيبة الهنيئة، ومنه التهنئة بالأعياد والمسرات والأفراح، ومنه ما يقال لمن شرب الماء: ((هنيئًا))^(٢) ومنه حديث نزول القدرح وشرب الخمسة الطيبة عليها السلام منه ومنه ما يذكر كثيراً في كتب المناقب من خطاب رسول الله لعلي ((هنيئاً مريئاً يا علي بن أبي طالب))^(٣) وهو من قوله تعالى (فَكَلِّوْهُ هَنِئاً مَّرِيئاً) وهو كل أمر لم تكن فيه مشقة يقال له ((هنيء)) ومنه ((هناني الطعام)) و ((لك الهنئا))^(٤).

(١) البحار: ٤٣/٨.

(٢) لسان العرب - ابن منظور: مائة ((هنا)).

(٣) البحار: ٤٣/٣٦١.

(٤) قال الفيروز آبادي في القاموس: ٥٤: الهنيء والمهنا: ما أتاك بلا مشقة.

وهذه الكنية أطلقت على الزهراء عليها السلام تفاؤلاً ليكون عيشها هنيئاً، وقد تكون هناك معانٍ أخرى ملحوظة لا تبعد عن الذوق السائد آنذاك، ولما كانت هذه الكنية من مخصصات الزهراء عليها السلام وملحوظاً فيها شؤونها الذاتية وملكاتهما القدسية عليها السلام. لذا يمكن أستنباط معانٍ حقة وأستخراج مرادات محجة لا تضر الصورة الظاهرية والأستعمال الأولى لهذه الكنية.

وإن هذه الكنية لم تزد فاطمة الزهراء عليها السلام شرفاً بل تشرفت بها وقد زانت فاطمة الكنية ولم تزنها، لأن فاطمة الزهراء عليها السلام هي بنفسها العيشة الراضية المرضية في الدنيا والآخرة بل هي منشأ الهناء ومصدره.

٤-أم العلوم:

وهذه الكنية تحكي كثرة علومها عليها السلام ولا شك أن أستفاضة العلوم إنما تقصد لمعرفة الحضرة الربوبية والتوصل إلى ذلة العبودية، وهما أمران توفرت عليهما أية الله العظمى فاطمة الزهراء عليها السلام في حد الكمل.

وهذه الكنية تدل على أن تلك المخدرة لها إحاطة كاملة وتبحراً تاماً في جميع العلوم الثقيلة والعقلية وهذه الإحاطة خاصة بها دون نساء العالمين جميعاً، وليس في النساء امرأة نالت هذا الشرف لا سابقاً ولا لاحقاً إلا فاطمة، وقد أغترف الجميع من فيض علومها ومعين معارفها الحققة.

٥- أم الفضائل:

وهي أعم من الكنية السابقة أم العلوم حيث أن العلم والمعرفة أحد الفضائل النفسانية لفاطمة الطاهرة المرضية. وأما فضائلها وفواصلها الأخرى فلا يحصيها محصٍ ولا يعدها عاد.

والفضائل جمع فضيلة وضدها النقيصة وقال تعالى: (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)^(١) وقال تعالى: (يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ)^(٢).

ويقال: ((امرأة مفضالة على قومها إذا كانت لها فضائل زائدة)) وفضائلها عليها السلام نوعان: ذاتية وخارجية:

١- الفضائل الخارجية: فمثل الاصاله وشرف النسب، فهي بنت الخاتم عليه السلام سلطان العالم وفخر أولاد آدم عليه السلام، وأما خديجة الطاهرة سيده النسوان عليها السلام وزوجها أمير المؤمنين قطب عالم الإمكان، وأولادها الطاهرون الأئمة المعصومون عليهم السلام.

أضف إلى ذلك كيفية انعقاد نطفتها الزكية في رحم خديجة وولادتها في الإسلام وتزويجها- برواية الفريقين- في السماء، وخصائصها ومزاياها التي ستذكر فيما بعد، التي ستدخل السرور على قلوب القراء وتنعش أرواحهم وتقر عيونهم.

٢- الفضائل الذاتية: للذات الملكوية والصفات لمرآة الآيات الربانية فاطمة المطهرة الزكية، فهي- كما ذكرنا- لا يمكن أن تدخل حيز الإحصاء والأستقصاء ((فحسر عن إدراكها كل عارف، وقصر عن وصفها وإحصائها لسان كل محصي

(١) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٢٤.

وواصف والكل بضروب فضائلها معترفون، وعلى باب كعبة فواضلها معتكفون وخصها الله من وظائف فضله وشرائف نبله بأكمل ما أعده لغيرها من ذوي النفوس القدسية والأعراف الزكية والأخلاق الرضية والحكم الإلهية، وسطح صبح النبوة بطلعتها الحميدة وغرتها الرشيدة، فلها الكمالات الإنسانية وملكات الفضائل النفسانية، كأن طينتها قد عجنت بماء الحياة وعين الفضل في حظيرة القدس، فهي نور الحق وحقيقة الصلوق وآية العدل، فتعالى مجدها وتوالى إحسانها)).

وأعظم الفضائل النفسانية لحضرة الزهراء المرضية والحوراء الأنسية:

العفة والعصمة والمعارف الحقة والحقائق النظرية التي بلغت الكمال فيها بالملكة التامة، وقد قام الأجماع على أنها كانت الكلمة الرحمانية الكلية الجامعة ((وفضلها على غيرها كفضل الشمس على النجوم والبحر على العذران)).

٦- أم الكتاب:

سميت بأم الكتاب نسبة إلى السورة المباركة (الفاتحة) لأن هذه السورة هي أشرف السور القرآنية، كما سميت مكة (أم القرى) لأنها أشرف البلدات، وكلا المعنيين يصدقان في حق الصديقة الطاهرة -سلام الله عليها- حيث إنها أفضل وأشرف كل من سواها، لكل العلوم والمعارف.

وكذا هي فاطمة عليها السلام حيث إنها جوهرة يتيمة فريدة ولا نظير لها في سلسلة النساء ذوات الشأن الرفيع والمقام العالي البديع، فهي عديلة الكل ولا يعنلها أحد...

وسميت هذه السورة ((الأساس)) إما لأنها أول سورة في القرآن أو أنها مشتملة على الطاعات والعبادات. وفي الحديث ((أساس القرآن فاتحة الكتاب وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم))^(١) فإن أصابتك علة أقرأ أساس القرآن لتشفى بإذن الله تعالى.

وفاطمة الزهراء عليها السلام أساس الدين وهيكل الإيمان الصادق وصلح الدرر الشعشانية الإلهية، وبولائها تشفى الأمراض النفسية والأوجاع الظاهرية. وخبرها معروف في باب الأذكار والأدعية الخاصة بفاطمة الزهراء عليها السلام. وقال رسول الله ﷺ ((والذي نفس محمد بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور سورة مثلها (يعني الفاتحة) وهي السبع المثاني والقرآن العظيم)^(٢)).

وفي حديث أخرجه أبو الفتوح الرازي في تفسيره: ((نزل من السماء مائة وأربعة كتب جمعت كلها في أربعة: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وجمعت الأربعة في المفصل، وجمع ما في المفصل في الفاتحة، فمن قرأها فكأنما قرأ مائة وأربعة كتب))^(٣).

(١) مجمع البيان: ٤٧/١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٧/٤٣ - ٦٨، تفسير أبي الفتوح: ٣٣/١.

(٣) تفسير أبو الفتوح: ٣٣/١.

ولادتها:

١- ولدت الصديقة الطاهرة بعد البعثة النبوية بخمس سنين، وبعد الإسراء بثلاث سنين في العشرين من جمادي الآخرة^(١)، وكانت ولادتها في يوم الجمعة^(٢) وهو اليوم المبارك.

٢- ولدت بعد البعثة النبوية بسنة^(٣).

٣- ولدت قبل البعثة النبوية بخمس سنين، وهذا القول شأً ومترك^(٤).

٤- ونصت بعض المصادر أنها ولدت قبل البعثة النبوية إلا أنها أهملت السنة والشهر الذي ولدت فيه.

وهناك أقوال أخرى، يترتب عليها الأختلاف في عمرها الشريف، والصحيح الذي ذهب إليه الأعلام هو القول الأول، وأنها قد بلغت من العمر ثماني عشرة سنة. وهو عمر قصير ولكنه مثل كامل شامل لحياة المرأة التي يريد الله ويسعى لتحقيقها دين الله.

إن التعاليم الدينية تحتاج إلى نماذج من البشر يجسدونها ويحققون تنفيذها تحقيقاً كاملاً لكي يخرجوها عن الفرضية المثالية وحتى لا يكون للناس على الله حجة.

(١) أعلام الوري: ١٤٨.

(٢) الكونثر في أحوال فاطمة: ١- ٣٠٩.

(٣) نساء النبي وأولاده.

(٤) مأساة الزهراء: ١- ٣٦.

حزمة ضوء من حياة الزهراء عليها السلام:

ولدت فاطمة عليها السلام بعد مبعث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بخمس سنوات، أي قبل الهجرة بثمان سنوات، وهي آخر أولاد الرسول من خديجة. ولدت (سلام الله عليها) في مكة، وفي بيت الوحي والجهاد وفي أجواء الصبر والصمود وتحمل المشاق وترعرت في غمار العواطف الصادقة والحب الطاهر المتبادل بين رسول الرحمة وخديجة التي ما نسي النبي عواطفها وإخلاصها طوال حياته. وهنالك أقوال أخرى في ولادتها.

هجرتها:

هاجرت بعد هجرة رسول الله من مكة إلى المدينة مع الأخريات من أهل البيت وبرعاية علي بن أبي طالب عليه السلام والتحقوا جميعاً بموكب الهجرة في منزل (قبا) بالقرب من المدينة.

زواجها:

تزوجت من علي بن أبي طالب عليه السلام وهو في الثالثة والعشرين من عمره، من السنة الثانية من الهجرة، يعني حينما بلغت العاشرة.

وقد أكد النبي لأصحابه أن تفضيل علي من بين الخاطبين الكثر لفاطمة كان بنصيحة من الغيب ولعدم رضاها بغير علي، لقد رضيت به دون سواه بالرغم من محاولات كثيرة بذلها نساء المدينة حيث نصحت فاطمة بعدم الأقدام على الزواج من علي لفقره ولأنصرافه للجهاد المستمر ولصلابته في ذات الله.

سيرتها:

عاشت مع علي ثمان سنوات حية مثالية كانت عنوان الحية الزوجية، وأنجبت له الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ومحسن الذي أجهضته بعد وفاة أبيها في غمرة الأحداث المؤلمة التي وقعت في عهد خلافة أبي بكر وما عانته في تلك الفترة آنذاك.

شاركت أبيها في يوم المباهلة ((والمباهلة أبتهل إلى الله لكشف الحقيقة بعدم اقتناع الخصم بالحجة، وقد كانت الوسيلة الناجحة الأخيرة في دعوة الأنبياء وفي نصرة الله للدين الحق))^(١).

قل تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لُغْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)^(٢).

فأصبح الرسول الكريم في مقام عرض الأبناء والنساء والآنفس الذين يمثلون رجال الإسلام ونسائه وأبنائه، عند ذلك أختار علياً وفاطمة والحسين معلقاً بذلك إيمانه بالحق ولتمثيل هؤلاء لدينه تمثيلاً كاملاً.

(١) الزهراء - أم أبيها: ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

الزهراء عليها السلام والقرآن الكريم:

١- قال تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)^(١).

قال أبو محمد العسكري عليه السلام^(٢): وعلم آدم الأسماء كلها أنبياء الله وأسماء محمد عليه السلام وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبين وأسماء رجال من شيعتهم وعتة أعدائهم ((ثُمَّ عَرَضَهُمْ)) عرض محمداً وعلياً والأئمة على الملائكة أي عرض أشباحهم وهم أنوار في الأظلة فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام^(٣) قال: أن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء، فخلق خمسة أنوار من نور جلاله واشتق لكل واحد منهم أسم من أسمائه المنزلة فهو الحميد وسمى محمداً عليه السلام وهو الأعلى وسمى أمير المؤمنين علياً، وله الأسماء الحسنی فأشتق منها حسناً وحسيناً وهو فاطر فاشتق لفاطمة اسماً من أسمائه فلما خلقهم جعلهم في الميثاق فإنهم عن يمين العرش، وخلق الملائكة من نور، فلما نظروا إليهم عظموا أمرهم وشأنهم ولقنوا التسبيح فذلك قوله تعالى: (وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾)^(٤) فلما خلق الله آدم عليه السلام نظر إليهم عن يمين العرش فقال: يا رب من هؤلاء؟ قل: يا آدم هؤلاء صفوتي وخاصتي خلقتهم من نور جلالي وشققت لهم اسماً من اسمائي.

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٦.

(٢) البرهان في تفسير القرآن - هاشم البحراني: ١/٣٣.

(٣) تفسير فرات الكوفي - فرات الكوفي: ٥٦ - ٥٧.

(٤) سورة الصافات، الآيتين: ١٦٥ - ١٦٦.

قال: يا رب فبحقك عليهم علمني أسمائهم؟ قال: يا آدم فهم عندك أمانة سر من سري لا يطلع عليه غيرك إلا بإذني قال: نعم يا رب. قال: يا آدم اعطني من ذلك عهداً، فأنخذ عليه العهد ثم علمه أسمائهم ... ثم عرضهم على الملائكة ولم يكن علمهم بأسمائهم فقال: قال تعالى: (فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).

٢- قال تعالى: (فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)^(١) وفي حديث عن توبة آدم عليه السلام عن ابن بابويه^(٢) قال: حدثنا علي بن الفضل بن عباس البغدادي، قال: قرأت على أحمد بن محمد بن سليمان بن الحارث قلت: حدثكم محمد بن علي بن خلف العطار، قال: حدثنا حسين الأشقر، قال: حدثنا عمر بن أبي المقدام، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: سئلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه.

قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ألا تبت علي فتاب عليه عن صفوان الجمال قال: دخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام وقرأ هذه الآية (فتلقى آدم) ثم التفت إلي فقال: يا صفوان ان الله تعالى ألهم آدم عليه السلام أن يومي بطرفه نحو العرش، فإذا هو بخمسة أشباح من نور يسبحون الله ويقدمونه فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم صفوتي من خلقي لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار خلقت الجنة لهم ولن والاهم والنار لمن علاهم، لو أن عبداً من عبادي أتى بذنوب كالجبال الرواسي ثم توصل إلي بحق هؤلاء لعفوت عنه. فلما وقع آدم

(١) سورة البقرة الآية: ٢٧.

(٢) تفسير البرهان - هاشم البحراني: ٨٧/٨

في الخطيئة قال: يا رب بحق هؤلاء الأشباح اغفر لي فأوحى الله عز وجل إليه: أنك
توسلت إلي بصفوتي وقد غفرت لك. قل آدم: يا رب بالمغفرة التي غفرت إلا
أخبرتني من هم؟

فأوحى الله إليه: يا آدم هؤلاء خمسة من ولدك، لعظم حقهم عندي اشتقت لهم
أسماء من أسمائي، فأنا الحمود وهذا محمد، وأنا العلي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه
فاطمة، وأنا المحسن وهذا الحسن، وأنا الإحسان وهذا الحسين...^(١)

٣- قل تعالى: ((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ))^(٢).

عن العياشي^(٣) رواه بأسانيد عن صفوان الجمال قال: كنا بمكة فجرى الحديث في
قوله تعالى: ((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ)) قال أتمهن بمحمد وعلي
والائمة من ولد علي عليه السلام صلى الله عليهم في قوله: ((ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ
وَكَأَنَّ سَمِيْعًا عَلِيْمًا)) ثم قال: ((إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا
يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)) قال: يا رب ويكون من ذريتي ظالم؟ قال: نعم فلان وفلان
ومن اتبعهم قال: يا رب فعجل لمحمد وعلي ما وعدتني فيهما وعجل نصرك لهما
وإليه أشار بقوله: ((وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ
اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)).

(١) شرح الاخبار: القاضي المغربي: ٦/٣ - ٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٣) البرهان في تفسير القرآن - السيد هاشم البحراني: ١٥٠/٨.

عن الفضل بن عمر^(١) ، عن الصادق عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ)) ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه فتاب عليه، وهو انه قال: يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليّ ((فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)) فقلت له يا بن رسول الله فما يعني بقوله: ((فَاتَمَّهُنَّ؟)) قال: أتمهن إلى القائم المهدي إثنى عشر إماماً، تسعة من ولد الحسين عليه السلام.

٤- قال تعالى: ((الْم تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ))^(٢).

عن علي بن إبراهيم^(٣) قال: حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن أبي جعفر الأحول عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام: قال: سألته عن قول الله ((مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ)) قال: الشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله ونسبه ثابت في بني هاشم وفرع الشجرة علي بن أبي طالب عليه السلام وغصن الشجرة فاطمة عليها السلام وعلى الأئمة من أولادها السلام وثمرتها الأئمة من ولد علي وفاطمة عليهما السلام وشيعتهم ورقها. وأن المؤمن من شيعتنا ليموت فتسقط من الشجرة ورقة وأن المؤمن ليولد فتورق الشجرة ورقة. قلت: رأيت قوله تعالى: ((تَوْتِي أَكُلُهَا كُلُّ حِينٍ يَا ذُنْ رَبُّهَا)). قال: يعني بذلك ما يفتون به الأئمة شيعتهم في كل حج وعمره

(١) المناقب - ابن شهر آشوب: ٢٤٣/١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

(٣) البرهان في تفسير القرآن - السيد هاشم البحراني: ٣٦١/٢.

من الحلال والحرام ثم ضرب الله لأعداء آل محمد مثلاً فقال: ((وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ)).

عن سلام الخثعمي قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي فقلت: يا بن رسول الله قول الله تعالى: ((أَصْلُهَا نَابِتٌ وَقَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ)) قال: يا سلام: الشجرة محمد والفرع علي أمير المؤمنين، والثمر الحسن والحسين والغصن فاطمة.
٥- قل تعالى: ((وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ))^(١).

عن أبان بن تغلب قال: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام كان رسول الله أعطى فاطمة فذكاً وقفها فأنزل الله ((وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ)) فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله حقها قلت: رسول الله أعطها؟ قل بل الله أعطها.

ولقد أتفق الأعم الأغلب من المفسرين على أن المقصود بنبي القربى في هذه الآية: ((وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)) هي السيدة فاطمة عليها السلام فقد جاء عن أبي سعيد الخدري ^(٢) أن الله جزء لما أنزل على رسوله صلى الله عليه وآله ((وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)) دعا فاطمة فأعطاها فذكاً.

٦- قل تعالى: ((وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا))^(٣).

(١) سورة الأسراء، الآية: ٢٦.

(٢) البرهان في تفسير القرآن - السيد هاشم البحراني: ٤١٥/٢.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣٢.

عن ابن بابويه قال: حدثنا علي بن الحسين بن شاذويه المؤدب وجعفر بن محمد بن مسرور (رضي الله عنهما) قالا: حدثنا محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه عن الريان بن الصلت.

قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان وساق الحديث إلى أن قال: فقال: المأمون هل فضل الله العترة على سائر الناس؟

فقال له أبو الحسن عليه السلام: أن الله تعالى فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه، فقال له المأمون أين ذلك من كتاب الله؟ فقال الرضا عليه السلام: في قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ))^(١) وقال عليه السلام: في موضع آخر: ((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا))^(٢).

ثم رد المخاطبة في أثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ))^(٣) يعني الذين قرنهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليهم فقوله تعالى: ((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ...)) يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين فالملك هنا هو الطاعة لهم.

قالت العلماء فأخبرنا هل فسر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب؟

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٣ - ٣٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

فقال الرضا عليه السلام: فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثنتي عشر موطناً وموضِعاً وساق الحديث بذكر المواضع إلى أن قال وأما الثانية عشر فقولهُ جزءاً: ((وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا)) فخصنا الله تعالى بهذه الخصوصية إذ أمرنا مع الأمة بإقامة الصلوات ثم خصنا من دون الأمة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء إلى باب علي وفاطمة (صلوات الله عليهما) بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات فيقول: الصلاة رحمكم الله وما أكرم الله أحداً من ذراري الأنبياء صلى الله عليهم وآلهم بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها وخصصنا من دون جميع أهل بيتهم، فقال المؤمن والعلماء: جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن الأمة خيراً فما نجد الشرح والبيان فيما أشتبه علينا إلا عندكم.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام ^(١) عن أبيه زين العابدين عليه السلام في تفسير آية ((وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا)) أنه قال: نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين صلى الله عليهم وآلهم كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب فاطمة كل سحرة فيقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمكم الله ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)).

٧- قال تعالى: ((وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا)) ^(٢).

عن السيد الرضي في الخصائص قال: حدثني هارون بن موسى قال: حدثني أحمد بن محمد بن علي، قال: حدثنا أبو موسى عيسى الضرير البجلي، عن أبي الحسن عليه السلام في خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه وفي الخبر فقال رسول

(١) فتح الغدير - الشوكاني: ٣٩٦/٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

الله ﷺ: ادعوا عمي يعني العباس ؑ فدعى له فحمله وعلي ﷺ حتى أخرجه
فصلى بالناس وانه لقاعد ثم حمل فوضع على المنبر بعد ذلك فاجتمع لذلك جميع
أهل المدينة من المهاجرين والأنصار حتى برزت العواتق^(١) من خدورها فبين بالك
وصائح والنبي ﷺ يخطب ساعة وسكت ساعة وكان فيها من خطبته قال: يا
معشر المهاجرين والأنصار ومن حضر في يومي وساعتي هذه من الأنس وجن
ليبلغ شاهدكم غائبكم ألا وأني قد خلفت فيكم كتاب الله فيه النور والهدى
والبيان لما فرض الله تبارك وتعالى من شيء حجة الله عليكم وحجة وليي وخلقت
فيكم العلم الأكبر علم الدين ونور الهدى وضياؤه وهو علي بن أبي طالب ﷺ
وهو جبل الله.

أيها الناس هذا علي من أحبه وتولاه اليوم وبعد اليوم فقد وفى بما عاهد عليه الله
ومن عاداه وأبغضه اليوم وبعد اليوم جاء يوم القيامة أصم وأعمى لا حجة له
عند الله^(٢).

جاء في الحديث أن جبل الله الذي تأمر الآية بالاعتصام به هو أهل بيت العصمة،
إذ ورد عن الإمام الصادق ﷺ قوله: نحن جبل الله الذي قل الله عنه ((وَأَعْتَصِمُوا
بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا)).

كما ورد عن النبي ﷺ حديثاً يفيد ذات معنى: فاطمة مهجة قلبي وأبناها ثمرة
فؤادي وبعلمها نور بصري والأئمة من ولدها أمناء ربي، جبل معدود بينه وبين

(١) العواتق من النسلة: جمع عاتق وهي الشابة التي لم تدرك التزويج.

(٢) الخصائص - الشريف الرضي:

خلقه، من اعتصم بهم نجا، ومن تخلف عنهم هوى ^(١).

٨- قال تعالى: ((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لُغْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)) ^(٢).

قال الشيخ المفيد ^(٣) في الاختصاص، عن محمد بن الحسن بن أحمد يعني ابن الوليد، عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد، عن محمد بن اسماعيل العلوي قال: حدثني محمد بن الزريقان الدمعاني الشيخ، قال: قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: أجمعت الآية برها وفاجرها ان حديث النجراني حين دعه النبي صلى الله عليه وآله إلى المباهلة لم يكن في الكساء إلا النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فقال الله تبارك وتعالى: ((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ)) فكان تأويل أبنائنا الحسن والحسين ونسائنا فاطمة وأنفسنا علي بن أبي طالب عليه السلام.

عن ابن بابويه قال: حدثني أبو أحمد هاني بن أبي محمد بن محمود العبدي رضي الله عنه قال: حدثني أبي بأسناده رفعه إلى موسى بن جعفر عليه السلام في حديث له مع الرشيد. قال الرشيد له: كيف قلتُم أنا ذرية النبي والنبي صلى الله عليه وآله لم يعقب وإنما العقب للذكر لا للإنثى وأنتم ولد البنات ولا يكون لها عقب. فقلت أسأله بحق القرابة والقبر ومن فيه إلا ما أعفاني عن هذه المسألة. فقال تخبرني بمجتكم فيه يا ولد علي

(١) مائة منقبة - ابن شاذان: ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٣) الاختصاص - الشيخ المفيد: ٩٤.

وأنت يا موسى يعسوبهم واما زمانهم كذا أنهى إلي ولست أعفيك في كل ما أسئلك عنه حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله وأنتم تدعون معشر ولد علي أنه لا يسقط عنكم من منه شيء لا ألف ولا واو إلا تأويله عندكم واحتججتهم بقوله ﷺ: ((مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)) وقد استغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم، فقلت تأذن لي في الجواب؟ قال: هات قلت: أعود بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ((وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ))^(١) من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟

فقال: ليس له أب. فقلت إنما أحقه الله بذراري الأنبياء من طريق مريم، وكذلك أحقنا الله تعالى بذراري النبي من قبل أمنا فاطمة.

أزيدك يا أمير المؤمنين؟ قال: هات قلت قول الله ﷻ: ((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لُغْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)) ولم يدع أحداً عند المباهلة مع النصراري إلا علي بن أبي طالب، وفاطمة والحسن والحسين فكان تأويل قوله ﷻ: أبنائنا الحسن والحسين ونسائنا فاطمة وأنفسنا علي بن أبي طالب ﷺ^(٢).

٩- قال تعالى: ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٨٤ - ٨٥

(٢) البرهان في تفسير القرآن - السيد هاشم البحراني: ٢٨٩/٨.

لَا شَرَفِيَّةَ وَلَا غَرَبِيَّةَ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ
لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»^(١).

عن علي بن إبراهيم قال: حدثني أبي عن عبد الله بن جندب، قال: كتبت إلى أبي
الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن تفسير هذه الآية فكتب إلي الجواب: أما بعد فإن
محمدًا صلى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه فلما قبض النبي صلى الله عليه وآله كنا أهل البيت ورثته،
فنحن أمناء الله في أرضه عندنا علم المنايا والبلايا، وأنساب العرب، ومولد
الإسلام وما من فئة تضل مائة إلا ونحن نعرف سابقها وقائدها وناعقها وإننا
لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق وأن شيعتنا لمكتوبون
بأسمائهم وأسماء آبائهم أخذ الله علينا وعليهم الميثاق ويردون موردنا ويدخلون
مدخلنا ليس على ملة الإسلام وغيرنا وغيرهم إلى يوم القيامة نحن الآخذون
بمجزئة نبينا ونبينا آخذ بمجزئة ربنا والمجزئة النور وشيعتنا آخذون بمجزئتنا من
فارقنا هلك ومن تابعنا نجا والمفارق لنا والجاحد لولايتنا كافر ومتبعنا تابع أوليائنا
مؤمن لا يجبنا كافر ولا يبغضنا مؤمن ومن مات وهو يجبنا كان حقاً على الله أن
يبعثه معنا نحن نور لمن تبعنا وهدى لمن أهتلى بنا ومن لم يكن معنا فليس من
الإسلام في شيء بنا فتح الله الدين وبنا يختم وبنا أطعم الله عشب الأرض وبنا
أنزل الله قطر السماء وبنا آمنكم الله من الغرق في بحر ومن الخسف في بركم وبنا
نفعكم الله في حياتكم وفي قبوركم وفي محشركم وعند الصراط وعند الميزان وعند
دخول الجنة مثلنا في كتاب الله مشكلة والمشكلة في القنديل فنحن المشكلة فيها
مصباح المصباح محمد رسول الله صلى الله عليه وآله المصباح في زجاجة من أصله الطاهر.

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ولا
دعية ولا منكورة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار كمثل القرآن نور على نور
إمام بعد إمام يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل
شيء عليم. فالنور علي عليه السلام يهدي الله لولايتنا من أحب وحق على الله أن يعث
ولينا مشرقاً وجهه منيراً برهانه ظاهرة عند الله حجته حقاً على الله أن يجعل
أوليائه المتقين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً فشهداؤنا
لهم فضل على الشهداء بعشر درجات وشهيد شيعتنا فضل على كل شهيد غيرنا
بتسع درجات فنحن النجباء ونحن أفراف الأنبياء ونحن أولاد الأوصياء ونحن
المخصوصون في كتاب الله ونحن أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ونحن الذين شرع
الله لنا دينه. فقال في كتابه: ((شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى)) قد علمنا ما بلغنا وما علمنا
وأستودعنا ونحن ورثة أولي العلم وأولي العزم من الرسل والأنبياء أن أقيموا
الدين كما قال: ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين من أشرك بولاية علي عليه السلام ما
ندعوكم إليه من ولاية علي الله يا محمد - يهدي إليه من ينب من يجيبك إلى
ولاية علي عليه السلام وقد بعثت بكتاب فيه هدى فتدبره وافهمه فإنه شفاء لما في
الصدور ^(١).

عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: المشكلة: فاطمة عليها السلام. (فيها مصباح
المصباح): الحسن والحسين. (في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري): كأن
فاطمة عليها السلام كوكب دري بين نساء الأرض. (يوقد من شجرة مباركة) يوقد من

(١) البرهان في تفسير القرآن - السيد هاشم البحراني: ١٣٦/٣.

إبراهيم عليه السلام (لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ) يعني لا يهودية ولا نصرانية. (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ) يكاد العلم يتفجر منها ^(١)...

١٠- قال تعالى: ((مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)) ^(٢).

قال الشيخ الطوسي ^(٣) في التهذيب بإسناده عن علي بن الحسن بن فضل، عن محمد بن علي، عن أبي جميلة: حدثني محمد بن الحسن، عن أبيه، عن أبي جميلة عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ)).

قال الفقيه ما كان من أموال لم يكن فيها مراقبة دم أو قتل. والأمثال مثل ذلك وهو بمنزلة.

١١- قال تعالى: ((إِنَّا أَعْظَمْنَاكَ الْكُوْتِرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾)) ^(٤).

قال الشيخ الطوسي في أماليه: قال أخبرنا محمد بن محمد يعني الشيخ المفيد قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا محمد بن الصلت، قال: حدثنا أبو كديه عن عطاء عن سعيد بن جبیر عن عبد الله بن العباس، قال لما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) السيدة فاطمة عليها السلام - أنتصار عدنان: ٣٥٣.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٣) البرهان في تفسير القرآن - السيد هاشم البحراني: ٤/ ٣٦٤.

(٤) سورة الكوثر، الآيات: ١- ٣.

((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)) قال له علي بن أبي طالب عليه السلام: ما هو الكوثر يا رسول الله؟ قال: نهر أكرمني الله به. قال علي: ان هذا النهر شريف فاعنه لنا يا رسول الله؟ قال نعم يا علي الكوثر نهر تجري تحت عرش الله تعالى ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد حصاه الزبرجد والياقوت والمرجان حشيشه الزعفران تراه المسك إلا زفر قواعده تحت عرش الله عز وجل ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على جنب أمير المؤمنين وقال: يا علي أن هذا النهر لي ولك ولجيبك من بعدي. رواه المفيد في أماليه. قال أخبر أبو الحسن علي بن بلال المهلبي، قال حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسين البغدادي: قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا محمد بن صلت، قال: حدثني أبو كرب عن عطاء عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن العباس، قال: لما نزل على رسول الله ((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)) قال علي بن أبي طالب عليه السلام: ما هو الكوثر يا رسول الله وذكر حديثه بعينه.

قال الفخر الرازي^(١): الكوثر أولاده قالوا لأن هذه السورة إنما نزلت رداً على من عابه صلى الله عليه وسلم بعدم الأولاد فالعنى أنه يعطيه نسلأ يقون على مر الزمان، فأنظر كم قتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبا به، ثم أنظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر، والصادق، والكاظم، والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم.

قال الواحدي: قال ابن عباس: أن العاصي بن وائل السهمي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام عند باب سهم فتحدث معه وأناس من صنلديد قريش في

(١) التفسير الكبير - الفخر الرازي: ٧٥ / ٣٤.

المسجد فلما دخل العاصي عليهم قالوا له: من الذي كنت تتحدث معه فقال: ذلك الأبرّ وكان قد توفى قبل ذلك عبد الله بن رسول الله ﷺ بعد أن مات ابنه القاسم قبل عبد الله فأنقطع بموت عبد الله الذكور من ولده ﷺ يومئذ وكانوا يصفون من ليس له أبن بأبرّ فأنزل الله هذه السورة فحصل القصر في قوله ((إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)) لأن ضمير الفصل يفيد قصر صفة الأبرّ على الموصوف وهو شاني النبي ﷺ قصر المسند على المسند إليه، وهو قصر قلب أي هو الأبرّ لا أنت.

فاطمة الزهراء عليها السلام والكتب المقدسة:

١- عن الإمام الحسن عليه السلام ^(١) قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسألوا أسئلة كثيرة إلى أن قال: فأخبروني عن خمس أشياء مكتوبات في التوراة أمر الله بني إسرائيل أن يقتلوا بموسى فيها من بعده. قال النبي ﷺ: فأنشدك بالله أن أنا أخبرتك تقر لي؟ قال اليهودي: نعم يا محمد. قال: فقال النبي ﷺ: أول ما في التوراة مكتوب: محمد رسول الله ﷺ وهي بالعبرانية (طاب) ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ((يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ)) ^(٢)، ((وَمُبَشَّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)) ^(٣) وفي السطر الثاني أسم وصي علي بن أبي طالب والثالث والرابع: سبطي: الحسن والحسين، وفي السطر الخامس أمهما

(١) الأماي - الشيخ الصدوق: ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٣) سورة الصف، الآية: ٦.

فاطمة سيلة نساء العالمين: وفي التوراة اسم وصي (إيليا) وأسم السبطين (شبر وشبير) وهما نورا فاطمة عليهما السلام قال اليهودي: صدقت يا محمد.

٢- عن عبد الله بن سليمان^(١): قال: قرأت في الإنجيل في وصف النبي ﷺ: ذو النسل، إنما نسله من مباركة لها بيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب، يكفلها في آخر الزمان كما كفل زكريا أمك، لها فرخان مستشهدان^(٢).

٣- أخرج ابن أبي حاتم^(٣) عن فرقد السبخي قال أوحى الله إلى عيسى بن مريم ﷺ في الإنجيل ... خذ كتاب الإنجيل بقوة ففسره لأهل السريانية وأخبرهم أنني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم البديع الدائم الذي لا زوال له فأمنوا به ورسوله الأمي الذي يكون في آخر الزمان فصدقوه واتبعوه ... الذي إنما نسله من المباركة يعني خديجة يا عيسى لها بيت من لؤلؤ من قصب موصل بالذهب لا يسمع منه أنثى ولا نصب لها ابنة يعني فاطمة ولها ابنان يستشهدان يعني الحسن والحسين.

(١) بحار الأنوار - المجلسي: ٤٣ / ٢٢.

(٢) الدر المنتور - السيوطي: ٤ / ٥٩.

(٣) تفسير كنز الدقائق - المشهدي: ٢ / ٥٢٥.

فاطمة الزهراء عليها السلام والأحاديث القدسية:

١- عن النبي صلى الله عليه وآله: أن الله لما خلق نور فاطمة أزهرت السماوات السبع والأرضين السبع فسبحت الملائكة وقرئت.

فقال الله: وعزتي وجلالي ووجدي ومجدي وأرتفاعي في أعلى مكاني، لأجعله ثواب تسيحكهم وتقديسكم، لفاطمة وبعلمها وبنيتها ومحبتها إلى يوم القيامة.

٢- يا ملائكتي ^(١) انظروا إلى أمي فاطمة، سيده إمامي، قائمة بين يدي ترتعد فرائسها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أنني آمن شيعتها من النار.

أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل فاطمة عليها السلام:

إن الله ليغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها. فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني، ومن أحبها فقد أحبني. فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبي فاطمة سيده نساء العالمين.

هذه الشهادات وأمثالها تواترت في كتب الحديث والسيرة من رسول الله محمد صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، ولا يتأثر بنسب أو سبب، ولا تأخذه في الله لومة لائم. مواقف من نبي الإسلام الذي ذاب في دعوته، وكان للناس فيه أسوة فأصبحت خفقان قلبه، ونظرات عينيه، ولمسات يده وخطوات سعيه وإشعاعات فكره، قوله،

(١) بشارة المصطفى - عماد الدين الطبري: ٣٠٧.

فعله، وتقديره، وجوده كله، أصبح تعاليم الدين وأحكام الله ومصابيح الهداية وسبل النجاة.

أوسمة من خاتم الرسل على صدر فاطمة الزهراء تزداد تألقاً كلما مرَّ الزمن وكلما تطورت المجتمعات وكلما لاحظنا المبدأ الأساس في الإسلام في كلامه لها ((يا فاطمة أعلمي لنفسك فاني لا أغني عنك من الله شيئاً...)).

فاطمة الزهراء هذه مثل المرأة التي يريدنا الله، وقطعة من الإسلام المجسد في محمد وقدوة في حياتها للمرأة المسلمة وللإنسان المؤمن في كل زمان ومكان.

إن معرفة فاطمة فصل من كتاب الرسالة الإلهية، وإن دراسة حياتها محاولة لفقه الإسلام، وذخيرة قيمة للإنسان المعاصر.

إن القرآن الكريم أعطى للمرأة على خلاف جميع الآراء الفلسفية والمذهبية والعادات التي كانت قبل حال نزوله، وعلى خلاف كثير من الآراء والعادات المتأخرة - يجل المرأة ويعتبرها مثل الرجل في الحقيقة وفي الذات قل تعالى: ((لَوْ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا))^(١) ثم يعلن أنها تشارك مشاركة جوهرية في تكوين الطفل، وليست ممراً للإنجاب ولا حقلاً لبذرة قل تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً))^(٢). وقد جعل الله النبي محمداً - بالذات - شاهد صدق على هذا الموقف حيث جعل نسله من فاطمة، ورد على من سمه -أبتر- بعد موت إبراهيم

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

أبنة من مارية القبطية في السنة الثانية من الهجرة حيث قال الله تعالى: ((إِنَّا
أَعْظَمْنَاكَ الْكُوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾))^(١).

ويؤكد القرآن في كثير من الآيات هذه المساواة ويكرر عبارة ((بَغْضُهُمْ مِّنْ
بَغْضِ)) ثم يسن القوانين لاحترام نفس المرأة وكل حقوقها واحترام عمل المرأة
مادياً ومعنوياً واقتصادياً وسياسياً ويؤكد احترامه لقرابتها من الميراث وفي جميع
شؤون الحياة قال تعالى: ((لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ
نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ))^(٢).

ولا نجد في جميع الآيات القرآنية ما يمنع المرأة من التصرف في أموالها حتى بعد
الزواج أو يسمح بفرض الزواج عليها دون رضاها.

والآيات التي تضيف المرأة على الرجل لبيان الأحكام أو التقدير أو المواعظ أو
العبر كثيرة جداً دون أن تقلل من مقامها أو تحتقرها أو تعتبرها أقل شأناً من
الرجل.

قال تعالى: ((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))^(٣)، ((إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِمِينَ
وَالصَّانِمَاتِ

(١) سورة الكوثر، الآيات: ١-٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٧.

وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا^(١).

عودة إلى حديث: ((أن الله يرضى لرضا فاطمة)):

إن هذا الحديث من الأحاديث المهمة التي نستفيد منها عصمة الزهراء البتول وليست المسألة هي مداراة العلي القدير نبيه الأكرم في تبجيل أبنته التي يجبها، بل هو مقام حياها الله به، حيث تكون هي ممثلة لرضا الله جل وعلا ويكون رضاه برضاها، وهذا يعني أنها لا تفعل المعصية لأنها ممثلة لرضا الرب وغضبه.

وقد ذكرنا سابقاً أن للإنسان مراتب ثلاث هي مرتبة العلم الحضوري ومرتبة العلوم الحسولية ومرتبة القوى العلمية التي هي دون المرتبتين، وسلامة الأفعال تتوقف على مدى المطابقة بين هذه المدارج الثلاث حيث تنزل الإرادات الإلهية من دون عوائق ولا تكون هناك مشاكسات من القوى المدون وذلك إذا ما ابتلي بالأمراض والوساوس والבלادة والحدة أو سلطنة الغرائز النازلة .. وقد أستعرضنا ذلك.

وبناء على هذا فعندما يقال ان الرضا الإلهي هو برضا أحد عباده فهذا يعني أن هذا العبد هو ممثل للمشيئة الإلهية ويكون كل حركاته وسكناته لا تتخلف عن المشيئة الإلهية، وهذا يعني أن تكون القنوات التي تسير فيها علوم الإنسان وهي ما تقدم ذكره غير مبتلاه بأمراض إدراكية ولا عملية، ولا يكون هناك عائق أمامها

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

فتتنزل صافية من دون كدر، وهذا ليس تأليهاً بل هو أستقامة في مدارج الوجود فيخرج العمل مظهراً للإرادة الإلهية، وعلى هذا البيان لا تنحصر عصمة في الموضوعات الكلية بل تشمل الجزئيات الخارجية ولا يشذ عنها مورد وقريب من هذا المعنى الحديث الذي ينص على أن (علياً مع الحق والحق مع علي) إذ لا يمكن أن تكون هناك ملائمة بينه وبين الحق إلا إذا افترضنا أن هناك عصمة علمية عملية تجعل كل تصرفاته نابعة من العلم الحضورى وأن ارادته تمثل الإرادة الإلهية.

ومنه نستطيع الربط مع الأحاديث التي تبين كيفية تلقي الإمام عليه السلام عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث لا يكون التلقي من الوجود البشري للنبي صلى الله عليه وآله بل هو تلقي عن مقام النورية للنبي وخصوصاً في مثل الحديث القائل (علمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب) حيث لا يوجد تفسير لها على نحو العلوم الحسولي، بل هي الوراثة النورية التي ورثها النبي صلى الله عليه وآله وللأئمة الأطهار وعليه يكون أداء الأئمة عن النبي ليس عن مرتبة الوجود الحسي له بل عن المرتبة النورية. وقد أورد على هذا التقريب لفقهاء الحديث عدة نقوض حاصلها: أنه قد ورد في الأحاديث والآيات القرآنية تصريح برضا الله تعالى عن بعض المؤمنين، مثل (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)^(١).

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

وكذلك ورد في موارد أربعة قوله تعالى: (رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُمْ)^(١).

ثم في المجادلة: ٢٢، والبيّنة: ٨، والتوبة: ١٠٠.

وفي الحديث الشريف: (رضي الله عن عمار)، وأن أبا ذر لا يكذب قط وهناك جواب تفسيري عن هذه الأحاديث ينفع جواباً كلياً عن هذا المورد: وهو أن العصمة على درجات وليس كلها من نحو واحد، فإن منها العلمية ومنها العملية ومنها الذاتية ومنها الأفعالية أي في مقام الفعل دون الذات، وكل منها فيه شدة وضعف، وقد مر بعض الحديث عن ذلك في آية استخلاف آدم والفرق بين عصمته وعصمة الملائكة، كذلك هناك مقامات تتلو أدنى مراتب العصمة كمقام الحكمة الذي من أوتيهِ أوتيهِ خيراً كثيراً كما وردت الإشارة.

نصوص أحاديث الصحابة في سيادة فاطمة عليها السلام:

قد جاءت هذه النصوص والتصريحات في أحاديث كثيرة من طرق عديدة تؤيد بعضها بعضاً:

عن علة من الصحابة كأم المؤمنين عائشة، وأم سلمة، وحذيفة بن اليمان، وأبي هريرة، وعمران بن حصين، وجابر بن سمرة، وعبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عباس، وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعبد الله بن مسعود وعامر بن وائلة، وأبي بريدة الأسلمي، وعبد الله بن عمر وغيرهم.

(١) نفس المصدر.

ولاشتهار تلك النصوص عند كافة المسلمين أصبحت السيادة على النساء لقباً
خاصاً بها تعرف وتدعى به في كونها -سيلة النساء-

وهذه بعض نصوص تلك الأحاديث:

(١) حديث أم المؤمنين عائشة ^(١) في سيادة فاطمة عليها السلام الذي روته الصحاح
والسنن عنها أنها قالت:

أقبلت فاطمة سلام الله عليها تمشي مشية النبي ﷺ فقال النبي: مرحباً بأبنتي ثم
أجلسها عن يمينه أو عن شماله. ثم أسر إليها حديثاً فبكت، فقلت لها لم تبكين، ثم
أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت لها: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن.
فسألتهما عما قالت: فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ حتى إذا قبض
النبي فسألتهما فقالت: أسر إلي أن جبرئيل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة وأنه
عارضني به العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي، وأنتك أول أهل بيتي لحوقاً بي
فبكيت فقال: أما ترضين أن تكوني سيلة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين
فضحكت لذلك.

طرق الحديث ومصادره:

حديث أم المؤمنين عائشة هذا له طرق عديدة ومصادره كثيرة فقد رواه:

١- رواه مسلم في (صحيحه) في كتاب (فضائل الصحابة) باب فضائل فاطمة من
طريقين. (ج ٢ ص ٣٧٧) ط. الحلبي الباني.

(١) فاطمة والمفضلات من النساء - عبد اللطيف البغدادي: ص ٩٦.

٢- رواه ابن ماجة القزويني في (سننه) باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ
(الفضائل الخمسة) ج ٣ ص ١٣٨.

٣- رواه أحمد بن حنبل في (مسنده) ج ٦ ص ٢٨٢ وقال في آخره: سيدة نساء هذه
الامة أو نساء المؤمنين.

٤- رواه النسائي في (خصائصه) من طريقين ص ٣٤ الطريق الأول آخره: سيدة
نساء هذه الامة أو نساء المؤمنين والطريق الآخر لفظة: سيدة نساء هذه الامة
وسيدة نساء العالمين جميعاً.

٥- رواه أبو داود الطيالسي في (مسنده) ص ١٩٦ ط. حيدر آباد (أحقاق الحق) ج ١
ص ٢٧ وفي آخره سيدة نساء العالمين أو نساء هذه الامة.

٦- المتقي الهندي في (كنز العمال) ج ١٣ ص ٩٥ ط. حيدر آباد.

٧- السيوطي الشافعي في (الخصائص) ج ٢ ص ٢٦٥ حيدر آباد.

٨- رواه الطحاوي في (مشكل الآثار) ج ١ ص ٤٨٤٩ من طريقين.

٩- ورواه أخطب خوازم الحنفي في (مقتل الحسين) ص ٥٤ باب فضائل فاطمة.

١٠- محب الدين الطبري الشافعي في (ذخائر العقبى) ص ٣٩٤٠.

١١- ورواه سبط بن الجوزي في (تذكرة الخواص) في الباب (١١) ذكر خديجة
وفاطمة ص ٣١٩ عن

١٢- ابن حجر العسقلاني في (الإصابة) ج ٤ ص ٣٣٧ من طريقين.

١٣- ابن الجوزي في (صفوة الصفوة) ج ٢ ص ٥ ط. حيدر آباد.

١٤-الذهبي في (تاريخ الإسلام) ج ٢ ص ٩٤ ط. المعارف بمصر.

١٥-البلاذري في (أنساب الأشراف) ص ٥٥٢ ط. المعارف بمصر.

١٦-أبن شهر آشوب في (المنقب) ج ٣ ص ٣٣٣ قل: روت عائشة وغيرها عن النبي ﷺ أنه قل: يا فاطمة أبشري فأن الله أصطفاك على نساء العالمين، وعلى نساء الإسلام.

(٢)حديث أم المؤمنين أم سلمة في سيادة فاطمة ؓ قالت أم سلمة: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة دعا فاطمة فناجها فبكت، ثم نجاها فضحكت، فلم أسأها حتى توفي رسول الله ﷺ فسألتها عن بكاءها وضحكها فقالت: أخبرني أنه يموت، ثم أخبرني أنني سيلة نساء أهل الجنة.

طرق الحديث ومصادره:

١-رواه القندوزي في (الينابيع) ص ١٧٢ نقلًا عن المشكاة، وعن الترمذي.

٢-رواه العسقلاني في (الإصابة) ج ٤ ص ٣٦٧ بالإسناد إلى أم سلمة.

٣-رواه الترمذي في (سننه) باب فضل فاطمة ج ١٣ ص ٢٥٩ ط. الصاوي بمصر شرح أبن العربي عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ دعا فاطمة يوم الفتح فناجها فبكت ثم حدثها فضحكت إلى آخر الرواية.

(٣)حديث حذيفة بن اليمان في سيادة فاطمة والحسينين ؓ عن حذيفة قل: سألتني أمني متى عهدك بالنبي ﷺ؟ فقلت: مالي به عهد كذا وكذا، فنالت مني فقلت لها، دعيني آتي النبي ﷺ فأصلي معه المغرب وأسأله أن يستغفر لي ولك. فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب، فصلى حتى العشاء ثم أنفتل فتبعته،

فعرض له عارض فلجاه، ثم ذهب فسمع صوتي فقال: من هذا حذيفة، قلت: نعم، قال: ما حاجتك غفر الله لك وأمك^(١). ثم قال: أما رأيت العارض الذي عرض لي؟ فقلت: بلى يا رسول الله قال: هو ملك من الملائكة. لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم عليّ ويبشرني: بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة.

طرق الحديث ومصادره:

- ١- رواه الترمذي في (سننه) ج ٢ ص ٣٠٦ باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام.
- ٢- أحمد بن حنبل في (مسنده) ج ٥ ص ٣٩١.
- ٣- أبو نعيم في (حلية الأولياء) ج ٤ ص ١٩٠.
- ٤- ابن الأثير في (أسد الغابة) ج ٥ ص ٥٧٤.
- ٥- المتقي الهندي الحنفي في (كنز العمال) ج ٦ ص ٢١٧ من طرق عديدة.
- ٦- رواه الحاكم في (المستدرک) ج ٣ ص ١٥١ مختصراً بطريقتين وأقتصر فيها على ذكر فاطمة عليها السلام في باب مناقب فاطمة وقال: في الثاني منها هذا حديث صحيح الأسناد.
- ٧- رواه أخطب خوارزم الحنفي في (مقتل الحسين) ج ١ ص ٨١ في فضائل فاطمة نقلاً عن صحيح الترمذي.
- ٨- رواه الشبنجي الشافعي في (نور الأبصار) ص ٤١ عن أحمد بن حنبل.

(١) قول النبي ﷺ لحذيفة: غفر الله لك ولأمك مع العلم أنه جاء ليسأل أن يستغفر لهما دليل قاطع على أن الله أطلع نبيه على ما جاء إليه حذيفة من طلب الاستغفار له ولأمه.

٩- القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة) باب (٥٤) في فضائل الحسين ص ١٥
وص ٢٦٤ نقلاً عن: (مودة القريبى) - للسيد علي بن شهاب الهمداني، وتوفيق
أبو علم في (أهل البيت) ص ١٢٨. والكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) ص ٢٧٥
عن حذيفة وقال: رواه محدث الشام في كتابه من غير واحد

(٤) حديث آخر لحذيفة في سيادة فاطمة وأهل البيت عليهم السلام رواه الكنجي الشافعي
في (كفاية الطالب) ص ٢٧٣ عند ذكر أحوال الحسين عليه السلام بسنده عن ربيعة
السعلي قال:

لما أختلفت الناس في التفضيل رحلت راحلتي وأخذت زاي وخرجت حتى
دخلت المدينة، فدخلت على حذيفة بن اليمان، فقال لي: ممن الرجل قلت من
أهل العراق، فقال لي: من أي العراق؟ قلت: رجل من أهل الكوفة، قال: مرحباً
بكم يا أهل الكوفة قلت:

أختلف الناس علينا في التفضيل فجنث لأسألك عن ذلك فقال لي: على الخبير
سقطت، أما أني أحدثك إلا ما سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيني، خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وآله كأنني أنظر إليه كما أنظر إليك الساعة، حامل الحسين بن
علي عليه السلام على عاتقه كأنني انظر إلى كفه الطيبة وأضعها على قدمه يلصقها إلى
صدره، فقال صلى الله عليه وآله: أيها الناس لأعرفن ما أختلفتم فيه من الخيار بعدي، هذا الحسين
بن علي خير الناس جداً وجلة، جده رسول الله سيد النبيين، وجدته خديجة بنت
خويلد سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله.

هذا الحسين بن علي خير الناس أباً وخير الناس أمّاً، أبوه علي بن أبي طالب أخو رسول الله ﷺ ووزيره وأبن عمه، وسابق رجال العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله، وأمه فاطمة بنت محمد سيّدة نساء العالمين.

هذا الحسين بن علي خير الناس عمّاً وخير الناس عمّة، عمه جعفر بن أبي طالب المزيّن بلجنّاحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء، وعمته أم هاني بنت أبي طالب. هذا الحسين بن علي خير الناس خالاً وخالة خاله القاسم بن محمد رسول الله ﷺ وخالته زينب بنت محمد ﷺ ثم وضعه عن عاتقه فدرج بين يديه وجثاً ثم قال:

يا أيها الناس هذا الحسين بن علي جده وجدته في الجنة، وأبوه وأمه في الجنة وعمه وعمته في الجنة، وخاله وخالته في الجنة، وهو وأخوه في الجنة الخ.

قال الكنجي هذا سند أجمع فيه جماعة من أئمة الأمصار:

١- إمام أهل الحديث ومحدث العراق ومؤرخها ابن ثابت الخطيب ذكره في (تاريخه).

٢- محدث الشام وشيخ أهل النقل ابن عساكر الدمشقي ذكره في تاريخه ج٤ ص ٣٢٠ أورده في ترجمة الحسين ﷺ ومناقبه.

ولعل معاوية بن أبي سفيان أشار إلى هذا الحديث حين قال يوماً لجلسائه سائلاً منهم: من أكرم الناس أباً وأمّاً وجدّاً وجدّة وعمّاً وعمّة وخالاً وخالة؟

فقالوا: أمير المؤمنين أعلم، فأخذ بيد الحسن عليه السلام هذا أبوه علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت محمد، وجده رسول الله صلى الله عليه وآله وجدته خديجة، وعمه جعفر، وعمته هالة بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن محمد وخالته زينب بنت محمد عليها السلام.

١- رواه ابن عبد ربه الأندلسي في (العقد الفريد) ج ٥ ص ٨٧ ط. بيروت دار الكتاب العربي.

٢- وروى حديث ربيعة السعدي عن حذيفة، الشيخ مسعود السجستاني بسنده في كتابه وقال: هذا الحديث حسن ونقله عن المجلسي.

٣- المجلسي في (البحار) ج ٢٣ ص ١١١ وفيه بعض الزيادات.

(٥) أحاديث أبي هريرة في سيادة فاطمة والحسين عليهما السلام عن أبي هريرة قال: أبطأ علينا رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً صبور النهار، فلما كان العشي قال له قائلنا: يا رسول الله قد شق علينا لم نرك اليوم، قال: أن ملكاً من السماء لم يكن زارني، فاستأذن الله في زيارتي فأخبرني وبشرني: أن فاطمة بنتي سيدة نساء أممي، وأن حسناً وحسيناً سيديا شباب أهل الجنة.

١- رواه بسند أبي هريرة النسائي في (خصائصه) ص ٣٤.

٢- المتقي الهندي في (كنز العمال) ج ٣ ص ٢٢١ وقال: أخرجه الطبراني وابن النجار عن أبي هريرة.

٣- رواه محمد الصبان في (أسعاف الراغبين) ص ١٦٩ نقلاً عن الطبراني، وابن حبان مختصراً على ذكر فاطمة.

٤- رواه الذهبي في (تاريخ الإسلام) ج ٢ ص ٩٢ ط. مصر.

٥- أبو بكر الهيثمي في (مجمع الزوائد) ج ٩ ص ٢٠١ ط. القدسي القاهرة.

٦- العلامة النبهاني في (الشرف المؤيد) ط. مصر نقلاً عن ابن حبان وغيره عن أبي هريرة.

وفي حديث آخر عن أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال أول من يدخل الجنة فاطمة بنت محمد ﷺ مثلها في هذه الأمة مثل مريم بنت عمران في بني إسرائيل.

وفي حديث آخر مسند عن أبي هريرة أنه قال: لما أسري بالنبي ﷺ ثم هبط إلى الأرض -ومضى لذلك زمان- ثم أن فاطمة أتت النبي فقالت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما الذي رأيت لي؟ (أي في الإسراء) فقال: يا فاطمة أنت خير نساء البرية، وسيدة نساء أهل الجنة قالت: يا أبا عبد الله فما لعلي؟ قال: خير رجل من أهل الجنة، قالت: يا أبا عبد الله فما للحسن والحسين؟ فقال: سيدا شباب أهل الجنة.

١- رواه الحافظ السيوطي في (ذيل اللثالي) ص ٦٢ ط لكنهو.

٢- رواه أبو نعيم في (فضائل الصحابة) بسنده.

٣- رواه أيضاً بسنده الحموي الشافعي في (فرائد السمطين) مخطوط.

ونقله عن المصادر السابقة السيد شهاب الدين المرعشي في (تعليقات إحقق الحق) ج ٩ ص ٢٠٩، ٢٥٢ .

(٦) حديث عمران بن حصين في سيادة فاطمة عليها السلام.

عن عمران بن حصين قال: أن النبي ﷺ قال لي: ألا تنطلق بنا نعود فاطمة فإنها تشتكي؟ قلت: بلى قال: فانطلقنا حتى إذا انتهينا إلى بابها فسلم واستأذن وقال: أدخل أنا ومن معي؟ قالت: نعم ومن معك يا أبتاه قالت: فوالله ما علي إلا عبله،

فقال أصنعي بها كذا وأصنعي بها كذا فعلمها كيف تستتر، فقالت: والله ما على رأسي من خمار قال فأخذ ملاءة كانت عليه وقال: أختمري بها. ثم أذنت لنا فدخلنا فقال: كيف تجدينك: يا بنية؟ قالت: أني لوجعة، وأنه ليزيدني أنه مالي طعام آكله، قل: يا بنية أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟ قالت: يا أبت: فأين مريم بنت عمران قال: تلك سيدة نساء عالمها. وأنت سيدة نساء عالمك.

مصادر حديث عمران بن حصين:

١- رواه أبو نعيم في (حلية الأولياء) ج ٢ ص ٤٢.

٢- ورواه الطحاوي في (مشكل الآثار) ج ١ ص ٥٠.

٣- ورواه محب الدين الطبري الشافعي في (ذخائر العقبى) ص ٤٣.

٤- عباس محمود العقاد في (فاطمة والفاطميون) ص ٦٧.

٥- ابن شهر آشوب في (المناقب) ج ٣ ص ٣٣٣.

(٧) أحاديث عبد الله بن عباس في سيادة فاطمة وأهل البيت عليهم السلام روى مسنداً عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعبد الرحمن بن عوف: يا عبد الرحمن أنتم أصحابي، وعلي بن أبي طالب مني وأنا منه (أي أنه خلق من نورني وخلقت من نوره) فمن قاسه بغيره. وفي نص ومن قاسه بغيري فقد جفاني، ومن جفاني آذاني ومن آذاني فعليه لعنة ربي.

يا عبد الله أن الله أنزل عليّ كتاباً مبيناً وأمرني أن أبين للناس ما نزل إليهم، ما خلا علي بن أبي طالب فإنه لم يحتج إلى بيان. لأن الله تعالى جعل فصاحته كفصاحتي ودرايته كدرايتي، ولو كان الحلم رجلاً لكان علياً.

ولو كان العقل رجلاً لكان حسناً ولو كان السخاء رجلاً لكان الحسين، ولو كان الحسنُ شخصاً لكان فاطمة بل هي أعظم، أن فاطمة أبتني خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً.

مصادر حديث عبد الله بن عباس :

- ١- رواه أخطب خوارزم الحنفي في (مقتل الحسين) ج ١ ص ٦٠.
 - ٢- الحموي في (فرائد السمطين) ونقله عن: المرعشي في (تعليقات أحقاق الحق) ج ٤ ص ٥٠٢.
 - ٣- علي بن شهاب الهمداني في (سورة القربى) ونقله عنه: القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة) ص ٢٦٣.
- (٨) أحاديث أبي سعيد الخدري في سيادة فاطمة وأهل البيت عليهم السلام روى أخطب خوارزم الحنفي في (مقتل الحسين) ج ١ ص ٩٦ بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ ما مررت ليلة أسري بي بشيء من ملكوت السماء، وعلى شيء من ملكوت الحجب فوقها إلا وجدتها مشحونة بكرام ملائكة الله تعالى ينجونني: هنيئاً لك يا محمد فقد أعطيت ما لم يعطى أحد بعدك أعطيت علي بن أبي طالب أماً وفاطمة زوجته أبنةً والحسن والحسين أولاداً ومحبيهم شيعة، يا محمد أنك أفضل النبيين وعلياً أفضل الوصيين. وفاطمة سيده نساء العالمين، والحسن والحسين أكرم من دخل الجنان من أولاد المرسلين وشيعتهم أفضل من تضمنته عرصات القيامة وأشتملت عليه غرف الجنان وقصوره ومنتزهاتها، فلم يزالوا يقولون ذلك في مصعلي ومرجعي، فلولا أن الله حجب عنهم آذان الثقلين لم يبق أحد إلا سمعهم.

١- أخرج الحديث السيد هاشم البحراني في (غاية المرام) ص ٥٨٦.

٢- السيد المرعشي في (تعليقات أحقاق الحق) ج ١ ص ٥٤٢.

السيدة فاطمة عليها السلام في أقوال أهل البيت عليهم السلام:

كانت السيدة فاطمة عليها السلام المثل الأعلى بين نساء المسلمين لما تحمله من القيم السامية والأخلاق الرفيعة وكيف ولا وهي التي نشأت في بيت النبوة مصدر الأحكام والسنن الشريفة. ثم تتلمذت على يد إمام المتقين ومولى الموحدين، فأصبحت موضع افتخار وحديثاً طيباً عند أهل البيت عليهم السلام.

١- قل أمير البيان عليه السلام في محابته للخليفة أبي بكر: فأشكك بالله أنا الذي اختارني رسول الله صلى الله عليه وآله وزوجني ابنته فاطمة عليها السلام وقال: الله زوجك إياه في السماء. أم أنت؟ قل: بل أنت^(١)

٢- وفي مناشدته أهل الشورى محتجاً بمخالفه، وعد منها، قوله: نشدتكم الله أفیکم أحد زوجة رسول الله فاطمة، ثم قل: صلى الله عليه وآله: يا علي لا تعجل حتى آتيكم، فأتى، وقال: اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا؟ قالوا: اللهم! لا^(٢).

٣- وفي احتجاجه قال: أيضاً: أفیکم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ويضعه منه وسيلة نساء أهل الجنة^(٣)؟ وفي كتاب له إلى معاوية جواباً

(١) البحراني: حلية الأبرار: ٣٠٩/٢.

(٢) المسترشد/ الطبري الامامي: ٣٤٥.

(٣) الخصل - الصدوق: ٥٥٥.

على رسالته: ومنا النبي ومنكم الكذاب، ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف ومنا سيدا شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار، ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب ... (١)

٤- من كلام له ﷺ وهذه فاطمة بضعة من رسول الله ﷺ تحتي هي في زمانها كمریم بنت عمران في زمانها ... وأن الحسن والحسين سبطا هذه الأمة وهما من محمد ﷺ كمكان العينين من الرأس وأما أنا فكمكان اليدين من البدن وأما فاطمة فكمكان القلب من الجسد مثلنا مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق (٢)

ومن كلام له أيضاً ﷺ في جواب السيدة فاطمة ؓ حين أوصت له قائلة: يا ابن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني! فقال ﷺ: معاذ الله! أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله أن أوبخك غداً بمخالفة، فقد عز علي بمفارتك وبفقدك ألا انه أمر لا بد منه والله جلد علي مصيبة رسول الله ﷺ وقد عظمت وفاتك وفقدك فإننا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها هذه والله مصيبة لا عزاء عنها، ورزية لا خلف لها ثم قل: أوصيني بما شئت فانك تجديني وفيأ أمضي كل ما أمرتني به واختار أمرك على أمري (٣)

(١) نهج البلاغة: ٣١٣.

(٢) كتاب سليم: ٢ / ٨٣

(٣) روضة الواعظين: ١٥١.

وقال ﷺ: محمد النبي أخي وصنوي وحمة سيد الشهداء عمي وجعفر النبي
يضحي ويمسي يطير مع الملائكة ابن أُمي و بنت محمد سكاني وعرسي منوط لحمها
بدمي ولحمي وسبطا أحمد ولداي منها فأيكم له سهم كسهمي^(١).

السيدة فاطمة ؑ في أقوال الصحابة:

١- قال القطيعي^(٢): حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا حجاج {بن المنهال}
حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس:

أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الصبح
ويقول: ((الصلاة الصلاة)) ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا))^(٣).

وقال أيضاً: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا صالح بن حاتم بن وردان، حدثني
أبي، حدثني أيوب ((السختياني)) عن أبي يزيد المدني، عن أسماء بنت عميس
قالت: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبي ﷺ إلى
الباب، فقال: ((يا أم أيمن أدعي لي أخي فقالت: هو أخوك وتكتمه؟ قال: ((نعم))
يا أم أيمن)) قالت: فجاء علي فنضح النبي ﷺ عليه من الماء ودعا له، ثم قال:
((أدعوا لي فاطمة)) قالت: فجاءت تعثر من الحياء فقال لها رسول الله ﷺ
((أسكتي فقد أنكحتك أحب أهل بيتي إلي)) قالت: ونضح النبي عليها من الماء.

(١) الفصول المختارة: ٢٨٠.

(٢) فضائل أهل البيت: أحمد بن حنبل: ٢٥٠.

(٣) سورة الاحزاب، الآية: ٣٣.

ودعا لها. قالت: ثم رجع رسول الله ﷺ فرأى سواداً بين يديه فقال: ((من هذا؟))
فقلت: أنا، قل: ((أسماء؟)) قلت: نعم قل: ((أسماء بنت عميس؟)) قلت: نعم.
قل: ((جئت في زفاف بنت رسول الله لكرمة له؟)) قلت نعم، قل: فدعا لي.

عن القطيعي^(١): حدثنا العباس بن إبراهيم القراطيسي. حدثنا محمد بن إسماعيل
الاحمسي، حدثنا مفضل بن صالح، حدثنا جابر الجعفي، عن سليمان بن بريدة، عن
أبيه قل: قال لي رسول الله ﷺ: ((قم بنا يا بريدة نعود فاطمة)) قل: فلما أن
دخلنا عليها أبصرت أباهاً ودمعت عيناها. قل: ((ما يبكيك يا بنية؟)) قالت:
((قلة الطعام وكثرة الهم وشدة السقم)) قل: ((أما والله لما عند الله خير مما
ترغبين إليه، يا فاطمة أما ترضين أني زوجتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً،
وأفضلهم حلاً، والله أن أبنيك لمن شباب أهل الجنة)).

عن عبد الله بن أحمد^(٢): حدثنا محمد بن عباد المكي، حدثنا أبو سعيد {مولي بني
هاشم} حدثنا عبد الله بن جعفر، عن أم بكر {بنت المسور} وجعفر بن محمد
عن عبيد الله بن أبي رافع. عن المسور قل:

كتب حسن بن حسن إلى المسور يخطب أبتاً له: قل له: توافيني في العتمة، فلقية،
محمد الله المسور وقل: ما من سبب ولا نسب ولا صهر أحب إلي من نسبكم
وصهركم، ولكن رسول الله ﷺ قل:

((فاطمة شجنة مني، يسطني ما بسطها ويقبضني ما قبضها، وأنه ينقطع يوم القيامة
الأنساب والأسباب إلا نسبي وسبي)).

(١) فضائل أهل البيت - أحمد بن حنبل: ٢٥٤.

(٢) فضائل أهل البيت - أحمد بن حنبل: ٢٥٤.

منزلتها عند رسول الله ﷺ :

قال الصدوق^(١): حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد (رضي). قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن خالد قال: حدثني أبو علي الواسطي، عن عبد الله بن عصمة، عن يحيى بن عبد الله، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه عن أبي عبد الله ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ منزله فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها وهي تقول والله يا بنت خديجة ما ترين إلا أن لأمك علينا فضلاً وأي فضل كان لها علينا ما هي إلا كبعضنا.

فسمعت مقالها فاطمة فلما رأت فاطمة رسول الله ﷺ بكت فقال لها: ما يبكيك؟ يا بنت محمد، قالت ذكرت أمي فتنقصتها فبكيك فغضب رسول الله ﷺ وسلم ثم قال: مه يا حميرا، فإن الله تبارك وتعالى بارك في الولود الودود وأن خديجة رحمها الله ولدت مني طاهراً وهو عبد الله وهو المطهر، وولدت مني القاسم وفاطمة ورقية وأم كلثوم وزينب وأنت ممن أعقم الله رحمها فلم تلدي شيئاً.

وقال أيضاً: حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رحمهما الله.

قال حدثنا أبو سعيد الحسن بن علي العدوي، قال: حدثنا عمر بن المختار قال: حدثنا يحيى الحماني، قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن الأعمش عن عباة بن ربعي الأسدي، عن أبي أيوب الأنصاري، قال: أن رسول الله ﷺ مرض مرضة فأتته فاطمة عليها السلام تعوده وهو ناقه من مرضه.

(١) الخصال - الصدوق: ٤١٢.

فلما رأت ما برسول الله ﷺ من الجهد والضعف خنقتها العبرة حتى جرت دمعتها على خدها فقال النبي ﷺ لها: يا فاطمة ان الله جل ذكره أطلع على الأرض إطلاعة فأنختر منها أباك، وأطلع ثانية فأنختر منها بعلك، فأوحى إلي فأنكحته، أما علمت يا فاطمة أن لكرامة الله إياك زوجك أقدمهم سلماً وأعظمهم حليماً. وأكثرهم علماً.

قال: فسرت بذلك فاطمة وأستبشرت بما قال لها رسول الله ﷺ، فأراد رسول الله أن يزيد ما يزيد الخير كله من الذي قسمه الله له ولمحمد ﷺ وآل محمد فقال ﷺ يا فاطمة لعلي ثمان خصال: ((إيمانه بالله وبرسوله، وعلمه وحكمته وزوجته، وسبطه حسن وحسين، أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقضاؤه بكتاب الله)).

يا فاطمة إنا أهل بيت أعطينا سبع خصال لم يعطها أحد من الأولين قبلنا ولا يدرکها أحد من الآخرين بعدنا، نبينا خير الأنبياء وهو أبوك ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا سيد الشهداء وهو حمزة عم أبيك ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة وجعفر ومنا سبطا هذه الأمة وهما أبناك^(١).

قال أبو جعفر الطبري: أخبرني القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن مخلد بن جعفر الباقرجي، قال: حدثني خديجة أم الفضل ابنة محمد بن أحمد بن أبي الثلج، قالت: حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الصفواني.

قال: حدثنا أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى بن عيسى الجلودي.

(١) الخصال: ٤١٢ وأمالى الطوسي: ١٥٤/٨.

قال: حدثنا محمد بن زكريا، قال: حدثنا جعفر بن عمارة الكندي، قال: حدثني أبي عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام عن جابر بن عبد الله قال:

قيل: يا رسول الله أنك تقبل فاطمة وتلزمها وتدينها منك وتفعل منها ما لا تفعله مع أحد من بناتك فقال: ﷺ: أن جبرئيل أتاني بتفاحة من تفاح الجنة، فأكلتها فتحولت في صليبي وواقعت خديجة، فحملت بفاطمة فأنا أشم منها رائحة الجنة^(١).

وقال أيضاً: حدثني خديجة قالت: حدثنا أبو عبد الله قال: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا محمد بن زكريا، قال: حدثنا عثمان بن عمران، قال: حدثنا عبد الله بن موسى العبسي، قال: حدثنا جبلة المكي، عن طاووس اليماني، عن ابن عباس قال: دخلت عائشة على رسول الله وهو يقبل فاطمة، فقالت له: أتحبها يا رسول الله؟

فقال: أي والله لو تعلمين حيي لها لأزدت لها حبا. أن الله تبارك وتعالى لما عرج بي إلى السماء الرابعة أذن جبرئيل وأقام ميكائيل، ثم قيل لي تقدم يا محمد، فقلت: أتقدم وأنت محضرتي يا جبرئيل، فقال: نعم إن الله فضل أنبياء المرسلين على جميع ملائكته المقربين، وفضلك أنت خاصة، فتقدمت وصليت في أهل السماء الرابعة.

ثم ألتفت عن يميني فإذا أنا بإبراهيم الخليل في روضة من رياض الجنة قد اكتنفته جماعة من الملائكة ثم صرت إلى السماء السادسة، فنوديت يا محمد نعم الأب أبوك إبراهيم ونعم الأخ أخوك علي، فلما صرت إلى الحجب أخذ جبرئيل بيدي فأدخلني الجنة، فإذا أنا برطب ألين من الزبد وأطيب من المسك وأحلى من العسل.

(١) دلالة الإمامة: ٥٢.

فأخذت رطبة وأكلتها فتحولت الرطبة في صليبي، فلما أن هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة الحوراء الأنسية، فإذا أشتقت إلى الجنة شممت رائحتها^(١).

قال أبو جعفر الطبري: بأسناده عن علي بن موسى الرضا عليه السلام. قال: حدثني أبي، عن أبيه عن جده عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي عليه السلام قال: قالت فاطمة عليها السلام يوماً لي أنا أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منكم، فقلت لا بل أنا أحب فقال الحسن: لا بل أنا فقال الحسين: لا بل أنا أحبكم إلى رسول الله ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال: يا بنية فيم أنت؟ فأخبرناه، فأخذ فاطمة وأحتضنها وقبل فاهما وضم عليها إليه وقبل بين عينيه وأجلس الحسن على فخذه الأيمن والحسين على فخذه الأيسر وقبلهما وقال: أنعم أولى بي في الدنيا والآخرة وإلى الله، من والاكم وعادى من عاداكم، أنتم مني وأنا منكم والذي نفسي بيده لا يتولاكم عبد في الدنيا إلا كان الله جزءاً مني وولي في الدنيا والآخرة^(٢).

عن ابن عباس قال: لما ماتت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقف رسول الله على شفير القبر وفاطمة تبكي، فجعل يأخذ ثوبه فيمسح عينيها، فبكت النساء، فضربهن عمر بسوط فقال: يا عمر دعهن، فإن العين دامعة والنفس مصابة، ابكين وإياكن وبقية الشيطان فإنه ما يكن من القلب والعين، فمن الله وما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان^(٣).

(١) دلالة الإملاء: ٥٢.

(٢) بشارة المصطفى: ٢٥٣ - ٣٣٦.

(٣) بشارة المصطفى: ٢٥٣ - ٣٣٦.

عن أبي جعفر الطوسي: أخبرني محمد بن محمد بن محمد قل: أخبرني أبو عبد الله محمد بن عمران المزرباني، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن محمد بن عيسى المكي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: حدثني أبي، قال: حدثنا هوة بن خليفة قال: حدثنا عوز عن عطية الغفاري، عن أبيه عن أم سلمة رضي الله عنها.

قالت: بينا رسول الله ﷺ في بيتي إذ قالت الخادمة: يا رسول الله أن علياً وفاطمة عليهما السلام في السدة، فقال: قومي فتنحي عن أهل بيتي، قالت: فقممت فتنحيت في البيت قريباً، فدخل علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وهما صبيان صغيران فوضعهما النبي ﷺ في حجره وقبلهما وأعتق علياً بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى، وقبل فاطمة عليها السلام وقال: اللهم إليك أنا وأهل بيتي لا إلى النار. فقلت يا رسول الله وأنا معكم فقل وأنت ^(١).

عنه ﷺ بأسناده، عن عبد الله بن حماد عن صباح المزني، عن الحارث بن حصيرة، عن الأصبع بن نباتة، قال: سمعت بن قيس الكندي وجوير الجبلي قالا لعلي: يا أمير المؤمنين حدثنا في خلواتك أنت وفاطمة قال: نعم بينا أنا وفاطمة في كساء إذ أقبل رسول الله ﷺ نصف الليل وكان يأتيها بالتمر واللبن ليعينها على الغلامين.

فدخل فوضع رجلاً بجبالي ورجلاً بجبالها، ثم ان فاطمة بكت فقال لها رسول الله ﷺ ما يبكيك يا بنية محمد؟ فقالت: حالنا كما ترى في كساء نصفه تحتنا ونصفه فوقنا، فقال لها رسول الله ﷺ: يا فاطمة أما تعلمين أن الله تعالى اطلع إطلاعة من سمائه إلى أرضه فأختار منها أباك فلأخذه صفيماً وأبتعه برسالته واثمنه على وحيه.

(١) أمالي الطوسي: ١٣٦/١.

يا فاطمة أما تعلمين أن الله أطلع إطلاعة من سمائه إلى أرضه فأختار منها بعلك وأمرني أن أزوجه وأن أتخذني وصيلاً، يا فاطمة أما تعلمين أن العرش شاك ربه أن يزينه بزينة لم يزيد بها بشراً من خلقه، فزينه بالحسن والحسين بركنين من أركان الجنة، وروي ركن من أركان العرش^(١).

عن الطبرسي مرسلأً عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد السفر سلم على من أراد التسليم عليه من أهله، ثم يكون آخر من يسلم عليه فاطمة عليها السلام، فيكون توجهه إلى سفره من بيتها، وإذا رجع بدأ بها، فسافر مرة وقد أصاب علي عليه السلام شيئاً من الغنيمة، فدفعه إلى فاطمة، ثم خرج فأخذت سوارين من فضة وعلقت على بابها سترأ.

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله دخل المسجد فتوجه نحو بيت فاطمة عليها السلام كما كان يصنع فقامت فرحة إلى أبيها صباة وشوقاً إليه، فنظر صلى الله عليه وآله فإذا في يدها سواران من فضة وإذا على بابها ستر، فقعد رسول الله صلى الله عليه وآله حيث ينظر إليها فبكت فاطمة وحزنت وقالت ما صنع هذا أبي قبلها، فدعت أبنيتها ونزعت الستر من بابها وخلعت السوارين من يديها، ثم دفعت السوارين إلى أحدهما والستر إلى الآخر.

ثم قالت لهما: انطلقا إلى أبي فأقرأه السلام وقولا له: ما أحدثنا بعلك غير هذا فيما شأنك به فجاءه فأبلغه ذلك عن أمهما، فقبلهما رسول الله صلى الله عليه وآله والتزمهما وأقعد كل واحد منهما على فخذه، ثم أمر بذنك السوارين فكسرا فجعلهما قطعاً قطعاً، ثم دعا أهل الصفة - (قوم من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال) فقسمه بينهم.

(١) أمالي الطوسي: ٢٠٨.

ثم جعل يدعو الرجل العاري الذي لا يستتر بشيء وكان ذلك الستر طويل وليس له عرض فجعل يؤزر الرجل فإذا التقا عليه قطعه حتى قسمه بينهم ازاراً، ثم أمر النساء لا يرفعن رؤوسهن من الركوع والسجود حتى يرفع الرجال رؤوسهم، وذلك إنهم كانوا من صغر آزارهم إذا ركعوا أو سجدوا بدت عورتهم من خلفهم.

ثم جرت به السنة أن لا ترفع النساء رؤوسهن من الركوع والسجود حتى يرفع الرجال، ثم قال رسول الله ﷺ رحم الله فاطمة ليكسوها الله بهذا الستر من كسوة الجنة وليحلينها بهذين السوارين من حلية الجنة^(١) عن سليم بن قيس سمعت سلمان الفارسي قال: كنت جالساً بين يدي رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه، فدخلت فاطمة عليها السلام، فلما رأت رسول الله ﷺ خنقتها العبرة حتى جرت دموعها على خديها، فقال لها رسول الله ﷺ يا بنية ما يبكيك؟ قالت يا رسول الله أخش على نفسي وولدي الضيعة من بعدك فقال رسول الله ﷺ: واغرورت عيناه: يا فاطمة أوما علمت أنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وأنه حتم الفناء على جميع خلقه. أن الله تبارك وتعالى أطلع إلى الأرض إطلاعة فاختارني منهم فجعلني نبياً، ثم أطلع إلى الأرض ثانياً فاختار بعلك وأمرني أن أزوجك إياه وأن اتخذه أخاً ووزيراً ووصياً وأن أجعله خليفتي في أمتي.

أبوك خير أنبياء الله ورسله وبعلك خير الأوصياء والوزراء وأنت أول من يلحقني من أهلي: ثم أطلع إلى الأرض إطلاعة ثالثة فاختارك وأحد عشر رجلاً من ولدك وولد أخيك بعلك، فأنت سيدة نساء أهل الجنة وأبناك سيدي شباب أهل الجنة وأنا

(١) مكارم الأخلاق: ١٠٧.

وأخي والأحد عشر إماماً وأوصيائي إلى يوم القيامة كلهم هاد مهتد. أول الأوصياء بعد أخي الحسن ثم الحسين ثم تسعة من ولد الحسين في منزل واحد في الجنة وليس منزل أقرب إلى الله من منزلي ثم منزل إبراهيم وآل إبراهيم، أما تعلمين يا بنية أن من كرامة الله إياك أن زوجك خير أمي وخير أهل بيتي أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً وأكثرهم علماً وأكرمهم نفساً واصدقهم لساناً وأشجعهم قلباً وأجودهم كفاً وأزهدهم في الدنيا وأشدهم اجتهاداً.

فأستبشرت فاطمة عليها السلام بما قال وفرحت ثم قال لها رسول الله ﷺ ان لعلي بن أبي طالب ثمانية أضراس ثواقب نواقب وناقب ليست لأحد من الناس إيمانه بالله وبرسوله قبل كل أحد لم يسبقه إلى ذلك أحد من أمتي، وعلم بكتاب الله وسنتي ليس أحد من أمتي يعلم جميع علمي غير بعلك لأن الله علمني علماً لا يعلمه غيري وعلم ملائكته ورسله علماً فأنا أعلمه وأمرني الله أن أعلمه إياه ففعلت.

فليس أحد من أمتي يعلم جميع علمي وفهمي وفقهي كله غيره، أنك يا بنية زوجته وأن ابني سبطي الحسن والحسين وهما سبطا أمتي، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وأن الله علمه الحكمة وفصل الخطاب، يا بنية إنا أهل بيت أعطانا الله سبع خصل ولم يعطها أحداً من الأولين والآخرين غيرنا أنا سيد الأنبياء والمرسلين وخيرهم ووصيي خير الوصيين ووزيري بعلك وشهيدنا خير الشهداء.

قالت يا رسول الله سيد الشهداء الذين قتلوا معك قل: لا بل سيد الشهداء من الأولين والآخرين ما خلا الأنبياء والأوصياء وجعفر بن أبي طالب ذو الهجرتين وذو الجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة وأبناك الحسن والحسين سبطا أمتي وسيدا شباب أهل الجنة ومنا والذي نفسي بيده مهدي هذه الأمة الذي يملا الله به

الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. قالت فاطمة عليها السلام: يا رسول الله فأي هؤلاء الذين سميت أفضل، فقال رسول الله ﷺ: أخي علي أفضل أمي وحمزة وجعفر أفضل أمي بعد علي وبعديك وبعد أبيّ وسبطي الحسن والحسين وبعد الأوصياء من ولدي أبيّ هذا وأشار رسول الله ﷺ إلى الحسين عليه السلام منهم المهدي والذي قبله أفضل منه، الأول خير من الآخر، لأنه إمامه والآخر وصي الأول إنا أهل بيت أختار الله لنا الآخرة على الدنيا.

ثم نظر رسول الله ﷺ إلى فاطمة وإلى يعقوب وإلى أبنيتها فقال يا سلمان أشهد الله أنني حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم أما أنهم معي في الجنة، ثم أقبل النبي ﷺ على علي عليه السلام، فقال يا علي أنك ستلقى من قريش شدة من تظاهروا عليك وظلمهم لك، فأنت وجدت أعواناً فجاهدوهم فقاتل من خالفك. بمن وافقك فإن لم تجد أعواناً فصبر وكفف يدك ولا تلق بيدك إلى التهلكة، فأنت مني بمنزلة هارون من موسى، ولك بهارون أسوة حسنة أنه قال لأخيه موسى: أن القوم أستضعفوني وكادوا يقتلونني ^(١).

قال العطاردي: رواه الديلمي في إرشاد القلوب ^(٢) وزاد في آخره:

ولك بهارون أسوة حسنة إذ استضعفه قومه وكادوا يقتلونه، فأصبر لظلم قريش وإياك وتظاهروا عليك فأنت بمنزلة هارون من موسى ومن تبعه وهم بمنزلة العجل ومن تبعه.

(١) كتاب سليم: ٦٩.

(٢) إرشاد القلوب: ٤٢٠.

يا علي أن الله تبارك وتعالى قد قضى الفرقة وأختلف على هذه الأمة ولو شاء لجمعهم على الهدى، حتى لا يختلف أثنان من هذه الأمة ولا ينازع في شيء من أمره، ولا يجحد المفضل، إذا الفضل فضله ولو شاء لعجل النعمة وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال والآخرة دار القرار ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، فقال ﷺ: الحمد لله وشكراً على نعمائه وصبراً على بلائه.

روى ابن أبي الحديد عن الواقدي أنه قال: وكانت أم هاني بنت أبي طالب تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي، فلما كان يوم الفتح دخل عليها حموان لها: عبد الله بن أبي ربيعة والحارث بن هشام المخزوميان فأستجارا بها وقالا: نحن في جوارك فقالت: نعم أنتما في جواري، قالت أم هاني فهما عنني إذ دخل عليّ فارس مدجج في الحديد ولا أعرفه.

فقلت له: أنا بنت عم رسول الله، فأسفر عن وجهه فإذا علي أخي فأعتنقته ونظر إليهما فشهر السيف عليهما فقلت: أخي من بين الناس تصنع بي هذا فألقيت عليهما ثوباً فقال أتحيرين المشركين؟ فحلت دونهما وقلت: لا والله وابتدأ بي قبلهما، قالت: فخرج ولم يكده فأغلقت الباب عليهما بيتاً وقلت لا تخافا وذهبت إلى خباء رسول الله ﷺ بالبطحاء فلم أجده ووجدت فيه فاطمة. فقلت لها: ما لقيت من ابن أمي علي أجرت حموين لي من المشركين فتفلت عليهما ليقتلهما قالت: وكانت أشد عليّ من زوجها وقالت لم تحيرين من المشركين؟

وطلع رسول الله ﷺ وعليه الغبار فقل: مرحباً بفاختة -وهو أسم أم هاني- فقلت: ماذا لقيت من ابن أمي علي ما كدت أفلت منه أجرت حموين لي من

المشركين فتلفت عليهما ليقتلهما. فقال: ما كان ذلك له فقد أجرنا من أجرته وأمننا من أمنته ثم أمر فاطمة فسكبت له غسلًا فاغتسل ثم صلى ثمانين ركعات في ثوب واحد ملتحفًا به وقت الضحى، قالت: فرجعت إليهما وأخبرتتهما وقلت ان شئتما فأقيما وأن شئتما فأرجعا إلى منازلكما فأقاما عندي في منزلي يومين ثم أنصرفا إلى منزلهما^(١).

فقه السيدة فاطمة عليها السلام :

عندما نتكلم عن فقه فاطمة كنصوص، نجد أن هناك مواقف محدودة تعرضت فيها لبعض القضايا الفقهية، إلا أنها عليها السلام كانت تنظر بنور الله جزء الذي نور قلبها وأكرمها وجعلها من سيدات نساء العالمين.

ولقد شغلت الزهراء البتول بتلك الواجبات العظيمة من أول عمرها.

ولعل الموقف العظيم الذي وقفته، كما روى البخاري عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بلا جزور بني فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فأنبعث أشقى القوم (وهو عقبة بن أبي معيط) فجاء به، فنظر حتى إذا سجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضعه على ظهره، وأنا أنظر لا أغني شيئاً لو كانت لي منعة قال: فجعلوا يضحكون، ويحيل بعضهم على بعض (أي يتمايل بعضهم على بعض مرحاً وبطراً) ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءت فاطمة فطرحته عن

(١) شرح النهج: ٣٧/١٧.

ظهره، إلى جانب واجبها نحو زوجها وبنيتها وبيتها، فقد أثرت الرحي في يديها الكريمة والجرة في كتفها - قال علي عليه السلام: لقد تزوجت فاطمة وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلق عليه الناضح بالنهار.

وما لي ولها خادم غيرها، ولما زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بي بعث معها بجميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورحائين وسقاء وجرتين، فجرت بالرحى حتى أثرت في يدها، واستقت بالقربة بنحرها، وقمّت^(١) البيت حتى أغبرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دَنَسَتْ ثيابها^(٢).

وجاءت تشكو لأبيها ذلك، كما هو معلوم، فلم تجد إلا السيلة عائشة حيث استقبلتها أحسن استقبال، وسمعت مقاتلتها، وحملتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في معركة أحد لما استقر صلى الله عليه وسلم في مكانه من الشعب، خرج علي بن أبي طالب عليه السلام حتى ملأ درفته ماء من المهراس^(٣).

فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه، فوجد له ريحاً فتركه فلم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله على من دمی وجه نبيه^(٤).

(١) قَمَتْ: كنت.

(٢) رواه أحمد: ١٠٦/١.

(٣) المهراس: صخرة منقوة تسع كثيراً من الماء.

(٤) ابن هشام: ٨٥/٢

وقال سهل: والله إني لأعرف من مكان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب الماء. كانت^(١) فاطمة أخته تغسله، وعلي بن أبي طالب يسكب الماء بلجن، فلما رأته فاطمة ﷺ أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها فألصقتها فاستمسك الدم.

أمثلة من فقهاها:

١- قال لها رسول الله ﷺ ما خير للمرأة؟

فقلت: أن لا ترى الرجال ولا يرونها. فضمها رسول الله إلى صدره وقال: ((بعضهم من بعض))، فسر رسول الله ﷺ من تعبيرها ذلك التعبير الذي يدل على فقه ووعي واضح، عبر عنه الرسول الكريم بأحاديثه الشريفة ((ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء)).

٢- روى مسلم عن عائشة قالت: ((أجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة ﷺ تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: مرحباً بأبنتي، فأجلسها عن يمينه أو شماله، ثم أسر لها حديثاً فبكت فاطمة ثم أنه سارها فضحكت أيضاً فقلت لها ما يبكيك؟

فقلت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن. فقلت لها حين بكت: أخصك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟! وسألتهما عما قل - فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى إذا قبض سألتها

(١) صحيح البخاري: ٢ / ٥٨٤.

فقلت: أنه كان حدثني أن جبرئيل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة، وأنه عارضه به في هذا العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وأنت أول أهلي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك، فبكيك لذلك، ثم إنه سارني فقل: ألا ترزين أن تكوني سيدة نساء العالمين، أو سيدة نساء هذه الأمة، فضحكت لذلك.

٣- ذكر ابن حزم السيلة فاطمة من بين النساء المتميزات دليل على منزلتها الفقهية، ولو تتبعنا ذلك في كتب الحديث لوجدنا جملة من الأمور للسيدة فاطمة في الفقه، كما يقول المحققون.

من فقهها أنها حرصت كل الحرص أن لا يظهر حجم جسمها على النعش عند حملها للدفن، وفهمها الدقيق لهذا وإعلانها جعل الكثير من فقهاء المسلمين يذكرون نذب ذلك، وقد ذكر جملة من العلماء بأنه يستحب ستر قبر المرأة عند إنزالها به ولحدها أيضاً.

وأخيراً أن السيلة فاطمة كانت فقيهة النفس، دقيقة الفهم للإسلام وأحكامه ولعل المتتبع لكتب السنة المطهرة يعثر على الكثير من الفهم الدقيق للسيلة فاطمة الزهراء عليها السلام.

ومن هنا فإننا عندما نكتب عن فقهها، إنما نكتب عن إنسانة متفقهة في الدين ولكنها بدلاً من أن تجلس للفتوى كانت حياتها كلها تعبيراً عن فقه النبوة الذي تلقته عن المصطفى صلى الله عليه وآله وكتبته في مصحفها أصبحت نموذجاً للمرأة المسلمة الصالحة الكاملة التي أخذت من ذلك الينبوع العظيم، ومن أخلاق أبيها وأخلاق أمها، ونشأت وترعرعت في مدرسة النبوة مدرسة الوحي والرسالة، وقامت بتلك المهام الأساسية الكبرى التي تحدثنا عن بعضها. وكيف لنا أن نلم بكل تلك

المعاني السامية والمواقف الجليلة في كتب كهذا نتعرض فيه لسيرة هذه السيدة الفاضلة.

مميزات السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام:

لقد ميز الله تعالى فاطمة الزهراء الطاهرة بميزات تسمو بها على نساء العالمين، وتزهو بها حياة المسلمين، إنها المثل الأعلى في الدنيا للمرأة المسلمة، والأبنة البارّة، والزوجة الكريمة، والأم المربية، والمتنبلة الزاهدة، والمهاجرة المجاهدة، والصابرة العابدة، والمظلومة الشهيبة وهي في الآخرة صاحبة المقام الرفيع، والأسم الوحيد الذي تسمع الخلائق من سيد الخلق وهو يتشفع الشفاعة العظمى، ويناشد ربه الرأفة والرحمة، وهي سيدة نساء العالمين.

أهم مميزات الصديقة فاطمة:

١- إنها أفضل نساء هذه الأمة جميعاً فقد روى الحاكم والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بأسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ((فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم)) وفي رواية صحيحة: ((إلا ما كان من مريم بنت عمران)).

وقل ابن حجر الهيتمي: ((ولوضوح ما قاله السبكي تبعه عليه المحققون، ومن نبه عليه أبو الفضل ابن حجر فقال: هي مقدمة على غيرها من نساء عصرها ومن بعدهن مطلقاً. ومما يؤكد ذلك ما رواه ابن عبد البر عن ابن عباس مرفوعاً: سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم أسية قال القرطبي: هذا الحديث حسن

يرفع الإشكال من أصوله وذهب الحافظ ابن حجر أنها أفضل من بقية أخواتها لأن منها ذرية المصطفى ﷺ دون غيرها من بناته، فإنهن متن في حياته، فكن في صحيفته، ومات في حياتها فكان في صحيفتها، وبدل على ذلك ما رواه الإمام ابن جرير الطبري عن فاطمة بنت الحسين بن علي عن جدتها فاطمة ؓ - قالت: دخل رسول الله ﷺ يوماً وأنا عند عائشة فنجاني فضحكت، فسألني عائشة عن ذلك فقلت: لا أخبرك بسرّه فلما توفي سألتني فذكرت الحديث في معارضة جبريل له بالقرآن مرتين، وأنه قال: أحسب أنني ميت في عامي هذا، وأنه لم ترزأ امرأة من نساء العالمين مثلها، فلا تكوني دون امرأة منهن صبراً، فبكيته. فقال: أنت سيّدة نساء أهل الجنة فضحكت.

إنها بضعة من رسول الله ﷺ فقد روى البخاري في مناقب السيّدة فاطمة ؓ أن النبي الكريم قال: ((فاطمة بضعة مني - أي جزء مني - فمن أغضبها فقد أغضبني)).

وعن عبد الله بن الزبير قال: قل ﷺ: ((إنما فاطمة بضعة مني، يؤذيها ما أذاها ويفضيني ما يفضيها))^(١).

قل السهيلي: ((أن من سبها فقد كفر، ويشهد له أن أبا لبابة حين ربط نفسه وحلف أن لا يحمله إلا رسول الله ﷺ وجاءت فاطمة لتحلّه فأبى من أجل قسمه، فقال رسول الله ﷺ: ((إنما فاطمة بضعة مني)). وقال بعضهم: أن كل من وقع منهم في حق فاطمة شيء فتأذت به فالنبي يتأذى به، ولا شيء أعظم من أدخل الأذى عليها: من الهجوم على دارها، وكسر ضلعها، وإسقاط حملها، وقتل

(١) فضائل أهل البيت - أحمد بن حنبل: ٨٧

الحسين عليه السلام. قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً))^(١).

٢- ومن مميزاتنا عليه السلام أنها تكنى بأبائها، لأنها قامت برعاية أبيها وخدمته بعد وفاة أمها خديجة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبها حباً جماً، يكثر من زيارتها، ويجلس عندها ويلعب أولادها، وكان إذا أراد الذهاب إلى الحرب، لا يخرج من المدينة حتى يكون آخر عهده رؤيتها، فإذا عاد من سفره بدأ بالمسجد فصلى ركعتين، ثم يذهب إلى بيت فاطمة يزورها ويؤنسها ثم يخرج من عندها إلى بيوت أزواجه.

٣- إنها كانت أحب أولاده وأحظاهن عنده وأكثرهن شبهاً به، فقد روى الترمذي عن عائشة قالت: ((ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ولا هدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة في قيامها وقعودها، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه)).

٤- ومن مميزاتنا تسميتها بالزهراء، لما زانها الله تعالى به من جمال وجلال وإشراق وجه وشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان من أجمل الناس وجهاً وكان أبيض مستنيراً، وأنه كان أزهر اللون، أبيض مشرباً بالحمرة، وقد مر حديث عائشة أنها ما رأت أحداً أشبه سمتاً ولا هدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة عليها السلام.

٥- إنها تذكر يوم القيامة في الشفاعة العظمى عندما يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف العظيم وهو يسأل الله تعالى: ((أمي ... أمي ... لا أسألك صلى الله عليه وسلم نفسي لا أسألك فاطمة أبتني)).

وقد ذكرها في حديث شفاعة أسامة بن زيد في المرأة المخزومية التي سرقت فقال: ((لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)). وذكرها لها في هذا الموقف

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

الرهيب المهيب دليل على عظيم رحمته بأتمته، وشفقته عليها، وعلى شدة الأخطار في ذلك اليوم الذي يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه وصلحته وبنيه، والذي يبلغ فيه الأمر أن أولي العزم من الرسل يعتذرون إلى الخلائق عن عدم الشفاعة ويخشون على أنفسهم قائلين: ((نفسى، نفسى، اذهبوا إلى غيري)).

وأما ذكره لها في قضية المرأة التي سرقت، فليان مدى حرصه على حقوق الله، وإقامة حدوده، وأنه لا تأخذه في ذلك عاطفة حب ولا قرابة حتى إلى أحب الناس إليه وأقربهنَّ إليه، لتكتمل به الأسوة في عدل القضاء والحكم وليس في ذلك أنتقاص لقدر فاطمة عليها السلام ولا يفهم منه احتمال وقوعها في حد من حدود الله، فإنها كاملة مكملة في بعدها عن المعاصي والذنوب، وفي أستقامتها وورعها وزهدا وتقواها.

٦- ومن مميزاتها أيضاً - زهدا في الدنيا وزينتها وصبرها على بلائها. فقد كان جهازها الذي زفت فيه في غاية التواضع، كما كانت حياتها مع زوجها في غاية التقشف لقلة ذات يده وشدة فقره، وكانت راضية بذلك صابرة عليه، تطحن بيديها الكريميتين حتى تعيا من التعب، وحين طلبت من أبيها عليه السلام أن يعطيها امرأة من الأسرى تعينها أبى أن يلبي طلبها، وآثر لها الصبر وأوصاها وزوجها أن يسبحا ويحمدا ويكبرا قبل النوم ثلاثاً وثلاثين، ولم يرض رسول الله عليه السلام أن يراها تلبس الحلي وأمرها ببيعها والتصدق بثمانها وما ذلك إلا لأنها بضعة منه وأنه يريدنا مثلاً أعلى في الزهد والصبر والتقشف كما كان هو عليه السلام لتتوباً بمجادة منزلة سيده نساء العالمين يوم القيامة

٧- إنها آخر من توفى من أولاده عليه السلام وأنها أول أهل بيته لحوقاً به، فإنها لم تعش إلا بضعة أشهر، وكان عمرها ثمانية عشر سنة، وذلك على حقارة الحياة الدنيا، وأن ما عند الله تعالى خيراً وأبقى للمؤمن والمؤمنة، وأن الله عز وجل قد أراد لهذه البضعة الكريمة أن تلحق بأصلها الكريم، وتلتقي به في الرفيق الأعلى وهو ابن ثلاث وستين.

مناقب فاطمة عليها السلام:

عن الحميري بأسناده عن جعفر عن أبيه عليه السلام:

قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز أعطانا عطايا عظيمة، قال: فدخل عليه أخوه فقل له: أن بني أمية لا ترضى منك بأن تفضل بني فاطمة عليها السلام عليهم، فقل: أفضلهم، لأنني سمعت حتى لا أبالي أن أسمع أو لا أسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: أن فاطمة شجنة مني، يسرني ما أسرها ويسوئي ما أساءها فأنا أتبع سرور رسول الله صلى الله عليه وسلم واتقي مساءته ^(١) عن البرقي عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما قتل جعفر بن أبي طالب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة عليها السلام أن تتخذ طعاماً لأسماء بنت عميس ثلاثة أيام وتأتيها تسليها ثلاثة أيام فجرت بذلك السنة أن يصنع لأهل المصيبة ثلاثة أيام طعام ^(٢).

عن الصدوق، حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رحمته الله، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، قال: حدثنا جعفر بن سلمة الأهوازي عن الشيخ الصدوق، حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رحمته الله، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن

(١) قرب الأسناد: ٥٣.

(٢) المغاسن: ٤١٩.

هاشم، قال: حدثنا جعفر بن سملة الأهوازي، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الثقفي، عن إبراهيم بن موسى بن أخت الواقلي، قال: حدثنا أبو قتادة الخرائي، عن عبد الرحمن بن العلاء الحضرمي، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس، قال: إن رسول الله ﷺ كان جالساً ذات يوم وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

فقال: اللهم أنك تعلم ان هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليّ فأحب من أحبهم وأبغض من أبغضهم ووال من والاهم وعاد من عاداهم. وأعن من أعانهم وأجعلهم مطهرين من كل رجس معصومين من كل ذنب، وأيدهم بروح القدس منك، ثم قال: يا علي أنت إمام أمي وخليفتي عليها بعدي وأنت قائد المؤمنين إلى الجنة.

كأنني أنظر إلى أبنتي فاطمة قد أقبلت يوم القيامة على نحيب من نور عن يمينها سبعون ألف ملك وعن يسارها سبعون ألف ملك، وبين يديها سبعون ألف ملك، وخلفها سبعون ألف ملك تقود مؤمنات أمي إلى الجنة، فأبما امرأة صلت في اليوم واللييلة خمس صلوات وصامت شهر رمضان وحجت بيت الله الحرام وزكت مالها وأطاعت زوجها ووالت علياً بعدي دخلت الجنة بشفاعة أبنتي فاطمة وأنها لسيدة نساء العالمين.

فقيل يا رسول الله أهي سيدة نساء عالمها فقال عليه السلام: ذاك لمريم بنت عمران، فأما أبنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وإنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين وينادونها بما نلات به الملائكة مريم، فيقولون يا فاطمة أن الله أصطفاك وطهرك وأصطفاك على نساء العالمين.

ثم ألتفت إلى علي عليه السلام فقال: يا علي أن فاطمة بضعة مني وهي نور عيني وثمرة فؤادي، يسوئني ما ساءها، ويسرني ما يسرها وإنما أول من يلحقني من أهل بيتي فأحسن إليها بعدي، وأما الحسن والحسين فهما أبنائي وريحانتي وهما سيدا شباب أهل الجنة، فليكرما عليك كسمعك وبصرك، ثم رفع يده إلى السماء فقال: اللهم أني أشهدك أني محب لمن أحبهم ومبغض لمن أبغضهم وسلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم وعدو لمن عاداهم وولي لمن والاهم^(١).

وعنه، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ومحمد بن علي بن بشار القزويني (رضي الله عنهما) قالوا: حدثنا أبو الفرج المظفر بن أحمد القزويني، قال: حدثنا أبو الفيض صالح بن حماد قال: حدثنا الحسن بن موسى الوشاء البغدادي، قال: كنت بخراسان مع علي بن موسى الرضا عليه السلام في مجلسه وزيد بن موسى حاضر.

قد أقبل على جماعة في المجلس يفتخر عليهم ويقول: نحن ونحن وأبو الحسن عليه السلام مقبل على قوم يمدنهم، فسمع مقالة زيد، فألتفت إليه، فقال: يا زيد أغرك قول بقالي الكوفة أن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار؟ والله ما ذلك إلا للحسن والحسين وولد بطنها خاصة.

فأما أن يكون موسى بن جعفر عليه السلام يطيع الله ويصوم نهاره ويقوم ليله وتعصيه أنت ثم تحيئان يوم القيامة سواء لأنت أعز على الله جزء منه، أن علي بن

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ٢٩١.

الحسين عليه السلام كان يقول: لحسننا كفلان من الأجر ولسيئتنا ضعفان من العذاب،
وقال الحسن الوشاء: ثم التفت إلي فقال: يا حسن كيف يقرؤون هذه الآية؟

قال: يا نوح أنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح، فقلت: من الناس من يقرأ
((أنه عمل غير صالح)) ومنهم من يقرأ ((أنه عمل غير صالح)) فمن قرأ أنه
عمل غير صالح نفاه عن أبيه، فقال عليه السلام: كلا لقد كان أبنه ولكن لما عصى الله عز وجل:
نفاه الله عن أبيه، كذا من كان منا لم يطع الله عز وجل: فليس منا وأنت إذا أطعت الله
فأنت منا أهل البيت عليهم السلام.

عن فرات الكوفي قال: حدثني موسى بن محمد بن عبد الرحمن المحاربي معنعناً عن
أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليه السلام.

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: معاشر الناس تدرن لما خلقت فاطمة عليها السلام قالوا: الله
ورسوله أعلم، قال: خلقت فاطمة حوراء أنسية لا أنسية، قال: خلقت من عرق
جبرئيل ومن زغبه قالوا: يا رسول الله: أشكل ذلك علينا نقول: حوراء أنسية لا
أنسية ثم تقول من عرق جبرئيل وزغبه.

قال: إذا أنا أنبتكم، أهدي إلي ربي تفاحة من الجنة أتاني بها جبرئيل فضمها إلى
صدره فعرق جبرئيل وعرقت التفاحة فصار عرقهما شيئاً واحداً ثم قال: السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، قلت: وعليك السلام يا جبرئيل، فقال: أن
الله أهدي إليك تفاحة من الجنة فأخذتها فقبلتها ووضعها على عيني وضممتها
إلى صدري، ثم قال: يا محمد كلها، قلت: حبيبي جبرئيل هدية ربي تؤكل قل نعم
قد أمرت بأكلها.

فأفلقتها فرأيت منها نوراً ساطعاً فزعت من ذلك النور، قال: كل فأن ذلك نور المنصورة فاطمة، قلت يا جبرئيل ومن المنصورة؟

قال: جارية تخرج من صلبك اسمها في السماء منصورة وفي الأرض فاطمة قلت: ولم سميت في السماء منصورة وفي الأرض فاطمة، قال: سميت في الأرض فاطمة لأنه فطمت شيعتها من النار وفطموا أعداءها من حبهها وذلك قول الله في كتابه ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر فاطمة^(١).

قال شاذان بن جبرئيل^(٢): روى أنه جاء في الخبر أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كان ذات يوم هو وزوجته فاطمة عليها السلام يا فاطمة أن النبي صلى الله عليه وآله يحبني أكثر منك، فقالت: واعجباً منك يحبك أكثر مني وأنا ثمرة فؤاده وعضو من أعضائه وغصن من أغصانه وليس له ولد غيري.

فقال لها علي عليه السلام: يا فاطمة إن لم تصدقيني فأمض بنا إلى أبيك محمد صلى الله عليه وآله، قال فمضينا إلى حضرته فتقدمت وقالت: يا رسول الله أينا أحب إليك أنا أم علي، قال النبي صلى الله عليه وآله: أنت أحب إلي وعلي أعز علي منك، فعندها قال سيدنا ومولانا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ألم أقل لك أنا ولد فاطمة ذات التقى، قالت فاطمة وأنا ابنة خديجة الكبرى.

قال علي عليه السلام: وأنا ابن الصفا، قالت فاطمة: أنا ابنة سدره المنتهى قال علي: وأنا فخر الوري، قالت فاطمة: وأنا ابنة من دنى فتدل وكان من ربه باب قوسين أو أدنى، قال علي وأنا ولد المحصنات قالت: فاطمة وأنا بنت الصالحات والمؤمنات،

(١) تفسير فرات الكوفي: ١١٩.

(٢) الفضائل: ٨٠، ٨١، ٨٢.

قل علي: وأنا خادمي جبرئيل، قل فاطمة: وأنا خاطبني في السماء راحيل، وخدمني الملائكة جيلاً بعد جيل، قل علي: وأنا ولدت في المحل البعيد المرتقى.

قالت فاطمة: وأنا زوجت في الرفيع الأعلى وكان ملاكي في السماء. قل علي: أنا حامل اللواء قالت فاطمة: وأنا ابنة من عرج به إلى السماء قل علي: أنا صالح المؤمنين، قالت فاطمة: وأنا ابنة خاتم النبيين. قل علي: وأنا الضارب على التنزيل، قالت فاطمة: وأنا صاحبة التأويل. قل علي: وأنا شجرة تخرج من طور سينين، قالت فاطمة: وأنا الشجرة التي تخرج أكلها أعني الحسن والحسين عليهما السلام.

قل علي: وأنا المثاني والقرآن الحكيم، قالت فاطمة: وأنا ابنة النبي الكريم قل علي: وأنا النبأ العظيم، قالت فاطمة: وأنا ابنة الصديق الأمين، قل علي: وأنا الحبل المتين، قالت فاطمة: وأنا ابنة خير الخلق أجمعين، قل علي: أنا ليث الحروب، قالت فاطمة: أنا من يغفر الله به الذنوب، قل علي: وأنا المتصدق بالخاتم، قالت فاطمة: وأنا ابنة سيد العالم، قل علي: أنا سيد بني هاشم، قالت فاطمة: أنا ابنة محمد المصطفى.

قل علي: أنا الإمام المرتضى، قالت فاطمة: أنا ابنة سيد المرسلين، قل علي: أنا سيد الوصيين، قالت فاطمة: أنا ابنة النبي العربي، قل علي: وأنا الشجاع الكمي، قالت فاطمة: وأنا ابنة محمد النبي، قل علي: أنا البطل الأروع قالت فاطمة: أنا الشفيق المشفع، قل علي: أنا قسيم الجنة والنار، قالت فاطمة: أنا ابنة محمد المختار قل علي: أنا قاتل الجان، قالت فاطمة: أنا ابنة رسول الملك الديان.

قل علي: أنا خيرة الرحمن، قالت فاطمة: أنا خيرة النسوان، قل علي: وأنا مكلم أصحاب الرقيم، قالت فاطمة: وأنا ابنة من أرسل رحمة للعالمين وبهم رؤوف

رحيم، قال علي: وأنا النبي جعل الله نفسي نفس محمد ﷺ حيث يقول في كتابه العزيز وأنفسنا وأنفسكم. قالت فاطمة: وأنا النبي قل فيّ ونساؤنا ونساءكم وأبنائنا وأبناءكم.

قال علي: أنا علمت شيعتي القرآن، قالت فاطمة: وأنا يعتق الله من أحبني من أهل النيران، قال علي: أنا شيعتي من علمي يسطرون، قالت فاطمة: وأنا من بحر علمي يغترفون، قال علي: أنا النبي أشق الله تعالى أسمي من اسمه فهو العالي وأنا علي، قالت فاطمة: وأنا كذلك فهو الفاطر وأنا فاطمة، قال علي: أنا حياء العارفين، قالت فاطمة: أنا مسلك نجة الراغبين.

قال علي: وأنا الخواميم، قالت فاطمة: وأنا ابنة الطواسين، قال علي: وأنا كنز الغنى قالت فاطمة: وأنا الكلمة الحسنى، قال علي: أنا تاب الله على آدم في خطيئته قالت فاطمة: فأنا بي قبل الله توبته، قال علي: أنا كسفينة نوح من ركبها نجا، قالت فاطمة: وأنا أشاركك في الدعوى، قال علي: وأنا طوفانه، قالت فاطمة: وأنا سورته، قال علي: وأنا النسيم المرسل لحفظه، قالت فاطمة: وأنا مني أنهار الماء واللبن والخمر والعسل في الجنان.

قال علي: وأنا الطور، قالت فاطمة: وأنا الكتاب المسطور، قال علي: وأنا الرق المنشور، قالت فاطمة: وأنا البيت المعمور، قال علي: وأنا السقف المرفوع، قالت فاطمة: وأنا البحر المسجور، قال علي: وأنا علمي علم النبيين، قالت فاطمة: وأنا ابنة سيد المرسلين من الأولين والآخرين، قال علي: أنا البئر والقصر المشيد، قالت فاطمة: أنا مني شبر وشبير، قال علي: وأنا بعد الرسول خير البرية، قالت فاطمة: أنا البرة الزكية، فعندها قال النبي ﷺ: لا تكلمي علياً فإنه ذو البرهان،

قالت فاطمة: أنا ابنة من أنزل عليه القرآن، قال علي: أنا البطين الأصلع، قالت فاطمة: أنا الكوكب الذي يلمع، قال النبي ﷺ: فهو الشفاعة يوم القيامة قالت فاطمة: وأنا خاتون يوم القيامة، فعند ذلك قالت فاطمة لرسول الله ﷺ: لا تحام لابن عمك ودعني وإياه، قال علي: يا فاطمة أنا من محمد عصبتة ونخبته، قالت فاطمة: وأنا لحمه ودمه، قال علي: أنا الصحف، قالت فاطمة: وأنا الشرف، قال علي: وأنا ولي الزلفى، قالت فاطمة: وأنا الخمصاء الحسنى، قال علي: وأنا نور الورى، قالت فاطمة: وأنا فاطمة الزهراء، فعنده قال النبي ﷺ لفاطمة: قومي وقبلي راس ابن عمك فهذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل مع أربعة آلاف من الملائكة يحامون مع علي وهذا أخي راحيل ودردائيل مع أربعة آلاف من الملائكة ينظرون بأعينهم، قال: فقامت فاطمة الزهراء، فقبلت رأس الإمام علي بن أبي طالب ﷺ بين يدي النبي ﷺ. قالت يا أبا الحسن بحق رسول الله ﷺ معذرة إلى الله عزّ وإليك وإلى ابن عمك، قال: فوهبها الإمام ﷺ وقبلت يد أبيها عليه وعليهم السلام.

عن أبي جعفر الطوسي رحمه الله أخبرنا محمد بن محمد قال: أخبرنا أبو القاسم جعفر بن محمد عن محمد بن محمد بن همام، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد الجوهري عن الحسين بن أحمد عن يونس بن ظبيان قال: كنت عند أبي عبد الله ﷺ فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين بعد موتهم؟

قلت يقولون: في حواصل طيور خضر، فقال: سبحان الله المؤمن أكرم على الله من ذلك، إذا كان ذلك أتة رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ

ومعهم ملائكة الله عز وجل المغربون، فإن أنطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد وللنبي ﷺ بالنبوة والولاية لأهل البيت ﷺ. شهد على ذلك رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ والملائكة المقربون معهم وأن أعتقل لسانه فإن نبيه ﷺ يعلم ما في قلبه من ذلك فيشهد به وشهد على شهادة النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين على جماعتهم من الله أفضل الصلاة والسلام ومن حضر معهم من الملائكة.

فإذا قبض الله روحه إليه صير تلك الأرواح إلى الجنة في صورة كصورته في الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة التي كانت في الدنيا^(١).

روى الأربلي عن ابن خالويه في كتاب الآل، قال: حدثني أبو عبد الله الحنبلي، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن قضاة، قال: حدثنا أبو معاذ عيدان بن محمد، قال: حدثني مولاي أبو الحسن بن علي، عن أبيه علي بن محمد عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لما خلق الله آدم وحواء تبخترتا في الجنة، فقال آدم لحواء: ما خلق الله خلقاً هو أحسن منا، فأوحى الله إلى جبرئيل انثرت بعبدتي الفردوس الأعلى، فلما دخلا الفردوس نظر إلى جارية على درنوك من درانيك الجنة وعلى رأسها تاج من نور، وفي اذنيها قرطان من نور قد أشرفت الجنان من نور وجهها.

(١) أمالي الطوسي: ٣٣/٢.

فقال آدم: حبيبي جبرئيل من هذه الجارية التي قد أشرقت الجنان من حسن وجهها
فقال: هذه فاطمة بنت محمد نبي من ولدك يكون في آخر الزمان، قل: فما هذا
التاج الذي على رأسها؟

قل: بعلمها علي بن أبي طالب عليه السلام ^(١).

الموقف الجهادي لفاطمة عليها السلام من الهجرة حتى وفاتها:

خرجت فاطمة الزهراء إلى الحية في بيت من أعرق بيوت قريش وأشرفها حسباً
ونسباً، فالأب الصديق الأمين لا يدانيه أحد من قريش في شرفه وصدقه وأمانته،
والأم ليس في مكة من تدانيها شرفاً وعزة ورفعة.

لقد ارتضى الله تعالى للزهراء أن تخرج إلى دنياها في أكرم بيت، وأنبت سلالة
قرشية عريقة أصيلة ما يعرف العرب أعز منها ولا أتقى.

أمضت فاطمة الزهراء عليها السلام طفولة سعيدة في أكناف الأبوين العظيمين، وفي
عامها الرابع كانت إرهابات النبوة تتبدى للأب فيكثر من رحلاته في الخلاء،
الأم تعد له الزاد وتحنو عليه ما أقام معها وترسل قلبها في إثره إذا غاب، وقد
انتزعته تأملاته من دنيا الناس ومضت به إلى عزلة متأملة.

بدأت مسيرة الدعوة إلى الله تعالى بلخيطة والحذر والسرية التامة فمكة مركز دين
للعرب. وكان بها سدنة الكعبة والقوام على الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر
العرب أن ذاك فالوصول إلى المقصود من الإصلاح فيها يزداد عسراً وشدة عما لو

(١) كشف الغمة: ٤٥٦/١.

كان بعيداً عنها، والأمر يحتاج إلى عزيمة لا تزلزها المصائب والكوارث، وكان من الحكمة تلقاء ذلك أن تكون الدعوة في بدء أمرها سرية لئلا يفاجأ أهل مكة بما يهيجهم.

تشربت فاطمة الزهراء هذا الجو الروحاني الرسالي الطاهر، وأمتلاً قلبها الغض ابن السنوات الخمس والمقبل على السادسة، امتلاً بأخلاق فاضلة على أخلاقها وحسن خلق على حسنهما.

وتتوالى الأيام وتمر ثلاث سنوات وتكون فاطمة قد بلغت من العمر السابعة، وتقل على الثامنة، ولم تزل الدعوة سرية وفردية، وخلال هذه الفترة تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأخوة والتعاون وتبلغ الرسالة وتمكنها من مقامها، ثم نزل الوحي بأمر النبي ﷺ بإنذار قومه ومجابهة باطلهم ومهاجة أصنامهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثم كان الحادث الأجل الذي هز الجزيرة هزاً فأنزع فاطمة من شواغلها الخاصة وأيقظها في عنف من أحلام الطفولة، وألقى بتلك الأحلام في دوامة الأحداث الهائلة التي أعقبت المبعث.

ووجدت نفسها، وهي في السابعة من عمرها تواجه رجة عنيفة وتقف في لهيب الإعصار الذي أثارته الوثنية العاتية في وجه الدين الجديد وقد أنتزعت بهذا التحول الجديد من حياتها مرح الصبا، وهو الطفولة ولكنها لم تأس قط على ما فاتها من ذلك المرح ولا عز عليها أن تتخلى هكذا سريعاً عما كانت تنعم من راحة وخلو بال، بل حلت توائم صباها راضية، وهجرت ملاعب أترابها من غير تردد، وأستقبلت الحيلة الجديدة بمصاعبها ومشاقها وهي تدرك على صغر سنها

معنى النبوة للنبي ﷺ الذي أصبح رسولاً نبياً، وأصبحت تعي ثقل العبء الذي يجب عليها أن تحمله لتكون جديرة بمكانها من المصطفى ﷺ الذي يلقي قريشاً بمجتمعهم أعزل إلا من إيمانه بلحق وحيداً إلا من فئة قليلة مضطهدة.

وعاشت الزهراء تشدها الأحداث المتلاحقة، وكانت أشد التصاقاً بأبيها، ووالدتها، وأخواتها، وربط الإسلام بينها وبين أخواتها المسلمات برباط أقوى من النسب وأعلى من الدم وأقرب من الرحم، ونسى كل فرد في البيت المحمدي شواغله الخاصة، منذ تلاقوا جميعاً حول دين واحد لا يدينون بغيره، ورب واحد يجثون له سجداً، لا يشركون به إلهاً آخر ولا يعبدون رباً سواه.

وودت فاطمة لو يسلم الجميع حتى يحسوا بالنعمة التي تحس بها، وتغمرهم السعادة التي تغمرها، فقد فرحت فرحاً كبيراً وسرها أن علي بن أبي طالب ﷺ كان من الثلاثة الذين أسلموا، إذ كان بمثابة أخ لها عزيز ويصعب عليها أن يختلف بهما الدين، فتحظى هي بنعمة الإسلام دونه ويترك هو مكانه في بيت سيد البشر، ليلحق بالعصبة الكافرة التي باءت بغضب من الله. وقد آثر الله تعالى، فاطمة الزهراء بلحظ الأوفى من الألم والامتحان ومن الإبتلاء الكريم، والمعاناة العظيمة، فكتب لها أن تشهد المحنة وعظم البلاء منذ طفولتها الباكرة ومنذ نعومة أظفارها، وتعيش دون أخواتها جميعاً مع أبيها منذ بلوغه الوحي حتى يجود البطل الأسمى، والصابر العظيم والمعلم الكبير بأنفاسه ويلحق بالرفيق الأعلى، فقد كانت معه وبجواره لم تفارقه حتى بعد زواجها من علي ﷺ إلى حين انتقاله للرفيق الأعلى.

وقد أخذت فاطمة تتحرك نحو ميدان المعركة، وكان صغر سنها يتيح لها أن تخرج من البيت وتتحرك خارجه وتتبع أباهما حيث ذهب، وتشاهده وهو يدخل إلى أندية قريش ومحافلها داعياً ومبشراً ونذيراً، ويلقى في سبيل دعوته ورسالته ما يلقي من أذى السفهاء وكيدهم.

كانت الزهراء خلف أبيها يوم مضى إلى الكعبة فاستلم الركن، فما أن لمح المشركون حتى وثبوا إليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ - وعدوا ما قال من تكفير آبائهم وعيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم. فيقول عليه الصلاة والسلام في ثبات الإيمان، وشوخ الصلح: ((نعم أنا الذي يقول ذلك)).

ويوم خرج أبوها إلى الحرم، وتبعته فاطمة الزهراء ووقفت غير بعيدة منه ترقبه وتحوم بعينها وبقلبها الطاهر حوله. وإذا هو ساجد في الحرم، وحوله ناس من مشركي قريش فجاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهره الشريف فلم يرفع ﷺ رأسه، فهولت الزهراء مسرعة نحو أبيها وأخذت السلى - من على ظهره، ثم أخذت تدعو على من صنع ذلك، وسمع النبي ﷺ صوتها الطاهر النبي، وإذا به يرفع رأسه ويقول: اللهم عليك بالملأ من قريش: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة وعقبة بن أبي معيط، وأبي بن خلف^(١) فخشع المشركون من دعائه، وغضوا أبصارهم حتى أنتهى من صلاته، وأنصرف إلى بيته في صحبة أخته الطاهرة فاطمة الزهراء

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: ٤١٦/٨.

وتمضي الأيام سراعاً وقد صرع كل من دعا عليهم أبوها قرب ماء بدر، إلا أبي معيط فقد قتله الرسول ﷺ في طريق العودة من بدر.

وتمر المحنة على فاطمة الزهراء كما تمر على أبيها إلى شعب أبي طالب وهي تخطو نحو الثانية عشرة من عمرها، وقد نضجت نضجاً فكرياً عظيماً، وكانت تشاهد بعض بني هاشم وبني المطلب، رغم الجوع والحصار والعذاب يفضلون الموت في سبيل دين الله تعالى، ويرفضون أن يخرجوا إلى قريش ويتمتعوا معها في نعيمها الزائل. وكان كل يوم يمر على الزهراء عليها السلام أثناء هذه المحنة التي دامت ثلاث سنوات يدخلها طور جديد من أطوار الصبر الجميل والجلد العظيم فقد قاسى جميع المحاصرين الكثير من مرارة الجوع وآلامه ولكنهم آمنوا وصبروا وكان ذلك خير إعداد لهم ليتحملوا خوض الجهاد في سبيل الله وكان الله ﷻ أراد أن يمهّد لهم من وراء هذا الجهاد أن يزداد المؤمنون الأولى إيماناً مع إيمانهم حتى يصبحوا مهيبين لتحمل أعباء الجهاد ومشاقه وينهضوا مع النبي ﷺ في كفاح لبناء المجتمع الإسلامي الجديد الذي أنشئه بعد الهجرة الشريفة.

وبعد الهجرة المباركة إلى المدينة كانت السيلة الزهراء تعيش تحت ظل والدها الرسول الأعظم ﷺ. بعدما مرت بها عواصف شديدة وحوادث مؤلمة، من موت أمها خديجة وهجرة أبيها من وطنه ومسقط رأسه وهجوم الأعداء على الدار لقتل أبيها، ومطاردة الأعداء لها، فهل انتهت تلك الحوادث والمصائب؟

إنها لم تنتهي بل كانت بداية مآسي أخرى، وكوارث متسلسلة ومتعاقبة إذ ما مضت سنة واحدة على الهجرة وإذا بالمشركين يجتمعون في مكة ويقررون الحرب على النبي ﷺ والمسلمين، فنزل جبرائيل وأخبر النبي بالموامرة خرج الرسول

بالمهاجرين والأنصار ليستقبل قريش في أثناء الطريق قبل وصولهم المدينة، فالتقى الجمعان بين المدينة ومكة يقال لها: (بدر) كان عدد المشركين ثلاثة أضعاف المسلمين ولكن إرادة الله هي الأقوى أنتصر المسلمون وأندحر المشركون وعاد النبي إلى المدينة مظفراً منصوراً.

وبعد سنة واحلة وشهر وقعت غزوة أحد وقتل فيها من أصحاب رسول الله ﷺ سبعون رجلاً كانوا هم الصفوة والقُدوة من أصحابه، وفي طليعتهم عمه سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، كما أصيب الرسول ﷺ بجرح أنكسرت منه جبهته الشريفة، وحجر أصاب فمه الطاهر الزكي وأنكسرت منه ثناياه، وتخر الدم على لحيته كأنه خضاب.

أضطربت القلوب وزاغت الأبصار وأنهزم المنهزمون وثبت المؤمنون الصابرون المجاهدون حقاً. وبلغ ذلك أهل المدينة.

وقد خرجت صفية بنت عبد المطلب (عمة الرسول) والسيدة فاطمة إلى أحد فصاحت فاطمة ووضعت يدها على رأسها، وخرجت كل هاشمية وقريشية من نساء المهاجرين واضعة يدها على رأسها. وكان وصلهن جميعاً بعد أن وضعت الحرب أوزارها، قتل من قتل، وجرح من جرح وكان النبي في ذلك الوقت يتفقد القتلى ويبحث عن المفقودين من أصحابه.

لحين إذ وصل إلى مصرع عمه الحمزة فوجده بحالة لا توصف فقد صبوا عليه أحقادهم وأضغانهم، فقد مثلوا به أقيح وأبشع مثلة، قطعوا أصابه يديه ورجليه وجدعوا أنفه وأذنيه وشقوا بطنه وأخرجوا كبده، وقطعوا عورته، وتركوه بهذه الحالة.

أن هذا الحدث مؤلماً ومخدشاً لقلب الرسول ﷺ إذ هو نكايه وتنكيل من المشركين
لعم رسول الله ﷺ وناصره والمدافع عنه.

فإن الحزن والألم والغيظ قد أخذ من الرسول كل مأخذ فبينما هو كذلك وإذا به
يرى عمته صفيه وأبنته فاطمة قد توجهتا نحو تلك المنطقة، فغطى الرسول جثمان
عمه حمزة بردائه، وستره من الرأس إلى القدم كي لا يرى أحد شيء من مواضع
المثلة.

وأقبلت عمته صفيه وأبنته فاطمة تعدوان، وجلستا عند مصرع حمزة، وشرعتا
البكاء والنحيب، ورسول الله ﷺ يساعدهما على البكاء، ويشاركهما في الأنين
والنحيب، ثم نظرت فاطمة إلى جراحة جبهة أبيها رسول الله، وإلى الدماء المتخثرة
على وجهه الطاهر ولحيته الشريفة، فصاحت وجعلت تمسح الدم وتقول: أشدت
غضب الله على كل من أذى وجه رسول الله.

غسلت الدماء عن وجه أبيها، وكان علي يصب الماء بلجن^(١) فلما رأت فاطمة أن
الماء لا يزيد الدم إلا كثرة عمدت إلى قطعة حصيرة فأحرقتها، وجعلت رمادها ثماراً
على جبهة أبيها، وألزمته الجرح، فأستمسك الدم.

مرت تلك الساعات على قلب فاطمة؟ فداخلها الحزن العظيم والخوف الشديد
وهي البنت البارة بأبيها الراعية له العارفة بحقه.

(١) الجفن: الترسان.

فتح مكة :

وكان لها حضور مميز في فتح مكة ومقدماته فقد روى المؤرخون أن أبا سفيان لما قدم إلى المدينة بعد نقض قريش لصلح الحديبية الذي أبرموه مع رسول الله ﷺ سنة ست من الهجرة، وكان من بنوده: لأية قبيلة الحق في الدخول مع أي من الطرفين، فدخلت خزاعة مع رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر مع قريش وكانت بين قبيلتين خصومة فقامت قبيلة بني بكر بغارة ليلاً على خزاعة تساعدها على ذلك قريش، فوقعوا في خزاعة قتلاً ونهباً، ولما سافر وفد منها إلى رسول الله وأطلعه على تفاصيل الحدث قال ﷺ لا نصرني الله أن لم أنصر خزاعة. ولما علمت قريش بعزم رسول الله على الأخذ بحق حليفته خزاعة من قريش، أرسلت أبا سفيان إلى المدينة للقاء رسول الله ﷺ لإعادة الهدنة من جديد، رفض رسول الله ذلك فأستجار أبو سفيان بجماعة كالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي بكر وعمر، ولكن دون جدوى لم يتقدم أحد في التوسط بينه وبين رسول الله ﷺ فما كان منه إلا التّجأ إلى الصديقة الزهراء عليها السلام قائلاً: قد جئتك في حاجة لا أجد لها غيرك فأشفعني لي عند أبيك، فأبت عليه أن تتدخل مع أبيها في مثل هذه الأمور لأنها كانت تعلم أن أباها يريد فتح مكة ولا تراجع عن هذا الأمر، لأن فتحها سيكون مقدمة لفتح الجزيرة والعالم العربي.

ولما توجه الرسول ﷺ إلى مكة في عشرة آلاف مقاتل لفتحها، كانت الزهراء عليها السلام مع زوجها وأبيها ورأت هناك كيف تحطمت الأصنام وكيف تمت تصفية أولئك العتاة، أمثال الحويرث بن منذر الذي روعها أثناء هجرتها وهبار بن الأسود الذي روع أختها زينب وألقت حملها.

وكانت شديدة على أولئك المجرمين أمثال عبد الله بن ربيعة والحارث بن هشام من بني غزوم، الذين أجزرتهما أم هاني بنت أبي طالب الذي أقتحم بيتها أخوها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقالت له والله لأشكونك إلى رسول الله ﷺ فلما جاءت إلى خباء رسول الله، لم تجده ووجدت السيدة فاطمة، التي كانت أشد من علي على أولئك المشركين، ولما حضر رسول الله ﷺ رحب بأم هاني وأكرمها وأجلسها إلى جانبه. وقال لها: قد أجرنا من أجزرتِ وآمنا من أمنتِ.

المواقف السياسية لفاطمة عليها السلام:

إذا أردنا أن نستعرض التاريخ السياسي للدولة الإسلامية ونؤرخ للمعارضة في الإسلام منذ الأنظمة التي لا تملك الشرعية في وجودها، فإن الصديقة فاطمة هي أول امرأة معارضة، لأنها أول من رفعت صوتها بوجه من كانوا في نظرها غير جديرين بخلافة رسول الله ﷺ وهي أول من طالبت بإعادة الحق إلى أهله، ذلك الحق المتمثل بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد وقفت عليها السلام خطيبة في المهاجرين والأنصار وبقية المسلمين من أجل أن تسجل ملاحظاتها وتبدي إشكالاتها على الحكم الجديد الذي لا تعتبره شرعياً وبقيت على رأيها هذا حتى توفاه الله سبحانه.

ولم تكتف بلخطاب في الرجال بل خطبت في النساء وكان خطابها ذا تأثير كبير ولم تتوقف مسيرة الاحتجاج إلى هذا الحد بل راحت تحرض الناس على قول الحق وتحملهم مسؤولية السكوت عندما حدث في مجتمع المسلمين، فقد ورد في آخر خطبتها عليها السلام: (معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل المفضية على الفعل القبيح

الخاسر أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها، كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتكم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم وبئس ما تأولتم وساء ما به اثرتهم وشر ما منه اعتضتم لتجدن - والله - محمله ثقيلاً وغبه وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء وبان ما وراءه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون وخسر هنالك المبطلون) (١).

إن هذه الصديقة علمتنا كيف نعارض ورسمت لنا المنهج الصحيح للمعارضة كما أنها بلورت مشروعية العمل السياسي للمرأة في الإسلام فإذا ما سألنا ما الدليل على مشروعية العمل السياسي للمرأة في الإسلام؟ قلنا: دليلنا موقف السيدة فاطمة عليها السلام من دولة الخلافة التي قامت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول السيد محمد حسين فضل الله: ((ولقد خاضت الزهراء عليها السلام العمل السياسي كأقوى ما يكون، ووقفت وحدها من دون النساء في وجه السلطة تتحدث وتقيم الحجة وتذكر الأمة قبل كلمات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حق علي عليه السلام حتى أنها صعّدت من وتيرة احتجاجها ومعارضتها إلى أعلى المستويات، عندما أوصت بأن تدفن ليلاً وأن لا يحضر جنازتها الذين آذوها وظلموها ليتساءل الناس لماذا أوصت فاطمة أن تدفن ليلاً وهذه حادثة لم يسبق لها مثيل في الواقع الإسلامي)) (٢).

(١) فاطمة من المهدي إلى اللحد: ٤٩٨.

(٢) الزهراء القدوة: ٢٠٣.

شيء من شعرها :

قالت عليها السلام في رثاء أبيها عليه السلام:^(١)

[الخفيف]

بعد فقدي لخاتم الأنبياء
ويك لا تبخلي بفيض الدماء
وكهف الأيتام والضعفاء
والطير والأرض بعد بكي السماء
ياسيدي مع البطحاء
آن في الصبح معلناً والمساء
س غريباً من سائر الغرباء
ه علاه الظلام بعد الضياء
فلقد تنغصت الحياة يا مولائي

قل صبري وبن عني عزائي
عين يا عين أسكي الدمع مسحاً
يا رسول الإله، يا خيرة الله
قد بكتك الجبال والوحش جمعاً
وبكاك الحجون والركن والمشعر
وبكاك المغراب والدرس للقر
وبكاك الإسلام إذ صار في النا
لو ترى المنبر الذي كنت تعلقو
يا إلهي عجل وفاتي سريعاً

[البيط]

لو كنت شاهدا لم تكثر الخطبُ
وأختل قومك فأشهدهم ولا تغبُ
لما تُعيتَ وحالت دونك الكتبُ
مذ غبتَ عنا وكل الخير قد غصبوا

وقالت أيضاً عليها السلام في رثاء أبيها عليه السلام:^(٢)

قد كان بعدك أنباءً وهنيتُ
إننا فقدناك فقد الأرض وإبلها
فليت قبلك كان الموت صادفنا
تجهمنار جاك فاستخف بنا

(١) بحار الأنوار: ٤٣ / ١٧٤.

(٢) بلاغات النساء: ١ / ٨٨.

يوم القيامة أتى كنت أنقلبُ
لما فقدت وكل الإرث قد غصبوا
عند الإله وللأرثين مقربُ

سيعلم المتولي ظلم جانبنا
أبدت رجالك لنا فحوى صدورهم
وكل قوم لهم قربي ومنزلة

[البسيط]

وقالت فاطمة عليها السلام في رثاء أبيها عليه السلام (١):

صافي الضرائب والأعراق والنسبُ
عليك تنزلُ من ذي العزة الكتبُ
فغاب عنا وكل الخير محتجبُ
لما مضيت وحالت دونك الحجبُ
من البرية لا عجمٌ ولا عربُ
وأصدق الناس حيث الصدق والكذبُ
منا العيون بتهمالٍ لها سكبُ

وقد زينا به محضاً خليقته
وكنت بدرأً ونوراً يستضاء به
وكان جبريل روح القدس زائرنا
فليت قبلك كان الموت صادفنا
أنارز لم يرز ذو شجنٍ
فأنت والله خيرُ الخلق كلهم
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت

[الطويل]

وقالت فاطمة عليها السلام في رثاء الرسول الأعظم عليه السلام (٢):

أنوح وأشكو لا أراك مجاوي
وذكرك أنساني جميع المصائب
فما كنت عن قلب الحزين بغائب

إذا أشتد شوقي زرت قبرك باكياً
فيا ساكن الصحراء علمتني البكا
فإن كنت عني في التراب مغيباً

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٤١٠.

(٢) بيت الأحزان: ٢/ ١.

قالت عليه السلام عند قبر أبيها عليه السلام :

[الكامل]

نفسى على زفرتها محبوسة

يا ليتها خرجت مع الزفرات

قالت في رثاء أبيها عليه السلام ^(١) :

[الكامل]

قد كنت لي جبلاً ألود بظله
قد كنت جارَ حميتي ما عشت لي
وأغض من طرفي وأعلم أنه
حضرت منيته فأسلمني العزا
نشر الغراب على ريش جناحه
إنني لأعجب من يروح ويغتدي
فاليوم أخضع للذليل وأتقي
وإذا بكت قمريةً شجناً لها
فالله صبرني على ما حل بي
يا عين أبكي ^(٢) عند كل صباح

فاليوم تُسلمني لأجرد ضاح
واليوم بعدك من يریشُ جنّاحي
قد مات خيرُ فوارسي وسلامي
وتمكنت ربُّ المنون جواحي
فظللت بين سيوفه ورمّاح
والموتُ بين بكوره ورواح
ذلي وأدفع ظالمي بالراح
ليلاً على غصنٍ بكيت صباحي
مات النبي قد أنظفَى مصباحي
جُودي بأربعةٍ على الجراح

(١) الدر النظيم: ٢، ٧، ٨.

(٢) بكّي: أكثرى البكاه.

قالت الزهراء عليها السلام ^(١):

[الطويل]

وذكرُ أبي مُذمات والله أزيد
فعزيزتُ نفسي بالنبي محمد
ومن لم يمّت في يومه مات في غد

إذا مات قوم قلّ والله ذكره
تذكرت لما فرّق الموت بيننا
فقلت لها: إنّ المات سبيلنا

[الخفيف]

قالت فاطمة عليها السلام في رثاء أبيها عليه السلام ^(٢):

وفؤادي والله عنيـدُ
واكتيابي عليك ليس يبيدُ
فبكائي كلُّ وقت جديدُ
أو عزاءً فإنه جليـدُ

إن حزني عليك حزن جديد
كلُّ يوم يزيد فيه شجونِي
جلُّ خطبي فبان عني عزائي
إنّ قلباً عليك بألف صبراً

[مجزوء الكامل]

وقالت في رثاء النبي عليه السلام:

بيكي عليك الناظرُ
فَعَلَيْكَ كُنْتَ أَحْزِرُ

كُنْتَ السَّوَادَ لِمَقْلَتِي
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمَتْ

(١) بحار الأنوار: ٥٣٣/٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ١٧٤ / ٤٣.

أنشأت عليها السلام تقول:

إذا مات يوماً ميت قلّ ذكره وذكر أبي مذ مات والله أكثرُ
أن (زرّة) النائحة رأت فاطمة عليها السلام فيما يرى النائم أنها وقفت على قبر الحسين
تبكي وأمرتها أن تنشد ^(١):

[عجزوء الكامل]

أيها العينان فيضا واسـتـحلّـاً لا تغيظـا
وأبكيـا بالطف مـيتاً ترك الصّـدر رـضيـفا
لم أمرّضـه قـتـيـلا لا ولا كان مريضـا

قالت فاطمة عليها السلام حين أتى طارق الليل وقدمت له طعام أبنائها ^(٢): [الرجز]

أمرك يا ابن عم سمع وطاعة
ما بي من لؤمٍ ولا ضراعة
غذيت من خبزٍ له صناعة
أطعمته ولا أبالي الساعة
أرجو إذا أشبعت ذا مجاعة
أن الحق الأخيارَ والجماعة
وأدخل الخلدَ ولي شفاعة

(١) عن أمالي المفيد: ٣/٨.

(٢) المناقب للخوارزمي: ٧/٨.

وقالت فاطمة عليها السلام حين قدمت طعام عشاء أبنائها لطارق المساء ^(١): [الرجز]

لم يبق مما جئت غير صاع
قد قمتُ كفي مع الذراع
أبني وأبي والله من الجياع
أبوهم للخير ذو الصطناع
يصطنع المعروف بأبتداع
عبل الذراعين طويل الباع
وما على رأسي من قناع
إلا قناع نسجتُه من صاع
يارب لا تركه ضاياع

أنشدت عليها السلام تقول للإمام علي عليه السلام بعد وفاة أبيه عليه السلام ^(٢): [الخفيف]

أبكني إن بكيت يا خير هادي	واسبل التُّمَع فهو يوم الفراقِ
يا قرين البتول أوصيك بالنسل	فقد أصبحا حليف أشتيقِ
وأبكني وأبك لليتامى ولا تنسى	قتيل العلى يطف العراقِ
فارقوا فأصبحوا يتامى حيارى	يخلف الله فهو يوم الفراقِ

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤٢٦/٣.

(٢) بحار الأنوار: ١٧٤/٣٣.

وقالت فاطمة عليها السلام عندما قدمت طعام عشاء أبنائها لطارق الليل ^(١): [الرجز]

إنني لأعطيهِه ولا أبالي
وأوثرُ الله على عيالي
أمسوا جِيعاً وهم أشبالي
أصغرهما يُقتل في القتلِ
بكلِّ بلاء يُقتلُ بأغتيـلِ
تهوى به النَّزارُ إلى سيفِ
مَصَّ فـد اليـدين بالأغلالِ
كجولـةٍ زادت على الأكبـلِ

[الكامل]

قالت فاطمة عليها السلام في رثاء النبي صلى الله عليه وآله ^(٢):

شمسُ النهارِ وأظلمَ العَصْرانِ	أغْبَر أفلقَ السماءِ وكُورَتِ
أسفاً عليه كثيرةُ الرجفانِ	فالأرضُ من بعد النبي كنيبةٌ
وليكه مَضْرُ وكلَّ يمانِي	فليكيه شرقُ البلادِ وغربُها
صلى عليك منزلُ الفرقانِ	يا خاتمَ الرُّسلِ المباركِ ضوؤه
ما وسدوكَ وسلاةُ الوستانِ	نفسِي فداؤك ما رأسك مائلاً

(١) ينابيع المودة ٢ / ٣٤٠.

(٢) زهر الآداب: ٨ / ٣٢٠.

[الرجز]

كانت عليها السلام ترقص أبناها الحسن عليه السلام ^(١) وتقول:

أشبهه أبـاك يا حسنُ
وأخلع عن الحق الرسنُ
وأعبُد إلهـاً ذا مننُ
ولا تُـوالِ ذا الأحسنُ

وأنشدت عليها السلام هذه القصيدة ^(٢):

من خِسةٍ تعرضُ أو مِن خِنا	حاشا بني فاطمةٍ كلهم
وفعلها السوء أساءت بنا	وإنما الأيام في غلدها
تجعل كل السبِّ عمداً لنا	لئن جنى من ولدي واحد
إثمأ فلا يأمَنُ مما جنى	فتب غلى الله فَمَن يفتَرِف
ولا تتر من أله أعينا	فأصفح لأجل المصطفى أحمد
تلقى به في الحشرِ منامنى	فكل ما نالك منهم غدا
[الرجز]	قالت في رثاء النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> ^(٣) :

يا أبتله أجاب ريباً دعاهُ
يا أبتله إلى جنة الفردوس مأواه
يا أبتله إلى جبريل ننعاهُ

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤٣٩/٣.

(٢) نسمة السحر: ٦/١.

(٣) الطبقات الكبرى: ٤/١.

يا أبتله من ربه ما أدنله

وقالت وهي ترقص أبنها الحسين عليه السلام ^(١): [الرجز]

إن بــــــني شــــــبهه الــــــبني
لــــــيس شــــــبيهاً بعلــــــي

وقالت أيضاً وهي ترقص أبنها الحسن عليه السلام ^(٢): [الكامل]

وا بــــــأبي شــــــبهه أبــــــي
غــــــير شــــــبيهه بعلــــــي

قالت في رثاء النبي صلى الله عليه وآله ^(٣): [الكامل]

قل للمغيب تحت أطباق الثرى
صُبت عليّ مصائب لو أنها
فاليوم أخشع للذليل وأتقي
فلإذا بكت قمرية في ليلاها
فلا جعلت الحزن بعدك مؤنسي
مذا على من شمّ تربة أحمد

إن كنت تسمع صرختي وندائيا
صُبت على الأيام صرت لياليا
ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا
شجنأ على غصنٍ بكيّت صباحيا
ولأجعلنّ اللمع فيك وشاحيا
أن لا يشمّ ملى الزمان غواليا

(١) المقد الفريد: ٤٣٩/٢.

(٢) أنساب الأشراف: ١١٩٣/٣.

(٣) السيرة النبوية والأثر المحمدية: ٤٠٢/٢.

المصحف:

المصحف: أن لفظ المصحف كثر استعماله في القرآن المكتوب بعد مجيء الإسلام وأصبح مشهوراً في هذا المعنى، إلا أن شهرته هذه لم تلغ استعماله في معناه اللغوي الواسع بل بقي يستعمل في معانٍ أخرى غير القرآن الكريم.

١- المصحف في اللفظة:

هي الصحيفة التي يكتب فيها والجمع صحائف وصُحف وصُحف، والمصحف الجامع للمصحف بين الدفتين^(١).

وقالوا في تفسير الدفتين، الدفة: الجنب من كل شيء وصفحته، ودفتا الطبل: الجلدتان اللتان تكتنفانه ويضرب عليهما ومنه دفتا المصحف، ويقال: حفظ ما بين الدفتين^(٢) أي حفظ الكتاب من الجلد إلى الجلد وحقيقة ذلك فأن المصحف: أسم الكتاب المجلد وذلك لأنه إذا كانت الصحيفة هي ما يكتب فيها وجمعها الصُحف والمصحف هو الجامع للمصحف بين الدفتين، والدفتان هما جلدتا الكتاب فالمصحف في كلامهم بمعنى الكتاب المجلد في كلامنا.

(١) صحاح الجوهري، مائة (صحف).

(٢) تلج العروس - الزبيدي، المعجم الوسيط، مائة (دقت).

٢ - المصحف في مصطلح الصحابة:

روى البخاري عن الصحابي زيد بن ثابت ما ملخصه: أن أبا بكر أمره بجمع القرآن. قال: ((فتتبع القرآن أجمعه فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عمر في حياته ثم عند حفصة بنت عمر))^(١).

روى أنس بن مالك: ((أن عثمان عندما أراد أن يجمع القرآن أرسله إلى حفصة: أن أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك))^(٢) ويتضح لنا أن المصحف والمصاحف ذكرا في الخبرين المذكورين آنفاً بنفس المعنى اللغوي (الكتاب المجلد).

وأكثر وضوحاً مما جاء عند البخاري ما جاء عند ابن أبي داوود السجستاني في باب جمع القرآن في المصحف من كتابه ((المصاحف)). فقد روي فيه:

أولاً: عن محمد بن سيرين قل: ((لما توفي النبي ﷺ)) أقسم علي عليه السلام أن لا يرتلي الرءاء إلا لجمعه حتى يجمع القرآن في مصحف))

ثانياً: عن أبي العالية ((أنهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر)).

ثالثاً: عن الحسين: ((أن عمر بن الخطاب أمر بالقرآن وكان أول من جمعه في المصحف))^(٣).

(١) صحيح البخاري - كتاب فضائل القرآن: ٣/ ١٥٠.

(٢) نفس المصدر.

(٣) كتاب المصاحف - السجستاني: ٥٠.

أستشهدنا بهذه الروايات الثلاث لأنها تدل على أن روايتها كان المصحف في كلامهم أعم من القرآن فقد جاء فيها على حسب التسلسل:

١- ((متى يجمع القرآن في المصحف)).

٢- ((أجمعوا القرآن في مصحف)).

٣- ((وأمر بالقرآن فجمع، وكان أول من جمعه في المصحف)) ولو كان المصحف لديهم هو القرآن لكان تفسير الروايات كالاتي:

أ- متى يجمع القرآن في القرآن

ب- جمعوا القرآن في القرآن

ج- وكان أول من جمع القرآن في القرآن.

المصحف في مصطلح الأمم السابقة :

وكذلك سميت الكتب الدينية للأمم السابقة بالمصحف كما جاء في طبقات ابن سعد بسنله: عن سهل مولى عتيبة أنه كان نصرانياً من أهل ((مريس)) وأنه كان يتيماً في حجر أمه وعمه، وأنه يقرأ الإنجيل.

قال: فأخذت مصحفاً لعمي فقرأته حتى مرت بي ورقة فأنكرت كتابتها حين مرت بي ومسستها بيلي.

قال: فنظرت فإذا فصول الورقة ملصق بغراء قال: ففتقتها وجدت فيها نعت محمد ﷺ وأنه لا قصير ولا طويل، أبيض ذو ضفيرتين بين كتفيه خل، يكثر

الأحتياء ولا يقبل الصدقة ويركب الحمار والبعير ويحتلب الشاة ويلبس قميصاً مرفوعاً. وهكذا وجدنا المصحف اسماً عاماً للمصحف بين الدفتين وأن صح ما جاء في رواية المصاحف لأبن أبي داوود أن الخليفة أبا بكر قد سمي القرآن بالمصحف فأن هذه التسمية لم تستمر حتى عصر عثمان كما يظهر ذلك من الخبرين اللذين نقلناهما آنفاً من صحيح البخاري وإنما أشتهرت تسميته بالقرآن بالمصحف بعد ذلك وعند ذاك أيضاً لم تبق هذه التسمية مختصرة بالقرآن بل سميت كتب أخرى في مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت عليهم السلام بـ((المصحف)).

المصحف في معاجم اللغة العربية:

لمعرفة الموقع اللغوي لمعنى الصحف وحسب تتبع كلمات اللغويين، نأتي ببعض الأمثلة في كيفية تحريك هذا اللفظ وتشكيله.

تحريك لفظ المصحف:

١- المصحف: بضم الميم، وهو الأشهر^(١)، على أنه أسم مفعول^(٢) أو هو لغة قيس كما ذكر ابن عبيد^(٣).

٢- المصحف: بكسر الميم، بناءً على أن العرب أستقلت الضمة على الميم فكسرتها كما قل: الفراء أو هو لغة تميم كما ذكر ابن عبيد^(٤).

(١) الفيومي (ت- ٧٧هـ).

(٢) أقرب الموارد ص ٦٣٥.

(٣) الزبيلي/ تاج العروس: ٩- ١٨٦.

(٤) المصدر نفسه (الزبيلي).

٣- المصحف: بفتح الميم، ولم يحركه بها كبار اللغويين سوى الكسائي على ما نقل عنه ^(١) معنى كلمة المصحف.

أما معنى المصحف في معجم لغة العرب فهو ((الجامع للمصحف المكتوبة بين الدفتين))^(٢). وهناك فرق بين الصحف والدفتين.

ب- الدفتان: متني دفة وهي الجنب من كل شيء فيقال دفا البعير، جنباه، ويقال دفتا الطبل أي الجلدتان تكتنفانه يضرب عليهما ومنه دفتا المصحف أي جنباه اللذان يضمانه ويحفظانه وهما وجه المصحف.

أختلاف المصاحف عند الصحابة والتابعين:

لما نشأت ^(٣) الأمصار الإسلامية بعد فتح الشام والعراق كان كل فريق من الناس يحتاج إلى نسخة من القرآن الذي هو أصل دينهم وحكمهم وعاداتهم الاجتماعية، فاتفق أهل الكوفة على مصحف بن مسعود وأهل البصرة على مصحف أبي موسى الأشعري، وأهل دمشق على مصحف المقداد بن الأسود وأهل الشام على مصحف أبي بن كعب.

وكانت هذه المصاحف يخالف بعضها بعضاً، ولما اجتمع أهل العراق وأهل الشام لفتح مرج أذربيجان كانوا يتنازعون في العراق حتى أنكروا بعضهم على بعض ما

(١) ابن منظور- لسان العرب: ٩- ١٨٦.

(٢) الصحاح- الجوهري: ٤- ١٣٤٨.

(٣) كتاب المصاحف: أبي بكر السجستاني: ٦.

كان يقرأه من غير مصحفه زاعماً أنه ليس من القرآن، فنشأ عن ذلك الجدل والنزاع وكان كل هذا من تمسك كل منهم بالمصحف المقروء في مصحفه.

وقد كتب غير واحد من أهل السلف كتباً وصفوا فيها المصاحف القديمة لا سيما تلك المصاحف التي أبطلها عثمان حين ما بعث بمصحفه الرسمي للأمصار، ومن هذه الكتب كتاب أختلاف مصحف الشام والحجاز والعراق لابن عامر (المتوفى ١١٨هـ). وكتاب أختلاف مصاحف أهل الكوفة وأهل البصرة عن الكسائي (المتوفى ١٨٩هـ). وكتاب أختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف للفراء البغدادي (المتوفى ٢٠٧هـ). وكتاب أختلاف المصاحف لخلف بن هاشم (المتوفى ٢٢٩هـ). وكتاب أختلاف المصاحف وجامع القراءات للمدائني (المتوفى ٢٣٣هـ). وكتاب أختلاف المصاحف لأبي حاتم (المتوفى ٢٤٨هـ). وكتاب المصاحف لابن اشته الأصبهاني (المتوفى ٣٦٠هـ). وكتاب غريب المصاحف للوراق، ولم يصل إلينا من هذه الكتب إلا كتاب المصاحف لأبي بكر السجستاني.

١ - مصاحف الصحابة واختلافها:

كان للكثير من الصحابة مصاحف كتب كل منهم في مصحفه القرآن وما سمعه من رسول الله ﷺ في تفسير بعض آيات القرآن. إذاً كان معنى مصاحف الصحابة في عصر الصحابة، القرآن المكتوب مع حديث الرسول في تفسير بعض آياته كما هو الحال في عصرنا هذا ما يسمى بالقرآن المفسر. وهناك أمثلة كثيرة لمصاحف الصحابة:

مصحف عمر بن الخطاب:

حدثنا عبد الله حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا يحيى بن إبراهيم بن سويد النخعي حدثنا أبان بن عمران النخعي قال: قلت: لعبد الرحمن بن الأسود إنك تقرأ ((صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)).

المثبت في المصاحف العثمانية بعد الجمع والتصحيح:

((صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين))^(١).

حدثنا علي بن مسهر عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود وعلقمة أنهما صليا خلف عمر فقرأ بهذا.

مصحف علي بن أبي طالب:

قال ابن النديم في الفهرست: قال ابن المناي: حدثني الحسن بن العباس قال: أخبرني عن عبد الرحمن بن أبي حماد عن الحكم بن ظهير السدوسي عن عبد خير عن علي عليه السلام أنه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله فأقسم أن لا يضع عن ظهره رداء حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن، من قلبه، وكان المصحف عند أهل جعفر عليه السلام ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني رضي الله عنه مصحفاً قد سقط منه أوراق بخط علي بن أبي طالب عليه السلام يتوارثه بنو الحسن على مر الزمان، وهذا ترتيب السور من ذلك المصحف.

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

أن أختلاف مصحف علي عن المصحف العثماني فهو أختلافه في شيء جانبي وثنائي وهو أن جمع الإمام عليه السلام للقرآن ((كان على ترتيب نزوله وتقديم منسوخه على ناسخه)) فضلاً عن كتابة تأويل بعض الآيات وتفسيرها على حاشية المصحف وعلى النحو الذي أشرنا إليه في بداية البحث ولو صح هذا القول فأن جمع القرآن بهذه الطريقة يعكس وفائق الوحي وحوادثه المتسلسلة يوماً فيوم وأولاً فأول وساعة فساعة من دون أن يسبق هذا اليوم للذي قبله أو يتأخر عن الذي يليه.

مصحف عبد الله بن مسعود :

روى ابن جرير وغيره عن ابن مسعود أنه قال: ((كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن))^(١) ومن هذا الأثر يتضح لنا مقدار حرص ابن مسعود على تفهم كتاب الله تعالى والوقوف على معانيه، وعن مسروق قال: ((قال عبد الله -يعني ابن مسعود- والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت، وقد حمل علم ابن مسعود في التفسير أهل الكوفة نظراً لوجوده بينهم، كان مصحفاً يسمى مصحف عبد الله بن مسعود

حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي حدثنا زكريا بن علي حدثنا حفص عن الشيباني عن عطاء البراز عن يسير بن عمرو عن عبد الله أنه قرأ: ((أن الله لا يظلم مثقال غملة)) وبعد الجمع والتصحيح في المصاحف العثمانية كانت قد

(١) التفسير والمقرئون: ٨ / ٨٥

كتبت هكذا: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً))^(١) عن ابن جريح عن عطاء قال: نزلت^(٢) ((لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلاً من ربكم في موسم الحج)) وفي قراءة ابن مسعود ((في مواسم الحج فابتغوا حينئذ)) وبعد الجمع والتصحيح في المصاحف العثمانية ((لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ))^(٣).

وهناك الكثير من هذه الآيات التي كتبت في مصاحف الصحابة الميامين الذين حفظوا القرآن وكتبوه وعلموه بعد أن سمعوه من رسول الله ﷺ^(٤) (وأن حصل نقص أو زيادة بكلمة أو كلمتين مع التحفظ بروح القرآن المنزل والتحريف بهذا قد وقع في صدر الإسلام وفي زمان الصحابة قطعاً، ويدلنا على ذلك إجماع المسلمين على أن عثمان أحرق جملة من المصاحف)).

مصحف أبي بن كعب:

أشتمل مصحف أبي بن كعب على مائة وخمس عشرة سورة. جعل الفيل وقريش سورة واحدة. وزاد سورتي (الخلع والحفد)، وكان مصحفه مفتتحاً بسورة الحمد، ومختتماً بالمعوذتين، أما ترتيبه فكان كمصحف ابن مسعود تقريباً، غير أنه قدم سورة الأنفال، وجعلها بعد سورة يونس وقبل سورة براءة وقدم سورة مريم والشعراء والحج على سورة يوسف.

(١) سورة النساء، الآية: ٤٠

(٢) كتاب المصاحف: ٥٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

(٤) البيان في تفسير القرآن: ١٩٧.

وكذلك أشتمل مصحفه على دعائي القنوت مما سنبينه لاحقاً باعتبارها سورتين فيما زعم.

أولاً: سورة الخلع ^(١): ((بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير. ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك))

ثانياً: سورة الحفد: ((بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد. وإليك نسعى ونحفد. نخش عذابك ونرجو رحمتك. أن عذابك بالكفار ملحق)) ^(٢).

حدثنا عبد الله حدثنا نصر بن علي قال: أخبرني أبو أحمد عن عيسى بن عمر بن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير قرأ في مصحف أبي بن كعب سورة النساء (آية ٢٤) ((فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى)) والمثبت في المصاحف العثمانية بعد الجمع والتصحيح.

((فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً)) وقال هذه قراءة أبي بن كعب. أما ما يتعلق الأمر بمصحفه فيقال: أنه قد كتب في مصحفه أيضاً سورتين تسميان ((الخلع والحفد)) ^(٣) كما ذكرنا سابقاً.

والظاهر هنا أن أبي كان قد ذهب في دعاء القنوت إلى أنه من القرآن لأنه رأى رسول الله ﷺ يدعو به في الصلاة دائماً، منضور أنه من القرآن وأقام على ظنه

(١) الأتقان - السيوطي: ٦٤ / ١.

(٢) الأتقان - السيوطي: ٦٤ / ١.

(٣) كتاب المصاحف - السجستاني: ٥٠.

ومخالفة عامة الصحابة حيث لم تقم الحجة عليه بأنه قرآن منزل، بل هو لا يتعدى عن ضرب من الدعاء لا غير.

وإن إلحاق ((الخلع والحفد)) بمصحف أبي - إن صح القول فربما هو كإلحاق القرآن بمصحف فاطمة ولو كان ذلك قرآناً لنقل إلينا بالتواتر كبقية المصحف التي بين أيدينا.

مصحف عبد الله بن مسعود :

لقد تميز مصحف عبد الله بن مسعود حسب الترتيب الآتي^(١) :

- ١- السبع الطوال: (البقرة، آل عمران، النساء، الأعراف، الأنعام، المائدة، يونس).
- ٢- المثين: (براءة، النحل، هود، يوسف، الكهف، الإسراء، الأنبياء، طه، المؤمنون، الشعراء، الصافات).
- ٣- المثاني: (الأحزاب، الحج، القصص، النمل، النور، الأنفال، مريم، العنكبوت، الروم، يس، الفرقان، الحجر، الرعد، سبأ، فاطر، إبراهيم، ص، محمد، لقمان، الزمر).
- ٤- الحواميم: (المؤمن، الزخرف، فصلت، الشورى، الأحقاف، الجاثية، الدخان).
- ٥- الممتحنات: ((الفتح، الحديد، الحشر، السجدة، الطلاق، القلم، الحجرات، الملك، التغابن، المنافقون، الجمعة، الصف، الجن، نوح، المجادلة، الممتحنة، التحريم).
- ٦- المفصلات: (الرحمن، النجم، الطور، الذاريات، القمر، الحاقة، الواقعة، النازعات، المعارج، المدثر، المزمل، المطففين، عبس، الإنسان، المرسلات، القيامة،

(١) الأتقان - السيوطي: ٦٤ / ١.

النبأ، التكوير، الأنفطار، الغاشية، الأعلى، الليل، البروج، الأنشقق، العلق، البلد الضحى، الطارق، العاديات، الدين، القارعة، البينة، الشمس، التين، الهمزة، الفيل، قريش، التكاثر، القدر، الزلزال، العصر، النصر، الكوثر، الكافرون، المسد التوحيد، الأنشراح).

تلك مائة وإحدى عشرة سورة. بأسقاط الفاتحة وسورتي المعوذتين. وهناك أمور أخرى - أختص بها مصحف ابن مسعود: أسقاط الفاتحة لا اعتقاداً أنها ليست من القرآن بل لأن المصحف كان قيداً للسور دون الضياع، وهذه السورة (الفاتحة) مأمونة عن الضياع بذاتها، لا يزال المسلمون يقرؤونها كل يوم عشر مرات أو أكثر، ذكره ابن قتيبة فيما يأتي أو لعله رآها عدلاً للقرآن في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَنَافِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ))^(١). والسبع المثاني هي سورة الفاتحة. وعلى أي تقدير فقد أتفق أئمة الفن على خلو مصحفه من سورة الحمد. نقل ذلك ابن النديم عن الفضل بن شاذان.

قل: أنه أحد الأئمة في القرآن والروايات ومن ثم يرجع ما ذكره الفضل على ما شهده بنفسه.

قل جلال الدين السيوطي: وأما أسقاطه الفاتحة فقد أخرجه أبو عبيد بسند صحيح وكان قد ذكر الرواية^(٢) قبل ذلك.

وقل ابن قتيبة: وأما أسقاطه الفاتحة من مصحفه فليس لجهله بانها من القرآن، كيف وهو أشد الصحابة عناية بالقرآن.

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٧

(٢) الفهرست - ابن النديم: ٤٦.

ولم يزل يسمع رسول الله ﷺ يؤم بها، ويقول: لا صلاة إلا بسورة الحمد وهي السبع المثاني وأم الكتاب.

ومن التحريف والتبديل في مصحف عبد الله بن مسعود حدثنا عبد الله حدثنا محمد بن عبد الله الخرمي حدثنا زكريا وابن علي حدثنا حفص عن الشيباني عن عطاء البزاز عن يسير بن عمرو عن عبد الله أنه قرأ (س-٤-٤٠آ)^(١) ((إن الله لا يظلم مثقال غملة)) أما المثبت في المصاحف العثمانية بعد الجمع والتصحيح: ((إنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ))^(٢).

قل ابن حجر: أن ابن مسعود كانت له مخالفات شاذة نبذها الصحابة والتابعون، ولعلها كانت أجتهدات شخصية خطئه الآخرون عليها - كمنهجه في التطبيق.

مصحف عائشة زوج النبي ﷺ :

رووا عن أبي يونس مولى عائشة أنه قال: أمرتني عائشة أن اكتب لها مصحفاً. وقال: إذا بلغت هذه الآية فأذني ((حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى)) فلما بلغت اذنتها فأملت علي (حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى (صلاة العصر) وقوموا لله قانتين)).

قالت عائشة سمعتها من رسول الله ﷺ.

(١) كتاب المصاحف - السجستاني: ٥٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٠.

التحريف والتبديل في مصاحف زوجات النبي ﷺ :

أ - التحريف والتبديل في مصحف عائشة زوج النبي ﷺ :

حدثنا عبد الله حدثنا عبد الله بن اسحاق الناقد وأبو عبد الرحمن الأذرمي قالا: حدثنا يزيد قال: أخبرنا حماد عن هشام عن أبيه قال: كان مكتوباً في مصحف عائشة (س ٢ آ ٢٣٨) ^(١) ((حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى و صلاة العصر) أما المثبت في المصاحف العثمانية بعد الجمع والتصحيح ((حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)) ^(٢).

ب - بمصحف أم المؤمنين حفصة زوج النبي ﷺ :

عن أبي رافع مولى حفصة أنه قال: أستكتبني حفصة مصحفاً فقالت: إذا أتيت على هذه الآية فتعل حتى أملكها عليك كما قرأتها فلما أتيت على هذه الآية ((حافظوا على الصلوات)) قالت اكتب ((حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)) ((وصلاة العصر)) ^(٣) أما المثبت في المصاحف العثمانية بعد الجمع والتصحيح ((حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)) ^(٤).

(١) كتاب المصاحف - الجستاني: ٨٣

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٣٨.

(٣) تفصيل أخبار مصاحف الصحابة.

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٣٨.

ج - مصحف أم سلمة زوج النبي ﷺ :

حدثنا عبد الله حدثنا أبو الطاهر حدثنا ابن نافع عن داوود بن قيس عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة أنها قالت له أكتب لي مصحفاً فإذا بلغت هذه الآية فأخبرني ((حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى)) قال فلما بلغت أذنتها فقالت اكتب ((حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى و صلاة العصر)) والمثبت في المصاحف العثمانية بعد الجمع والتصحيح: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَتَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ).

٢ - مصاحف التابعين واختلافها^(١) :

مصحف عبيد بن عمير الليثي :

حدثنا عبد الله حدثنا هارون بن إسحاق حدثنا وكيع عن شعبة عن عمرو بن دينار قال سمعت عبيد بن عمير يقول، أول ما نزل من القرآن ((سبح اسم ربك الذي خلقك)) وبعد الجمع والتصحيح في المصاحف العثمانية كانت الآية: ((سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى))^(٢).

(١) كتاب المصاحف: ٨٨

(٢) سورة الاعلى، الآية: ١.

مصحف عطاء بن أبي رباح:

مولى حبيبة بنت أبي نحره الفهرية، حدثنا عبد الله حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا علي بن القاسم الكندي عن طلحة عن عطاء أنه قرأ: ((يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ)) وبعد الجمع والتصحيح جاءت كالاتي: ((إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ))^(١).

مصحف مجاهد:

أبي الحجاج وهو ابن جبر مولى بني مخزوم كوفي كان يكون بمكة. حدثنا عبد الله حدثنا يوسف بن عبد الملك حدثنا عبد الوارث عن حميد عن مجاهد أنه كان يقرأ: ((فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا)).

وبعد الجمع والتصحيح في المصحف العثمانية: ((فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ..))^(٢).

مصحف سعيد بن جبير:

كان رضي الله عنه من كبار التابعين ومتقلميهم في التفسير والحديث والفقہ، أخذ القراءة عن ابن عباس عرضاً، وسمع منه التفسير، وأكثر روايته عنه ^(٣)، وقد جمع سعيد القراءات الثابتة عن الصحابة وكان يقرأ بها، يدلنا على ذلك ما جاء عن إسماعيل بن عبد الملك أنه قال: ((كان سعيد بن جبير يؤمنا في شهر رمضان فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود، وليلة بقراءة زيد بن ثابت، وليلة بقراءة غيره)).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٣) وفيات الأعيان: ٣٦٤ / ١.

ولا شك أن جمعه هذه القراءات كان يعطيه القدرة على التوسع في معرفة معاني القرآن وأسراره، ولكن يظهر لنا أنه كان يتورع من القول في التفسير برأيه. روى ابن خلكان: من أن رجلاً سأل سعيداً أن يكتب له تفسير القرآن فغضب وقال: لأن يسقط شقي أحب إليّ من ذلك^(١).

ولقد جمع سعيد علم أصحابه من التابعين، وألم بما عندهم من النواحي التي برزوا فيها، فقد قال خصيف: ((كان من أعلم التابعين بأطلاق سعيد بن المسيب. وبلحج، عطاء، وبلخلال والحرام، طاووس، وبالتفسير، أبو الحجاج مجاهد بن جبر، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير))^(٢).

كان له مصحفاً يسمى بمصحف سعيد بن جبير، حدثنا عبد الله، حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير أنه قرأ.
(وعلى الذين يطوقونه) والمثبت في المصاحف العثمانية بعد الجمع والتصحيح (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ)^(٣).

النصراني يكتب المصاحف:

حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا عبد السلام حدثنا ابن أبي ليلى (أبو سفيان عن ابن أبي ليلى) أن عبد الرحمن بن عوف أستكتب رجلاً من أهل الحيرة نصرانياً مصحفاً فأعطاه ستين درهماً.

(١) وفيات الأعيان: ١/ ٣٦٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

حدثنا عبد الله، حدثنا محمد بن اسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع، عن سفيان عن ابن أبي ليلى، عن أخيه عيسى، عن أبيه، عن الرحمن بن أبي ليلى أنه كتب له رجل من الحيرة مصحفاً بسبعين درهماً.

حدثنا عبد الله، حدثنا عبد الله بن سعيد، حدثنا ابن عليّة عن شعبة عن منصور عن إبراهيم، أن علقمة كتب له نصراني مصحفاً. حدثنا عبد الله، حدثنا يونس عن حبيب، حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة بهذا.

المصاحف عند النصارى:

١ - مصاحف الحبشة:

ذكر ابن هشام في سيرته، وأحمد بن حنبل في مسنده عن أم سلمة زوجة النبي ﷺ وهي تحكي قصة الهجرة إلى الحبشة أنها قالت: ((فنشروا [أي أصحاب النجاشي] مصاحفهم حوله)). وقالت أيضاً: ((وتكتب أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم))^(١).

٢ - مصحف عم سهل:

ذكر ابن سعد في طبقاته الكبرى قصة سهل مولى عتبة بأنه كان نصرانياً من أهل مريس وأنه كان يتيماً في حجر أمه وعمّه، وأنه كان يقرأ الإنجيل، ثم نقل ابن سعد عن سهل أنه قال: ((فأخذت مصحفاً لعمي، فقرأته حتى مرّت بي ورقة

(١) ابن هشام: ٣٥٨/١.

فأنكرت كتابتها حين مرّت بي، ومسستها بيدي، فنظرت فإذا فصول الورقة ملصق
بغراء، قال: ففتقتها، فوجدت فيها نعت محمد ﷺ... الخ^(١).

٣ - مصاحف الروم:

ومن الآثار التي أطلقت لفظ المصحف على كتب غير المسلمين ما نقله
السجستاني عن أبي اسحاق الفزاري أنه قال: سألت الأوزاعي: قلت: مصحف
من مصاحف الروم أصبناه في بلاده أو غيرهم؟

تحريف القرآن وتبديله:

معنى التحريف: (نقل الشيء عن موضعه وتحويله إلى غيره).

يطلق لفظ التحريف ويراد منه علة معان على سبيل الأشتراك، فبعض منها واقع
في القرآن باتفاق من المسلمين، وبعض منها لم يقع فيه باتفاق منهم أيضاً، وبعض
منها وقع الخلاف بينهم:

الأول: لا خلاف بين المسلمين في وقوع مثل هذا التحريف في كتاب الله فإن كل
من فسّر القرآن بغير حقيقته وحمله على غير معناه فقد حرفه وترى كثيراً من أهل
البدع والمذاهب الفاسدة قد حرفوا القرآن بتأويلهم آياته على آرائهم وأهوائهم.
قال تعالى: ((مَنْ أَلْدِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ))^(٢).

(١) الطبقات الكبرى: ٤٨٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٦.

الثاني: ((التقص أو الزيادة في الحروف أو في الحركات، مع حفظ القرآن وعدم ضياعه، وإن لم يكن متميزاً في الخارج عن غيره)) والتحريف بهذا المعنى واقع في القرآن قطعاً.

الثالث: ((التقص أو الزيادة بكلمة أو كلمتين مع التحفظ على نفس القرآن المنزل)). والتحريف بهذا المعنى قد وقع في صدر الإسلام وفي زمان الصحابة قطعاً، ويدلنا على ذلك إجماع المسلمين على أن عثمان أحرق جملة من المصاحف وأمر ولاته. بحرق كل المصاحف غير ما جمعه وهذا يدل على أن هذه المصاحف كانت مخالفة لما جمعه وإلا لم يكن هناك سبب موجب لإحراقها. وقد ضبط جماعة من العلماء موارد الاختلاف بين المصاحف، منهم عبد الله بن أبي داود السجستاني في كتابه (كتاب المصاحف).

الرابع: ((التحريف بالزيادة والنقيصة في الآية والسورة مع التحفظ على القرآن المنزل، والتسالم على قراءة النبي ﷺ إياها)) وهناك عدة مصاحف تدل على وجود التحريف نذكر منها إن شاء الله.

نماذج من روايات التحريف عند بعض الصحابة:

لم تقتصر كتب أهل السنة على إيراد الروايات الحاكية عن مصاحف محرفة، بل ورد فيها روايات كثيرة تتحدث عن نقصان حدث من دون التعرض إلى الناقص كان في مصاحف مكتوبة ولم تسلم الكتب الشيعية من تلك الروايات. فقد نقلت نظائرها في جملة من كتبهم الحديثة.

نذكر البعض من تلك الروايات:

١ - نقصان آية الرجم:

نقلت عدة روايات في كتب أهل السنة إصرار عمر على أن القرآن قد نقص منه آية قرآنية هي: ((الشيخ والشيخة {إذا زنيا} فأرجموهما البتة)).

فقد نقل ابن أشته في المصاحف كما في أفتان السيوطي:

أن عمر أتى بهذه الآية في زمن أبي بكر وعرضها زيد بن ثابت ليكتبها في القرآن، فرفض زيد كتابتها، لأن عمر كان وحده، بينما التزم زيد أن لا يكتب آية (إلا بشاهدي عدل)^(١) ولم يكتب عمر بهذا الحد - على ما نقل - بل أصر في أواخر حياته على نقصان آية الرجم من القرآن الكريم، فقد أخرج البخاري وغيره بالإسناد عن ابن عباس قال: ((خطب عمر بن الخطاب خطبته بعد مرجعه من آخر حجة حجها، قال فيها: أن الله بعث محمداً ﷺ بلحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها، فلذا رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى أن طال بالناس الزمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية

(١) الأفتان - السيوطي: ٦٠ / ١.

الرجم في كتاب الله حق على من زنا إذا أحسن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحبل، أو الاعتراف))^(١) وفي نص آخر لم يستبعد البعض تواتره، يقول عمر: ((لولا أن يقول الناس أن عمر زاد في كتاب الله، لكتبت له آية الرجم بيدي)) وفي نقل آخر ((لولا أن يقول قائلون زاد عمر في كتاب الله جزاً ما ليس منه لكتبت في ناحية من المصحف))^(٢).

٢ - آية الجهاد:

ثقل السيوطي عن المسور بن مخرمة، قل: قل عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم نجد فيما أنزل علينا: ((أنجاهدوا كما جاهدتم أول مرة)) فإننا لا نجدها قل: أسقطت فيما أسقط من القرآن)).

٣ - آية الشهادة:

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري أنه قل: ((وكننا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فنسيتهما غير أنني حفظت منها (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة))^(٣).

(١) صحيح البخاري: ٣٣/٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٣٣/١.

(٣) صحيح مسلم: ٣٦٦/٢.

٤ - آية ولاية علي عليه السلام؛

قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج بن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك أن علياً مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس))^(١).

أقوال علماء الشيعة في سلامة القرآن:

١- قال الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق في رسالته التي وضعها لبيان معتقدات الشيعة الإمامية حسب تحقيقه: ((أعتقدنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك... (إلى أن قال) ومن نسب إلينا أننا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب))^(٢).

٢- قال الشيخ محمد بن محمد النعمان الملقب (بالمفيد) ((وقد قال جماعة من أهل الإمامية إنه لم ينقص منه كلمة، ولا من آية، ولا من سورة، ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله، وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً منزلاً وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن

(١) الدر المنثور: ٢٩٨/٢.

(٢) الاعتقادات: ص ٨٤.

المعجز، وعندني أن هذا القول أشبه [أي أقرب] من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل وإليه أميل^(١).

٣- قال الشريف المرتضى علي بن الحسين الملقب بـ (علم الهدى).

((أن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث والأخبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية أشدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه، لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية التي عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيراً ومنقوصاً، مع العناية الصادقة، والضبط الشديد، وقل: ((أن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ ومجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن))^(٢).

٤- قال شيخ الطائفة محمد بن الحسن أبو جعفر الطوسي في مقدمة تفسيره: ((والمقصود من هذا الكتاب علم معانيه وفنون أعراضه، وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضاً، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليف بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى ﷺ تعالى وهو الظاهر من الروايات))^(٣).

(١) أوائل المقالات - تحقيق الأنصاري: ص ٨١

(٢) مجمع البيان - الطبرسي: ١٥/٨.

(٣) التبيان - الطبرسي: ٣/٨.

٥- قال الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي الملقب بـ (أمين الإسلام) ((ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فإنه لا يليق بالتفسير فأما الزيادة فمجمع على بطلانها. وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة، إن في القرآن تغييراً ونقصاناً والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى - قدس الله روحه واستوفى الكلام فيه ...))^(١).

٦- قال العلامة جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي. في جواب من مسألة عن اعتقاد الشيعة بالقرآن: ((الحق أنه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم فيه، وأنه لم يزد ولم ينقص، ونعوذ بالله تعالى من أن يعتقد مثل ذلك وأمثلة ذلك، فإنه يوجب التطرق إلى معجزة الرسول ﷺ المنقولة بالتواتر))^(٢).

٧- قال الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء: ((لا زيادة فيه من سورة ولا آية من بسملة وغيرها ولا كلمة ولا حرف. وجميع ما بين الدفتين مما يتلى كلام الله تعالى -بالضرورة من المذهب بل الدين وإجماع المسلمين وإخبار النبي ﷺ والأئمة الطاهرين ﷺ ...)).

وكذا لا ريب في أنه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان كما دل على صريح القرآن وإجماع العلماء في جميع الأزمان ...))^(٣).

(١) مجمع البيان: ١٥/١.

(٢) أجوبة المسائل، الطبرسي، المسائل المنتخبة، المسألة ١٣، ص ١٢١.

(٣) كشف الغطاء: ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

لقد كانت الزهراء ربيبة العلم والتقى وكان حفظها منهمماً وفيراً، ويدلنا على شيء من ذلك بعض ما أثر عنها من الأحاديث التي روتها عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالمباشرة، في الأحكام والأدب والأخلاق وفضائل أهل البيت عليهم السلام وقد جمع في ما سمي بـ ((مسند فاطمة الزهراء)) لعدة مؤلفين.

أولهم جلال الدين السيوطي المتوفى في عام (٩١١ هـ)، والثاني للسيد حسين شيخ الإسلام التويسركاني وقد جمع فيه (٢٦٠) حديثاً مما نقل عن الزهراء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أو مما يرتبط بها صلوات الله عليها مع رسول الله صلى الله عليه وآله. والثالث للشيخ عزيز الله العطاردي، والرابع للشيخ أحمد الرحماني الهمداني حيث جمع في كتابه ((فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى)) حوالي (٨٤) حديثاً مما نقل عنها في الكتب الخاصة والعامّة.

فليس غريباً على الزهراء أن تجمع قسماً مما سمعته من أبيها محمد صلى الله عليه وآله ومن بعلمها علي بن أبي طالب عليه السلام في الأحكام الشرعية والأخلاق والآداب لكونها رائدة نساء المسلمين. والمدرسة المتكاملة لهنّ حيث يأخذن منها كل ما يتعلق بأمر النساء من أعمالهن العبادية والأمور الخاصة.

((لأنها لم تكن يوماً بمعزل عن أمة أبيها، سيما وهي التي نشأت وترعرعت في بيت الرسالة المحمدية السمحاء التي جاءت لإنقاذ مجتمع خيم عليه الظلام والجهل واستحوذت عليه العصبية القبلية، وليس أدل على ذلك من وقوفها سلام الله عليها إلى جنب الرسالة وحضورها في الساحة أبان البعثة وفيما بعدها في كل قضية وكل موقع وموقف، فقد كانت ومنذ صغرها خير مواسي لأبيها وهو

يتعرض لأنفى الحاقدين على الرسالة، فتراها تمسح جبينه الشريف بيديها الشريفتين الصغيرتين، وبعد رحيله ﷺ، ما فتأت تدافع عن الدين وقيمه ومبادئه السامية، وكان وقوفها إلى جنب إمامها وقسيمها في النور الإلهي حيث أنكر عليه وعليها المنكرون، وجحدها الجاحدون، راحت تتصلى لشؤون أمة أبيها، ولعل آخر موقف بينها وبين أمير المؤمنين ﷺ بكاؤها، حين يقول لها الإمام ﷺ: يا بنت رسول الله لم بكاؤك؟

فتقول ﷺ: أبكي لما تلقى أنت يا علي من بعلي. وهذا يعني فيما يعنيه تصديها لشؤون الأمة وأهتمامها بمستقبل الإسلام والمسلمين بعد رحيلها لما سيلقه إمامها ﷺ من المتاعب والمصاعب.

أما اهتمامها بتدوين السنة في مصحفها إليك البعض منها:

١- قال أبو محمد العسكري ﷺ: حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء ﷺ فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاحها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة ﷺ عن ذلك فتنت فأجابت، ثم ثلث إلى أن عشت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة فقالت لا أسف عليك يا ابنة رسول الله قالت فاطمة: هاتي وسلمي عما بدا لك، أرايت من أكثرني يوماً يصعد إلى سطح يحمل ثقل وكراه مائة ألف دينار، يتقل عليه؟ فقالت: لا فقالت: أكثرت أنا لكل مسألة بأكثر من ملأ ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى أن لا يتقل عليّ سمعت أبي ﷺ يقول:

أن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجددهم في إرشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلة

من نور ثم ينادي مناخي ربنا عز: أيها الكافلون لأيتام آل محمد ﷺ الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم، فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم حتى أن فيهم - يعني من الأيتام- من يخلع عليه مائة ألف خلعة، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم أن الله تعالى يقول: أعيديوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم وتضعفوها لهم فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، ويضاعف لهم، وكذلك من يليهم ممن خلع على من يليهم.

وقالت فاطمة عليها السلام: يا أمة الله إن سلكة من تلك الخلع لأفضل مما أطعت عليه الشمس ألف مرة وما فضل فإنه مشوب بالتنغيص والكدر ^(١).

٢- عن ابن مسعود قال: جاء رجل إلى فاطمة عليها السلام فقال: يا ابنة رسول الله هل ترك رسول الله عندك شيئاً تطرفينيه؟ فقالت: ((يا جارية هات تلك الحريرة)) فطلبتها فلم تجدها، فقالت: ((ويحك أطلبها فإنها تعدل عندي حسناً وحسيناً)) فطلبتها فإذا هي قد جمعتها في قماتها ^(٢)، فإذا فيها: قال محمد النبي: ((ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت، أن الله يحب الخير الحليم

(١) بحار الأنوار: ٣/٢.

(٢) القملة - بالضم - الكناسة.

المتعفف، ويبغض الفاحش الضنين السئال الملحف، أن الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، وإنَّ الفحش من البذاء، والبذاء في النار))^(١).

الأحاديث الواردة في محتوى مصحف فاطمة:

الأول:

عن الكافي بسند صحيح عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن ابن رثاب، عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((... ويخبرها - أي جبرائيل - عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها))^(٢) رواه الصفار بسند مشابه صحيح^(٣).

الثاني:

في علل الشرائع عن محمد بن الحسن، قال: حدثنا الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن عبد الصمد بن بشير، عن فضيل بن سكرة قال: عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: ((... كنت أنظر في كتاب فاطمة عليها السلام فليس ملك يملك إلا وهو مكتوب بأسمه واسم أبيه، فما وجدت لولد الحسن فيه شيئاً^(٤).

(١) دلائل الإمامة: ١.

(٢) الكافي: ١ - ٢٤١.

(٣) بصائر الدرجات: ١٧٣.

(٤) علل الشرائع: ١ - ٢٠٧.

تحقيق الحديث: في السند ضعف من علة وجوه، ففيه الحسين بن الحسن بن أبان والقاسم بن محمد الجوهري ولا توثيق لهما على رأي السيد الخوئي بعد رجوعه عن مبناه بقبول أسانيد ((كامل الزيارات)). أما العلامة المامقاني فقد أستظهر وثاقة الحسين بن الحسن، وفضيل بن سكرة مهمل على رأي السيد الخوئي بينما عده المامقاني من أجل الحسان.

الثالث:

في الإرشاد للشيخ المفيد روى مرسلًا عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((.... وأما مصحف فاطمة عليها السلام ففيه ما يكون من حادث وأسماء كل من يملك إلى أن تقوم الساعة^(١)).

تحقيق الحديث: الرواية ضعيفة بالإرسال.

الرابع:

في بصائر الدرجات عن إبراهيم بن هاشم، عن يحيى بن أبي عمران، عن يونس، عن رجل، عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: ((أن في الجفر الذي يذكرونه لما يسوؤهم لأنهم لا يقولون الحق والحق فيه، فليخرجوا قضايا علي وفرايضه أن كانوا صادقين، وسلوهم عن الخالات والعمات، وليخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصية فاطمة ومعه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله)).^(٢)

(١) الإرشاد: ٣٧٤.

(٢) بصائر الدرجات: ١٧٧.

تحقيق الحديث: رواة الحديث كلهم ثقة إلا أن في الخبر إرسالاً من جهة روى عنه يونس بن عبد الرحمن، وقد اختلف علماؤنا في أن إرسال يونس بن عبد الرحمن وأمثاله ممن أجمعت الجماعة على أنهم لا يروون إلا عن ثقة هل يصحح سند الرواية أم لا، وفيه خلاف عندهم، والسيد الخوئي يرفض ذلك.

وكذلك روى الكليني هذا الحديث في الكافي بنفس المتن بسنده عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن ذكره، عن سليمان بن خالد^(١) وفيه نفس الإشكال الوارد على سند صاحب بصائر الدرجات.

الخامس:

روى الصفار عن أحمد بن محمد، عن النضر بن سويد، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد قال: سمعته عليه السلام يقول: ((أن في الجفر الذي يذكرونه لما يسوؤهم، إنهم لا يقولون الحق، وأن الحق لفيه، فليخرجوا قضايا علي وفرايضه إن كانوا صادقين، وسلوهم عن الخالات والعمات، وليخرجوا مصحفاً فيه وصية فاطمة وسلاح رسول الله. (الحديث صحيح الإسناد)

السادس:

روى الصفار أيضاً عن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد العزيز، عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (تظهر الزنادقة في سنة ثمانية وعشرين ومائة وذلك لأنني نظرت في مصحف فاطمة، قل: فقلت: ما مصحف فاطمة عليها السلام؟

(١) الكافي: ٢٤١/٨.

فقال: إن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه ﷺ دخل على فاطمة ؓ من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ، فأرسل إليها ملكاً يسلي عنها غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين ؑ فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت فقول لي، فأعلمته فجعل يكتب كل ما سمع، حتى أثبت من ذلك مصحفاً. قل: ثم قال: أما أنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون^(١). ورواه الكليني في الكافي عن عدة من أصحابنا ثم باقي السند والرواية^(٢).

التحقيق: ((جميع الرواة من الثقة، أما عمر بن عبد العزيز فهو ثقة على رأي السيد الخوئي لوروده في أسانيد تفسير القمي، أما العلامة المامقاني والعلامة المجلسي فقد ذهبا إلى تضعيفه)).

السابع:

روى الكليني عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاء، قل: سمعت أبا عبد الله ؑ يقول: ((أن عندي الجفر الأبيض، قل: قلت فأي شيء فيه؟

قل ﷺ: زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم والحلال والحرام ومصحف فاطمة، ما أزعم أن فيه قرآنا، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجللة ونصف الجللة وربع الجللة وأرض الخدش))^(٣).

(١) بصائر الدرجات: ١٧٧.

(٢) الكافي: ٨ / ٢٤٠.

(٣) الكافي: ٨ / ٢٤٠.

التحقيق: (رجال السند ثقة كلهم، ورواه الصفار بنفس السند الصحيح)^(١).

الثامن:

روى الصفار، عن محمد بن إسماعيل، عن أبي نجران، عن محمد بن سنان عن داود بن سرحان وليحيى بن معمر وعلي بن أبي حمزة، عن الوليد بن صبيح قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام ((يا وليد أني نظرت في مصحف فاطمة قبيل فلم أجد لبني فلان إلا كغبار النعل))^(٢).

التحقيق: (في السند ضعف بمحمد بن سنان على رأي السيد الخوئي، أما الإمام الخميني والمامقاني وآخرون فقد عملوا بخبره، ويحيى بن معمر مهمل فلا توثيق له إلا من جهة ذكره في إسناد كامل الزيارات، وكذا فيه ضعف بعلي بن أبي حمزة البطائني على رأي السيد الخوئي أما الإمام الخميني والمامقاني فيذهبان إلى الأخذ بخبره، ولكن على فرض تضعيفهما فإن ذلك لا يضر فيه صحة اتصال السند لأن محمد بن سنان يروي الحديث عن ثلاثة، منهم داود بن سرحان الثقة والخلاصة أن محط الخلاف في صحة هذا السند يعود إلى توثيق أو تضعيف محمد بن سنان.

التاسع:

روى الطبري في دلائل الإمامة^(٣)، عن محمد بن هارون بن موسى التلعكبري قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن حمدان قال: حدثني علي بن سليمان وجعفر بن محمد عن علي بن أسباط، عن الحسين بن

(١) بصائر الدرجات: ١٧٠.

(٢) بصائر الدرجات: ١٨١.

(٣) دلائل الإمامة: ٣٤/١٠٤.

أبي العلاء وعلي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: ((سألت أبا جعفر محمد بن علي عن مصحف فاطمة، فقال: أنزل عليها بعد موت أبيها، قلت ففيه شيء من القرآن؟

قلت: فصفه لي، قال ﷺ: له دفتان من زبرجدتين على طول الورق وعرضه حراوين، قلت: جعلت فداك: فصف لي ورقة، قال ﷺ: فيه خبر ما كان وخبر ما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماء وسماء، وعدد ما في السماوات من الملائكة وغير ذلك، وعدد كل من خلق الله مرسلًا وغير مرسل أسماءهم وأسماء من أرسل إليهم وأسماء من كذب ومن أجاب، وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين من الأولين والآخرين، وأسماء البلدان، وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين وعدد ما فيها من الكافرين، وصفة كل من كذب، وصفة القرون الأولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت ومدة ملكهم وعدددهم، وأسماء الأئمة وصفتهم وما يملك كل واحد وصفة كبرائهم وجميع من تردد في الأدوار.

قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟

قال: خمسون ألف عام، وهي سبعة أدوار فيها أسماء جميع ما خلق الله وآجالهم وصفة أهل الجنة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار وأسماء هؤلاء وهؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما أنزلت، وعلم الإنجيل كما أنزل وعلم الزبور، وعدد كل شجرة ومدرة في جميع البلاد ... فقلت: أن هذا لعلماً كثيراً،

فقال: يا أبا محمد: إن هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أوله، وما وصفت لك بعد ما في الورقة الثالثة، ولا تكلمت بحرف منه ((^١)).

التحقيق: (في سند محمد بن هارون بن موسى وقد اعتبره المامقاني حسناً لترحم النجاشي عليه في ترجمة أحمد بن محمد الربيع بينما اعتبره السيد الخوئي مهملًا، لأنه لا يعتبر ترحم النجاشي فيه رضاً بالحال وتوثيق لصاحبه، والمسألة بنائية وفيه أيضاً جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، وقد اختلف في أمره، فللامقاني وثقه في (تنقيح المقال) بينما لم يوثقه السيد الخوئي في معجمه لتعارض التوثيق مع التضعيف الوارد في حقه، وكذلك اختلف الإمام الخميني والشيخ المامقاني من جهة والسيد الخوئي من جهة أخرى في علي بن أبي حمزة فقد ضعفه السيد الخوئي وذهب الإمام الخميني والمامقاني إلى الأخذ بما رواه، وقد مر آنفاً، والعملة في تضعيف السند هو في محمد بن أحمد بن حمدان وعلي بن سليمان وجعفر بن محمد.

العاشر:

روى شاذان بن جبرائيل بن إسماعيل بن أبي طالب القمي في الفضائل فيما رخصه بالإسناد إلى سليم بن قيس أنه قال: ((لما قتل الحسين بن علي عليه السلام بكى ابن عباس بكاءً شديداً، ثم قال: ما لقيت هذه الأمة بعد نبيها!

اللهم إني اشهدك إني لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولولده ولي، ومن عدوه وولده برئ، فأني مسلم لأمرهم، ولقد دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عم

(١) دلائل الإمامة: ١٠٤.

رسول الله ﷺ بندي قار فأخرج لي صحيفة وقال: يا بن عباس هذه الصحيفة إملأ رسول الله وخطي بيدي، قال: قلت: يا أمير المؤمنين أقرأها علي، فقرأها وإذا فيها كل شيء منذ قبض رسول الله ﷺ إلى يوم قتل الحسين عليه السلام وكيف يقتل ومن يقتله ومن ينصره ومن يستشهد معه فيها، ثم بكى بكاءً شديداً وأبكاني، وكان فيما قرأه كيف يصنع به وكيف تستشهد فاطمة وكيف يستشهد الحسين عليه السلام وكيف تغدر به الأمة، فلما قرأ مقتل الحسين ومن يقتله فأكثر من البكاء، ثم أدرج الصحيفة وقد بقى ما يكون إلى يوم القيامة، وكان فيها لما قرأها أمرُ (أبي بكر، وعمر، وعثمان) وكم يملك كل إنسان منهم، وكيف بويح علي بن أبي طالب ووقعة الجمل ومسير عائشة وطلحة والزبير ووقعة صفين ومن يقتل فيها ووقعة النهروان وأمر الحكمين، وملك معاوية ومن يقتل من الشيعة وما يصنع الناس بالحسن، وأمر يزيد بن معاوية حتى انتهى إلى قتل الحسين عليه السلام فسمعت ذلك ثم كان كلما قرأ لم يزد ولم ينقص ورأيت خطه أعرفه في الصحيفة لم يتغير ولم يظفر، فلما أدرج الصحيفة قلت: يا أمير المؤمنين لو كنت قرأت علي بقية الصحيفة، قال: لا يعني فيها ما ألقى من أهل بيتك ولذلك أمراً فظيماً من قتلهم لنا وعداوتهم لنا وسوء ملكهم ويوم قدرتهم فأكره أن تسمعه فتغتم ويحزنك ولكني أحدثك بأن رسول الله ﷺ أخذ عند موته بيدي ففتح لي ألف باب من العلم تفتح من كل باب ألف باب، وأبو بكر وعمر ينظرون إلي وهو يشير لي بذلك، فلما خرجت قالاً: ما قال لك؟

قال: فحدثتهم بما قال، فحركا أيديهما ثم حكيا قولي ثم وليا يرددان قولي ويخطران بأيديهما، ثم قال: يا بن عباس أن ملك بني أمية إذا زال فأول ما يملك

من بني هاشم ولدك فيفعلون الأفاعيل، فقال ابن عباس: لأن يكون نسختي ذلك الكتاب أحب إلي مما طلعت عليه الشمس))^(١).

التحقيق: (الحديث ضعيف بأسراره، وهو وأن لم يصرح به بذكر مصحف فاطمة ولكن بأعتبار تطابق مضمون الحديث مع بعض ما جاء في صحيحة أبي عبيدة في الكافي ورواية دلائل الإمامة ثم إدراجه ضمن أحاديث محتوى مصحف فاطمة.

الروايات النافية لوجود شيء من القرآن في مصحفها:

١- زوى الكليني في الكافي عن علة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عبد الله بن الجمال، عن أحمد بن عمر الحلبي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((... وأن عندنا لمصحف فاطمة، وما يدرهم ما مصحف فاطمة، قلت: وما مصحف فاطمة؟

قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد))^(٢).

(١) الفضائل: ١٤١.

(٢) الكافي: ١/٣٣٨.

التحقيق: ((الرواية كما مرت الإشارة إليه صحيحة على رأي العلامة المجلسي وضعيفة على رأي السيد الخوئي بعبد الله بن الجمال فهو مجهول))^(١).

وكذلك روى الصفار في بصائر الدرجات، عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد الجمال، عن أحمد بن عمر، عن أبي بصير نفس مضمون هذه الرواية^(٢).

((أسناد الصفار ضعيف بالحسين بن سعيد الجمال فهو مجهول إلا أن يكون المراد به الحسين بن سعيد بن حماد الأهوازي ولكن لم يعهد أن لقب بالجمال، ومن المحتمل أن لكلمة الجمال تصحيف لكلمة حماد)).

٢- روى الكليني في الكافي عن علة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاء، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ((...ومصحف فاطمة ما أزعم أن فيه قرآناً))^(٣).

((الحديث تام أسناداً))

٣- روى الصفار في بصائر الدرجات عن أحمد بن الحسن بن علي بن فضل، عن أبيه الحسن بن علي بن فضل، عن أبي بكر وأحمد بن محمد عن محمد بن عبد

(١) والعجب أن مؤلف كتاب الدفاع عن الكافي قد أوعز ضعف السند إلى أحمد بن عمر الحلبي ((الذي لا عين له ولا أثر في كتب الرجال)) (دفاع عن الكافي: ح ٢: ٣٥٢) لا إلى عبد الله بن الجمال، فإن من الممكن حمل أحمد بن عمر الحلبي على أحمد بن عمر بن أبي شعبة الحلبي الثقة، فإن أحمد بن عمر في هذا الحديث قد روى عن أبي بصير والمقصود منه هو يحيى بن القاسم متى ما أطلق من غير قرينة على إرادة غيره. (راجع معجم رجال الحديث: ح ٢٠ ص ٧٥).

(٢) بصائر الدرجات: ١٧٦.

(٣) الكافي: ١ / ٢٤٠.

الملك، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ((... وعندنا مصحف أما والله ما هو بالقرآن))^(١).

((في السند ضعف بمحمد بن عبد الملك فهو مشترك بين جماعة، وهم جميعاً بين ضعيف وهمل)).

٤- روى الصفار عن عباد بن سليمان، عن سعد بن سعد عن علي بن أبي حمزة عن العبد الصالح عليه السلام قال: ((عنني مصحف فاطمة ليس فيه شيء من القرآن))^(٢).

((في السند ضعف بعباد بن سليمان، فهو مهمل عند السيد الخوئي إذ لم يرد في حقه توثيق من أنه ذكر في اسناد كامل الزيارات، أما العلامة المامقاني فقد ذهب إلى حسنه، وكذلك اختلفا في علي بن أبي حمزة البطائني، وقد مرت الإشارة إليه)).

٥- روى الصفار عن محمد بن الحسين، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن حماد بن عثمان، عن علي بن سعيد، عن أبي عبد الله عليه السلام: ((... وعندنا والله مصحف فاطمة ما فيه آية من كتاب الله))^(٣). ((في السند ضعف بعلي بن سعيد))

٦- روى الصفار عن أحمد بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه الحسن، عن أبي المغراق عن عنبه بن مصعب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((... ومصحف

(١) بصائر الدرجات: ١٧١.

(٢) بصائر الدرجات: ١٧٤.

(٣) نفس المصدر: ١٧٣.

فاطمة ما أزعج أنه قرآن))^(١). ((في السند ضعف بعنبة بن مصعب فلم يرد في حقه توثيق إلا ذكره في أسناد كامل الزيارات لأبن قولويه، وقد مر ما فيه)).

٧- روى الصفار، عن أحمد بن موسى، عن الحسين بن علي النعمان، عن أبي زكريا يحيى، عن عمرو الزيات، عن أبان وعبد الله بن بكير قال: لا أعلمه إلا ثعلبة أو علاء بن زرين، عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: ((...وخلفت فاطمة مصحفاً ما هو قرآن))^(٢). ((في السند ضعف بأبي زكريا يحيى وعمرو الزيات وقد مرت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن الروايات المتعرضة لمصدر مصحف فاطمة، وقلنا أنه من المحتمل حصول تصحيف وأن الصحيح هو: عن أبي زكريا يحيى بن عمرو الزيات)).

٨- روى الصفار عن السندي بن محمد عن أبان بن عثمان، عن علي بن الحسين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((... وعندنا مصحف فاطمة أما والله ما فيه حرف من القرآن))^(٣). ((في السند ضعف بعلي بن الحسين))

٩- روى الصفار، عن يعقوب بن يزيد ومحمد بن الحسين، عن محمد بن أبي عمير عن عمر بن أذينة، عن علي بن سعد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((.... وفيه مصحف فاطمة ما فيه آية من القرآن))^(٤). ((وفي السند ضعف بعلي بن سعد أو سعيد)).

(١) نفس المصدر: ١٧٤.

(٢) بصائر الدرجات: ١٧٥.

(٣) نفس المصدر: ١٧٧.

(٤) بصائر الدرجات: ١٧٩.

١٠- روى الصفار، عن عبد الله بن جعفر، عن موسى بن جعفر، عن الوشاء، عن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام: ((مصحف فاطمة، ما فيه شيء من كتاب الله))^(١).

((في السند ضعف بموسى بن جعفر)).

١١- روى الصفار، عن عمران بن موسى، عن محمد بن الحسين، عن عبيس بن هاشم، عن محمد بن أبي حمزة وأحمد بن عايد، عن ابن أذينة، عن علي بن سعيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((... وفيه مصحف فاطمة ما فيه آية من القرآن))^(٢).

ومحمد بن أبي حمزة مشترك بين الثيملي وهو مجهول وابن أبي حمزة الشمالي الثقة، ولكن ذلك لا يضر فيه صحة اتصال السند لأن عبيس بن هاشم يروي الحديث عن شخصين أحدهما محمد بن أبي حمزة المشترك بين الثقة والمجهول والآخر أحمد بن عائد الثقة فيكون السند متصلاً عن طريق بن عائد (السند في التضعيف هو وجود علي بن سعيد فهو مشترك بين مهملين).

١٢- روى الصفار، عن محمد بن الحسين، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: ((...وعندنا مصحف فاطمة أما والله ما فيه حرف من القرآن))^(٣).

(في السند ضعف بعلي بن أبي حمزة البطائي، وقد مر الخلاف فيه بين السيد الخوئي من جهة والإمام الخميني والشيخ المامقاني من جهة أخرى).

(١) نفس المصدر.

(٢) بصائر الدرجات ١٨٠.

(٣) نفس المصدر: ١٨١.

خلاصة القول:

وعلى هذا الأساس كان مصحف فاطمة عليها السلام. هذا المصحف الذي أثاروا عليه الأقاويل الباطلة التي ليس لها أي حقيقة وإي برهان سوى أنهم اعتبروا إطلاق هذا المصحف على أنه قرآناً غير القرآن الموجود حالياً وأنه عند الشيعة يخفونه تقية وأمثال هذه الدعاوى الباطلة والتي لا تمت إلى الدين بصلة ولا للأخلاق منهجاً، وكل دليلهم الذي أعتمدوا عليه هو أن لفظ المصحف يطلق على القرآن لذلك قالوا بأن مصحف فاطمة قرآن غير هذا القرآن الكريم المتداول، غير عابيين ولا مكترئين من أقوالهم هذه بمنزلة الزهراء عند أبيها (سلام الله عليها). وسيدة نساء العالمين، يفترون عليها الكذب وينسبون إليها كتاباً آخر غير القرآن الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه هي الطامة الكبرى التي أبتلي بها المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً)) أما القول الصحيح في هذا المقام أن فاطمة عليها السلام كانت محدثة دون أن تكون نبيه وحسب ما ورد في الاستدلال على هذه المسألة بأن حديث الملائكة لها كان يكتب من قبل الإمام علي عليه السلام أو من قبل فاطمة نفسها عليها السلام وهذا ما يظهر من الأحاديث التي تعرضنا لها سلفاً، أما مضمون هذا المصحف فقد بينه سابقاً بجملة من الأسانيد عند الفريقين. وما فيه من العلم والأحداث والأمور الغيبية.

روايات أئمة الهدى في مصحف فاطمة عليها السلام:

أن مصحف فاطمة هو مجرد كتاب كتبه الإمام علي عليه السلام ذكر فيه أخبار ما كان وما يكون التي نقلتها له فاطمة الزهراء عليها السلام وليس فيه آية من آيات القرآن الكريم كما صرحت بذلك تلك الروايات.

١- عن محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن ابن رثاب، عن أبي عبيدة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر فقال: هو جلد ثور مملوء علما قال له: الجامعة؟ قال: تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج، فيها كل ما يحتاج الناس إليه وليس من قضية إلا وهي فيها حتى ارش الخدش.

قال: فمصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: فسكت طويلاً ثم قال: أنكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون، أن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة ^(١).

٢- عن أحمد بن محمد عن عمر بن عبد العزيز، عن حماد بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة. وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام قال: قلت وما مصحف فاطمة؟ قال: أن الله تعالى

(١) الكافي: ٢٤١/٨.

لما قبض نبيه ﷺ دخل على فاطمة ؓ من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل .

فأرسل الله إليها ملكاً يسلي غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين ؓ فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين ؓ يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً قال: ثم قل: أما أنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون^(١).

٣- عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاء، قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: أن عندي الجفر الأبيض، قل: قلت: فأي شيء فيه؟ قل: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم ؑ، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة ما أزعم أن فيه قرآناً وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجللة ونصف الجللة وربع الجللة وأرش الخدش وعندي الجفر الأحمر.

قل: قلت: وأي شيء في الجفر الأحمر؟ قال: السلاح وذلك إنما يفتح للدم يفتحه صاحب السيف للقتل، فقال له عبد الله بن أبي يعفور: أصلحك الله أيعرف هذا بنو الحسن، فقال: أي والله كما يعرفون الليل أنه ليل والنهار أنه نهار، ولكنهم يحملهم الحسد وطلب الدنيا على الجحود والإنكار، ولو طلبوا الحق بلحق لكان خيراً لهم^(٢).

(١) الكافي: ٢٤٠ / ١

(٢) بصائر الدرجات: ١٥٠ - ١٥٧.

٤- عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عمن ذكره، عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ان في الجفر الذي يذكرونه لما يسوؤهم، لأنهم لا يقولون الحق والحق فيه، فليخرجوا قضايا علي وفرائضه إن كانوا صادقين، وسلوهم عن الخالات والعمات وليخرجوا مصحف فاطمة عليها السلام، فإن فيه وصية فاطمة ومعه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله،

إِنَّ اللَّهَ جَزَّ يَقُولُ: ((أَتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ))^(١).

٥- الصدوق، حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، قال: حدثنا الحسين بن إسماعيل، قال: حدثنا أبو عمر وسعيد بن محمد بن نصر القطان قال: حدثنا عبد الله بن محمد السلمي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم.

قال: حدثنا محمد بن سعيد بن محمد، قال: حدثنا العباس بن أبي عمرو، عن صدقة بن أبي موسى، عن أبي نصر، قال: لما احتضر أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عند الوفاة دعا بأبنة الصادق عليه السلام ليعهد إليه عهداً. فقال له أخوه زيد بن علي عليه السلام: لو أمثلت في تمثال الحسن والحسين عليهما السلام لرجوت أن لا يكون أتيت منكراً، فقال له: يا أبا الحسن، أن الأمانات ليست بالتمثال ولا العهود بالرسوم وإنما هي أمور سابقة، عن حجج الله جزء، ثم دعا بجابر بن عبد الله فقال له: يا جابر حدثنا بما عاينت من الصحيفة، فقال له جابر نعم يا أبا جعفر.

دخلت على مولاتي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لأنها بنتها بمولودها الحسين عليه السلام، فإذا بيديها صحيفة بيضاء درة، فقلت لها: يا سيدة النساء ما هذه الصحيفة التي

(١) الكافي: ٢٤١/٨.

أراها معك قالت: فيها أسماء الأئمة من ولدي، قلت ناوليني لأنظر فيها، قالت: يا جابر لولا النهي لكنت أفعل، لكنه قد نهى أن يمسه إلا نبي أو وصي أو أهل بيت نبي، ولكنه مأذون لك أن تنظر إلى باطنها من ظاهرها.

قال جابر: فإذا أبو القاسم محمد بن عبد الله المصطفى، أمه آمنة، أبو الحسن علي بن أبي طالب المرتضى، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الحسن بن علي البر، أبو عبد الله الحسين بن التقى أمهما فاطمة بنت محمد أبو محمد علي بن الحسين العدل، أمه شهربانو بنت يزيدجر أبو جعفر محمد بن علي الباقر، أمه أم عبد الله بنت الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.

أبو إبراهيم موسى بن جعفر أمه جارية أسمها حميدة المصفاة، أبو الحسن علي بن موسى الرضا، أمه جارية أسمها نجمة، أبو جعفر محمد بن علي الزكي، أمه جارية أسمها خيزران، أبو الحسن علي بن محمد بن الأمين، أمه جارية أسمها سوسن، أبو محمد الحسن بن علي الرفيق، أمه جارية أسمها سمانة وتكنى أم الحسن، وأبو القاسم محمد بن الحسن هو حجة الله القائم، أمه جارية أسمها نرجس صلوات الله عليهم أجمعين^(١).

٦- عنه، حدثنا أبي محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قال: حدثنا سعد بن عبد الله بن جعفر الحميري جميعاً، عن أبي الخير صالح بن أبي حماد والحسن بن ظريف جميعاً، عن بكر بن صالح، وحدثنا أبي ومحمد بن موسى بن المتوكل ومحمد بن

(١) عيون الأخبار: ٤٠٨ - ٤١.

علي ماجيلويه، وأحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم، والحسين بن إبراهيم بن
ناتانة وأحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنهم.

قالوا حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن عبد
الرحمن بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام.

قال: قل: أبي عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري إن لي إليك حاجة فمتى يخف
عليك أن أخلو بك فأسألك عنها، قال له جابر: في أي الأوقات شئت، فخلا به
أبي، فقال له يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وآله وما أخبرتك به أمي أن ذلك اللوح مكتوباً.

قال جابر: أشهد بالله أنني دخلت على أمك فاطمة في حية رسول الله صلى الله عليه وآله لأهنتها
بولاية الحسين عليه السلام، فرأيت في يدها لوحاً أخضر، ظننت أنه زمرد، ورأيت فيه
كتاباً أبيض شبه نور الشمس، فقلت لها: بأبي أنت وأمي يا بنت رسول الله ما
هذا اللوح فقالت: هذا اللوح أهداه الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيه اسم أبي
واسم لعلي واسم النبي وأسماء الأوصياء من ولدي فأعطانيه أبي ليسرني بذلك.

قال جابر فأعطانيه أمك فاطمة فقرأته وأستنسخته، فقال: أبي عليه السلام فهل لك يا
جابر أن تعرضه عليّ، قال نعم، فمشى معه أبي عليه السلام حتى انتهى إلى منزل جابر،
فأخرج أبي صحيفة من رق، قال جابر: فأشهد بالله أنني هكذا رأيته في اللوح
مكتوباً:

بسم الله الرحمن الرحيم: ((هذا كتاب من الله العزيز الحكيم محمد نوره وسفيره
وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين عظم يا محمد أسمائي
وأشكر نعمائي ولا تجحد آلائي أنني أنا الله لا إله إلا أنا، قاصم الجبارين ومذل

الظالمين وديان الدين أنا الله لا إله إلا أنا. فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عذابي، عذبه عذاباً لا أعذب أحداً من العالمين، فيليي فأعبد وعلي توكل، أني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وأنقضت مدته إلا جعلت له وصياً وأنني فضلتك على الأنبياء وفضلت وصيك على الأوصياء وأكرمتك بشبليك بعده وسبطيك الحسن والحسين. فجعلت حسناً معدن علي بعد أنقضاء مدة أبيه، وجعلت حسيناً خازن وحيي وأكرمته بالشهادة وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من أستشهد وأرفع الشهداء درجة عندي، وجعلت كلمتي التامة معه والحجة البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب.

أولهم علي سيد العابدين وزين أوليائي الماضين وأبنة شبيه جده المحمود محمد الباقر لعلمي والمعدن لحكمي، يهلك المرتابون في جعفر الراد عليه كالراد عليّ حق القول مني، لأكرمن مثوى جعفر ولأسرنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه، أنتجبت بعده موسى وأنتجبت بعده فتنة عمياء حندس.

لأن خيط فرضي لا ينقطع، وحجتي لا تخفى، وأن أوليائي لا يشقون إلا ومن جحد واحداً منهم، فقد جحد نعمتي، من غير آية من كتابي فقد أفتى عليّ، وويل للمفترين الجاحدين عند أنقضاء مدة عبدي موسى، وحبيبي وخيرتي، أن المكذب بالثامن مكذب بكل أوليائي وعلي وليي وناصري ومن أضع عليه أعباء النبوة وأمنحه بالأضطلاع يقتله عفريت مستكبر، يدفن بالمدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شر خلقي حق القول مني لأقرن عينيه بمحمد أبنة وخليفته من بعده فهو وارث علي ومعدن حكمي وموضع سري وحجتي على خلقي، جعلت الجنة مثواه وشفعته في سبعين من أهل بيته كلهم قد أستوجبوا النار.

أختم بالسعادة لأبنة علي وليي وناصرِي، والشاهد في خلقي وأمييني على وحيي
أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن، ثم أكمل ذلك بأبنة رحمة
للعالمين عليه كمال موسى وبهاء عيسى، وصبر أيوب، سينك في زمانه أوليائي
وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم. فيقتلون ويحرقون ويكونون
خائفين مرعوبين وجلين تصبغ الأرض بدمائهم ويفشوا الويل والرنين في
نساتهم، أولئك أوليائي حقاً بهم أرفع كل فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف
الزلال وأرفع الأصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك
هم المهتدون^(١).

٧- عنه حدثنا علي بن الحسين بن شاذويه المؤدب رحمته وأحمد بن هارون العاصي،
قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن جعفر بن محمد بن
مالك الفزاري الكوفي، عن مالك بن السلولي، عن درست عن عبد الحميد، عبد
الله بن القاسم، عن عبد الله بن جبلة، عن أبي الفاتح عن جابر الجعفي، عن أبي
جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

قال: دخلت على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قدامها لوح، يكاد ضوءه يغشى
الأبصار وفيه اثنا عشر اسماً ثلاثة في ظاهره وثلاثة في باطنه وثلاثة أسماء في آخره،
وثلاثة أسماء في طرفه، فعددتها فإذا هي اثنا عشر، قلت: أسماء من هؤلاء؟

قالت: هذه أسماء الأوصياء أولهم ابن عمي واحد عشر من ولدي آخرهم القائم،
قال جابر فرأيت محمداً، محمداً، محمداً في ثلاثة مواضع وعلياً، علياً، علياً، علياً في
أربع مواضع.

(١) عيون الأخبار: ٤١-٤٤، والأختصاص: ٢١٠، وأمالِي الطوسي: ٢٩٧/١.

٨- عن ابي جعفر الطبري الامامي، حدثني أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن حمدان، قال: حدثني علي بن سليمان وجعفر بن محمد عن علي بن أسباط، عن الحسن بن أبي العلاء، وعلي بن أبي حمزة، عن أبي بصير.

قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن مصحف فاطمة.

فقال: أنزل عليها بعد موت أبيها، فقلت: ففيه شيء من القرآن؟ فقال: ما فيه شيء من القرآن فقلت: فصفه لي، قال: له دفتان من زبرجدتين على طول الورق وعرضه حراوين، فقلت: جعلت فداك فصف لي ورقة، قال: ورقة من در أبيض قيل له: كن فكان، قلت: جعلت فداك فما فيه.

قال: فيه خبر ما كان وخبر ما يكون الى يوم القيامة. فيه خبر سماء سماء وعدد ما في السماوات من الملائكة وغير ذلك وعدد كل من خلق الله مرسلًا وغير مرسل، وأسمائهم وأسماء من أرسل إليهم وأسماء من كذب وأجاب وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين من الأولين والآخرين وأسماء البلدان، وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين وعدد ما فيها من الكافرين، وصفة كل من كذب وصفة القرون الأولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت وملة ملكهم وعددهم، وأسماء الأئمة وصفتهم، وما يملك كل واحد واحد، وصفة كبرائهم وجميع من تردد في الأدوار، قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟

قال: خمسون ألف عام وهي سبعة أدوار فيه أسماء جميع ما خلق الله وآجالهم وصفة أهل الجنة وعدد من يدخلها وعدد من يدخل النار وأسماء هؤلاء وهؤلاء فيه علم القرآن، كما أنزل وعلم التوراة كما أنزلت. وعلم الإنجيل كما أنزل وعلم الزبور

وعدد كل شجرة ومدحة في جميع البلاد.

٩- قال أبو جعفر عليه السلام: ولما أراد الله تعالى أن ينزل عليها جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوه فينزل به عليها وذلك في ليلة الجمعة من الثالث الثاني من الليل، فهبطوا به وهي قائمة تصلي، فما زالوا قياماً حتى قعدت ولما فرغت من صلاتها فسلموا عليها وقالوا السلام يقرئك السلام ووضعوا المصحف في حجرها. فقالت لله السلام ومنه السلام وإليه السلام وعليكم يا رسل الله السلام، ثم عرجوا إلى السماء فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه حتى أتت على آخره ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والأنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة.

قلت: جعلت فداك فلمن صار ذلك المصحف بعد مضيها قال: دفعته إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلما مضى صار إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم عند أهله حتى يدفعه إلى صاحب هذا الأمر، فقلت أن هذا العلم كثير قال: يا أبا محمد أن هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أوله وما وصفت لك بعد ما في الورقة الثانية ولا تكلمت بحرف بعينة ^(١).

١٠- عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن ابن رثاب عن أبي عبيدة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر فقال: هو جلد ثور مملوء علماً، قال له: فالجامعة؟ قال: تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج فيها كل ما يحتاج الناس إليه وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش، قال مصحف فاطمة؟

(١) دلائل الإمامة: ٢٧.

قال فسكت طويلاً ثم قال: أنكم تبحثون عما تريدون وعما لا تريدون أن فاطمة مكثت بعد رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبريل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان عليٌّ عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة عليها السلام.

خلاصة القول:

أن مصحف فاطمة هو كتاب كبقية الكتب عند العامة والخاصة يحتوي على جملة من الأمور:

١- يضم أدعيتها المباركة.

٢- تفسيرها للقرآن الكريم.

٣- ما أملاه رسول الله ﷺ من الأحاديث الشريفة في حقها وحق أولادها عليها السلام دونته وجمعته، وتقرأه بين الفينة والآخرى.

٤- الأحكام الشرعية التي كان يدلي بها رسول الله ﷺ جمعتها ودونها (أي) مسائل الحلال والحرام وبعض الإرشادات ليعمل بها المسلمون.

٥- ما أملته على وصي رسول الله ﷺ أو على أحد من أولادها أو ما أملاه وصي رسول الله ﷺ عليها من التعاليم الإسلامية والأخلاق الحميدة وغيرها، وكذلك المسائل الشرعية التي تخص النساء من الطهارة والحجاب والتي تخص المرأة المسلمة.

٦- ما فسره رسول الحق والعدل ﷺ من السور القرآنية جمعه بذلك المصحف.

٧- ما أملاه جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء نزوله.

٨- بعد أنتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حضرة القدس أشد ألمها ووجلها عليه السلام على فقدانها لسيد الرسل والأنبياء صلى الله عليه وسلم أملى عليها جبرائيل مجموعة من التعاليم والإرشادات الإسلامية الحميلة دونتها، ولربما كان سبب إدعاء البعض من أصحاب الشبهات بهذا الامر أن لسيدة النساء فاطمة مصحفاً خاص بها ^(١).

حقيقة تعريف القرآن بين مصحف فاطمة عليها السلام ومصاحف الصحابة:

يتشابه مصحف فاطمة من ناحية التسمية مع مصاحف نسبتها كتب أهل السنن إلى أشخاص محددين كمصحف عائشة ومصحف حفصة ومصحف عبد الله بن مسعود ومصحف ابي بن كعب وغيرها من المصاحف.

لكن الشبه بينها وبين مصحف فاطمة لا يتعدى الشكل وليس المضمون لأن تلك المصاحف المذكورة هي عبارة عن قرائن دون فيها زيادات على آيات القرآن، المنتشر بين المسلمين على ما روى أهل السنة في كتبهم وكما هو مبين في كتاب المصاحف للسجستاني، بينما مصحف فاطمة ليس بقرآن أصلاً، وقد ذكر أئمة أهل البيت عليهم السلام في أحاديثهم عن كتاب أمهم فاطمة عليها السلام هذا ما يحتويه على نحو العموم، بل ذكروا بعض التفاصيل الواردة فيه، أما تسميته بمصحف فقد

(١) شذرات من حية السيدة فاطمة: ٢٥٩.

تقدم الكلام فيه، وأن هذا اللفظ يعني مطلق الكتاب المجلد، ولا ينحصر أستعماله بمعنى القرآن الكريم.

لقد كانت فاطمة ربيبة العلم والتقى وكان خطها مفهماً وفيراً، وبدلنا على شيء من ذلك بعض ما أثر عنها من الأحاديث التي روتها عن رسول الله ﷺ بالمباشرة في الاحكام والآداب والأخلاق وفضائل أهل البيت عليهم السلام وقد جمع فيما سمي به (مسند فاطمة الزهراء) لعدة مؤلفين.

أولهم جلال الدين السيوطي المتوفى في عام ٩١١ هـ والثاني للسيد حسين شيخ الإسلام وقد جمع فيه (٢٦٠) حديثاً مما نقل عن الزهراء عن رسول الله ﷺ أو مما يرتبط بها صلوات الله عليها مع رسول الله ﷺ والثالث للشيخ عزيز الله العطاردي، والرابع للشيخ أحمد الرحماني الهمداني حيث جمع في كتابه (فاطمة الزهراء مهجة قلب المصطفى) حوالي (٨٤) حديثاً مما نقل عنها في كتب الخاصة والعامه.

فليس غريباً على فاطمة أن تجمع قسماً مما سمعته من أبيها محمد ﷺ ومن بعلمها علي بن أبي طالب عليه السلام في تفسير آيات الأحكام الشرعية لكونها رائدة نساء المسلمين. والمدرسة المتكاملة لمن حيث يتلقين منهما كل ما يتعلق بأمرهن من العبادات وأمرهن الخاصة.

((لأنها لم تكن يوماً بمعزل عن أمة أبيها وهي التي نشأت وترعرعت في بيت الرسالة المحمدية السمحاء التي جاءت لإنقاذ مجتمع خيم عليه الظلام والجهل وأستحوذت عليه العصبية القبلية، وليس أدل على ذلك من وقوفها سلام الله عليها إلى جنب الرسالة وحضورها في الساحة أيام البعثة وفيما بعدها في كل

قضية وكل موقع وموقف، فقد كانت ومنذ صغرها خير موالى لأبيها وهو يتعرض لأذى قريش من الكفرة والحاقدين على الرسالة المحمدية، فراها تمسح جبينه الشريف بيديها الشريفتين العبقريتين، وبعد رحيله ﷺ ما فتأت تدافع عن الدين وقيمته السامية وكان وقوفها إلى جنب إمامها وقسيمها في النور الإلهي حيث أنكر عليه وعليها المنكرون، وجحد حقها الجاحدون، راحت تتصلى لشؤون أمة أبيها ولعل آخر موقف بينها وبين أمير المؤمنين ﷺ بكأؤها، حيث يقول لها الإمام ﷺ: يا بنت رسول الله لم بكأوك؟

فتقول ﷺ: أبكي لما تلقى أنت يا علي من بعلي. وهذا يعني فيما يعنيه تصديها لشؤون الأمة وأهتمامها بمستقبل الإسلام والمسلمين بعد رحيلها لما سيلقاه إمامها ﷺ من المتاعب والمصاعب.

أما اهتمامها بتدوين السنة في مصحفها حيث تركه الآخرون إليك البعض منها:

قال أبو محمد العسكري ﷺ: حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء ﷺ فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء وقد بعثني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة ﷺ عن ذلك فتنت فأجابت، ثم تلتفت إلى أن عثرت، فأجابت، ثم خجلت من الكثرة فقالت لا أسف عليك يا ابنة رسول الله قالت فاطمة: هاتي وسلي عما بدا لك، رأيت ويلاحظ في هذه الرواية أن إطلاق لفظ المصحف على كتب الروم وصل في زمن الأوزاعي الذي ولد سنة ٨٨ هجرية وتوفى عام ١٥٧ هجرية^(١) أي بعد وفاة الإمام جعفر الصادق ﷺ بتسع سنوات.

(١) الطبقات الكبرى: ٤٨/٧.

أدعية الرسول الأعظم ﷺ في مصحف فاطمة ؑ :

فيها سلامة للإنسان ونجاة له. وهذه الأدعية كانت ضمن مصحفها.

نذكر لك البعض منها:

((يا الله يا أعز مذكور وأقلمه قداماً في العزة والجبروت.

يا الله يا رحيم كلُّ مُتْرَحِّمٍ، ومفزع كلِّ مَلْهُوفٍ إِلَيْهِ.

يا الله يا مَنْ تخافُ الملائكةُ المتوقِّعةُ بالنورِ مِنْهُ.

أَسْأَلُكَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي يَدْعُوكَ بِهَا حَمَلَةُ عَرْشِكَ وَمَنْ حَوْلَ عَرْشِكَ، يَنْوَرُكَ يُسَبِّحُونَ بِهَا شَفَقَةً مِنْ خَوْفِ عَذَابِكَ وَبِالْأَسْمَاءِ الَّتِي يَدْعُوكَ بِهَا جِبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ إِلَّا أَجَبْتَنِي، وَكَشَفْتَ يَا إِلَهِي كُرْبَتِي، وَسَتَرْتَ دُنُوبِي.

يَا مَنْ يَأْمُرُ بِالصَّيْحَةِ فِي خَلْقِهِ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ يُحْشِرُونَ، أَسْأَلُ بِذَلِكَ الْإِسْمِ الَّذِي تُحْيِي بِهِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ أَنْ تُحْيِي قَلْبِي، وَتَشْرِحَ صَدْرِي وَتُصْلِحَ شَأْنِي.

يَا مَنْ خَصَّ نَفْسَهُ بِالْبَقَاءِ وَخَلَقَ لِهَيْبَتِهِ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ، يَا مَنْ فَعَلَهُ قَوْلٌ، وَقَوْلُهُ أَمْرٌ، وَأَمْرُهُ مَاضِي عَلَى مَا يَشَاءُ، أَسْأَلُكَ بِالْإِسْمِ الَّذِي دَعَاكَ بِهِ خَلِيلُكَ حِينَ أَلْقَى فِي النَّارِ فَاسْتَجَبْتَ لَهُ، وَقُلْتَ: ((يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ))^(١).

وَبِالْإِسْمِ الَّذِي دَعَاكَ بِهِ مُوسَى مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ فَاسْتَجَبْتَ لَهُ دَعَاةً.

(١) سورة الأنبياء الآية: ٦٩.

وبالاسم الذي كَشَفَتْ بِهِ عن أَيُوبَ الضَّرَّ، وَثَبَّتْ بِهِ على دَاوُدَ وَسَخَّرَتْ بِهِ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ وَالشَّيَاطِينَ، وَعَلَّمَتْهُ مَنَاطِقَ الطَّيْرِ. وبالاسم الذي وَهَبَتْ بِهِ لِزَكَرِيَّا يَحْيَى، وَخَلَقَتْ عِيسَى من رُوحِ الْقُدْسِ مِنْ غَيْرِ أَب.

وبالاسم الذي خَلَقَتْ بِهِ الْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ.

وبالاسم الذي خَلَقَتْ بِهِ الرُّوحَانِيَّينَ.

وبالاسم الذي خَلَقَتْ بِهِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ.

وبالاسم الذي خَلَقَتْ بِهِ جَمِيعَ الْخَلْقِ وَجَمِيعَ مَا أَرَدَتْ مِنْ شَيْءٍ.

وبالاسم الذي قَدَّرَتْ بِهِ على كُلِّ شَيْءٍ.

أَسْأَلُكَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِمَا أَعْطَيْتَنِي سُؤْأَلِي، وَقَضَيْتَ بِهَا حَوَائِجِي))^(١).

ومن الأدعية التي علمها النبي ﷺ هذا الدعاء عند نزول المصيبة:

يا عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّرَائِرِ، يا مُطَاعَ يا عَلِيمُ، يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ، يا هَاذِمَ الْأَحْزَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، يا كَائِدَ فِرْعَوْنَ لِمُوسَى، يا مُنْجِيَّ عِيسَى مِنْ أَيْدِي الظُّلْمَةِ يا مُخَلِّصَ قَوْمِ نُوحٍ مِنَ الْعَرَقِ، يا رَاحِمَ عَبْدِهِ يَعْقُوبَ يا كاشِفَ ضُرِّ أَيُوبَ، يا مُنْجِيَّ نبيِّ النَّوْنِ مِنَ الظُّلُمَاتِ يا فاعِلَ كُلِّ خَيْرٍ، يا هَادِيًا إلى كُلِّ خَيْرٍ، يا أَمْرًا يَكُلُّ خَيْرٍ، يا خَالِقَ الْخَيْرِ،

(١) مهج الدعوات: ٢٠٧.

و يا أهل الخير أنت الله وغيت إليك فيما قد علمت وأنت علام الغيوب، أسألك
أن تصلي على محمد وآل محمد^(١).

ومن الأدعية التي علمها النبي ﷺ هذا الدعاء لدفع الأرق:

عن الإمام علي عليه السلام أن فاطمة رضي الله عنها شكت إلى رسول الله ﷺ الأرق فقال لها
قولي:

يا مُشَبَّعَ البُطُونِ الجائِعَةِ، ويا كاسِيَ الجُسُومِ العارِيَةِ، ويا ساكِنَ العُرُوقِ الضارِيَةِ،
ويا مُنَوِّمَ العيونِ السَّاهِرَةِ، سَكُنْ عُرُوقِي الضارِبَةَ وَأَذُنْ بَعيني نَوماً عَليلاً^(٢).

ومن الأدعية التي علمها النبي ﷺ هذا الدعاء الخاص بدخول المسجد والخروج
منه، وهو:

(اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك)

وأما دعاء الخروج من المسجد:

(اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك)^(٣).

(١) بحار الأنوار: ٨٨ - ٣٧٠.

(٢) فلاح السائل: ٣٨٤.

(٣) أعلموا أني فاطمة: ٩ - ٥٩٤.

أدعيتها: (سلام الله عليها)

دعاؤها ﷺ في الالتجاء الى الله تعالى:

من أدعيتها الشريفة هذا الدعاء الذي يمثل مدى إخلاصها لله تعالى وأعتصامها به وهذا نصه:

(اللَّهُمَّ بَعْلَمِكَ الْغَيْبَ، وَقَدَرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْبَبِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ، وَخَشْيَتِكَ فِي الرُّضَا وَالغَضَبِ، وَالْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفُذُ وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُظْلِمَةٍ.

اللَّهُمَّ زِينَا بَرِيئَةِ الْإِيمَانِ، وَأَجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِيِّينَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ^(١).

دعاؤها في الاعتصام بالله تعالى:

ومن أدعيتها الشريفة هذا الدعاء في الاعتصام بالله تعالى:

(اللَّهُمَّ فَتَعَنِّي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَأَسْتُرْنِي وَعَافِنِي أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنِي وَأَغْفِرْ لِي وَأَرْحَمْنِي إِذَا تَوَفَّيْتَنِي.

اللَّهُمَّ لَا تُعْنِي فِي طَلَبِ مَا لَمْ تُقْدِرْهُ لِي، وَمَا قَدَّرْتَهُ عَلَيَّ فَاجْعَلْهُ مُيسَّرًا سَهْلًا.

(١) بحار الأنوار: ٩٤ - ٢٢٥.

اللَّهُمَّ كَافِ عَنِّي وَاللَّيِّ وَكُلِّ مَنْ لَهُ نِعْمَةٌ عَلَيَّ خَيْرَ مُكَافَأَةٍ.

اللَّهُمَّ فَرِّغْنِي لِمَا خَلَقْتَنِي لَهُ وَلَا تَشْغَلْنِي بِمَا تَكْفَلْتَ لِي بِهِ، وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ، وَلَا تَحْرِمْنِي وَأَنَا أَسْأَلُكَ. اللَّهُمَّ ذَلِّلْ نَفْسِي فِي نَفْسِي، وَعَظِّمْ شَأْنَكَ فِي نَفْسِي، وَأَهْمِنِي طَاعَتَكَ وَأَنْعِمْكَ بِمَا يُرِضِيكَ، وَالتَّجَنَّبَ لِمَا يُسْخِطُكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ^(١).

دَعَاؤُهَا ﷺ فِي تَسْبِيحِ اللَّهِ تَعَالَى :

سُبْحَانَ مَنْ اسْتَنَارَ بِالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ.

سُبْحَانَ مَنْ احْتَجَبَ فِي سَبْعِ سَمَاوَاتٍ فَلَا عَيْنٌ تَرَاهُ.

سُبْحَانَ مَنْ أَكَلُ الْخَلَائِقِ بِاللَّوْتِ وَأَعَزَّ نَفْسَهُ بِالْحَيَّةِ.

سُبْحَانَ مَنْ يَبْقَى وَيَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ سُبْحَانَ مَنْ اسْتَخْلَصَ الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ وَأَرْتَضَاهُ.

سُبْحَانَ الْحَيِّ الْعَلِيمِ، سُبْحَانَ الْحَلِيمِ الْكَرِيمِ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، سُبْحَانَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَيَحْمَدُهُ.

دَعَاؤُهَا لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ :

يَحَقُّ يَسُّ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمِ، وَيَحَقُّ طُهُ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ، يَا مَنْ يَقْبِرُ عَلَى حَوَائِجِ السَّائِلِينَ، يَا مَنْ تَعَلَّمَ مَا فِي الضَّمِيرِ، يَا مَنْ سَأَلَ عَنِ الْمَكْرُوبِينَ يَا مُفْرَجًا عَنِ

(١) اعلّموا اني فاطمة: ٩ - ٥٧.

المغمومين، يا راحمُ الشيخِ الكبيرِ، يا رازقِ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ يا مَنْ لا يَحْتَاجُ إلى التَّفْسِيرِ ﷺ^(١).

دعاؤها ﷺ في تيسير الأمور:

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَالْفُرْقَانِ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، أَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ.

أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ^(٢).

دعاؤها ﷺ في الاستشفاء:

بِسْمِ اللَّهِ النَّوْرِ، بِسْمِ اللَّهِ نُورِ النَّوْرِ، بِسْمِ اللَّهِ نُورِ عَلَى نُورٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ مَدْبَرُ الْأُمُورِ، بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ النَّوْرَ مِنَ النَّوْرِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ النَّوْرَ مِنَ النَّوْرِ، وَأَنْزَلَ النَّوْرَ عَلَى الطُّورِ فِي كِتَابٍ مُسْطُورٍ، فِي رَقٍّ مَنثورٍ، بِقَدْرِ مَقْدُورٍ، عَلَى نَبِيٍّ مَحْبُورٍ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ بِالْعِزِّ مَذْكُورٌ، وَبِالْفَجْرِ مَشْهُورٌ، وَعَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ مَشْكُورٌ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ^(٣).

(١) دعوات الراوندي: ٥٤.

(٢) بحار الأنوار: ٢٢ - ٢٩٧.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣ - ٦٧.

دعاؤها ﷺ في الصباح والمساء:

يا حَيَّ يا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ اسْتَعِيْثُ فَاغْنِنِي، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدًا، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ ^(١).

دعاؤها ﷺ عند المنام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِي، سُبْحَانَ اللَّهِ الْأَعْلَى، حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى، مَا شَاءَ اللَّهُ قَضَى، سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ دَعَاهُ لَيْسَ مِنْ اللَّهِ مَلْجَأٌ، وَلَا وَرَاءَ اللَّهِ مُلْتَجَأٌ (تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ^(٢).

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِلِيُّ مَنْ الثُّلُوكِبْرَةُ تَكْبِيرًا) ^(٣).

كان للزهراء أدعية خاصة تسمى أدعية أيام الاسبوع ضمن مصحفها وإليك هذه الأدعية:

(١) مهج الدعوات: ١٤١ - ١٤٢.

(٢) سورة هود الآية: ٥٦.

(٣) سورة الأسراء الآية: ١١١.

أدعية الايام:

١- دعاؤها يوم السبت:

((اللَّهُمَّ افْتَحْ لَنَا خَزَائِنَ رَحْمَتِكَ، وَهَبْ لَنَا اللَّهُمَّ رَحْمَةً لَا تُعَدِّبُنَا بَعْدَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَارزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ رِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا، وَلَا تُحَوِّجْنَا، وَلَا تُغْفِرْنَا إِلَى أَحَدٍ سِوَاكَ وَرِزْدْنَا لَكَ شُكْرًا، وَإِلَيْكَ فَقْرًا وَفَاقَةً، وَلَكَ عَمَّنْ سِوَاكَ غِنًا وَتَعَفُّفًا. اللَّهُمَّ وَسِّعْ عَلَيْنَا فِي الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَزُويَ وَجْهَكَ عَنَّا فِي حَلٍّ وَنَحْنُ نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَعْطِنَا مَا تُحِبُّ، وَاجْعَلْهُ لَنَا قُوَّةً فِيمَا تُحِبُّ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ)).

٢- دعاؤها في يوم الأحد:

((اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمِي هَذَا فَلْحًا، وَأَوْسَطَهُ صَلَاحًا، وَآخِرَهُ نَجَاحًا. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أُنَابِ إِلَيْكَ فَقِيلَتُهُ، وَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَلَقِيَتُهُ، وَتَضَرَّعَ إِلَيْكَ فَرَحِمَتُهُ)).

٣- دعاؤها في يوم الاثنين:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قُوَّةً فِي عِبَادَتِكَ، وَتَبَصُّرًا فِي كِتَابِكَ، وَفَهْمًا فِي حُكْمِكَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَلَا تَجْعَلِ الْقُرْآنَ بَيْنَنَا مَلْحَلًا، وَالصِّرَاطَ زَانِلًا، وَعِمْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنَّا مُؤَلِّيًا)).

٤-دعاؤها في يوم الثلاثاء:

اللَّهُمَّ اجْعَلْ غَفْلَةَ النَّاسِ لَنَا ذِكْرًا، وَاجْعَلْ ذِكْرَهُمْ لَنَا شُكْرًا، وَاجْعَلْ صَالِحَ مَا نَقُولُ بِالسِّيْتِنَا نِيَّةً فِي قُلُوبِنَا.

اللَّهُمَّ إِنَّ مَغْفِرَتَكَ أَوْسَعُ مِنْ دُؤُوبِنَا، وَرَحْمَتِكَ أَرْجَى عِنْدَنَا مِنْ أَعْمَالِنَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَوَفِّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، وَالصَّوَابِ مِنَ الْفِعَالِ

٥-دعاؤها يوم الأربعاء:

((اللَّهُمَّ احْرُسْنَا بَعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَرُكْنِكَ الَّتِي لَا يُرَامُ، وَبِأَسْمَانِكَ الْعِظَامِ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاحْفَظْ عَلَيْنَا مَا لَوْ حَفِظَهُ غَيْرُكَ ضَاعَ، وَاسْتُرْ عَلَيْنَا مَا لَوْ سَتَرَهُ غَيْرُكَ شَاعَ، وَاجْعَلْ كُلَّ ذَلِكَ لَنَا مِطْوَعًا، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، قَرِيبٌ مُجِيبٌ...)).

٦-دعاؤها في يوم الخميس:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالتَّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالْعَمَلَ بِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ قُوَّتِكَ لِضَعْفِنَا، وَمِنْ غِنَاكَ لِفَقْرِنَا، وَمِنْ جِلْمِكَ وَعِلْمِكَ لِجَهْلِنَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَعِنَا عَلَى شُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَطَاعَتِكَ وَعِبَادَتِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ)).

٧-دعاؤها في يوم الجمعة:

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَقْرَبِ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْكَ وَأَوْجَهٍ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْكَ، وَانْحَجِّ مَنْ سَأَلَكَ وَتَضَرَّعَ إِلَيْكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ كَانَتْ يَرَاكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي فِيهِ يَلْقَاكَ، وَلَا تَمْتَنَا إِلَّا عَلَى رِضَاكَ.

اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ أَخْلَصَ لَكَ يَعْمَلِهِ، وَأَحْبَبَكَ فِي جَمِيعِ خَلْقِكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاعْفِرْ لَنَا مَغْفِرَةً جَزَاءَ خْتَمًا لَا نَفْتَرُقُ بَعْدَهَا ذَنْبًا، وَلَا يَكْتَسِبُ خَطِيئَةً وَلَا إِثْمًا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَاةً نَامِيَةً دَائِمَةً زَاكِيَةً مُتَتَابِعَةً مُتَوَاصِلَةً مُتَرَادِفَةً بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ)).

تسبيحها:

((كانت فاطمة أحبَّ الناسِ لأبيها، وقد أثرتِ الرُّحى بيديها، واستقتُ بالقربية حتى أثرت في نحرها، وكنتُ البيت حتى أغبرت ثيابها، وأوقدتُ القدرَ حتى دكنت ثيابها، وأصابها من ذلك ضرٌّ، فسمعنا أن رقيقاً أتى بهم إلى النبي ﷺ فقلتُ لها:

لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك، فأنته، فوجدته مشغولاً فاستحييت أن تراجعهُ، فرجعتُ.

وفي اليوم الثاني بادر النبي ﷺ إلى بيت فاطمة فسألها عن سبب مجيئها إليه، فاستحييت أن تخبرهُ، وسارع الإمام فقال له:

((أنا والله ! أحدثك يا رسول الله، إنها جرت بالرحى حتى أثرت في يديها، واستقت بالقربية حتى أثرت في نحرها وكسحت البيت حتى أغبرت ثيابها،

وأوقدت القِدْرَ حتى دكنت ثيابها، وبلغنا انه أتاك رقيق أو خدم، فقلت لها: سَلِيهِ خالِماً)).

قل لهم رسول الله ﷺ: ((ألا اعلمُكمُ خيراً مما سألتُماني إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعاً وثلاثين، وتسبحا ثلاثاً وثلاثين، وتحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم))^(١).

وهذه أيضاً كانت مع مصحفها ﷺ التي أتفحها الرسول ﷺ لبضعته التي هي قلبه الذي بين جنبيه.

وهذا التسبيح قد عني به أهل البيت ﷺ فكانوا يعلمونه لأبنائهم وبناتهم، وهو منهج تربوي ناجح وغذاء للروح.

الجفر في المصحف المنسوب الى فاطمة ؑ:

ذكر حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: تظهر الزنادقة سنة ثمانية وعشرون ومائة، وذلك لأنني نظرت في مصحف فاطمة. قل: فقلت: وما مصحف فاطمة؟

فقل: أن الله تعالى لما قبض نبيه ﷺ دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عزّ، فأرسل إليهما ملكاً يسلي عنها غمها، ويحدثها فحكّت ذلك إلى أمير المؤمنين، فقل لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولِي لي، فأعلمته، فجعل ﷺ يكتب كلما سمعت، حتى أثبت ذلك مصحفاً.

(١) سنن أبي داود ٢-٤٨٩، صحيح البخاري: ٤-٢٠٨.

قال: ثم قال: أما أنه ليس فيه من الحلال والحرام. ولكن فيه علم ما يكون. وعن أبي عبيدة قال: سألت أبا عبد الله بعض أصحابنا عن الجفر، فقال: هو جلد ثور مملوء علماً.

فقال له: ما الجامعة؟

قال: تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الاديم مثل فخذ الفالج فيها كل ما يحتاج إليه الناس، وليس من قضية إلا وفيها حتى أرش الخدش. قال له: فما مصحف فاطمة؟

فسكت طويلاً ثم قال: أنكم تبحثون عما تريدون وعما لا تريدون، أن فاطمة بعد رسول الله ﷺ بقيت خمسة وسبعين يوماً، وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة.

وفي رواية أخرى عن الصادق عليه السلام مصحف فاطمة فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، وليس فيه من حلال وحرام، ولكن فيه علم ما يكون^(١) وليس حديث المَلَك مع الصديقة من شاكلة وحي الأنبياء، بل هو حديث خاص بقرب من الإلهام الذي يلهمه العبد الصالح، ويختلف عنه بشدة وضوحه وظهور مصدره وهو المَلَك، يدل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام للصديقة فاطمة عليها السلام إذا أحست بذلك الصوت ولم يقل إذا رأيت صاحبه، فهو من قبيل الأحساس، وهذا ليس غريباً حدوثه للناس كافة، فضلاً عن الأولياء

(١) اللعة البيضاء: ١٩٦ - ١٩٧.

المقربين - ولكن احساس هؤلاء يختلف- عن أولئك بوضوح الرؤية والثقة بالمصدر والصلق. وربما تصاحبه حالات خاصة عندهم لا يدركها البشر العادي، وبهذا يرتفع عن الأذهان ما يلصقه بها المنافقون والضالون ودعاة المأدبة.

وأما الجفر فهو من هذا القبيل أي الحديث الذي كانت تسمعه سيدتنا فاطمة من المَلِكُ وكانت تكتبه حتى حصل عندها صحيفة مشتملة على أربعين ورقة فلما تمت جعلتها في ظرف من الأديم فختمتها بخاتمها الكريم، ومن جملة العلوم الموجودة في هذا الأديم -الطلسمات- وطي الأرض.

الفصل الثاني

السقيفة صراع على الملك ام ردة جاهلية :

لم يكن أجمع السقيفة وليد الساعة التي حضر بها المعتصبون، بل هو أبعد من ذلك بكثير؟

فقد كان المشروع المعد لأغتصاب الخلافة واضح المعالم للمشاركين فيه والمتفقين عليه. تبين ذلك من أقوال كبار الصحابة وتصرفاتهم:

أ- أن الرجل ليهجر

ب- حسبنا كتاب الله

ج- لا تجتمع النبوة والإمامة في بيت واحد.

هذا مسلسل واضح يكشف عمق الصراع على الملك. والردة الجاهلية.

المشاركون فيه هم: (أبو بكر، وعمر، وأبن الجراح، ومعاذ بن جبل، وأسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وخالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف، والمغيرة بن شعبة، وعثمان، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، ومعاوية، وأبن العاص).

والذي يقرأ التاريخ وما حصل في السقيفة تجد إصراراً قوياً من الجماعة للقبض على الحكم. عن عبد الرحيم القصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام أن الناس يفرغوا إذا قلنا أن الناس ارتدوا، فقال: يا عبد الرحيم، أن الناس عادوا بعد ما قبض أما بعض الأفراد الذين دخلوا السقيفة من الأنصار على غير هدى. لا أحد

يعلم من بدأ الحوار، وذلك يعني عدم وجود اتفاق مسبق بين الأنصار سوى أن أسيد بن حضير من المؤيدين إلى أبي بكر وعمر. ولما كثر الأنصار في سقيفة بني ساعدة، قالوا أن رسول الله ﷺ قد قبض، فقال سعد بن عبادَةَ لابنه قيس أو لبعض بنيهِ: أني لا أستطيع أن أسمع الناس كلامي لمرضي، ولكن تلق مني قولي فأسمعهم، فكان سعد يتكلم، ويستمع ابنه، ويرفع به صوته، يسمع قومه فكان من قوله، بعد حمد الله والثناء عليه، أن قال: أن لكم سابقة إلى الدين وفضيلاً في الإسلام، ليست لقبيلة من العرب، أن رسول الله ﷺ لبث في قومه بضعة عشرة سنة، يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأوثان، فما آمن به من قومه إلا قليل، والله ما كانوا يقدرُونَ أن يمنعوا رسول الله ولا يعزوا دينه ولا يدفعوا عنه أعداءه، حتى أراد الله بكم خير الفضيلة، وسلق إليكم الكرامة وخصكم بدينه، ورزقكم الإيمان به، وبرزوله، والإعزاز لدينه والجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه منكم، وأثقله على عدوه من غيركم، حتى أستقاموا لأمر الله طوعاً وكرهاً وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً حتى أنجز الله لنيبكم الوعد ودانت لأسيافكم العرب، ثم توفاه الله تعالى وهو عنكم راض، وبكم قريى عين، فشدوا يديكم بهذا الأمر، فإنكم أحق الناس وأولاهم به.

فأجابوا جميعاً: أن وفقت في الرأي، وأصبت في القول، ولن تعدو ما أمرت نوليك هذا الأمر، فأنت لنا مقنع، ولصالح المؤمنين رضا.

ثم أنهم ترادوا الكلام بينهم، فقالوا: أن أبت مهاجرة قريش، فقالوا: نحن المهجرون وأصحاب رسول الله ﷺ الأولون، ونحن عشيرته، وأوليأؤه، فعلام تنازعوننا هذا الأمر من بعده؟ فقالت طائفة منهم: إذا نقول: منا أمير ومنكم أمير،

لن نرضى بدون هذا منهم أبداً، لنا في الإيواء والنصرة، ما لهم في الهجرة ولنا في كتاب الله ما لهم، فليسوا يعدون شيئاً إلا ونعد مثله. وليس من رأينا الاستثثار عليهم، فمنا أمير ومنهم أمير.

فقال سعد بن عبادة: هذا أول الوهن.

وأتى الخبر عمر، فأتى منزل رسول الله ﷺ فوجد أبا بكر في الدار وعلياً في جهاز رسول الله ﷺ وكان النبي أتاه بالخبر معن بن عدي^(١) فأخذ بيد عمر وقال: قم، فقال عمر: أني عنك مشغول، فقال: أنه لا بد من قيام، فقام معه فقال له: أن هذا الحي من الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة معهم سعد بن عبادة يدورون حوله ويقولون: أنت المرجى، ونجلك المرجى. وقام أناس من أشرافهم وقد خشيت الفتنة فانظر يا عمر ماذا ترى؟ وأذكر لأخوتك من المهاجرين وأختاروا لأنفسكم فأني أنظر إلى باب فتنة قد فتح الساعة إلا أن يغلقه الله ففزع عمر أشد الفزع، حتى أتى أبا بكر فأخذ بيده فقال: قم، فقال أبو بكر: أني عنك مشغول، فقال عمر: لا بد من قيام، وسنرجع أن شاء الله.

فقام أبو بكر مع عمر، فحدثه الحديث، ففزع أبو بكر أشد الفزع، وخرجا مسرعين إلى سقيفة بني ساعدة، وفيها رجال من أشراف الأنصار، ومعهم سعد بن عبادة، وهو مريض بين أظهرهم، فأراد عمر أن يتكلم ويمهد لأبي بكر، وقال: خشيت أن يقصر أبو بكر عن بعض الكلام، فلما نبسَ عمر كفه أبو بكر وقال: على رسلك فتلق الكلام ثم تكلم بعد كلامي بما بدا لك.

(١) معن بن عدي بن الجند بن العجلان بن حارثة. شهد العقبة مع السبعين من الأنصار.

فتشهد أبو بكر ثم قل: أن الله جل ثناؤه بعث محمداً بالهدى، ودين الحق، فدعا إلى الإسلام، فأخذ الله بقلوبنا ونواصينا إلى ما دعانا إليه، وكنا معاشر المسلمين المهاجرين أول الناس إسلاماً، والناس لنا في ذلك تبع، ونحن عشيرة رسول الله ﷺ وأوسط العرب أنساباً، ليس من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة، وأنتم أنصار الله، وأنتم نصرتم رسول الله ﷺ، ثم أنتم وزراء، رسول الله ﷺ وأخواننا في كتاب الله وشركاؤنا في الدين، وفيما كنا فيه من خير فأنتم أحب الناس إلينا، وأكرمهم علينا، وأحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لما ساق الله إلى إخوانكم من المهاجرين، وأحق الناس ألا تحسدوهم فأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة وأحق الناس ألا يكون أنتفاض هذا الدين واختلاطه على أيديكم، وأنا أدعوكم إلى أبي عبيدة، وعمر، فكلاهما قد رضيت لهذا الأمر، وكلاهما أراه له أهلاً^(١) فقال عمر وأبو عبيدة: ما ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك، أنت (صاحب الغار، ثاني اثنين، وأمرك رسول الله بالصلاة) فأنت أحق الناس بهذا الأمر. فقال الأنصار: والله ما تحسدكم على خير ساقه الله إليكم، ولا أحد أحب إلينا ولا أرضى عندنا منكم، ولكننا نشفق فيما بعد هذا اليوم، ونحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا ولا منكم فلو جعلتم اليوم رجلاً منكم بايعنا ورضينا

(١) جله في البيان والتبيين - للجلحظ: ٥٢٨/١ قل عيسى بن نذير: قل أبو بكر: نحن أهل الله واقرب الناس بينا من بيت الله وأمسهم رحماً برسول الله أن هذا الأمر أن تطاولت إليه الخزرج لم تقصر عنه الأولى وأن تطاولت إليه الأوس لم تقصر عنه الخزرج وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى وجراح لا تداوى فإن نعت منكم ناعت فقد جلس بين أسد يضممه المهاجرين ويبرحه الأنصاري)) قل ابن رابع: فرملمع والله باللسكتة

على أنه إذا هلك أخترنا واحداً من الأنصار، فإذا هلك كان آخر من المهاجرين أبداً ما بقيت هذه الأمة^(١).

كان ذلك أجدر أن نعدل في أمة محمد ﷺ فيشفق الأنصاري أن يزيغ فيقبض عليه القرشي، ويشفق القرشي أن يزيغ فيقبض عليه الأنصاري.

فقام أبو بكر فقال: إن رسول الله ﷺ لما بعث عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخالفوه، وشاقوه، وخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والإيمان به، والمواساة له، والصبر معه على شدة أذى قومه، ولم يستوحشوا لكثرة عدوهم، فهم أول من عبد الله في الأرض، وهم أول من آمن برسول الله، وهم أولياؤه وعترته، وأحق الناس بالأمر بعده لا ينازعهم فيه إلا ظالم، وليس أحد بعد المهاجرين فضلاً وقدماً في الاسلام متكلم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا نمتاز دونكم بمشورة ولا نقضي دونكم الأمور.

فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا معشر الأنصار، أملكوا عليكم أيديكم، إنما الناس في فينكم، وظلكم، ويحترئ على خلافكم، ولا يصدر الناس إلا عن أمركم، أنتم أهل الإيواء، والنصرة، وإليكم كانت الهجرة وأنتم أصحاب الدار، والإيمان والله ما عبد الله علانية إلا عندكم، وفي بلادكم ولا جمعت الصلاة إلا في مساجدكم، ولا عرف الإيمان إلا من أسيافكم، فأملكوا عليكم أمركم، فإن أباي هؤلاء إلا ما سمعتم فمننا أمير ومنهم أمير.

(١) لقد جعلوا الخلافة قسمة إرث بين المهاجرين والأنصار وكان رسول الله ﷺ لم يذكر شيئاً في أحاديثه طيلة حياته.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع سيفان في غمد أن العرب لا ترضى أن تؤمركم ونبيها من غيركم، وليس تمتنع العرب أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم، وأولو الأمر منهم لنا بذلك الحجة الظاهرة على من خالفنا، والسلطان المبين على من نازعنا من ذا يخاصمنا في سلطان محمد وميراثه؟ ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا ماضى بباطل، أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة^(١).

فقام الحباب وقال: يا معشر الأنصار، لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من الأمر، فإن أبوا عليكم ما أعطيتموهم فأجلوهم عن بلادكم وتولوا هذا الأمر عليهم، فأنتم أولى الناس بهذا الأمر، أنه دان لهذا الأمر بأسيا فكم من لم يكن يدين له، أنا جُدِيلُهَا المخلك وعذيقها المرجب أن شئتم لتعيدنها جذعة والله لا يرد أحد علي ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف.

قل: فلما رأى بشير بن سعد الخزرجي^(٢) ما اجتمعت عليه الأنصار، من تأمير سعد بن عبادة وكان حاسداً له، وكان من سادة الخزرج قام فقال: أيها الأنصار إنا وأن كنا ذوي سابقة فإننا لم نرد بمجهدنا وإسلامنا إلا رضا ربنا وطاعة نبينا ولا ينبغي لنا أن نستطيل بذلك على الناس ولا نبتغي به عوضاً من الدنيا، إن محمداً ﷺ رجل من قريش، وقومه أحق بميراث أمره، وأيم الله لا يراني الله أنزعهم هذا الأمر، فأتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم.

(١) من فمك أدنك: إن صاحبك يقول: إن رسول الله ﷺ قال: نحن معاصر الأنبياء لا نورث فكيف ورتتموه!! أيقظ لغيركم في إرث رسول الله ﷺ.

(٢) هو من أصحاب الصحيفة الملعونة

فقام أبو بكر وقال: هذا عمر، وأبو عبيدة، بايعوا أيهما ^(١) شئتم، فقال والله لا نتولى من الأمر عليك، وأنت أفضل المهاجرين، وثاني اثنين، وخليفة رسول الله ﷺ على الصلاة، والصلاة أفضل الدين، أبسط يدك نبايعك.

فلما بسط يده وذهبا يبايعانه: سبقهما بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير، عكك عقاق والله ما أضطرك إلى هذا الأمر إلا الحسد لأبن عمك.

ولما رأت الأوس أن رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع، قام أسيد بن حضير، وهو رئيس الأوس، فبايع حسداً لسعد بن عباداً أيضاً، ومنافسة له أن يلي الأمر، فبايعت الأوس كلها لما بايع أسيد وحمل سعد بن عباد وهو مريض، فأدخل إلى منزله، فأمّنت من البيعة في ذلك اليوم، وفيما بعده، وأراد عمر أن يكرهه عليها فأشير عليه ألا يفعل، وأنه لا يبايع حتى يقتل، وأنه لا يقتل حتى يقتل أهله، ولا يقتل أهله حتى يقتل الخزرج. وإن حوربت الخزرج كانت الأوس معها، وفسد الأمر فتركوه، فكان لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمع بجماعتهم، ولا يقضي بقضائهم، ولو وجد أعواناً لضاربهم فلم يزل كذلك حتى مات أبو بكر، ثم لقي عمر في خلافته وهو على فرس وعمر على بعير، فقال له عمر: هيهات يا سعد فقال سعد: هيهات يا عمر فقال: أنت صاحب من أنت صاحبه، قل: نعم أنا ذاك، ثم قل لعمر: والله ما جاورني أحد هو أبغض إلي جواراً منك، قل عمر: فإنه من كره جوار رجل أنتقل عنه، فقال سعد: إني لأرجو أن أخليها لك عاجلاً إلى جوار من هو أحب إلي جواراً ومن أصحابك.

(١) من خلال أقوال الغاصبين يلاحظ كيف يتم توزيع الأدوار حسب الخطة المرسومة من أصحاب الصحيفة الملعونة.

فلم يلبث سعد بعد ذلك إلا قليلاً حتى خرج إلى الشام^(١) فمات بجوران، ولم يبايع لأحد لا لأبي بكر، ولا لعمر، ولا لغيرهما.

قال: وكثر الناس على أبي بكر، فبايعه معظم المسلمين في ذلك اليوم وأجتمعت بنو هاشم إلى بيت علي بن أبي طالب عليه السلام، ومعهم الزبير، وكان يعد نفسه رجلاً من بني هاشم كان علي يقول: ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا وأجتمعت بنو أمية إلى عثمان بن عفان^(٢)، وأجتمعت بنو زهرة إلى سعد^(٣) وعبد الرحمن، فأقبل عمر إليهم وأبو عبيدة فقال: ما لي أراكم قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايع له الناس، وبايعه الأنصار.

فقام عثمان، ومن معه، وقام سعد وعبد الرحمن، ومن معهما، فبايعوا أبا بكر. وذهب عمر ومعه^(٤) (عصابة إلى بيت فاطمة ومنهم أسيد بن حضير وسلمة بن أسلم) فقال لهم: أنطلقوا فبايعوا، فأبوا وخرج إليهم الزبير بسيفه فقال عمر: عليكم الكلب: فوثب عليه سلمة بن أسلم فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار، ثم أنطلقوا به وبعلي ومعهما بنو هاشم وعلي يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله حتى انتهوا به إلى أبي بكر، فقيل له: بايع، فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار،

(١) سميت الشام بسام بن نوح عليه السلام وذلك أنه أول من نزلها فجعلت السين شيئاً لتغير اللفظ

(٢) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وكان له ثلاث كنى: أبو عمرو، وأبو عبد الله، وأبو ليلى.

(٣) سعد بن أبي وقاص وأسم أبي وقاص مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، كنيته أبو إسحاق مات في قصره بالحقيق سنة (٥٥ هجرية).

(٤) السقيفة وفدك - أبي بكر الجوهري: ٦٢.

وأحتججتهم عليهم بالقرابة من رسول الله فأعطوكم المقاعة، وسلموا إليكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما أحتججتهم به على الأنصار، فأنصفونا أن كنتم تخافون الله من أنفسكم، وأعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، وإلا فبؤوا بالظلم وأنتم تعلمون.

فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تباع. فقال له علي: احلب يا عمر حلبا لك شطره^(١) أشد له اليوم أمره، ليرد عليك غداً^(٢)، ألا والله لا أقبل قولك ولا أبايعه، فقال له أبو بكر: فأن لم تباعني لم أكرهك، فقال له أبو عبيدة: يا أبا الحسن إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قريش قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً له، واضطلاً^(٣) به، فسلم له هذا الأمر، وأرض به، فأنتك إن تعش ويطل عمرك، فانت لهذا الأمر خليق وبه حقيق، في فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك.

فقال علي: يا معشر المهاجرين، الله الله لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فو الله يا معشر

(١) الشطر: نصف الشيء وجزؤه كالشطر.

(٢) علق السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمته - وهو من ضحايا السقيفة - على الخبر في كتابه فندك في التاريخ صفحة (٦٤): ومن الواضح أنه يلمح إلى تفاهم بين الشخصين على المعونة المتبادلة وأتفاق سابق على خطة معينة، وإلا فلم يكن يوم السقيفة نفسه ليتسع لتلك المحاسبات السياسية التي تجعل لعمر شطراً من الحلب.

(٣) ليت شعري أكان أبو بكر أقوى وأشد احتمالاً واضطلاً، وأكثر تجربة ومعرفة في الحروب أم في السلم وهو ربيب رسول الله ﷺ وأول تلميذ في مدرسته.

أم يوم تبليغ سورة براءة، أم لما سار القوم تحت أسلمة بن زيد وكان عمر أسلمة يومئذ سبع عشر سنة.

المهاجرين، لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان منا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بالسنة، المضطلع بأمر الرعية؟! والله أنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً.

فقال بشير بن سعد: لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتهم لأبي بكر، ما اختلف عليهم اثنان، ولكنهم قد بايعوا.

وأنصرف علي إلى منزله ولم يبايع ولزم بيته حتى ماتت فاطمة عليها السلام فبايع.

ضحايا السقيفة:

قال تعالى: ((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ))^(١).

لم تكن السقيفة إلا بداية الامتحان الصعب الذي أمتحن الله به المسلمين بعد رحيل نبيه الأعمم صلى الله عليه وآله وتصديقاً لقوله تعالى: ((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ))^(٢).

والاستدلال على ذلك أن المسلمين في اليوم الأول من رحيل المصطفى صلى الله عليه وآله قد تفرقوا إلى ثلاثة أحزاب تدفعهم رواسب الجاهلية:

(١) سورة عمده الأيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

الأول: الحزب القرشي يقوده أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف، مطالبين بالسلطان والملك وميراث النبي ﷺ.

الثاني: حزب الأوس والخزرج وكان عليهم سعد بن عبادة شيخ الأوس وأسيد بن حضير زعيم الخزرج فكانوا يتدافعون إلى الخلافة أيضاً مدعين بأنهم الأوّلون لأنهم نصروا المسلمين على أعداءهم.

الثالث: حزب بني هاشم المتمثل بالعباس بن عبد المطلب الذي يطالب بزعامته بني هاشم على المسلمين وأحقّيتهم بالخلافة لأنهم أهل الرسول الكريم ﷺ لقد مزقت السقيفة وحدة المسلمين وكشفت ما في النفوس من أضغان وأحققاد وجاهلية دفينّة تجاوزت المبادئ الإسلامية والسنة النبوية التي دعا لها رسول الله ﷺ طيلة ثلاث وعشرون عاماً من الجهاد والتضحية والصبر واحتمال الأذى من قريش.

وبعد وصول الحزب القرشي إلى الحكم مارس الأعتيل والأبعاد للمعارضين له من رموز الأمة وقادتها.

١- أعتيل فاطمة بنت رسول الله ﷺ: أعتلها عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد والعصابة التي معه عند هجومهم على بيتها بأمر أبي بكر لإمتناعها عن بيعته.

٢- خالد بن سعيد بن العاص الأموي: أعتيل لإمتناعه عن بيعه أبي بكر.

٣- سعد بن عبادة: أعتلته الدولة في الشام منطقة حوران قلد البعض في زمن أبي بكر وقلد آخرون في زمن عمر وقتله كان في عهد أبي بكر لإشتراك خالد بن الوليد فيه.

٤- أبو بكر بن أبي قحافة: قتله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وتولا حكمه فأصبح عمر خليفة وعثمان وصياً.

٥- عمر بن الخطاب: ولما ساد القتل والأغتيالات في ذلك الزمان وعادت الأحقاد والعصبية الجاهلية ذهب عمر ضحية ممارساته وأغتيالاته لرموز الأمة.

٦- خالد بن الوليد بن المغيرة: كان ساعد أبي بكر الأول وقائد جيشه وعدو علي وعمر، قتله عمر في الشام بعد وصول عمر إلى الخلافة مباشرة لمنعه من الانتقام -لمقتل أبي بكر.

٧- المثني بن حارثة الشيباني^(١): قتله سعد بن أبي وقاص في زمن عمر وحل محله في قيادة جيش العراق.

٨- عتبة بن غزوان: أغتاله عمر بن الخطاب مثلما فعل بالمثني وخالداً لكونهم من أنصار أبي بكر.

٩- بلال الحبشي^(٢): قتله الدولة مع أعوانه في الشام لمعارضته حكم عمر بن الخطاب وتم الأمر بمساعدة معاوية.

١٠- أبو عبيدة بن الجراح^(٣): قتله عمر بن الخطاب في الشام بمساعدة معاوية بن أبي سفيان لكونه من أعوان أبي بكر واحتججه على تعيين معاوية والياً على الشام وعزله عنها

(١) اغتيل أبي بكر والسيدة عائشة- الدكتور نجاح الطائي.

(٢) نفس المصدر.

(٣) اغتيل أبي بكر والسيدة عائشة- الدكتور نجاح الطائي.

١١- الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام^(١): اغتاله معاوية بأسلوب شيطاني تم عن طريق ابن العاص وأبن ملجم والأشعث بن قيس. فضح ذلك أبو الأسود

١٢- الحسن بن علي عليه السلام^(٢): اغتاله معاوية سنة ٤٩ هجرية للقضاء على الاتفاق الموقع بينهما والمتعهد فيه معاوية على إعطاء الحكم من بعده إلى الإمام الحسن عليه السلام.

١٣- سعد بن أبي وقاص: اغتاله معاوية بالسم للقضاء على جميع كبار الصحابة وتسهيل وصول الحكم إلى ابنه يزيد.

١٤- زياد بن أبيه: اغتاله معاوية سنة ٥٨ هجرية لتسهيل وصول السلطة إلى ابنه يزيد. وكان زياد يحلم بالسلطة ويطلب معاوية بحكومة الكوفة والبصرة والحجاز فلم يعطه الحجاز وخاف منه.

١٥- مالك الأشتر^(٣): قتله معاوية بعد أن دس له السم في العسل.

١٦- الحسين بن علي عليه السلام: قتله عبيد الله بن زياد في واقعة الطف الفاجعة المؤلمة التي هزت ضمير الإنسانية بكل جوانبها ولا تزال خالدة مع الزمن كان ذلك بأمر من يزيد بن معاوية سنة ٦١ هجرية.

يقول الشيخ الألوسي^(٤): في تفسيره في هذا الشأن في تفسير قوله تعالى: ((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ)): نقل البرزنجي في

(١) هل قتل معاوية علياً عليه السلام؟ - الدكتور نجاح الطائي.

(٢) سير أعلام النبلاء - الذهبي، ٣/ ٢٧٦، البداية والنهاية - ابن كثير: ٤٧/٨.

(٣) مالك الأشتر - محمد رضا الحكيم: ١٧٤ - ١٧٥.

(٤) روح المعاني - الشيخ الألوسي.

الإشاعة، والهيتمي في الصواعق: أن الإمام أحمد لما سأله ولده عبد الله عن لعن يزيد قال: كيف لا يلعن من لعنه الله تعالى في كتابه؟

قال عبد الله: قد قرأت كتاب الله عزّ وجلّ، فلم أجد فيه لعن يزيد فقال الإمام: إن الله تعالى يقول: ((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ)) وأي فساد وقطيعة أشد مما فعله يزيد؟! قال الجاحظ: ((المنكرات التي اقترفها يزيد من قتل الحسين، وحمله بنات رسول الله ﷺ سبايا، وقرعه ثانيا الحسين بالعود وإخافته أهل المدينة وهدم الكعبة ... تلذ على القسوة والغلظة، والنصب، وسوء الرأي، والحقد، والبغضاء، والنفاق، والخروج عن الإيمان، فالفاسق ملعون، ومن نهى عن شتم الملعون فملعون))^(١).

١٧- زيد بن علي بن الحسين عليه السلام: لما وفد زيد عليه السلام على هشام بن عبد الملك جفاه وأمر أصحابه أن يتضايقوا في المجلس حتى لا يجد مكاناً يجلس إليه، ولما دخل قل له في جملة كلامه: أخوك البقرة، فقال له زيد: سمع رسول الله ﷺ باقر العلم^(٢) وتسميه أنت البقرة لشد ما اختلفتما، اختلفتما في الدنيا وتختلفان في الآخرة أخرج وهو يقول: ما كره قومٌ حدَّ السيف إلا ذلّوا، وخرج إلى العراق فقتل ونش بعد الدفن وقطع رأسه وأرسل إلى هشام، وصلب منكوساً عارياً ثلاث سنين والجنود تحرسه حتى عشعشت الفاختة في جوفه ثم أنزل وأحرق وذري في الفرات

(١) رسائل الجاحظ: ٢٩٨.

(٢) ميزان الاعتدال: ٥٥٠ / ٣، لسان الميزان: ١٦٨ / ٥.

١٨- سعيد بن جبير الأسدي^(١): أحد الأعلام المعروفين، روى عنه ابن عباس ومن العباد الزهاد أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام قتله الحجاج بن يوسف الثقفي.

١٩- كميل بن زياد بن نهيك النخعي^(٢): تابعي ثقة من خلص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام شريف مطاع في قومه، شهد صفين، وله رواية في الحديث، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي (سنة ٨٢ هـ).

٢٠- يحيى بن زيد^(٣) بن علي بن الحسين عليهما السلام: أحد الأبطال الهاشميين، خرج مع أبيه على بني أمية، أنصرف إلى بلخ بعد أستشهاد أبيه، ودعا إلى نفسه سراً، قبض بيد نصر بن سيار في بلخ فأمر بإطلاقه، فخرج يترقب، فسار إلى سرخس ثم إلى نيسابور، فقاتله بعد امتناعه عليه وهو في سبعين من أصحابه فهزمهم، ثم أنصرف إلى هراة ثم الجوزجان، فقاتله سليم بن أحوز، ورمى يحيى بسهم أصاب جبهته فسقط قتيلاً في (سنة ١٢٥ هـ) وحمل رأسه إلى الوليد وصلب جسده بلجوزجان. بعد أن بعثه الوليد إلى المدينة فجعل في حجر أمه ربطة فنظرت إليه فقالت: شردتموه عني طويلاً، وأهديتموه إلي قتيلاً، وكان عمره ثماني عشرة سنة.

٢١- المقداد بن عمرو^(٤): أغتال عثمان بن عفان الأموي المقداد بن عمرو بعدما تعهد باغتياله أن وصل إلى السلطة، وأمتنع المقداد من البيعة له والصلاة خلفه ومناذاته بأمر المؤمنين.

(١) طبقات ابن سعد: ٢٥٦/١، شذرات الذهب: ١٠٨/١، حلية الأولياء: ٢٧٢/٤.

(٢) أعلام الزركلي: ٣٣٤/٥.

(٣) الكامل لابن الأثير: ٩٨/٥ - ١٠٨.

(٤) مسند احمد: ١٠١/٢، الأمالي - الشيخ المفيد: ١١٤.

٢٢- كعب بن أبيه: أغتاله عثمان بن عفان الأموي عندما أعلن عن خطبته الفاضحة لعثمان في يوم الجمعة. فقتله عثمان في يوم الخميس لمنع ذلك.

٢٣- عبد الرحمن بن عوف: قتله عثمان بن عفان الأموي لمطالبته بالسلطة وولاية العهد طبقاً لاتفاقهما السابق القاضي ببيعة ابن عوف لعثمان وإرجاع عثمان السلطة إليه.

٢٤- عبد الله بن مسعود: أغتاله عثمان بن عفان الأموي لفضحه أعماله الفاسدة في فراره من حروب المسلمين وأغتصابه الأموال العامة.

٢٥- أبو ذر الغفاري (جندب بن جناح): أغتال عثمان بن عفان الأموي أبا ذر العبد الزاهد قال فيه رسول الله ﷺ: (ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر) نفاه عثمان إلى صحراء الرينة لا ماء فيها ولا زرع ولا ناس، يموت فيها وحيداً غريباً.

٢٦- عبد الله بن هاشم المرقل: ومما فعله معاوية بعد عام الجماعة بشيعة علي عليه السلام بعدما أمنهم وأعطى على نفسه العهود في كتاب الصلح بينه وبين الحسن عليه السلام أن لا يتعرض لهم بسوء، أنه أرسل إلى زياد بعدما ولاه الكوفة والبصرة أن يبعث إليه عبد الله بن هاشم المرقل، وأن يخلق رأسه ويلبسه جبة شعر، ويقيده ويغل يديه بغل إلى عنقه، ويحملة على قتب بعير بغير وطاء ولا غطاء، ففعل به زياد ذلك وأنفذه إليه، فوصله وقد غربت الشمس وجهه ولقي تعباً كثيراً وكان من أمره معه ما هو معروف.

٢٧- حجر بن عدي بن جبلة الكندي: أرسل زياد بن سمية وهو على الكوفة حجر بن عدي ومعه ثلاثة عشر رجلاً من أصحابه، مسلسلين فحبسوا بمرج عناء

قرب دمشق، فتشفع أصحاب معاوية في ستة منهم فأطلقوا، وتشفع بعضهم في حجر فلم يطلقه، وكان حجر من الصحابة وممن شهد فتح عذراء وطلب أثنان منهم أن يرسلوها إلى معاوية، فقال لأحدهما: أتبرأ من دين علي عليه السلام الذي يدين الله به فسكت، فشفع فيه بعض الحاضرين فنفاه إلى الموصل، وقال للآخر: ما تقول في علي عليه السلام قال: أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً، من الأمرين بالحق، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس، فرده إلى زياد وأمره أن يقتله شر قتلة فدفنه حياً، وأرسل بحجر وباقي أصحابه هدبة القضاعي ورجلين معه فقالوا: إنا أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي عليه السلام واللعن له فأن فعلتم تركناكم وأن أبيتم قتلناكم فأبوا، فحفرت لهم القبور وأحضرت الأكفان، وقتل عبد الرحمن بن حسان العنزي، وكريم بن عفيف الخثعمي من أصحاب حجر، وقال حجر: لا تحلوا قيودي فإني أجتمع أنا ومعاوية على هذه المحجة، ثم قال لهدبة: إن كنت أمرت بقتل ولدي فقدمه فضربت عنقه فليل له: تعجلت الشكل، فقال: خفت أن يرى ولدي هول السيف على عنقي فيرجع عن ولاية علي عليه السلام ثم قتل حجر وباقي أصحابه ^(١).

٢٨- عمرو بن الحمق الخزاعي: كان صحابياً جليلاً. سكن الشام وانتقل إلى الكوفة، وشهد مع علي عليه السلام جميع حروبه، طلبه معاوية فراغ منه، فأرسل إلى امرأته أمنة بنت الشريد فحبسها في سجن دمشق سنتين، ثم إن عبد الرحمن بن الحكم ظفر بعمرو بن الحمق في بعض الجزيرة فقتله وبعث برأسه إلى معاوية،

(١) طبقات بن سعد: ٦٢/٨، أسد الغابة لابن الأثير: ٤/٤٣٥.

وهو أول رأس حُمل في الإسلام، فبعث بالرأس إلى زوجته آمنة وهي في السجن وأمر أن يطرح في حجرها.

إنَّ هذه القبسات هو خير ما يقدمه الأستاذ لتلاميذه والآباء لأبنائهم وبناتهم، يستمتعوا بقراءته، وتتشرب نفوسهم بالمبادئ السليمة والأسس الخلقية القويمة، فنذكر قصصهم.

إن حياء سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام دروس وعبر وعظات في صباها ناصرت الدعوة ودافعت عن أبيها وذلك درس للأولاد وفي تزويجها وجهازها وصبرها على صعوبة العيش حل كثير من المشكلات، وفي فضائلها وخصائصها ومزاياها إصلاح وعلاج وقدوة لكثير من الأخلاقيات وفي اهتمام المصطفى بها وتنويهه بذكرها وتهذيبه لها درس للفتيات المسلمات وفي عفتها وطهارتها وحدة ذكائها وقوة فهمها مرآة لكل فتاة.

وحسبها ومضة من نور عين المصطفى صلى الله عليه وآله، تربت في مدرسة النبوة وفطرت على الذروة العليا من الخلق الكريم. وحسبها ما لقبها به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ((أم أبيها))، وما قاله صلى الله عليه وآله: ((إنَّ الله يرضى لرضاها ويفضض لفضيلتها))، وما عودها به عند دخولها على علي عليه السلام: ((إنِّي أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)).

قد عميت أبصار وبصائر نواصب شذاذ بينرون بذور الشك عما في هذه الأجداد من كنوز الهداية والعلم والحكمة، فترسم خطاها وتواصل المسيرة على طريقها.

ظهور المعارضة الممتنعة عن بيعة أبي بكر:

يعد اجتماع الطامعون بالخلافة في سقيفة بني ساعدة حيث تحزبوا إلى ثلاثة أحزاب، حزب بني هاشم الذي يقوده العباس بن عبد المطلب، وحزب قريش الذي يتزعمه عمر وأبي بكر، وحزب الأنصار بزعامة سعد بن عبادة سيد الخزرج وأسيد بن خضير زعيم الأوس. ذلك الاجتماع الذي مزق وحدة الأمة وهُدِّ كيانها مما دعا الكثير من القبائل والقسم الأكبر من الصحابة الأجلء الأمتناع عن بيعة أبي بكر ببيعة يوم الغدير.

ومن تلك القبائل هوازن التي دخلت الإسلام بعد معركة حنين، ولم تنس هذه القبيلة لطف النبي الأكرم ﷺ معها بعد تلك المعركة من العفو عن الرجال وإعادة النساء والأطفال والغنائم إليهم.

امتنعت هذه القبيلة عن بيعة أبي بكر دفاعاً عن نصوص الغدير الإلهية فقالت: لا نبايع ذا الخلال^(١).

أما القبيلة الثانية المعارضة والممتنعة لبيعة أبي بكر (القسرية) هي قبيلة مالك بن نويرة اليربوعي. التي رفضت بدورها إعطاء الحقوق المالية الشرعية لأبي بكر لكونه الخليفة اللاشرعي.

فأرسل إليهم أبو بكر خالد بن الوليد فقتلهم وزنا بزوجة مالك بن نويرة المسماة (ليلي) كانت من أجل نساء العرب، فمثل برأسه ورؤوس قومه بوضعهم تحت قدور طعمه تقليداً منه لأعراف الجاهلية.

(١) الخلال: كساة فديكي يضعه عليه أبو بكر.

وهناك قبائل أخرى خالفت بيعة أبي بكر فقام بمحاربتها تحت طريقة الأمتناع
عن اعطاء الزكاة.

الصحابة المعارضون لبيعة أبي بكر:

عارض كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار بيعة أبي بكر، المنحرفة للنص
الإلهي والسنة النبوية الشريفة المتواترة بأحاديث الرسول ﷺ طيلة ثلاثة
وعشرون عاماً من خلال جميع المناسبات والمواقف الصعبة التي عاشتها الأمة
الإسلامية.

إن البيعة القائمة على الغدر والمكر لا تعتبر بيعة أصولية إنها فاقدة لأبسط
معايير الأحكام الشرعية المرتكزة على القرآن والسنة النبوية الشريفة وعلى أي
حل فقد أنكر كوكبة من الصحابة على أبي بكر تقمصه للخلافة بالقهر
والإكراه، كان منهم:

١- عمار بن ياسر:

صحابياً جليلاً من المجاهدين الأوائل وكان معروفاً من بين الصحابة بنكران
الذات والتفاني في الحق، ولما رأى الخلافة قد تقلدها أبو بكر أندفع إلى الإنكار
على الذين بايعوه من المهاجرين وغيرهم قائلاً:

((يا معشر قريش، ويا معشر المسلمين، إن كنتم علمتم، وإلا فاعلموا أن أهل
بيت نبيكم أولى به، وأحق بإرثه، وأقوم بأمر الدين، وأمن على المؤمنين وأحفظ
لملته، وأنصح لأمته، فمروا صاحبكم فليرد الحق إلى أهله، قبل أن يضطرب حبكم،

ويضعف أركانكم، ويظهر شقاقكم، وتعظم الفتنة بكم، وتختلفون فيما بينكم، ويطمع فيكم عدوكم، فقد علمتم أن بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم، وعليّ أقرب إلى نبيكم منكم، وهو من بينهم وليكم بعهد الله ورسوله، وفرق ظاهر قد عرفتموه في حال بعد حال، عندما سد النبي ﷺ أبوابكم التي كانت إلى المسجد كلها غير باب، وإيثاره إياه بكرمته فاطمة دون ساير من خطبها إليه منكم وقوله ﷺ: ((أنا مدينة العلم وعليّ بابها ومن أراد الحكمة فليأتها من بابها)). وأنكم جميعاً مضطرون فيما أشكل عليكم من أمور دينكم إليه، وهو مستغن عن كل أحد منكم، إلى ما له من السوابق التي ليست لأفضلكم عبد نفسه فما بالكم تحيدون عنه؟ وتبتزون علياً حقه، وتؤثرون الحيلة الدنيا على الآخرة بشس للظالمين بدلاً.

أعطوه ما جعله الله له، ولا تولوا عنه مدبرين، ولا ترتدوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين^(١).

٢- أبو ذر الغفاري:

جندب بن جنادة من أعلام الإسلام وصوت العدالة الاجتماعية وفي طليعة المناهضين للحكم الأموي الوراثي الذي اتخذ مال الله دولاً، وعباده خولاً، وقد نقم على القوم لإقصائهم الامام عن الخلافة، فقال مخاطباً للمهاجرين والأنصار: ((أما بعد يا معز المهاجرين والأنصار، لقد علمتم وعلم خياركم أن رسول الله ﷺ قال: ((الامر لعلي من بعدي ثم للحسن والحسين، ثم في أهل بيتي من ولد الحسين)) فطرحتم قول نبيكم، وتناسيتم ما أوعز إليكم، وأتبعتم الدنيا وتركتم نعيم الآخرة

(١) الاحتجاج - الطبرسي: ١٠٢/١.

الباقية التي لا يهدم بنيانها، ولا يزول نعيمها، ولا يحزن أهلها، ولا يموت سكانها
بلخقير التافه الفاني الزائل، وكذلك الأمم التي قبلكم التي كفرت بعد أنبيائها
بدلت وغيرت، حذو القنّة بالقنّة، والنعل بالنعل، فعمّا قليل تذوقون وبلى
أمركم، وما الله بظلام للعبيد....»^(١).

إن الذي قاله العبد الصالح أبي ذر الغفاري تحقق ذلك على مسرح الحياة فقد
سفكت الدماء، وأزهقت الأرواح في الحكم الأموي والعباسي الذين أفسدوا
الحرث والنسل، وأشاعوا الجور والظلم، وأغرقوا البلاد بالجور، والظلم.

٣- المقداد بن الأسود الكندي:

فارساً من فرسان بدر من الصحابة السابقين في الإسلام عارض بيعة أبي بكر
وقف مخاطباً قائلاً له:

((يا أبا بكر، أرجع عن ظلمك، وتب إلى ربك، والزم بيتك، وأبك على خطيئتك
وسلم الأمر إلى صاحبه الذي هو أولى به منك، فقد علمت ما عقده رسول الله ﷺ
في عنقك من بيعته ...، وألزمك بالنفود تحت راية أسامة بن زيد، وهو وأبنة على
بطلان وجوب هذا الأمر لك ولن عضدك عليه بضمه لكما إلى علم النفاق
ومعدن الشنآن والشقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله فيه على نبيه ((إِنَّ
شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ))^(٢).

وأضاف بعد ذلك قائلاً: ((أتق الله وبادر بالاستقالة قبل فوتها، فإن ذلك أسلم
لك في حياتك وبعد وفاتك، ولا تركن إلى دنياك ولا تغرنك قريش وغيرها فعن

(١) الخصل: ٤٣٣.

(٢) سورة الكوثر، الآية: ٣.

قليل تضمحل عنك دنياك، ثم تصير إلى ربك فيجزيك بعملك، وقد علمت وتيقنت أن علي بن أبي طالب هو صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ فسلمه إليه بما جعله الله له، فإنه أتم لسترك، وأخف لوزرك، فقد والله! نصحت لك إن قبلت نصحي وإلى الله ترجع الأمور))^(١).

٤- أبو أيوب الأنصاري:

هو خالد بن زيد الخزرجي، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد وعليه نزل النبي ﷺ حين قدم المدينة، وشهد مع الإمام مشاهده كلها، وكان في واقعة النهروان يحمل راية الأمان لمن خرج من معسكر الخوارج وانضم لمعسكر الامام، وكانت له كلمات وخطب حماسية رائعة يحث فيها الجماهير على مناصرة الامام ﷺ.

أنكر على أبي بكر البيعة وكان شديداً قوياً في كلامه. فقال لأبي بكر ومن معه: ((أتقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيكم، وردوا إليهم حقهم الذي جعله الله تعالى لهم، فقد سمعتم مثل ما سمع أخواننا في مقام بعد مقام لنبينا ﷺ ومجلس بعد مجلس يقول: ((أهل بيتي أئمتكم بعدي)).

ويوصي إلى علي ويقول: ((هذا أمير البرة وقاتل الكفرة، مخذول من خذله منصور من نصره، فتوبوا إلى الله من ظلمكم إياه، إن الله تواب رحيم ولا تقولوا عنه معرضين))^(٢).

في هذا الخطاب دعوة إلى الحق وجمع الكلمة ووحدة الصف إلا أن القوم وضعوا أصابعهم في أذانهم.

(١) الاحتجاج - الطبرسي: ١٠١/١.

(٢) الاحتجاج - الطبرسي: ١٠٣/١.

٥- أبي بن كعب:

كان سيد القراء ومن أصحاب العقبة الثانية ومن كتاب الوحي ومن كتاب رسائل النبي ﷺ.

أنكر على أبي بكر تقمصه الخلافة قائلاً له:

((يا أبا بكر، لا تجحد حقاً جعله الله لغيرك ولا تكن أول من عصى رسول الله ﷺ في وصيه وصفيه، وصدف عن أمره، أردد الحق إلى أهله تسلم ولا تتماد في غيك فتندم، وبادر الإنابة يخف وزرك ولا تختص بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك، فتلقى وبل عملك، فعن قليل تفارق ما أنت فيه، وتصير إلى ربك فيسألك عما جنيت، وما ربك بظلام للعبيد))^(١).

وفي هذه الكلمات إنذار ونصح له ولصالح الأمة وكشف لحقيقة هو يعرفها.

٦- سهل بن حنيف:

هو سهل بن حنيف الأوسي الأنصاري (أبو ثابت) شهد بدرًا والمشاهد كلها وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، وقد بايعه على الموت، صحب الإمام علي عليه السلام أصبح والياً من قبله على البصرة ثم على فارس.

قل: بعد أن حمد الله والثناء عليه:

((يا معشر قريش، أشهدوا عليّ إني أشهد على رسول الله ﷺ وقد رأيته في هذا المكان - يعني مسجد رسول الله ﷺ وقد أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول:

(١) نفس المصدر.

((أيها الناس، هذا عليُّ إمامكم من بعدي، ووصي في حياتي وبعد وفاتي، وقاضي ديني، ومنجز وعدي، وأول من يضافحني على الحوض، وطوبى لمن تبعه ونصره، والويل لمن تخلف عنه وخذله))^(١).

وقد أدى سهل شهادته التي سمعها من النبي ﷺ في حق سيد المتقين والعارفين لموقع أمير المؤمنين ﷺ حيث أنهم سمعوا تلك النصوص ووعوها ولكن الدنيا غرتهم وخدعتهم فأنسابوا وراء شهوة الملك والسلطات.

٧- خزيمة بن ثابت:

يعرف بنّي الشهادتين، كان من ألمع الصحابة وأوثقهم عند النبي ﷺ وكانت شهادته تعادل شهادة شاهدين، وذلك لما عرف عنه من الصلح والحريجة في الدين، وقد أعلن موقفه الصريح والكامل من الإمام علي ﷺ فقال مخاطباً المسلمين آنذاك:

((أيها الناس، أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قبل شهادتي وحلي، ولم يرد معي غيري؟ فقالوا بلى، قال: فاشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل، وهم الأئمة الذين يقتلني بهم)) وقد قلت ما علمت، وما على الرسول إلّا البلاغ المبين^(٢).

هذه هي شهادة ذو الشهادتين، قل حقاً وشهد صدقاً.

(١) الاحتجاج - الطبرسي: ١٠٣/١.

(٢) الاحتجاج - الطبرسي: ١٠٢/١.

هو مالك بن التيهان من قبيلة الأوس، أحد الستة الذين لقوا رسول الله ﷺ أول من بايعه ليلة العقبة، كان نقيب بني عبد الأشهل، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع النبي ﷺ^(١) كان أخلص أصحاب الإمام علي عليه السلام استشهد بصفين سنة (٣٧ هـ) وقد ذكره الإمام بأسى وحزن في بعض خطبه فقال: ((أين أخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من أخوانهم الذين تعاهدوا على المنية وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة)) ثم ضرب يده على لحيته الشريفة وأطل البكاء على تلك الصفوة التي واكبت الحق وعرفت مقام الإمام ومكانته.

قال: وقد أدلى بشهادته على أن علي بن أبي طالب أولى بالخلافة من غيره.

وقال: أنا أشهد على نبينا ﷺ أنه أقام علياً يوم غدِير خم. فقالت الأنصار: ما أقامه إلا للخلافة، وقال بعضهم: ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه مولى من كان رسول الله ﷺ مولى له، وكثر الخوض في ذلك فبعثنا رجلاً منا إلى رسول الله فسألوه عن ذلك؟

فقال: قولوا لهم: عليٌّ وليُّ المؤمنين من بعدي، وأنصح الناس لأمتي، وقد شهدت بما حضرني فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، إن يوم الفصل كان ميقاتاً^(٢).

(١) أسد الغابة: ٤ / ٢٧٤.

(٢) حية الإمام الحسن بن علي: ١٦٧ / ٨.

حكّت شهادة أبي الهيثم أن رسول الله ﷺ قلّد علي الإمامة والخلافة مما بعده في غدير خم وأمام ذلك الجمع الكبير الذي لم تجتمع الأمة بمثله رغم حرارة الجو وهيب الصحراء.

٩- سلمان الفارسي:

قال رسول الله ﷺ ((سلمان منا أهل البيت))، ((لا تقولوا سلمان الفارسي ولكن قولوا: سلمان المحمدي)).

كما حرم عليه الصدقة كما حرمها على أهل بيته، فقال: ﷺ: ((الصدقة حرام على سلمان)).

وقف سلمان معارضاً لبيعة أبي بكر وناقماً لما يجري بعد رسول الله ﷺ من تحريف للسنن.

مطالباً أبا بكر بالاستقالة من منصبه قائلاً له: ((يا أبا بكر، إلى من تسند أمرك إذا نزل بك ما لا تعرفه؟ وإلى من تفزع إذا سئلت عما لا تعلمه، وما عذرک في تقدم من هو أعلم منك - يعني علي بن أبي طالب - وأقرب إلى رسول الله ﷺ، وأعلم بتأويل كتاب الله تعالى وسنة نبيه، ومن قلعه النبي ﷺ في حياته وأوصاكم به عند وفاته، فنبذتم قوله، وتناسيتم وصيته، وأخلفتم الوعد ونقضتم العهد وحللتهم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية أسامة بن زيد))^(١).

(١) الاحتجاج - الطبرسي: ٩٩/١ - ١٠٠.

في هذه الكلمة الجامعة لمكانة علي عليه السلام في الإسلام ومنزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله لم يترك لأبي بكر عنزاً واحداً يجعله يتمسك بالخلافة أو حتى يدعوا لها أو لغيره. بعد أن أسند الحق إلى أهله وكشف الباطل وأهله.

١٠- عثمان بن حنيف:

هو عثمان بن حنيف الأنصاري الأوسي، شهد مع النبي صلى الله عليه وآله أحد والمشاهد بعدها، أستعمله عمر على مساحة سواد العراق، فمسح عمره وغامره، وقسط خراجه، وأستعمله الإمام عليه السلام على البصرة، وسكن الكوفة، وبقي إلى زمان معاوية ثم توفي.

كان من المعارضين والناقمين على بيعة أبي بكر فقد خاطبه قائلاً:

((سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أهل بيتي نجوم الأرض، فلا تتقدموهم فهم الولاية من بعلي)).

فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، وأي أهل بيتك؟

فقال: عليٌّ والطاهرون من ولده ^(١).

إنَّ النصوص الواردة في أهل البيت عليهم السلام هو فيض من معين لا ينضب والحكمة التي ليس لها قرار.

(١) الاحتجاج - الطبرسي: ١٠٣/٨.

١١- عتبة بن أبي لهب:

من المعارضين والناقمين على أبي بكر وقد عبر عن ذلك بهذه الأبيات:

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الأمرَ منصرفٍ عن هاشمٍ ثم منهم عن أبي حسنٍ
عن أولِ الناسِ إيماناً وسابقةً وأعلمِ الناسِ بالقرآنِ والسننِ
وآخرِ الناسِ عهداً بالنبيِّ ومن جبريلِ عونٌ له في الغسلِ والكفنِ
من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القومِ ما فيه من الحَسَنِ^(١)
لقد جسدتُ هذه الأبياتِ لوعةَ الحدثِ مما دفعتُ بعتبةَ أن يخاطبَ أبا بكرٍ موضحاً
له الصفاتِ الرفيعةَ والمزايا الكريمةَ للإمامِ عليٍّ عليه السلام، فكيف أقصي من كانت
هذه صفاته وعظمة إيمانه وقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله.

١٢- النعمان بن عجلان:

النعمان بن عجلان شاعر الأنصار والناطق بأسمهم، من المعارضين لبيعة أبي بكر
وقد ناشد المهلجرين بهذه الأبيات:

وقلتم حراماً نصب سعد ونصبكم عتيق بن عثمان حلال أبا بكر
وأهل أبو بكر لها خيرٌ قائم وأن علياً كان أخلق بالأمرِ
وكان هواناً في عليٍّ وأنه لأهل لها يا عمرو من حيث لا تلدي
إنَّ هذه الأبيات تبين الصراع الدائر بين حزب الأنصار وحزب قريش حول
الخلافة وانكار بعضهم لبعض في الأحقية متناسين موقف الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

(١) تاريخ أبي الفداء: ١/١٥٩.

وما أخبر به في أحاديثه طيلة ثلاثة وعشرون عاماً من أن علي بن أبي طالب هو
أحق المسلمين بالخلافة.

١٣- خالد بن سعيد بن العاص:

حين أمر رسول الله ﷺ أصحابه المؤمنين بالهجرة الثانية إلى الحبشة كان خالد بن
سعيد ممن شدوا رحالهم إليها^(١).

كان من المعارضين الأقوياء لبيعة أبي بكر فقام مخاطباً أبا بكر: أتق الله يا أبا بكر
فقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: ونحن محتوشوه يوم بني قريظة حين فتح الله عز
له باب النصر وقد قتل علي بن أبي طالب ﷺ يومئذ عدة من صناديد رجالهم
وأولي البأس والنجلة منهم:

يا معشر المهاجرين والأنصار: إني موصيكم بوصية فاحفظوها وأني مودعكم
فاحفظوه، ألا إن علي بن أبي طالب ﷺ أميركم بعدي وخليفتي فيكم بذلك
أوصاني ربي، ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه اختلفتم في
أحكامكم وأضطرب عليكم أمر دينكم ووليكم شراركم، ألا إن أهل بيتي هم
الوارثون لأمري والعللون بأمر أمي من بعدي، اللهم من أطاعهم من أمي وحفظ
فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي واجعل لهم نصيباً من مرافقتي يدركون به نور
الآخرة، اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فلحرمه الجنة التي عرضها كعرض
السموات والأرض.

(١) رجل حول الرسول - خالد محمد خالد: ٣٧.

فقال له عمر بن الخطاب: أسكت يا خالد فلست من أهل المشورة ولا ممن يقتدى برأيه فقال له خالد: بل أسكت أنت يا ابن الخطاب، فإنك تنطق على لسان غيرك وإيم الله لقد علمت قريش أنك من الأمها حسباً وأدناها منصباً، وأخسها قدراً وأحملها ذكراً وأقلها غناءً عند الله ورسوله، وأنك لجبان في الحروب وبخيل المال لثيم العنصر، ما لك في قريش من فخر ولا في الحروب من ذكر، وأنك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان ((إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ ائْتُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَإِن كُنتُمْ لَآتِينَ بِشَيْءٍ مِّنَ الْبَيِّنَاتِ إِلاَّ كِبْرًا)) ﴿١٧﴾ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾^(١).

قل: فأبلس عمر وجلس خالد بن سعيد^(٢).

هؤلاء رجال الإسلام الذين يجاهدون بأسيا فهم وألستهم يقولون حقاً ويجاهدون صدقاً.

١٤- بريدة الأسلمي:

بعد أن أكمل خالد بن سعيد حججه على أبي بكر مبيناً ما قاله رسول الله ﷺ في حق علي عليه السلام.

قام إليه بريدة الأسلمي فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ماذا بقي الحق من الباطل؟ يا أبا بكر أنسيت أم تناسيت وخذعت أم خدعتك نفسك أم سولت لك الأباطيل؟ أولم تذكر ما أمرنا به رسول الله ﷺ من تسميته علي عليه السلام بإمرة المؤمنين والنبي ﷺ بين أظهرنا؟ وقوله في عدة أوقات: ((هذا علي أمير المؤمنين

(١) سورة الحشر، الآيتين: ١٦ - ١٧.

(٢) الاحتجاج - الطبرسي: ١ / ١٩١.

وقاتل الناكثين والمشركين والقاسطين والمارقين))؟ فأنتق الله وتدارك نفسك قبل أن لا تدرکہا وأنقذها مما يهلكها وأرد الأمر إلى من هو أحق به منك، ولا تتماد في اغتصابه، وأرجع وأنت تستطيع أن تتراجع، فقد محضتک النصح ودللتک على طريق النجاة، فلا تكونن ظهيراً للمجرمين^(١).

١٥- الزبير بن العوام:

من المعارضين لبيعة أبي بكر والمتحصنين في بيت فاطمة عليها السلام، كان شديد في قوله لعمر بعد أن بايع.

قال: يا ابن صهاك أما والله لولا هؤلاء الطلقاء الذين أعانوك ما كنت لتقدم عليّ ومعى السيف، لما قد علمت من جينك ولؤمك، ولكنك قد وجدت أعواناً حتى تقوى بهم وتصول بهم، فغضب عمر وقال له: أتذكر صهاكاً؟ فقال الزبير: ومن صهاك؟ ومن ينعني من ذلك، وإنما كانت صهاك أمة حبشية لجدي عبد المطلب، فزنى بها نفيل فولدت أباك الخطاب فوهبها عبد المطلب له بعدما ولدته، فإنه لعبد جدي فولد زناه [قال] فأصلح بينهما أبو بكر، وكف كل واحد منهما عن صاحبه^(٢) إلا أنه ارتد بعد ذلك وقاتل علياً في معركة الجمل قل تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ غُلُوبًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)^(٣).

(١) الأحتجاج - الطبرسي: ١/ ١٩٥.

(٢) الأحتجاج - الطبرسي: ١/ ٢١٦.

(٣) سورة القصص، الآية: ٨٣

لم يحضر زيدا سقيفة قريش ومن معهم من القبائل المتعاملة معهم على تحريف سنة رسول الله ﷺ بل كان على غزوة الشام. ولن يبايع.

روي عن الباقر عليه السلام أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: أكتب إلى أسامة بن زيد يقدم عليك، فإن في قدمه قطع الشنعة^(١) عنه، فكتب أبو بكر إليه: ((من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى أسامة بن زيد أما بعد: فأنظر إذا أتاك كتابي إلي أنت ومن معك، فإن المسلمين قد اجتمعوا عليّ وولوني أمرهم فلا تتخلفن فتعصي ويأتيك مني ما تكره والسلام)).

قال: فكتب أسامة إليه جواب كتابه: ((من أسامة بن زيد عامل رسول الله ﷺ على غزوة الشام، أما بعد: فقد أتاني منك كتاب ينقض أوله آخره ذكرت في أوله أنك خليفة رسول الله ﷺ وذكرت في آخره أن المسلمين قد اجتمعوا عليك فولوك أمرهم ورضوا بك، فاعلم أي ومن معي من جماعة المسلمين والمهاجرين فلا والله ما رضينا بك ولا وليناك أمرنا وأنظر أن تدفع الحق إلى أهله وتخليهم وإياه، فإنهم أحق به منك فقد علمت ما كان من قول رسول الله ﷺ في علي عليه السلام يوم الغدير، فما طال العهد فتنسى، أنظر بمركزك ولا تحالف فتعصي الله ورسوله وتعصي من أستخلفه رسول الله ﷺ عليك وعلى صاحبك لم يعزني حتى قبض رسول الله ﷺ وإنك وصاحبك رجعتما وعصيتما فأقمتما في المدينة بغير أذني)).

نزلت رسالة أسامة بن زيد منزل الصاعقة على رأس أبا بكر، فأراد أن يخلعها من عنقه قال: فقال له عمر: لا تفعل قميص قمصك الله، لا تخلعه فتندم، ولكن الخ

(١) الشنعة: القبح.

عليه بالكتب [والرسائل] وأمر فلاناً وفلاناً [وفلاناً] أن يكتبوا إلى أسامة أن لا يفرق جماعة المسلمين وأن يدخل معهم فيما صنعوا.

قال: فكتب إليه أبو بكر وكتب إليه أناس من المنافقين: ((أن إرض بما أجمعنا وإياك أن تشمل المسلمين فتنة من قبلك فإنهم حديثوا عهد بالكفر)).

قال: فلما وردت الكتب على أسامة، أنصرف بمن معه حتى دخل المدينة فلما رأى اجتماع الخلق على أبي بكر، أنطلق إلى علي بن أبي طالب عليه السلام قال [له]: ما هذا؟ قال له علي عليه السلام: هذا ما ترى، قال له أسامة: فهل بايعته؟ فقال: نعم يا أسامة. فقال له أسامة: طائعاً أو كرهاً؟ قال: لا بل كرهاً. قال: فأنطلق أسامة فدخل على أبي بكر وقال له: السلام عليك يا خليفة المسلمين. قال: فرد عليه أبو بكر وقال: السلام عليكم أيها الأمير ^(١).

أبو بكر يهرب من صيحات المعارضين لبيعته

بعد صيحات الحق الصداقة التي تلقاها أبو بكر من الصحابة الأجلاء المدافعين عن المبادئ السامية والرافضين للظلم والاعتصاب.

أخذ يتراجع عن موقفه تاركاً منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عائداً إلى بيته. قال الصادق عليه السلام: فأفحم أبو بكر على المنبر حتى لم يُحر جواباً، ثم قال: وليتكم ولست بخيركم، أقيلوني أقيلوني، فقال له عمر بن الخطاب: أنزل عنها يا كع إذا كنت لا تقوم بحج قريش لِمَ أقمت نفسك هذا المقام؟ والله لقد هممت أن

(١) اليقين في إمرة أمير المؤمنين - السيد بن طاووس: الباب ١١٦ - ص ٩٥.

أخلعك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة قال: فنزل ثم أخذ بيده وأنطلق به إلى منزله وبقوا ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله ﷺ فلما كان اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد [المخزومي] ومعه ألف رجل، فقال لهم: ما جلوسكم فقد طمع فيها والله بنو هاشم؟ وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع لهم أربعة ألف رجل، فخرجوا شاهرين بأسياقهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله ﷺ.

فقال عمر: والله يا أصحاب علي، لئن ذهب منكم رجل يتكلم بالذي تكلم فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: يا ابن صهاك الحبشية أبأسياقكم تهدوننا أو بجمعكم تفرعوننا؟ والله إن أسياقنا أحد من أسياقكم وإنما لأكثر منكم وإن كنا قليلين لأن حجة الله فينا، والله لو لا أنني أعلم أن طاعة الله ورسوله وطاعة إمامي أولى بي. لشهرت سيفي ولجاهدتكم في الله [حق جهاده] إلى أن ابلي عذري.

فقال له أمير المؤمنين علي عليه السلام: أجلس يا خالد فقد عرف الله لك مقامك وشكر لك سعيك، فجلس.

علي عليه السلام أعلم الناس وأحلمهم وأتقاهم:

بعد أن كثر الكلام بين المنافقين حول تقدم أبا بكر وتخلف علي عن الخلافة وهو أولى بالمكان منه. لمنزلته وقربه من رسول الله ﷺ.

قام أبو بكر خطيباً فقال: صبراً على من ليس يؤول إلى دين، ولا يحتجب برعاية ولا يرعوي لولاية، أظهر الإيمان ذلة وأسر النفاق غلة، هؤلاء عصبة الشيطان، وجمع الطغيان يزعمون أنني أقول إنني أفضل من علي، وكيف أقول ذلك ومالي سابقته ولا قرابته ولا خصوصيته؟ وخر الله وأنا ملحد وعبد [علي] قبل أن أعبد، ووالى الرسول، وأنا عدوه، وسبقني بساعات لو أنقطعت لم ألحق ثنائه ولم أقطع عبارته، وإن علي بن أبي طالب فاز والله من الله بمحبة ومن الرسول بقرابة ومن الإيمان برتبة، لو جهد الأولون والآخرين إلا النبيين، لم يبلغوا درجته ولم يسلكوا منهجه، بذل في الله مهجته، ولأبن عمه مودته، كاشف الكرب ودامغ الريب وقاطع السبب إلا سبب الرشاد وقامع الشرك ومظهر ماتحت سويداء حبة النفاق.

عنة لهذا العالم، لحق قبل أن يلاحق. وبرز قبل أن يسابق، جمع العلم والحلم والفهم، وكان جميع الخيرات لقلبه كنوزاً لا يدخر منها مثقال ذرة إلا أنفق في بابه، فمن ذا يؤمل أن ينال درجته، وقد جعله الله ورسوله للمؤمنين ولياً وللنبي ﷺ وصياً وللخلافة راعياً وبالإمامة قائماً، أفيغتر الجاهل بمقام قمته إذ أقامني وأطعته إذ أمرني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((الحق مع علي وعلي مع الحق من أطاع علياً رشد ومن عصى علياً فسد ومن أحبه سعد ومن أبغضه شقى)).

والله لو لم يجب [علي] بن أبي طالب إلا لأجل أنه لم يواقع الله محرماً ولا عبد من دونه صنماً، ولحاجة الناس إليه بعد نبيهم، لكان في ذلك ما يجب، فكيف وأسباب أقلها موجب وأهونها مرغب [له]، الرحم المساسة بالرسول، والعلم بالدقيق والجليل، والرضا بالصبر الجميل والمواساة في الكثير والقليل وخلال لا يبلغ

بعدها ولا يدرك مجدها وُدَّ المتمنون أن لو كانوا تراب نعل ابن أبي طالب ليس هو صاحب لواء الحمد والساقى يوم الورد وجامع كل كرم وعالم كل علم والوسيلة إلى الله وإلى رسوله ^(١).

أبو قحافة (عبد الله بن عثمان) يسخر من بيعة أبي بكر

روي أن أبا قحافة (عثمان بن عامر) كان بالطائف لما قبض رسول الله ﷺ وبويع لأبي بكر، فكتب ابنه إليه كتاباً عنوانه: ((من خليفة رسول الله إلى أبي قحافة. أما بعد: فإن الناس قد تراضوا بي. فإني اليوم خليفة الله، فلو قدمت علينا كان أقر لعينك)).

قال: فلما قرأ أبو قحافة الكتاب قال للرسول: ما منعكم من علي؟

قال [الرسول]: هو حدث السن وقد أكثر القتل في قريش وغيرها، وأبو بكر أسن منه. قال أبو قحافة: إن كان الأمر في ذلك بالسن، فأنا أحق من أبي بكر، لقد ظلموا علياً حقه وقد بايع له النبي ﷺ وأمرنا ببيعته !!

اكتب إليه: ((من أبي قحافة إلى ابنه أبي بكر. أما بعد، فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحمق، ينقض بعضه بعضاً، مرة تقول: خليفة رسول الله ﷺ ومرة تقول: خليفة الله ومرة تقول: ترضى بي الناس، وهو أمرٌ ملتبس، فلا تدخلن في أمر يصعب عليك الخروج منه غداً، ويكون عقبك منه إلى النار والندامة وملامة النفس اللوامة لدى الحساب بيوم القيامة فإن للأمور مداخل ومخارج وأنت تعرف

(١) حلية الأبرار: ٤٠١/١.

من هو أولى بها منك، فراقب الله كأنك تراه ولا تدعن صلحها، فإن تركها اليوم اخف عليك وأسلم لك و[السلام]]^(١).

أعترافات الفاصبين للخلافة:

١- اعتراف أبي بكر (عتيق بن عثمان^(٢) بن عامر بن عمرو بن كعب).

وأخيراً كشفت الزمرة الحاكمة عن أخس أهدافها التي لا يمكن للتأريخ أن يطمسها ولا الزمن أن يخفي حقائقها.

قال أبو بكر: لقد قلدت أمراً عظيماً، مالي به طاقة ولا يد، ولو أردت أن أقوى الناس عليه مكاني^(٣) يعني بقوله علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومن صراحة أبي بكر وأعترافه قوله: إن بيعتي كانت فلتة وقي الله شرها^(٤).

أما ندمه بعد وصوله السلطة قائلاً: وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قدذفت الأمر في عنق أحد الرجلين فكان أميراً وكنيت وزيراً.

وبعد قول فاطمة له عليها السلام: والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها خرج منها باكياً فاجتمع إليه الناس فقل لهم: يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي.

(١) مباح المهج - قطب الدين الكيليني: ٦٥.

(٢) جمهرة النسب - هشام بن محمد بن محمد بن السائب الكلبي: ٧٩/٨.

(٣) تاريخ الخلفاء - السيوطي: ٦٩.

(٤) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد: ٥٠/٢ خطبة ٢٦ حديث السقيفة

بدأت عقدة الذنب في أبي بكر في جميع ساعاته في الليل والنهار عند القوم وفي بيته يردد قولاً: طوبى لمن مات في النأنة: أي في أول الإسلام قبل تحرك الفتن.

٢- أعراف عمر بن الخطاب بن نفيل^(١) بن عبد العزى بن رباح:

روي عن ابن عباس قال: طرقتني عمر بن الخطاب بعد هداة من الليل، فقال: أخرج بنا نحرس نواحي المدينة، فخرج وعلى عنقه درته حافياً، حتى أتى بقيع الغرقد، فأستلقى على ظهره، وجعل يضرب أخمص قدميه بيده وتأوه الصعداء فقلت له: يا أمير المؤمنين ما أخرجك إلى هذا الأمر؟ قال: أمر الله يا ابن عباس.

قال: قلت: إن شئت أخبرتك بما في نفسك؟ قال: غص يا غواص إن كنت لتقول فتحسن. قال: قلت: ذكرت هذا الأمر بعينه والى من تصيره.

قال: صدقت. قال: فقلت: له أين أنت عن عبد الرحمن بن عوف. فقال: ذلك رجل ممسك، وهذا الأمر لا يصلح إلا لمعط في غير سرف، ومانع في غير إقتار قال: قلت: سعد ابن أبي وقاص.

قال: مؤمن ضعيف. قال: فقلت طلحة بن عبد الله. قال: ذاك رجل يناول للشرف والمديح، يعطي ماله حتى يصل إلى مال غيره، وفيه بأو وكبر. قال: قلت: فالزبير بن العوام فهو فارس الإسلام. قال: ذاك يوماً إنساناً ويوماً شيطاناً وعفة نفس إن كان ليكادح على المكيلة من بكرة إلى الظهر حتى تفوته الصلاة.

(١) جهرة النسب - هشام بن محمد بن محمد بن السائب الكلبي: ١٠٥/٨.

قال: فقلت: عثمان بن عفان. قال: إن ولي حمل بني أبي معيط، وبني أمية على رقاب الناس، وأعطاهم مال الله، ولئن ولي ليفعلن، والله لئن فعل لتسيرن العرب إليه حتى تقتله في بيته، ثم سكت.

قال: فقال: أمضها يا ابن عباس أترى صاحبكم لها موضعاً؟ قال: فقلت: وأين يتعد من ذلك مع فضله وسابقته وقرابته وعلمه.

قال: هو والله كما ذكرت، ولو وليهم لحملهم على منهج الريق فأخذ المحجة الواضحة إلا أن فيه خصلاً، الدعابة في المجلس، وأستبداد الرأي، والتبكيك للناس مع حداثة السن^(١).

قال: قلت: يا أمير المؤمنين هلا أستحدثتم سنة يوم الخندق إذ خرج عمرو بن ود وقد كعم عنه الأبطال، وتأنرت عنه الأشياخ، ويوم بدر إذ كان يقط الأقران لظاً، وهلا سبقتموه بالإسلام؟

قال: إليك يا ابن عباس إن علياً ابن عمك لأحق الناس بها، ولكن قريشاً لا تحتمله ولئن وليهم ليأخذهم بمر الحق لا يجدون عنه رخصة، ولئن فعل لينكثن بيعته ثم ليحاربن. وقال عمر^(٢): أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان علي فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر وقد وقعت مناقشة أخرى بين عمر وأبن عباس حول نفس الموضوع جاء فيها: ((قال عمر: أتدري يا ابن عباس ما منع الناس منكم؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. قال: لكني أدري. قال: ما هو يا أمير المؤمنين؟

(١) نيل الأوطار - الشوكاني: ٨/ ٥٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٩ - طبعة لندن.

قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتجحفوا الناس جحفاً، فنظرت قريش لأنفسها فأختارت ووفقت فأصابت.

فقال ابن عباس: أيميط أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع؟

قال: قل ما تشاء. قال: أما قول أمير المؤمنين إن قريشاً كرهت فإن الله تعالى قال لقوم: ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ))^(١) وأما قولك إنا كنا نجحف فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة، ولكننا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله الذي قال الله فيه: ((وَأَنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ))^(٢) وقال الله تعالى له: ((وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))^(٣) وأما قولك: فإن قريشاً إختارت فإن الله تعالى يقول: ((وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ))^(٤). وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله أختار من خلقه لذلك من أختاره، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت. فقال عمر: على رسلك يا ابن عباس: أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشاً في أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول. فقال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الغش، فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهره الله وزكاه، وهم أهل البيت الذين قال الله لهم: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً))^(٥). وأما الحقد فكيف لا يحقد من غضب شيؤه ويراها في يد غيره؟

(١) سورة محمد الآية: ٩.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

(٤) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

فقل عمر: ما أنت يا ابن عباس؟ فقد بلغني عنك كلام أكره أن اخبرك به فتزول منزلتك عندي! قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ أخبرني به، فإن يك باطلاً فمثلي أمط الباطل عن نفسه، وإن يك حقاً فإن منزلي عندك لا تزول به قال: بلغني أنك لا تزال تقول: أخذ هذا الأمر حسداً أو ظلماً.

قال ابن عباس: أما قولك يا أمير المؤمنين حسداً، فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، فنحن بنو آدم المحسود. وأما قولك: ظلماً فأمر المؤمنين يعلم صاحب الحق مَنْ هو^(١).

٣- معاوية يعترف بسلب أبي بكر وعمر الخلافة:

بعد الرسالة التي بعث بها محمد بن أبي بكر إلى معاوية يأنبه بها على اغتصابه لحق علي عليه السلام وسفك دماء المسلمين وتمزيق الأمة والانحراف عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

جواب معاوية الى محمد بن أبي بكر:

من معاوية بن صخر إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر أما بعد:

فقد أتاني كتابك، فتذكر فيه ما الله أهله في عظمتهم وقدرته، وسلطانه، وما اصطفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كلام كثير لك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت فيه فضائل ابن أبي طالب، وقديم سوابقه وقرابته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواساته إليه في كل هول وخوف، فكان احتجاجك عليّ وعييك لي بفضل غيرك لا بفضلك،

(١) تاريخ الطبري: ٣٠/٥.

فأحد رباً صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب، وحقه لازم لنا مروراً علينا، فلما أختار الله لنبيه (عليه الصلاة والسلام) ما عنده وأتم له ما وعده وأظهر دعوته، وأبلغ حجته، وقبضه الله إليه صلوات الله عليه، [فكان أبوك وفاروقه أول من أبتزه حقه، وخالفه على أمره على ذلك إتفقا وإتسقا] ثم إنهما دعواهما إلى بيعتهما. فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما فهما به المموم وأرادا له العظيم، ثم إنه بايع لهما وسلم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعا على أمرهما، حتى قبضهما الله، ثم قام ثالثهما عثمان فهدي بهديهما وسار بسيرهما، فعبته أنت وصاحبك، حتى طمع فيه الأقصي من أهل المعاصي فطلبتما له الغوائل وأظهرتما عدواتكما فيه، حتى بلغتما فيه منالكما، فخذ حذرک يا ابن أبي بكر، وقس شبرک بفترک يقصر عنه أن توازي وتساوي من يزن الجبال بحلمه، لا يلين عن قسر قناته، ولا يدرك ذو مقال أناته، أبوك مهد مهاده وبنى ملكه وساده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً، فأبوك أستبد به ونحن شركاؤه ولولا ما فعل أبوك من قبل، ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلمنا إليه، ولكننا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا، فأخذنا بمثله، فعب أباك بما بدا لك أو دع ذلك والسلام على من أناب^(١).

وهذا إعراف صريح وواضح يصدر من مستتقع واحد يزكم الأنوف ويقرز النفوس ويكشف للمسلمين ضياع الأمة وإغراف حكامها.

(١) مروج الذهب - المسعودي: ١٢/٣.

٤- اعتراف يزيد بن معاوية:

روى البلاذري قائلًا: لما قتل الحسين عليه السلام كتب عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية: ((أما بعد فقد عظمت الرزية وجلت المصيبة، وحدث في الإسلام حدث عظيم، ولا يوم كقتل الحسين)).

كتب إليه يزيد بن معاوية: أما بعد يا أحمق، فإننا جئنا إلى بيوت مجلدة، وفرش ممهدة، ووسائل منضدة، فقاتلنا عنها، فإن يكن الحق لنا فعن حقنا قاتلنا، وإن كان الحق لغيرنا، فأبوك أول من سنَّ هذا، واستأثر بالحق على أهله^(١).

٥- اعتراف معاوية بن يزيد عن جرائم جده وأبيه:

وكان يزيد قد عهد بالخلافة من بعده لأبنة معاوية، فأعلن معاوية عن جرائم جده وأبيه، بنحو يوحي بعدم شرعية خلافتهما، ثم رفض تحمل مسؤولية الخلافة وتعيين ولي العهد له.

فقد خطب الناس، وقل في جملة ما قل: ((ألا وإن جلدي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله وأحق في الإسلام، سابق المسلمين وأول المؤمنين، وأبن عم رسول الله رب العالمين، وأبا بقية خاتم المرسلين. فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أتت منيته وصار رهناً بعمله.

(١) الطرائف - ابن طاووس: ٢٤٧.

ثم قلد أبي وكان غير خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خطأه، وعظم رجاؤه فأخلف الأمل، وقصر عنه الأجل فقلّت عنه منعته، وأنقطعت مدته، وصار في حفرته، رهناً بذنبه، وأسيراً بجرمه ((.

ثم بكى وقال: ((إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه، وقبح منقلبه وقد قتل عترة رسول الله، وأباح الحرمه، وحرقت الكعبة.

وما أنا بالمتقلد أموركم، ولا المتحمل ثباتكم. فشانكم أمركم. فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد لننا منها حظاً. وإن تكن شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها))^(١).

وقال البلاذري: ((وحدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم قال: دخل مروان بن الحكم على معاوية بن يزيد فقال له: لقد أعطيت من نفسك ما يعطي الذليل المهين ثم رفع صوته فقال: من أراد أن ينظر في خالقة آل حرب فلينظر إلى هذا. فقال له معاوية: يا ابن الزرقاء أخرج عني لا قبيل الله لك عذراً يوم تلقاه))^(٢).

لم يصل عهده، بل بقي عشرين يوماً^(٣) أو أربعين يوماً أو ثلاثة أشهر^(٤) أو أربعة^(٥) وقيل: إنه مات مطعوناً، وقيل: مات مسموماً ولعله الأشهر.

(١) البدء والتاريخ: ١٦/١ - ١٧، ولاية معاوية بن يزيد بن معاوية، حية الحيوان - للدميري، ص ١١٢:

في ملة أوز في خلافة معاوية بن يزيد سمط النجوم العوالي: ٣/١٠٢، وفاة يزيد وبيعة معاوية.

(٢) أنساب الأشراف - البلاذري: ٥/٣٨١ في ترجمة معاوية بن يزيد.

(٣) صحيح ابن حبان: ٣٩/١٥.

(٤) الطبقات الكبرى: ٣٩/٥.

(٥) تاريخ دمشق: ٣٠٥/٥٩.

نهاية الدولة السفيانية :

لم يعهد معاوية بن يزيد من بعده بالخلافة لأحد وبذلك انهارت دولة آل أبي سفيان تلك الدولة العظمى التي جهد معاوية بدهائه ومكره وجرائمه وموبقاته وقوة سلطانه في إرساء قواعدها وإحكام بنيانها وبني عليها آمالاً طويلة عريضة قال تعالى ((مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ...))^(١).

أبو بكر يعتذر لأمير المؤمنين عليه السلام من بيعته الناس له :

حين يصبح الغاصب للحق ضعيفاً حججه مدركاً لعواقب فعله مستقبلاً من نفسه وسلوكه تراه يظهر لك الأنسلاط واللين.

عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن جده عليه السلام قال: لما كان من أمر أبي بكر وبيعة الناس له وفعلهم بعلي عليه السلام لم يزل أبو بكر يظهر له الأنسلاط، ويرى منه الانقباض فكبر ذلك على أبي بكر، وأحب لقاءه وأستخرج ما عنده، والمعذرة إليه مما أجمع الناس عليه، وتقليدهم إليه أمر الأمة وقلة رغبته في ذلك وزهده فيه.

أته في وقت غفلة وطلب منه الخلو فقل: يا أبا الحسن! والله ما كان هذا الأمر عن مواطئة مني ولا رغبة فيما وقعت فيه ولا حرص عليه ولا ثقة بنفسي فيما تحتاج إليه الأمة، ولا قوة لي بمل ولا كثرة العشيرة ولا أبتزاز به دون غيري فما

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٨.

بالك تضر علياً ما لم استحقه منك، وتظهر لي الكراهة لما صرت فيه، وتنظر إلي بعين السامة مني؟

قل: فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فما حملك عليه إذ لم ترغب فيه ولا حرصت عليه ولا وثقت بنفسك في القيام به؟!

قل: فقال أبو بكر: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إن الله لا يجمع أمتي على ضلال)) فلما رأيت إجتماعهم أتبع قول النبي صلى الله عليه وسلم وأحلت أن يكون إجتماعهم على خلاف الهدى من الضلال، فأعطيتهم قود الإجابة ولو علمت أن أحداً يتخلف لأمتعت.

فقل علي عليه السلام: أما ذكرت من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ((إن الله لا يجمع أمتي على ضلال)) أفكنت من الأمة أم لم أكن؟

قل: بلى قل: وكذلك العصابة الممتنعة عنك: من سلمان، وعمار، وأبي ذر، والمقداد وابن عبادة ومن معه من الأنصار؟

قل: كل من الأمة.

قل علي عليه السلام: فكيف تحج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم وأمثال هؤلاء قد تخلفوا عنك؟! وليس للأمة فيهم طعن ولا في صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ولصحبه منهم تقصير. قل: ما علمت بتخلفهم إلا من بعد إبرام الأمر وخفت أن قعدت عن الأمر أن يرجع الناس مرتدين عن الدين، وكان ممارستهم إلي أن أجيبهم أهون مؤونة على الدين وإبقاء له من ضرب الناس بعضهم ببعض فيرجعون كفاراً، وعلمت أنك لست بدوني في الأبقاء عليهم وعلى أديانهم.

فقال علي عليه السلام: أجل ولكن أخبرني عن الذي يستحق هذا الأمر بما يستحقه.

قال فقال أبو بكر: بالنصيحة والوفاء ودفع المداينة، والمحابة وحسن السيرة، وإظهار العدل، والعلم بالكتاب والسنة، وفصل الخطاب مع الزهد في الدنيا، وقلة الرغبة فيها، وأنتصاف المظلوم من الظالم للقريب والبعيد ثم سكت.

فقال علي عليه السلام: والسابقة والقرابة.

فقال علي عليه السلام: أنشدك بالله يا أبا بكر، أفي نفسك تجد هذه الخصال أو في قال أبو بكر: بل فيك يا أبا الحسن.

قال: فأنتدك بالله، أنا المحيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذكر المسلمين أم أنت؟ قال: بل أنت.

قال علي عليه السلام: فأنتدك بالله، أنا صاحب الأذان لأهل الموسم والجمع الأعظم للأمة بسورة براءة أم أنت؟ قال: بل أنت.

قال: فأنتدك بالله [يا أبا بكر] أنا وقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسي يوم الغار أم أنت؟ قال: بل أنت.

قال: فأنتدك بالله أنا المولى لك ولكل مسلم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الغدير أم أنت؟ قال: بل أنت.

قال: فأنتدك بالله ألي الولاية من الله مع ولاية ولاية رسوله في آية الزكاة بلخاتم أم لك؟ قال: بل لك ^(١).

(١) المنقب - لابن المغازلي: ٣٦٣.

قال: فأنشدك بالله، ألي الوزارة من رسول الله ﷺ والمثل من هارون من موسى أم لك؟ قال: بل لك.

قال: فأنشدك بالله، ألي برز رسول الله ﷺ وبأهلي وولدي في مباحلة المشركين، أم بك وبأهلك وولدك^(١)؟ قال: بل بكم.

قال: فأنشدك بالله ألي ولأهلي وولدي آية التطهير^(٢) من الرجس أم لك ولأهل بيتك؟ قال: بل لك ولأهل بيتك.

قال: فأنشدك بالله أنا صاحب دعوة رسول الله ﷺ وأهلي وولدي يوم الكساء ((اللهم هؤلاء أهلي إليك لا إلى النار)) أم أنت؟
قال: بل أنت وأهلك وولدك.

قال: فأنشدك بالله، أنا صاحب آية: ((يُوقُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا)) أم أنت؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله أنت الفتى الذي نودي من السماء ((لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي)) أم أنا؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي حباك رسول الله ﷺ برايته يوم خيبر، ففتح الله له أم أنا؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي نفست عن رسول الله وعن المسلمين بقتل عمرو بن ود أم أنا؟ قال: بل أنت.

(١) صحيح مسلم: ١٢٠/٧، فضائل علي ﷺ.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل.

قال: فأنشدك بالله، أنت النبي أئتمنك رسول الله ﷺ على رسالته إلى الجن فújابت أم أنا؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله أنا الذي طهره الله من السفاح من لدن آدم إلى أبيه بقول رسول الله ﷺ ((وخرجت أنا وأنت من نكاح لا من سفاح من لدن آدم إلى عبد المطلب)) أم أنت؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنا النبي اختارني رسول الله ﷺ وزوجني أبنته فاطمة ؓ. وقال ((الله زوجك إياها في السماء))^(١) أم أنت؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنا والد الحسن والحسين سبطيه وريحاتي إذ يقول: ((هما سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما))^(٢) أم أنت؟ قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله أخوك المزين بالجنحين^(٣) يطير في الجنة مع الملائكة أم أخي قال: بل أخوك.

قال: فأنشدك بالله أنا ضمنت دين رسول الله ﷺ وناديت في الموسم بإنجاز مواعده أم أنت؟ قال: بل أنت.

(١) فرائد السمطين: ١/ ٩١، الباب ١٧، الحديث ٦.

(٢) ينابيع المودة - القندوزي: ١/ ١٦٦.

(٣) أسد الغابة: ١/ ٢٨٦.

قل: فأنشدك بالله، أنا الذي دعاه رسول الله ﷺ والطير عنده يريد أكله يقول:
((اللهم إيتيني بأحب خلقك إلي وإليك بعدي يأكل معي من هذا الطير))^(١) فلم
يأته غيري أم أنت؟

قل: بل أنت.

قل: فأنشدك بالله أنا الذي بشرني رسول الله ﷺ بقتل الناكثين، والقاسطين^(٢)
والمارقين، على تأويل القرآن أم أنت؟

قل: بل أنت.

قل: فأنشدك بالله، أنا الذي دلَّ عليه رسول الله ﷺ بعلم القضاء وفصل الخطاب
بقوله: ((علي أفضاكم)) أم أنت؟

قل: بل أنت.

قل: فأنشدك بالله، أنا الذي أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالسلام عليه^(٣) بالإمرة في
حياته أم أنت؟

قل: بل أنت.

قل: فأنشدك بالله، أنا الذي شهدت آخر كلام رسول الله ﷺ ووليت غسله ودفنه
أم أنت؟

قل: بل أنت.

(١) فضائل الصحابة: ٥٦٠/٢.

(٢) المستترك للحاكم: ١٣٩/٣.

(٣) إحقاق الحق: ٧٦/٤.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي سبقت له القرابة من رسول الله ﷺ أم أنا؟
قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله أنت الذي حماك الله بالدينار عند حاجته إليه وباعك جبرئيل،
وأضفت عمداً ﷺ فأطعمت ولده أم أنا؟
قال: فبكي^(١) أبو بكر ثم قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي جعلك رسول الله ﷺ على كتفه في طرح صنم
الكعبة وكسره حتى لو شئت أن أنال أفق السماء لنتها أم أنا؟
قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله أنت الذي قال لك رسول الله ﷺ ((أنت صاحب لوائي في
الدنيا والآخرة))^(٢) أم أنا؟
قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله أنت الذي أمرك رسول الله ﷺ بفتح بابه في مسجده عندما أمر
بسد أبواب جميع أهل بيته وأصحابه وأحل لك فيه ما أحل الله أم أنا؟
قال: بل أنت.

(١) مناقب الخوارزمي: ٢٢٤.

(٢) فضائل الصحابة: ٦٦٣/٢.

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي قدمت بين يدي نجوى رسول الله ﷺ صدقة فنجيته
إذ عاتب الله قوماً فقال: ((أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ))^(١): أم
أنا؟

قال: بل أنت ^(٢).

قال: فأنشدك بالله، أنت الذي قال رسول الله ﷺ لفاطمة: ((زوجتكِ أول الناس
إيماناً وأرجحهم إسلاماً في كلام له)) أم أنت؟
قال: بل أنت.

قال: فأنشدك بالله يا أبا بكر، أنت الذي سلمت عليه الملائكة سبع سماوات يوم
القليب أم أنت؟
قال: بل أنت.

قال: فلم يزل علي عليه السلام يورد مناقبه التي جعل الله له ورسوله ﷺ دونه ودون
غيره، ويقول له أبو بكر بل أنت.

قال: فهذا وشبهه يستحق القيام بأمور أمة محمد ﷺ فما الذي غرك عن الله تعالى
وعن رسوله ودينه وأنت خلوتما يحتاج إليه أهل دينه.

قال: فبكى أبو بكر وقال: صدقت يا أبا الحسن، أنظرني قيام يومي فأدبر ما أنا فيه
وما سمعت منك.

قال: فقال علي عليه السلام لك ذلك يا أبا بكر.

(١) سورة المجادلة: الآية: ١٣.

(٢) الدر المنثور: ١/١٨٥.

فرجع من عنده وطابت نفسه يومه ولم يأذن لأحد إلى الليل، وعمر يتردد في الناس لما بلغه من خلوته بعلي عليه السلام فبات في ليلته فرأى في منامه كأن رسول الله صلى الله عليه وآله تمثل له في مجلسه فقام إليه أبو بكر يسلم عليه فولى عنه وجهه فصار مقابل وجهه فسلم عليه فولى بوجهه عنه، فقال أبو بكر: يا رسول الله! أمرت بأمر لم أفعله؟ فقال أرد عليك السلام وقد عادت من والاه الله ورسوله؟! رد الحق إلى أهله فقلت: من أهله؟ قال: من عاتبك عليه علي، قلت: فقد رددته عليه يا رسول الله ثم لم يره.

فأصبح أبو بكر إلى علي عليه السلام وقال: أبسط يدك يا أبا الحسن أبايعك وأخبر بما قد رأى، قال: فبسط علي يده فمسح عليها أبو بكر وبايعه وسلم عليه وقال له: أخرج إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرهم بما رأيت من ليلتي، وما جرى بيني وبينك، وأخرج نفسي من هذا الأمر وأسلمه إليك، قال: فقال علي عليه السلام: نعم.

فخرج من عنده متغير لونه عالياً نفسه فصادفه عمر - وهو في طلبه فقال له: ما لك يا خليفة رسول الله؟ فأخبره بما كان وما رأى وما جرى بينه وبين علي، فقال له عمر: أنشدك بالله يا خليفة رسول الله والإغترار بسحر بني هاشم والثقة بهم، فليس هذا بأول سحر منهم فما زال به حتى رده عن رأيه، وصرفه عن عزمه، ورجبه فيما هو فيه بالثبات عليه والقيام به.

قال: فأتى علي عليه السلام المسجد على الميعاد فلم ير فيه أحد منهم فأحس بشيء منهم فقعد إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: فمر به عمر، فقال: يا علي! دون ما تريد خرط القتاد فعلم - عليه السلام بالأمر ورجع إلى بيته ^(١).

(١) الخصال: ٥٤٨/٢.

الإمام علي لم يبايع إلا كرهاً:

بعد كشف بيت فاطمة عليها السلام وأفتحامه من قبل عمر بعد أن بعته أبو بكر مع جماعة إلى علي عليه السلام ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة عليها السلام وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم، فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار، فلقيته فاطمة عليها السلام وقالت: إلى أين يا بن الخطاب أجئت لتحرق دارنا قال: نعم وتدخلوا فيما دخلت فيه الأمة ^(١).

روى الشهرستاني في الملل والنحل: إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها وكان يصيح أحرقوا دارها بمن فيها وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين ^(٢).

ذكر الخبر جملة من المؤرخين الذين مر ذكرهم في الهجوم على بيت الزهراء في الصفحة (٨٣) كان ذلك بغير إذن فبادر علي عليه السلام إلى سيفه ليأخذ سبقه إليه فتناول بعض سيوفهم، فكثروا عليه فقبضوه وألقوا في عنقه حبلاً أسود وحالت فاطمة عليها السلام بين زوجها وبينهم عند باب البيت، فضربها قنفاً بالسوط على عضدها !!! فبقي أثره في عضدها من ذلك مثل الدمليج.

انطلقوا بعلي عليه السلام ملبياً معتل حتى أنتهوا به إلى أبي بكر وعمر قائم بالسيف على رأسه ومعه خالد بن الوليد المخزومي وأبو عبيدة بن الجراح وسالم، والمغيرة وأسيد بن حضير، وبشير بن سعيد وسائر الناس قعود حول أبي بكر ومعهم السلاح ودخل علي عليه السلام وهو يقول: أما والله لو وقع سيفي بيدي لعلمتم أنكم

(١) تاريخ أبي الفداء: ١٥٦/١، المطبعة الحسينية، مصر.

(٢) الملل والنحل - للشهرستاني: ٨٣، طبع مصر.

لن تصلوا إلى هذا مني وبالله لا ألوم نفسي في جهد ولو كنت في أربعين رجلاً لفرقت جماعتكم، فلعن الله قوماً بايعوني ثم خذلوني.

ثم قال: يا معشر المهاجرين والأنصار! أنشدكم بالله، أسمعتم رسول الله ﷺ يقول يوم غدِيرِ خم^(١) وفي غزوة تبوك^(٢) فلم يدع شيئاً قل فيه ﷺ علانية للامة ألا ذكره. فقالوا: اللهم نعم.

فلما خاف أبو بكر أن ينصروه ويمنعوه، بدرهم فقال: كل ما قلته قد سمعته بأذاننا ووعته قلوبنا، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول بعد هذا: إنا أهل بيت أصطفانا الله وأكرمنا وأختار لنا الآخرة على الدنيا، وإن الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة.

قال علي ﷺ: لقد وفيتم بصحيفتكم الملعونة التي قد تعاقدم عليها في الكعبة: إن قتل الله محمداً أو أماته. أن تزووا هذا الأمر عنا أهل البيت.

فقل أبو بكر: وما علمك بذلك؟ أطلعناك عليها؟ قال علي ﷺ: يا زبير و يا سلمان و أنت يا مقداد أذكركم بالله وبالإسلام، أسمعتم رسول الله ﷺ يقول ذلك لي: إن فلاناً وفلاناً - حتى عد هؤلاء الخمسة - قد كتبوا بينهم كتاباً وتعاهدوا وتعاقدوا على ما صنعوا؟

قالوا اللهم نعم، قد سمعناه يقول ذلك لك، فقلت له: بأبي أنت وأمي يا نبي الله فما تأمرني أن أفعل إذا كان ذلك؟ فقال لك: إن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم

(١) قل رسول الله ﷺ (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)

(٢) (يا علي! أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلى النبوة؟)

ونابذهم، وإن لم تجد أعواناً فبايعهم وأصبر وأحقر دمك فقال علي عليه السلام: أما والله لو أن أولئك الأربعين رجالاً الذين بايعوني وفوا لي لجاهدتكم في الله والله حق جهاده أما والله لا ينالها أحد من عقبكم إلى يوم القيامة.

ثم نادى قبل أن يبايع [وأشار إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] وقال: ((ابن أم إن القوم أستضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء)) ثم مدوا يده وهو يقبضها، حتى وضعوها فوق يد أبي بكر وقالوا: بايع، بايع وصيح في المسجد: بايع، بايع أبو الحسن ^(١)!!!

الزهراء عليها السلام توازر علياً في محنته :

روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: لما أستخرج أمير المؤمنين عليه السلام من منزله خرجت فاطمة عليها السلام خلفه، فما بقيت امرأة هاشمية إلا خرجت معها، حتى أنتهت قريباً من قبر أبيها فقالت لهم: خلوا عن ابن عمي فوالذي بعث محمداً أبي صلى الله عليه وآله وسلم بلحق [نبياً] لئن لم تخلوا عنه لأنشرون شعري واضعن قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رأسي ولأصرخن إلى الله تبارك وتعالى، فما ناقة صالح [نبي الله] أكرم على الله مني ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدي قل سلمان: كنت قريباً منها، فرأيت والله أساس حيطان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنقلعت من أسفلها، حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ. فدنوت منها فقلت: يا سيدتي ومولاتي إن شاء الله تبارك وتعالى بعث أباك [رحمةً] [للعالين] فلا تكوني [أنت] نعمة فرجعت ورجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها فدخلت في خياشيمنا ^(٢).

(١) الاحتجاج - الطبرسي: ٢١٥/١.

(٢) اليعقوبي: ١٢٦/٢.

ممارسة السلف الصالح في بيعته الخلفاء الثلاثة؟

من أكبر الوقائع التاريخية التي في سجل عصرنا الذهبي مما يتعلق بموضوع القيادة ونعيد قراءتها بعيداً عن العواطف وننظر ما أدت إليه من نتائج عبر التاريخ وما تؤدي إليه الآن من عواقب، أتحدث في أصلها وإن اختلفت في أشكالها من بلد لآخر وفق ظروفه وتاريخه وخلفيته الثقافية.

بيعة الخليفة الأول (أبي بكر سنة ١١ هـ):

توفى الرسول الأعظم ﷺ قام بتغسيله وتجهيزه ودفنه علي بن أبي طالب عليه السلام وعمه العباس وولديه الحسن والحسين عليهما السلام وبعض مواليه بينما أنشغل فريق آخر من الصحابة في نفس الوقت بأمر القيادة على نحو رواه عمر بن الخطاب فقال:

(... فلا يغرن امرءاً أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، فقد كانت كذلك غير أن الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر. وإنه كان من خبرنا حيث توفي رسول الله ﷺ أن علياً والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة، وتخلف عنا الأنصار بأسرها وأجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: أنطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا تؤمهم، فلقينا رجلاً صلحاً قد شهدنا بدرًا فقال: أين تريدون معشر المهاجرين؟

فقلنا نريد إخواننا من الأنصار، قالوا: فأرجعوا فأقضوا أمركم بينكم، فقلنا: والله لتأتينهم وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة وإذا بين أظهرهم رجل مزمل، قلت:

من هذا؟ قالوا سعد بن عبادة، فقلت: ما شأنه؟ قالوا: وجع، فقام رجل منهم فحمد الله وقال: أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر قريش رهط نبينا، وقد دفت إلينا من قومكم دافة. فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، ويعصبونا الأمر، وقد كنت زودت في نفسي مقالة أقدمها بين يدي أبي بكر وقد كنت اداري منه بعض الحد وكان هو أوفر مني وأحلم فلما أردت أن أتكلم قال: على رسلك، فكرهت أن اعصيه فقام فحمد الله وأثنى عليه، فما ترك شيئاً كنت زودت في نفسي أن أتكلم به لو تكلمت إلا قد جاء به أو بأحسن منه وقال: أما بعد يا معشر الأنصار، فإنكم لا تذكرون منكم فضلاً إلا وأنتم له أهل، وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لحي من قريش وهم أوسط داراً ونسباً ولكن قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم فأخذ بيدي ويدي أبي عبيدة بن الجراح ... فلما قضى أبو بكر كلامه، قام منهم رجل فقال: أنا جديلهما المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فارتفعت الأصوات وكثر اللغط، فلما أشفقت الاختلاف قلت لأبي بكر: أبسط يدك أبايعك فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون والأنصار، ثم نزونا على سعد حتى قل قائلهم: أقتلت سعد بن عبادة، فقلت قتل الله سعد وأنا والله لم نجد أمراً أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقتنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة أن نتابعهم على ما نرضى أو نخالفهم فيكون فساد^(١).

(١) تاريخ الطبري - محمد بن جرير الطبري: ٤٤٦/٢ - ٤٤٧.

وقد روى المؤرخون ^(١): (اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة وتركوا جنازة رسول الله ﷺ يغسله أهله فقالوا نولي هذا الأمر بعد محمد ﷺ سعد بن عبادة وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض .. فحمد الله وأثنى عليه وذكر سابقة الأنصار في الدين وفضلتهم في الإسلام وإعزازهم للنبي وأصحابه وجهادهم لعدائه حتى استقامت العرب وتوفى الرسول وهو عنهم راضٍ وقالوا: أستبدوا بهذا الأمر دون الناس، فأجابوه بأجمعهم: أن قد وفقت في الرأي وأصبت في القول ولن نعدو ما رأيت، نوليك هذا الأمر.

سمع أبو بكر وعمر بذلك فأسرعا إلى السقيفة، وتكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر سابقة المهاجرين في التصديق بالرسول دون جميع العرب وقل: ((فهم أول من عبد الله في الأرض، وآمن بالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم في ذلك إلا ظالم)).

وهذا الخطاب يبين لنا أن القوم لا يزالون يعيشون العصبية القبلية بأحكامها الضيقة الموروثة !!! بعيداً عن الخطاب القرآني والسنة النبوية الشريفة.

ثم ذكر أبو بكر فضيلة الأنصار وقل: ((فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا تفتانون بمشورة ولا نقضي دونكم الأمور، فقام الحباب بن المنذر وقل يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس في فينكم وفي ظلكم ولن يجترئ على خلافكم، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم، فإن أبى هؤلاء ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير. فقل عمر: هيهات لا يجتمع أثنان في قرن والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم

(١) تاريخ الطبري: ٤٥٦/٢.

ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولى أمرهم منهم، ولنا بذلك على من أبى الحجة الظاهرة والسلطان المين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن اولياؤه وعشيرته إلا مدى بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة؟

فقام الحباب بن المنذر وقال: يا معشر الأنصار أملكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبو عليكم ما سألتموه فجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم فبأسيافكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به، أنا جذيلهما المحكك وعذيقهما المرجب، أما والله إن شئتم لنعدنيها جذعة.

قال عمر: إذن يقتلك الله قال: بل إياك يقتل، فقال أبو عبيدة، يا معشر الأنصار إن كنتم أول من ناصر وأزر فلا تكونوا أول من بدل وغير، فقام بشير بن سعد أبو نعمان بن بشير فقال: إنا والله لئن كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكبح لأنفسنا، فما ينبغي أن تستطيل على الناس بذلك ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً، فإن الله ولي النعمة علينا بذلك ألا إن محمداً ﷺ من قريش، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة.

قال بعضهم لبعض: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر، فقاموا إليه فبايعوه فأنكر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم).

وقد رفض سعد بن عبادة بيعة أبي بكر، وقال حين أرسلوا إليه ليباع: (أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل، وأخضب سنان رحمي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يني، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي، فلا أفعل وإيم الله لو أن الجن أجمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي) فكان^(١) سعد لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم وبقي كذلك حتى توفى أبو بكر وولى عمر. وقيل إن عمر أرسل إليه رجلاً في خلافة أبي بكر يدعوه إلى البيعة فإن أبي فليقاتله فلما أبى سعد البيعة رماه بسهم فقتله أقول: أول جريمة قتل يتبعها (عمر) في أسلوب أخذ البيعة من المعارضين لها وهذه نزعة جاهلية قديمة حرمها الإسلام وعاقب عليها. لا تزال تعيش في عقول ونفوس البعض منهم يشعرك بأن الإسلام لم ينجح في إقتلاع جذور الجاهلية من النفوس.

وأما الآخرون ممن رفضوا بيعة أبي بكر فتحصنوا في بيت فاطمة بنت رسول الله وكانوا جماعة من بني هاشم وجمعاً من المهاجرين والأنصار بزعمه الإمام علي عليه السلام والعباس بن عبد المطلب وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي ذر الغفاري، وأبي بن كعب وغيرهم.

وقد روت هذه الواقعة كتب السير والتاريخ والصحاح والمسانيد المعتبرة.

ومنهم من صرح بما جرى فيها، ومنهم من تعلمى عنها، ومن صرح ببعض ما جرى فيها ومنهم البلاذري حيث قل: ((بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي عليه السلام حين قعد عن بيعة أبي بكر، وقل: اتنتي به بأعنف العنف، فلما جرى

(١) تاريخ الطبري - محمد بن جرير الطبري: ٤٥٩/٢.

بينهما كلام فقال (أي علي): أحلب حلباً لك شطره، والله ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤثرك غداً^(١).

وذكر الكثير من المؤرخين أن أبا بكر أرسل جماعة منهم عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد بزعامة عمر بن الخطاب ليخرجوهم من بيت فاطمة، وقال لهم: إن أبوا فقاتلوهم، فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرهم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة عليها السلام.

فقلت: يا بن الخطاب أجتت لتحرق دارنا؟ قال: نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة^(٢).

وأقتحموا دار سيدة نساء العالمين بنت رسول الله ﷺ لملاحقة المعارضين وقتالهم وتحريقهم بالنار حتى يبائعوا أبا بكر قسراً. وبقي علي وبنو هاشم لم يبيعوا أبا بكر ستة أشهر حتى توفيت السيدة فاطمة وأنصرف الناس عن علي فضرع إلى مبايعة أبي بكر.

إن بيعة أبي بكر لم تتم في ظروف عادية، بل تمت دون أن يعلم بها الناس جميعاً، أو على الأقل جميع أكابر الصحابة أو حتى زعماء الاتجاهات السياسية الموجودة على الساحة. فقد أجمع في السقيفة نفر من الأنصار بيتوا في أمر القيادة في غياب الآخرين، ثم لحق بهم نفر من المهاجرين لينافسوهم، ويمنعوا الأنصار من الانفراد بالقيادة ولم يعلم بالأمر أكبر وأهم قوة سياسية ودينية وهي بنو هاشم -

(١) أنساب الأشراف - البلاذري: ٥٨٧/١.

(٢) العقد الفريد: ٤/ ٣٦٠، تاريخ أبي الفداء: ١/ ١٥٦، الرياض النضرة للمحب الطبري: ١/ ٢١٨، تاريخ اليعقوبي: ١٠٥/٢.

آل بيت النبي ﷺ. بعد أن أنتهز هذا النفر القليل من المهاجرين والأنصار
إنشغالهم بتفصيل وتكفين النبي.

وتم ما تم دون إعلام المسلمين، وبغير أنتظار لتهدأ مشاعر الأمة التي حلت بها
كارثة غياب القائد الذي لا يملأ فراغه أحد.

فالسباق الذي تمت فيه هذه البيعة بعد رسول الله لم يكن طبيعياً ولا يمكن أن
تستريح له أنفس الناس بالحثين وغير بالحثين.

إن الذين أجمعوا في السقيفة - إن صحت روايات المؤرخين - لم يضعوا
الإسلام ولا نظرية الدولة وفكرها، ولا مصلحة الأمة العامة أمامهم وهم يحسمون
قضية القيادة، كما أنهم لم يجلسوا لبحثوا عن هداية في ضوء نص من كتاب أو
سنة يهتدون في هذا الوقت المصيب بل قدم كل منهم نفسه على أنه (مهاجر) أو
(أنصاري) ثم وصل الأمر ببعضهم إلى أن طالب بطرد المهاجرين من المدينة فمن
نابوا عن قريش - القبيلة - تحدثوا بإسماها وبمنزلتها، ومن مثلوا الأنصار سلكوا
نفس السبيل ثم خطا القوم خطوة أوسع في هذا الباب إذ أحيوا الأحقاد القبلية
القديمة، وإذا بالأوس تنضم إلى قريش، لا لكونها على حق بل نكايه في الخزرج
وزعيمها، بعد أن خافت أن تؤول القيادة إليها فتسبقها في الفضل تماماً كما كان
التنافس بينهما في الجاهلية.

والخلاصة أن السلوك الذي سلكته القدوة في السقيفة من تجاهل لرأي المسلمين
لأنهم رعا ع وغوغاء كما وصفهم بذلك الصحابي الثري عبد الرحمن بن
عوف^(١) وعدم اعتبار رأيهم والأكتفاء برأي النخبة بل النخبة الثرية في حسم

(١) تاريخ الطبري - محمد بن جرير: ٤٤٥/٢، سيرة ابن هشام: ٣٦/٤.

القضايا المصرية، وعدم إعطاء كل تيار سياسي - ولا أقول كل مسلم - حقه في التعبير عن رأيه بحرية.

كل هذا وورثته وتشربته نفوس مجتمعاتنا وأنسكب في الأصلاب جيلاً بعد جيل، فإذا بكل أمور المسلمين في الوقت الراهن تقررها ثلة تدبر أنظمة، أو حفنة تقود أحزاباً ومنظمات دون اعتبار لما يجيش في نفوس الأغلبية العريضة التي يقوم عليها المجتمع بكل ألوانه وأطيافه. وإن ما حدث في السقيفة - إذا نظرنا إليه بعين الخائفين في السياسة وأردنا تقديمه للناس في العصر الحديث - لا يمكن اعتبار إجراءً سليماً يتفق ومبادئ الإسلام، وأقل ما فيه من مخالفة أنه أعطى صوتاً لكل قبيلة حضرت - وهذا أيضاً فيه تساهل منا - ولم يعطِ صوتاً لكل مسلم، بل ولا بكل قبيلة من القبائل العربية ولا حتى لكل تيار سياسي أو من ثم تجاهل القطاع الأعرض من الناس وحرّمهم حقهم في المشاركة في اتخاذ القرار واختيار القيادة ثم يزعم البعض بعد ذلك أنه كان اختياراً حراً ديمقراطياً على الدولة الإسلامية في عصرنا - إن قامت - أن تعيله وتمسك به فهو جزء من نظرية الإسلام في الحكم التي لو طبقت لأكل الناس مسلمين وغير مسلمين - من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

وكذلك أسلوب التعامل مع المعارضين والمخالفين في الرأي خلال هذه الأزمة السياسية لم يكن منسجماً مع مبادئ الإسلام التي نسيناها ووضعنا مكانها تصرفات البعض كنموذج نطالب الناس باتباعها، فصارت من بعد أسلوب حية للمسلمين حكاماً ومحكومين حتى يومنا هذا.

نعم كان كبار الجيل الأول وهو في السلطة لا يفضون إن أمسك امرؤ من العامة بتلابيب أحدهم وطالبه بحق من حقوقه كما تقول الروايات، لكن هذه كانت نماذج فردية تتعلق بأمور غير السلطة والحكم والقيادة، فأما حين كانت المعارضة للسلطة وجدنا أسلوباً مختلفاً فأصل ذلك في مجتمعاتنا التجبر وأضطهاد المخالفين وانتهاك الحرم في سبيل السلطة ولو كانت حرمة بنت الرسول الأعظم ﷺ وسعد بن عباد - مثلاً (قتله الله) كما قال عمر: لأنه عارض رأيه، وهو منافق يستحق^(١) القتل عنده أيضاً لأنه رفض البيعة، ولم يستريحوا حتى قتلوه لأنه يشكل خطراً سياسياً غير أن مؤرخينا أنقسموا ضمنهم من استحيا أن يذكر واقعة قتله لأنها مخالفة شرعية لقوانين الإسلام الذي لا يبيح قتل من اختلف في الرأي أو عارض السلطة، ومنهم من أستخف بعقول الناس فنسب قتله إلى الجن^(٢) لكنه فشل في تقديم أسباب عداء الجن له أو دواعي الخلافات بينه وبينهم مع أنهم لم يكونوا في السلطة آنذاك.

ليس هذا فحسب بل إن الإقدام على إحراق المعارضين بالنار وفيهم بنت رسول الله وأبن عمه وغيرهما من صلحاء الأمة لمعارضتهم شرعية بيعة أبي بكر كما أشرنا سابقاً. وهذا أبشع نموذج لقمع المخالفين وأضطهاد المعارضين أستهل به قدوتنا تاريخهم السياسي وهم - عندنا أهل السنة □ أفضل الخلق بعد رسول الله والحجة علينا بعلمه.

(١) تاريخ الطبري - محمد بن جرير: ٤٥٩/٣.

(٢) الرياض النضرة: ٢١٨/١.

والمثال الذي يحتمنى، ولذلك ظل أبو بكر يندم على هذه الواقعة ويردد: (ليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله، واخله الرجال ولو كان أغلق على حرب)^(١).

هذه التصرفات التي ارتكبتها كبار السلف لم تمر هكذا بلا أثر، بل حفرت بأظفارها في عقل الأمة الباطن، ونفشت شخصها وروحها فإذا بمن علينا من حكام يقلدونها - قصداً أم من غير قصد - فإن ذهبنا إلى التنظيمات التي تريد إعادة الخلافة أو إلى الأنظمة التي قامت لترد الناس إلى طريق أهل البيت الذين فُعل بهم هذا، رأيناها - قصداً أم بلا قصد - تمارس نفس الأسلوب فأصبح الجو كله في عللنا جواً إرهابياً، لا يطلق فيه رأي مخالف ولا يسمع فيه لصوت عقل لأن المعارضة الواعية لا يتحملها المسلمون سواء كانوا في السلطة أم خارجها. بحكم ما تغلغل في فكرنا بعد أن أضفينا الشرعية على الممارسات غير الشرعية وقدسنا أصحابها قروناً طويلة ولنا على استعداد لأن نناقش موقف الإسلام الحقيقي منها، لأننا لو فعلنا ذلك أضطررنا إلى تخطئة أشخاص هم عندنا أقدس وأرفع منزلة من الحق والإسلام نفسه.

وإن من العجب العجاب قول القائل إن الرسول الأعظم ﷺ ترك الأمة بدون قيادة؟

وهذا سبب التعجيل بحسم مشكلة القيادة ببيعة أبي بكر وجوب أن لا تبقى الأمة والدولة بلا قيادة يوماً واحداً وهو ما ذكره عمر، وأن هذه قاعلة عامة في الإسلام من أجل المصلحة القومية العليا، قلنا فلماذا أبقى هو نفسه على الدولة ثلاثة أيام بلا قيادة للتشاور في أمرها كما سيأتي بيانه؟

(١) أنساب الأشراف - البلاذري: ٥٨٧/١.

فإن قيل إن مجلس الشورى آنذاك كان في محل القيادة. قلنا: فكيف بقيت الدولة بلا قيادة لمدة أسبوع - وفي رواية أكثر من هذا بكثير - بعد وفاة عثمان. مع أن الظروف وقتها كانت تستدعي فرض الأحكام العرفية أو حالة الطوارئ بتعبير عصرنا إذا أنتفضت الأمصار على الخليفة وحاصره الثائرون أربعين يوماً مطالبين بجلعه ثم قتله ^(١) فقاعدة المصلحة العليا إذا تمسك بها البعض في بيعة أبي بكر لم يجد لها وجوداً فيما تلاها من ظروف اقتضتها بشدة وبالتالي فلم تكن قاعدة في العرف آنذاك أو كانت قاعدة لكنها طبقت وفق المزاج والهوى.

إن اهتمام الإسلام بالقيادة وتعيينها هو أساس في الإسلام باعتبار روحه وإن لم توجد نصوص صريحة في هذا عند أهل السنة وكونها كذلك مستنبط من اهتمام الرسول في حياته بتعيين القيادات في البعث والأسفار والحج وغير ذلك من المهمات وقد وضع الإسلام تفاصيل الأمور الصغيرة كالغسل وتكفين الموتى واللباس والأكل والشرب والتبول والتبرز، فكيف يهتم بهذا ولا يهتم بتعيين القيادة بعد وفاة مؤسس الدولة؟

وكيف يشغل هذا الأمر أبا بكر وعمر فيعين كل منها القيادة بعده ولا يهتم الله ورسوله بشيء من هذا؟

ومن إذا أستعرضنا وجهة نظر الشيعة في أن الوصية بقيادة الأمة بعد النبي ﷺ كانت لعلي بن أبي طالب عليه السلام كما منصوص عليه من أحاديث لرسول الله في كتب الصحاح المعتبرة من أهل السنة والجماعة.

(١) تلخيص الطبري - محمد بن جرير: ٣/ ٤٤١ - ٤٤٣ - ٤٥٧.

فإن أهمية منصب القيادة في الإسلام وروح هذا الدين وطبيعة تعاليمه تقتضي أن يكون الرسول قد ترك في مسألة تعيين القيادة شيئاً. ونذهب بحيلنا أبعد من هذا فنفترض أم مؤسس الدولة أوصى بالقيادة بعد لهذا أو ذاك من الصحابة أو تشكيل مجلس، أو بالنص على تركها لإختيار الناس أو بشكل آخر من أشكال تحديد القيادة أن تكون لها منزلة الدستور الذي تسير عليه الدولة مثلها مثل الدول التي أسست على الدين كما هو مدون في تاريخ الديانات المسيحية واليهودية والبوذية وغيرها، لأن دستور الدولة أيأ كان مسألة طبيعية بل بديهية في تاريخ الدول والأمم، وأول ما في هذا الدستور تحديد قيادة الدولة، إذ من المستحيل عقلاً أن يكون الإسلام وحده من بين أديان البشر قبل الميلاد وبعده قد ترك الفصل في قيادة الأتباع لمزاج الناس وعصبيات القبائل وضغائن النفس البشرية.

أقول: إذا افترضنا أن مؤسس الدولة ترك لها دستوراً يحدد القيادة ولو لفترة ما، كان أجمع من أجمعوا في السقيفة والإجراء الذي اتخذوه أول مخالفة دستورية وأول درجة من الإنحراف الذي ظل ينفجر ويزداد حتى أصبح ثورة مضادة كاملة المعالم شاخصة أمام الأبصار.

وقد ذكر البعض من المؤرخين أن من أجمعوا في السقيفة أستدلوا في شأن أبي بكر بأستخلافه في الصلاة على أستخلافه في القيادة وقالوا: أرترضه رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاه لديننا^(١) وفي هذا امور:

(١) مقلمة ابن خلدون - ابن خلدون: ٢١٩.

الأول: أن اعتقاد البعض بأن من يصلح لإمامة الصلاة يصلح لقيادة الدولة يوقنا في تناقض، فالصلاة عند أهل السنة - جائزة خلف كل بر وفاجر^(١) بينما إمامة الفاسق والفاجر لا تجوز لقوله تعالى: (قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)^(٢).

الثاني: لو كان استخلاف أحد في الصلاة - أثناء أزمة سياسية دليلاً على استخلافه في قيادة الدولة، كان أولى الناس بالقيادة بعد عمر صهيب الرومي إذ استخلفه في الصلاة بعد وفاته ثلاثة أيام بينما أسند أمر تحديد القيادة إلى مجلس الشورى الذي ضم ستة آخرين لم يكن منهم صهيب. كذلك صلى بالناس حين حُصر عثمان أبو أيوب وسهل بن حنيف وخالد بن زيد^(٣) ولم يفتح أحد فمه ويردد نفس القاعدة ويرى منهم أياً منهم أحق بالقيادة بعد عمر فهل كانت هذه قاعدة آنذاك؟ وإن كانت كذلك فهل هي من عند الله أو من عند رسوله أم اجتهادات قائلها أم من إدخال المؤرخين؟ ولو افترضنا أنها كانت قاعدة فلماذا عُمل بها في حق أبي بكر ولم يُعمل بها في حق الآخرين من الصحابة الأجلاء؟

(١) شرح الفقه الأكبر - ملا علي القاري: ٩١.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٢٤.

(٣) الطبري - محمد بن جرير: ٤٤٧/٣.

بيعة الخليفة الثاني (عمر بن الخطاب سنة ١٣ هـ):

بات أنتقال القيادة بعد أبي بكر إلى عمر أمراً بديهياً حيث كان نهج سياسة السقيفة وما تلاها على مدى عامين إذ كان عمر أشد الناس أندفاعاً في إتمامبيعة أبي بكر، كما لعب دوراً سياسياً بارزاً في داخل الخلافة خلال هذه الفترة، وكان الإمام علي بن أبي طالب هو أول من توقع أنتقال القيادة إلى عمر وذلك حين بعث أبو بكر عمر إليه ليأخذ منه البيعة بلجبر والإكراه فقال علي لعمر: ((أحلب حلباً لك شطره، والله ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤثرك غداً))^(١).

لذلك رأينا أبا بكر في مرضه يرفض مقترحات من استشارهم ويدفع الاعتراضات التي أوردها بعضهم ويصر على دفع القيادة إلى عمر حتى دعا عثمان وحده فقال: (أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد، ثم أغمي عليه فذهب عنه، فكتب عثمان أما بعد فإنني قد أستخلفت عليكم عمر بن الخطاب، ولم ألكم خيراً منه، ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليّ فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن أفتلت نفسي في غشيتي، قال: نعم قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله وأقربها أبو بكر عنه في هذا الوضع)^(٢).

وهذه الرواية تؤكد أن دفع القيادة إلى عمر كان أمراً متوقعاً، توقعه علي وعثمان وربما كثير غيرهم ممن لم يذكرهم المؤرخون حتى أن عثمان كتبه من نفسه دون أن ي عليه عليه أبو بكر، ولو لم يكن عثمان متيقناً ما كتبه في هذا الموضع دون أمر

(١) أنساب الأشراف - البلاذري: ٥٨٧/١.

(٢) تاريخ الطبري - محمد بن جرير: ٦١٨/٢ - ٦١٩.

الخليفة وإملائه أما لماذا لم يشهد هذه الواقعة في عثمان؟ أو لماذا اختص أبو بكر بعثمان دون غيره؟ ولماذا لم يعهد بهذا أمام الناس أو أمام جمع من الصحابة الأجلاء؟ ولم ينتظر حتى آخر لحظة ولم يخش على الأمة الانقسام إذا لم يفق من غشيته؟

وهل ما تم كان مبادرة شخصية من عثمان أثناء الغيوبة التي أعثرت أبا بكر وفي مقابلها رد له عمر الجميل على النحو الذي يضمن وصوله إلى سدة الحكم بالطريقة التي سنقرؤها بعد قليل؟ وبعد هذا وذاك جلس عمر في طرقات المدينة وفي يده الجريدة المكتوبة وهو يقول: (أسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله ﷺ إنه يقول إنني لم آلكم نصحاً)^(١) وهكذا أنتقلت القيادة إلى عمر بن الخطاب بالعهد ولم يشترط لها رضا الناس، وعُينت القيادة الجديدة هذه المرة وفق قاعدة جديدة غير الأولى ليس لها أيضاً سند من كتاب ولا سنة وفي غياب دستور الدولة ثم تأسس عليها فيما بعد مبدأ نقل القيادة والسلطة من شخص لآخر بالعهد دون رضا الناس واختيارهم ولئن كان النظام الملكي بملاحه المعروفة قد أبتدعه معاوية في الإسلام إلا أن عهد أبي بكر لعمر كان أول خطوة من الإنحراف إلى هذا الطريق قبل معاوية بأربعين عاماً، ثم أخذ يتسع درجة درجة حتى أستوى وأكتمل بتولية يزيد أمر المسلمين ثم سارت الدولة من بعد في هذا الطريق بأسم الإسلام.

وبناء على هذه السابقة التاريخية التي صدرت من هذا أو من ذاك لم يطالبنا الإسلام باتباعه إن أخطأ.

(١) تاريخ الطبري - محمد بن جرير: ٦١٨/٢.

قال المارودي في (كتاب الأحكام السلطانية)^(١): (والصحيح أن بيعته منعقدة وإن الرضا بها غير معتبر لأن بيعة عمر لم تتوقف على رضا الصحابة ولأن الإمام أحقّ بها ومع أن القيادة آلت إلى عمر كما رأينا دون مشورة من المسلمين بل بعهد من سابقه إلا أننا نجد في كتبنا ما هو مروى عن عمر نفسه من إدانة لمن فعل هذا كما في قوله: (من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه ثغرة أن يقتل)^(٢).

فإن قال أحد: إن القاعدة العامة هي الشورى، سألتها: وأين في استخلاف عمر؟ وإن قال- كما يحلو للبعض أن يشبهوا أحداث السقيفة بذلك - إنها الانتخابات الحرة تساءلنا: فأين بيعة أبي بكر من هذه؟ وأعجب ما قيل في هذا قول ابن خلدون وهو يعقب على هذه الأحداث وما تلاها من حروب وأقتتال وبغي وتزوير، إذ اعتبر أن كل الأطراف على صواب، فلحسين مصيب ويزيد أيضاً مصيب وعلي على حق ومعاقبة كذلك على حق، والقائل في الجمل وصفين على هدى والمقتول أيضاً كذلك واسلوب تولية أبي بكر صحيح وطريقة إسناد القيادة إلى عمر صواب وكل الناس كانوا على حق، ثم قل ما نصه: (واعتقد كذا بالأمر) أن أختلافهم رحمة لمن بعدهم من الأمة ليقتلي كل واحد بمن يختاره ويجعله إمامه وهاديه ودليله)^(٣).

(١) الأحكام السلطانية - المارودي: ٨

(٢) صحيح البخاري: كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا.

(٣) مقنعة ابن خلدون - ابن خلدون: ٢١٣.

أقول: لأن كل واحد منهم اجتهد، منهم من فاز بأجرين ومنهم من نال أجراً واحداً ولنا أن نقلتي بمن نحب فإن قامت في بقعة من ديارنا دولة شرعية وخرج عليها بعضنا وأراق دم المسلمين وأسقط نظام هذه الدولة فهو على حق لأنه أقتدى بمعاوية.

وإذا اعتلانا حاكم فاسق خليع ظالم عن طريق شراء الأصوات وتزييف البيعات كما فعل معاوية لأبنة يزيد فهو على صواب، ومن قام في وجهه وثار عليه، ودفع دمه في سبيل الإصلاح أيضاً على حق وصواب، لأن قدوة الأول وإمامه وهاديه يزيد وقدوة الآخر وإمامه وهاديه الحسين. قال تعالى: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا)^(١) وإن أعطى أحد حكامنا قيادة الدولة بعده لأحد أصدقائه دون أخذ رأي الشعب فله في السلف الصالح أسوة حسنة. وإن سلك في توليته طرقاً يشك فيها، أو رفع عائلته على رقاب الناس أو أغدق عليهم أموال الدولة أو فعل أكبر من ذلك أو أصغر فله في كبار الصحابة الذين أخذنا عنهم الدين والوحي قدوة، لأن كل ذلك مباح مشروع أكتسب شرعيته من ممارسة السلف الصالح له، أفهذا بالله فكر سياسي نقدمه للناس في العصر الحديث ونطرحه على الشرق والغرب مباهين به الأمم مفخرين بهذه الفوضى السياسية والدستورية نظمهم المستقرة بل ومطالبين إياهم بالتخلي عنها وتبني هذا النظام - الإسلامي - الذي بدونه لا فلاح ولا نجاة ولا جنة زاعمين أن ما وقع عندنا من أخطاء كان اجتهداً، أم أن الأوان لأن نميز الحق من الباطل، والصواب من الخطأ لنصل إلى نهج نعرضه على الناس في ثقة؟

(١) سورة الأسراء الآية: ٧١.

وإن كان أختلافهم رحمة كما يقال لنا، فمالنا محرومون من هذه الرحمة منذ اختلفوا قبل أكثر من أربعة عشر قرناً؟

ومالنا لم نر من هذا الأختلاف إلا اختلافاً مائلاً أو أشد وفوضى سياسية كتلك التي وضعوا أساسها ورضينا بها لأن مشايخنا قالوا لنا إنها كانت أجتهداً، ولم يسموها لنا باسمها الحقيقي؟

بيعة الخليفة الثالث (عثمان بن عفان سنة ٢٣ هـ)؛

إن كثيراً من الصحابة - وعلى رأسهم عمر - أدركوا حين هدأت الأمور أن بيعة أبي بكر كانت فلتة ولم تكن وفق سيق اسلامي وأن بيعة عمر كانت بغير مشورة من المسلمين كما ذكرت عشرات الكتب التي تحفظ لنا الحديث والتاريخ والسير - أن فلاناً من الصحابة قال عن هذه البيعات: كذا وكذا إلى أن أعترف عمر بهذه الحقائق قائلاً: (إن رجلاً يقولون أن بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها وأن بيعة عمر كانت من غير مشورة من المسلمين والأمر بعلي شورى)^(١).

فإن صحت هذه الرواية فإنها تدل على أعتراف صريح من عمر بأن تحديد القيادة في المرة الأولى والثانية لم يكن بالشورى بل كان كما رآه الناس فلتة مرة وبلا مشورة أخرى، ولهذا قرر الخليفة حسم المسألة وتحديد القيادة بالشورى في المرة الثالثة وقبل رحيله.

(١) أنساب الأشراف - البلاذري: ١٥/٥.

وقبل أن نستعرض الذي حصل في مجلس الشورى لا بد لنا أن نعرف رأي الخليفة الثاني بأعضاء مجلس الشورى: أن من المؤسف حقاً والمضحك تماماً أن يطعن الخليفة الثاني بأصحاب الشورى قبل تعيينهم وهذه هي الطامة الكبرى.

قال اليعقوبي^(١): روي عن ابن عباس أنه قال:

طرقني عمر بن الخطاب بعد هداة من الليل فقال:

أخرج بنا نحرس نواحي المدينة: فخرج، وعلى عنقه درته، حافياً حتى أتى بقيع الغرقد، فأستلقى على ظهره، وجعل يضرب أخمص قدميه بيده وتأوه صَعْدًا.

فقلت له: يا أمير المؤمنين، ما أخرجك إلى هذا الأمر؟

قال: غص غواص، إن كنت لنقول فتحس.

قال: ذكرت هذا الأمر بعينه، وإلى من تصيره.

قال: صدقت! قال: فقلت له: أين أنت عن عبد الرحمن بن عوف!

فقال: ذاك رجل ممسك، وهذا الأمر لا يصلح إلا لمعط في غير سرف، ومانع من غير إقتار.

قال: فقلت: سعد بن أبي وقاص؟ قال: مؤمن ضعيف! قال: فقلت: طلحة بن عبد

الله؟

(١) تاريخ اليعقوبي - أحمد بن أبي يعقوب: ١٣٦/٢ - مطبعة الغري - النجف الأشرف.

قال: ذاك رجلٌ يناول للشرف، والمديح، يعطي ماله حتى يصل. إلى مال غيره وفيه بأو^(١)، وكبر.

قال: فقلت: فالزبير بن العوام؟ فهو فارس الإسلام؟

قال: ذاك يوم إنسان، ويوم شيطان، وعفة نفس، إن كان ليكادح على المكيكة من بكرة إلى الظهر حتى يفوته الصلاة.

قال: فقلت عثمان بن عفان؟

قال: إن ولي حمل ابن أبي معيط، وبني أمية على رقاب الناس وأعطاهم مال الله، ولئن ولي ليفعلن والله، ولئن فعل لتسيرنَّ العرب إليه حتى تقتله في بيته. ثم سكت.

قال: فقال: أمضها يأبن عباس! أترى صاحبكم لها موضعاً؟

قال: فقلت: وأين يبتعد من ذلك مع فضله، وسابقته، وقرابته، وعلمه؟

قال: هو والله كما ذكرت. ولو وليهم يحملهم على منهج الطريق فأنخذ المحجة الواضحة إلا أن فيه خصالاً: الدعابة^(٢) في المجلس، وأستبداد الرأي، والتبكين للناس مع حداثة السن. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين.

هلا أستحدثتم سنة يوم الخندق إذ خرج عمرو بن ود، وقد كعم عنه الأبطال وتأخرت عنه الأشياخ.

(١) البأو: الكبر والتعظيم.

(٢) الدعابة: المزاح.

ويوم بدر إذ يقط الأقران قطعاً، ولا سبقتموه بالإسلام إذ كان جعلته وقريش بتوفيكم؟ فقال: إليك يا بن عباس! أتريد أن تفعل بي كما فعل أبوك، وعلي بابي بكر يوم دخلا عليه؟ قال: فكرهت أن أغضبه فسكت.

فقال: والله يا بن عباس: لأن علياً ابن عمك لأحق الناس به، ولكن قريشاً لا تحتمله، ولئن وليهم ليأخذنهم بمر الحق لا يجدون عنده رخصة، ولئن فعل لينكثن بيعة، قم لتجارين^(١).

ولما طعن عمر، ورأى أنه ذاهب إلى ربه، وضع صيغة سياسية جديدة لتعيين قيادة خير أمة وخير دولة فدعا علياً وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام، وقال لهم: (فإذا ميت فتشاوروا ثلاثة أيام، وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم. ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً ولا شيء له من الأمر وطلحة شريككم في الأمر، فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضروه معكم وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فأقضوا أمركم وقال لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة إن الله عز وجل طلالاً أعز الإسلام بكم فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فأستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتوني في حفرتي فاجع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم، وقال لصهيب: صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل علياً وعثمان والزبير، وسعداً، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة إن قدم واحضر عبد الله بن عمر ولا شيء له من الأمر وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فأشدخ رأسه أو أضرب رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً وأبى أثنان فأضرب رأسيهما،

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٥٨/٢ - ١٥٩.

فإن رضى ثلاثة رجالاً منهم وثلاثة رجالاً منهم فحكموا عبد الله بن عمر فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجالاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف وأقتلوا الباقين إن رغبوا عما أجمع عليه الناس^(١).

فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة ويقال في بيت المال، ويقال في حجرة عائشة بإذنها وهم خمسة معهم ابن عمر وطلحة غائب ... فتنافس القوم في الأمر وكثر بينهم الكلام فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم؟

فلم يجبه أحد، فقال: أنا أنخلع منها، فقال عثمان: أنا أو من رضى فقال القوم: قد رضينا^(٢) وبعد مداوات كثيرة، قال عبد الرحمن بن عوف: (إني قد نظرت وشاورت، فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلاً. ودعا علياً فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعلمن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده قال: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي. ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي. قال: نعم فبايعه^(٣).

وفي رواية أخرى أنه سأل علياً: (هل أنت يا علي مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، فالتفت إلى عثمان فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي

(١) العقد الفريد- ابن عبد ربه: ٢٧٥/٤ - ٢٧٦.

(٢) تاريخ الطبري- محمد بن جرير: ٢٩٤/٣ - ٢٩٥.

(٣) نفس المصدر- ٢٩٦/٣ - ٢٩٧.

بكر وعمر؟ قال^(١): نعم ثم نهضوا إلى المسجد فصعد عبد الرحمن المنبر، ونادى علياً ثم أخذ بيده وقال: (هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال: اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي فأرسل يده، ثم نادى: قم إلي يا عثمان، فأتى بيده - وهو في موقف على الذي كان فيه - فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان ثم قال: اللهم أسمع وأشهد، اللهم إني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، وأزدهم الناس يبايعون عثمان^(٢).

خلاصة القول:

من الشرط الذي وضعه عبد الرحمن بن عوف لتولي القيادة لم يكن في الدستور الذي تركه عمر - إذا جاز لنا اعتبار ما تركه بمنزلة دستور الدولة - ولم يكن الإصرار على الالتزام بممارسات أبي بكر وعمر إلا تعديلاً تعسفاً في الدستور أدخله ابن عوف بمزاجه إما لحاجة في نفسه أو نتيجة لخوفه من الأضرار بمصالح الأثرياء وهو منهم إذا تغيرت السياسة عما كانت عليه أيام الشيخين أو لعله كان فقراً غير معلنة اتفق عليها هو والخليفة في الفترة التحضيرية التي سبقت تشكيل مجلس الشورى ولم تصلنا رواية عنها.

ودعنا نفترض جدلاً صحة هذه الفقرة شرعاً أي ضرورة الالتزام بأعمال الشيخين - فهل سار عليها عثمان في حكمه؟ أم إنحرف عنها وعن كثير وكثير غيرها كما

(١) تاريخ الطبري: ٣/٣٩٧.

(٢) العقد الفريد - ابن عبد ربه: ٤/٢٧٣.

هو مسجل في التاريخ؟ ولماذا لم يذكر أحد هذا الشرط حين رأوا المخالفات؟ ولماذا لم يُعزل لإخلاله بالشرط الذي لولاه ما نال القيادة؟

والأستفزاز الذي ذكرناه لتونا، فطن إليه الإمام على حين خلا به عبد الرحمن بن عوف ثلاث مرات يسأل: لنا الله عليك إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر حتى قال له علي في المرة الأخيرة: ((إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معهما إلى إجيري)) (بكسر الهمة وتشديد الجيم أي الطريقة والسنة)) أحد أنت مجتهد أن تزوى هذا الأمر (أي القيادة) عني^(١) والواقع ان تثبت ابن عوف بضرورة الإلتزام بأعمال أبي بكر وعمر ينبغي فهمه في ضوء التيارات السياسية والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول ﷺ ونتيجة للسياسة الاقتصادية بوجه خاص التي سارت عليها الدولة في عهد الشيخين لا سيما عمر. ذلك إن هذه السياسة أدت إلى تغييرات في الدولة ورفعت فئة على فئة بسبب محابة المهجرين في توزيع الأراضي على النحو الذي ذكره سيد قطب في (كتاب العدالة الاجتماعية): وكان الإمام علي معروفاً بمخالفة هذه السياسة مشهوراً بفقره وزهده وتشلده في المساواة بين الناس وإنصاف الفقراء، فبرز كقائد ديني وسياسي لهذا التيار فألتفت حول فئة المساكين والبؤساء أو أنصار المساواة الاقتصادية.

(١) تاريخ اليعقوبي - أحمد بن أبي يعقوب: ١٦٢/١.

إعتراف عمر بفضل علي وأحقته بالخلافة:

وقد روى عن عمر أنه كان يرغب في تولية علي لكنه خشى أن يسير بالناس على طريق الحق والعدل مهما لكفه هذا !!!

فقال - مثلاً: (قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولي أمركم رجلاً هو أحراركم أن يحملكم على الحق وأشار إلى علي) (١).

وقال: (لله درهم إن ولوها الأصيلع (يقصد علياً) كيف يحملهم على الحق وإن كان السيف على عنقه.

قال محمد بن كعب: فقلت أتعلم هذا منه ولا توليه فقال: إن تركتهم فقد تركهم من هو خير مني) (٢) وقال أيضاً عن علي: (أحر به أن يحملهم على الحق) (٣) وقال لابنه: (إن ولوها الأجلح يسلك بهم الطريق المستقيم - يعني علياً - فقال ابن عمر: فما منعك أن تقدم علياً؟
قل: أكره أن أحملها حياً وميتاً).

وقد روى كثير من كتب الحديث والسير والتاريخ هذا المعنى عن عمر بروايات وألفاظ مختلفة مما يدل على أن عمر ورفاقه كانوا يعرفون أن علياً إذا جاء إلى السلطة سار بالدولة على طريق الحق وأشدت فيه دون محاباة وهو ما يضر بمصالح الفئة التي أصبحت طبقة أرستقراطية في المجتمع آنذاك ليست على استعداد

(١) العقد الفريد - ابن عبد ربه: ٤/ ٤٧٢.

(٢) الرياض النضرة: ٢/ ٩٥.

(٣) تاريخ الطبري - محمد بن جرير: ٣/ ٢٩٤.

لتحمل تبعه سياسة علي عليه السلام في العدل والإنصاف الاقتصادي والمساواة في المزايا والعطايا، وهي السياسة التي سار عكسها الشيخان، وندم على ذلك عمر قبل موته ^(١).

هذا التحول الاقتصادي، والاجتماعي الذي غرست بذوره في زمن الشيخين وزهت أزهاره وثمره في عهد عمر إلى أن أستفحل وعصف بالدولة عصفاً في زمن عثمان هو ما دفع ابن عوف وسعد بن أبي وقاص وغيرهم إلى تفضيل السير في نفس الاتجاه رغم إدراكهم خطئه وتحويل القيادة عن علي عليه السلام لإيمانهم بأنه سيعيد الأمور - وبالذات الاقتصادية - إلى نصابها.

مكاسب رجال الشورى بعد بيعتهم عثمان :

إن مواقف رجال الشورى أثناء بيعه عثمان لا يمكن فصلها عن مشاعر البشر والمكاسب التي حققوها في ظل سياسة نفعية معينة، فكانت المفاضلة بين عثمان وعلي لا على أساس الأكفأ والأحق بل على أساس الحفاظ على الوضع الراهن، ومن هنا نفهم الإصرار على أتباع سيرة أبي بكر وعمر من قبل ابن عوف وهو من أثرى الأثرياء آنذاك، ثم الميل من بعد إلى من يرجى منه عدم المساس بالمكاسب المادية والاجتماعية التي نالوها فيما سبق.

ذكر ابن خلدون في مقدمته عن المسعودي قوله: (في أيام عثمان أقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار وخلف إبلاً

(١) الفتنة الكبرى - طه حسين: ٨

وخيلاً كثيرة، وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فرس وألف أمة، وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم، ومن ناحية السراة أكثر من ذلك، وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير وعشرة ألف من الغنم، وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وثمانين ألفاً وخلف زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع بمائة ألف دينار. وبنى الزبير داره بالبصرة وكذلك بنى بمصر والكوفة والإسكندرية.

وكذلك بنى طلحة داره بالكوفة، وشيد داره بالمدينة وبنها بلجص والآجر والساج، وبنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ورفع سمكها وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرفات^(١).

روى ابن سعد نصاً في طبقاته: أن سعيد بن العاص أتى عمر يشز به في الأرض ليوسع داره فوعده الخليفة بعد صلاة الغداة وذهب معه حينئذ إلى داره. يقول سعيد: (فزادني وخط لي برجله فقلت يا أمير المؤمنين زدني فإنه نبتت لي نابتة من ولد وأهل، فقل: حسبك، واختبئ عندك (أي اجعل الكلام في سر) إنه سيلي الأمر من بعدي من يصل رحمك ويقضي حاجتك. قال فمكثت خلافة عمر بن الخطاب حتى استخلف عثمان وأخذها عن شوري ورضاه فوصلني وأحسن، وقضى حاجتي واشركني في أمانته^(٢)) فإن صحت الرواية كانت نمودجاً من نمذج سوء توزيع الأراضي كما أنها تجعلنا نتساءل: كيف عرف عمر وهو حي أن عثمان

(١) المقدمة - ابن خلدون: ٢٠٤ - ٢٠٤.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣٦ / ٥، بيروت.

سيلي الأمر من بعده؟ أكان ذلك ضرباً من الكشف أم أمراً اتفق الكبار عليه في خفاء؟ وإن كان كشفاً فلماذا يأمره بأن يجعل الكلام في سره ولا يخبر به أحداً؟

عثمان والثورة المضادة لحكمه :

أدت سياسة عثمان التي ارتكزت على محابة بني أمية وسوء توزيع المال في الدولة ورفع أسوأ الناس على رقاب الصلحاء من عامة القوم وخاصتهم، وأرتكاب المخالفات الشرعية، وتركيز السلطة في يد عائلته دون اعتبار للأهلية - كما هو مفصل في تاريخنا - إلى غضب الشعب وتذمر كبار الصحابة حتى أنتهى الأمر بقتله، وسقوط الدولة الناشئة في دوامة صراع سياسي خطير. وأخذت الأخطاء التي بدأت قبل سنوات بدرجة واحدة تتسع على مر الأيام ويزداد انفراجها إلى أن وصلت الأمور إلى تحول معاكس للخط الذي تأسست عليه الدولة ولأن الثورة على نظام الحكم - أي نظام - حرام لا تجوز في اعتقاد مؤرخينا الذين نشأ أغلبهم وتربوا في ظل نظم غير شرعية كان لا بد من البحث عن تبرير خارج نطق العقل والمنطق - كالعادة - لإقناعها بأن ما أسقط الدولة وأشاع الفتنة إلا العناصر الخارجية. فهم لم يربطوا بين المسببات وأسبابها، ولم يرجعوا المعلولات إلى عللها، ولم يفتشوا عن أسباب ثورة الناس على عثمان لأن هذا المنهج - رغم علميته وإسلاميته - سيؤدي إلى تخطيط بعض الشخصيات التي يريدون من كل مسلم تقديسها وأعتبار تصرفاتها مهما كانت جزءاً من الدين.

من أجل هذا اخترعوا شخصية خيالية لم توجد في التاريخ أصلاً بل شخصية وهمية قال عنها طه حسين في (كتابه الفتنة الكبرى)^(١) إن ابن الوراء (عبد الله بن سبأ) لم يكن إلا وهماً. وإنما هو شخص أذخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم ولم يدخروه للخوارج.

وأطلقوا لخيالهم العنان فتخيلوا إنه لا بد أن يكون يهودياً ثم نسبوا إليه كل الفساد ووضعوا على رأسه مسؤولية الثورة والتزمر وقتل الخليفة الراشد. فتعيين الخليفة في مجلس إدارة الدولة من أسوأ أقربائه ممن لعنهم أو نفاهم الرسول الأعظم ﷺ. كمروان بن الحكم (ابن عم عثمان) وعبد الله بن عامر (ابن خاله) وعبد الله بن سعد بن أبي سرح (أخيه من الرضاعة) الذي أرتد عدة مرات وحارب الدولة ومؤسسها حتى أمر النبي بقتله يوم الفتح ولو وجد متعلقاً بأستار الكعبة، فجعله عثمان واليه على شمال أفريقيا كله فأغلق أموال الدولة، والوليد بن عقبة (أخيه لأمه) الفاسق بنص القرآن والذي نزلت فيه الآية (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) وسعيد بن العاص وغيرهم. مع وجود الأخيار من الصحابة لم يكن سبباً كافياً عند المؤرخين وإطلاق يد العائلة المالكة في تغيير الدولة واللعب بمقدراتها وشؤونها، وإشاعة الفوضى السياسية والقانونية، وتعطيل الشرع وحماية الخليفة لهم، ووعده بإصلاح الأمور عدة مرات وإخلافه لهذا الوعد وإصراره على صحة سياسته التي احتج عليها كل الصحابة إلا المستفيدين كل ذلك ليس سبباً كافياً لتزمر الناس. وتعيين عثمان لابن أبي سرح والياً على مصر وفيها أجلاء مثل عمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، محمد بن أبي حذيفة وغيرهم ثم قيام

(١) الفتنة الكبرى - طه حسين: ٩١.

هذا الوالي بنهب خزانه مصر واضطهاد الأقباط وإذلال الناس ... ذلك كله ليس
علة للثورة والغضب وإنما لا بد من أن يكون وراءه يهودي هو ابن سبأ!!
ولا بد من أن يكون الصحابة الذين ثاروا على فساد نظام الدولة أتباعاً لهذا
اليهودي، تماماً كما تقول الأنظمة المعاصرة عمن ثار عليها. لأن الثورة على النظم
الفاصلة حرام وفتنة وإراقة دم.

وكما تقول التنظيمات الإسلامية عمن خالفها في الرأي هذا عميل وذلك
ماسوني والثالث شيوعي ... أرايتم مرة أخرى أمتداد الفكر نفسه من ذلك اليوم
إلى هذا اليوم؟

ونظرية ابن سبأ التي ساقها مشايخ السلف لتبرير الكارثة يستحي منها كل طفل
مسلم به عقل لأنها تعنى أن الخلافة الراشدة والدولة المحمدية كانت من
الضعف. بمكان حتى قلبها يهودي واحد بغير عناء ودون وجود لوبي صهيوني أو
دولة عبرية أو مخبرات أمريكية أنذاك كما انها تعني أن كبار الصحابة الذين لم
يوافقوا على سياسة عثمان لم يكونوا يعرفون دينهم فانساقوا وراء مقولة يهودي
ودمروا الدولة الإسلامية وإذا كانوا بهذا الشكل فكيف نأخذ عنهم الدين إذا؟

ثم ليت مؤرخينا استطاعوا أن يثبتوا دور عبد الله بن سبأ في الأحداث، لأنك
تراهم يذكرون اسمه في البداية فقط. حاله حال الققعاع^(١) بن عمرو التميمي
الذي ذكره سيف بن عمرو الذي تفرد بروايته ولم نجده عند غيره لنقارن بين
حديثه وحديث غيره.

(١) خمسون ومائة صحابي مخلق - مرتضى العسكري: ٧٥/١.

ثم تجري الأحداث مجراها الطبيعي محكومة بقوانين العمران والسياسة المنطقية، ووفق عللها الطبيعية من تنافس بين الصحابة بمقتضى النفس البشرية وسوء إدارة الدولة والمحسوبية وفساد الشورى وضغائن القبائل وما إلى ذلك بسبيل. ولأن العلة التي ذكرها المؤرخون أي ابن سبأ - علة وهمية تجدهم على غير يقين منها فمرة يقولون ابن سبأ ومرات يقولون إن محرك الفتنة عمرو بن العاص الذي كان يؤلب الناس على عثمان حتى رعاة الغنم المتفرقين في الصحراء وأحياناً يضعون مسؤولية التذمر وما تلاه من أحداث حتى مقتل عثمان على رأس الصحابي الثائر محمد بن أبي بكر، وأحياناً أخرى يربطونها في عنق مروان بن الحكم وكثير من المؤرخين يقولون: إن الأسباب التي نقمها على عثمان كثيرة وخطيرة وإنهم رأوا الإعراض عن ذكرها أفضل ولم يذكروا إلا ما سمحت به أنفسهم وجاءت به وجهات نظرهم فنحن بهذا لا نقرأ إلا ما سمحت به أنفسهم وجادت به وجهات نظرهم، فنحن بهذا لا نقرأ إلا ما سمحوا لنا بقرائه والإطلاع عليه وما يدريك لعل فيما وقع ولم يذكروه مفاتيح معضلات كثيرة أو ربما فيه من الحقائق التاريخية ما يكشف كثيراً مما لم يزل عندنا طلاسم غير مفهومة ومهما يكن، فإن الثورة على عثمان وما آلت إليه الأمور فيما بعد لم يكن وراءه يهودي ولا نصراني بل كانت وراءه العلل والأسباب السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية والنفسية والفكرية التي اجتمعت معاً وسارت وفق سنن التاريخ ومن الأدلة على ذلك أن الصحابة لم يذكروا ابن سبأ قط بل منهم من تنبأ بما وقع من الأحداث الكبرى فأنقلاب معاوية على الخليفة الشرعي وتأمره على الناس بالسيف تنبأ به كعب وغيره وأنعكاس حل الدولة رآه علي عليه السلام كما تنبأ به عثمان نفسه حين ثار عليه الناس فقال: (والله لئن فارقتهم ليطمنن أن عمري

طل عليهم مكان كل يوم بسنة مما يرون من الدماء المسفوكة والإحن والأثرة الطاهرة والأحكام المغيرة^(١) ذلك ان حال الدولة وخط سيرها كان واضحاً أمامهم جميعاً فاستطاعوا رؤية المصير قبل وقوعه لأنه كان أمراً بديهياً ولم يروا يهودياً ولا نصرانياً.

وقفه مع بيعة علي عليه السلام:

بعد قتل الخليفة عثمان أدرك الناس أن الدولة قد حلت بها كارثة، فهرعوا إلى علي يبايعونه، وقالوا: (إن هذا الرجل قد قُتل ولا بد للناس من إمام، لا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله ﷺ: فقال: لا تفعلوا فإن أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفية ولا تكون إلا عن رضا المسلمين^(٢).

وفي رواية أخرى أنه (حين قتل عثمان واجتمع المهاجرون والأنصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا علياً فقالوا: يا أبا الحسن هلم نبايعك.

فقال: لا حاجة لي في أمركم أنا معكم، فمن أخترم فقد رضيت به فاختاروا. فقالوا: والله ما نختار غيرك. فاختلفوا إليه بعدما قتل عثمان مراراً ثم أتوه في آخر ذلك فقالوا: إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة، وقد طل الأمر، فقل لهم: إنكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم وإني لقاتل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم إلا فلا حاجة

(١) تاريخ الطبري - محمد بن جرير الطبري: ٣/ ٣٩٣.

(٢) تاريخ الطبري - محمد بن جرير: ٣/ ٤٥٠.

لي فيه. قالوا: ما قلت من شيء قبلناه إن شاء الله. فجاء فصعد المنبر، فاجتمع الناس إليه فقال: إني قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم ألا وأنه ليس لي أمر دونكم إلا أن مفاتيح مالكم معي إلا وأنه ليس لي أن أخذ منه درهماً دونكم رضيتم؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد عليهم، ثم بايعهم على ذلك^(١).

إن هذه الروايات دلت على أمور:

الأول: أن طريقة اختيار القيادة هذه المرة اختلفت عن المرات الثلاثة الماضية وهذه هي المرة الأولى التي ذهب الناس فيها مراراً يلحون على شخص أن يتولى قيادتهم دون أن يتم ذلك فلتة أو بالعهد دون مشورة أو بمجلس شورى منتقى ملفق.

الثاني: إن الإمام علي عليه السلام كان يرفض هذا المنصب لأنه كان يعلم أن الدولة قد سارت في طريق وعة وتغير حال الناس فيها اقتصادياً واجتماعياً وهو ما يسبب بالتأكيد مصاعب في إدارتها ورد الأمور إلى مجراها الأصلي. وربما رفض مراراً ليثبت لكل ذي عينين أنه لم يختلس الأمر، ولم يسارع إليه أو يلفق له الطرق ويخترع الحيل، وإنما كان اختياره أنه حرراً من قبل الناس الذين ذهبوا إليه مراراً، وأصرروا على اختياره إصراراً.

الثالث: إن الإنحراف الذي سبب الكوارث الماضية والكوارث المقبلة كان في أساسه اقتصادياً ومالياً بالدرجة الأولى، وهو ما يظهر من عبارته، ولو لم يكن لهذا الأمر علاقة بما جرى ما أفرده بالذكر في عهد البيعة الذي له منزلة الدستور.

(١) تاريخ الطبري - محمد بن جرير: ٣/ ٤٥٠ - ٤٥١.

الرابع: السياسة التي سببها الإمام أو القيادة الجديدة ستقوم على الإنصاف والمساواة وإحقاق الحق وعدم المحاباة والالتزام الشديد بقوانين الدولة. وأعتقد أن هذا هو ما أدركه من كانوا يستفيدون من السياسة المالية الخاطئة فيما مضى، وألبهم عليه، وخلق لهم المشكلات وتمت بيعة الإمام بعد أن كانت الدولة قد شهدت تغييرات هائلة في جميع جوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والقانونية فخاضت في بحر تعالت أمواجه وهزت كيائها هزاً عنيفاً.

الحديث الذي دار بين علي عليه السلام والأشعث بن قيس حول السقيفة:

قال الأشعث: ما الذي منعك يا بن أبي طالب حين بويع أخو تيم بن مرة، وأخو بني علي بن كعب وأخو بني أمية بعدهما، أن تقاتل وتضرب بسيفك؟ وأنت لم تخطبنا خطبة - منذ كنت قدمت العراق - إلا وقد قلت فيها قبل أن تنزل عن منبرك: ((والله إني لأولى الناس بالناس وما زلت مظلوماً منذ قبض الله محمداً صلى الله عليه وسلم فما منعك أن تضرب بسيفك دون مظلمتك؟

قال له علي عليه السلام: يا بن قيس، قلت فاسمع الجواب: لم يمنعني من ذلك الجبن ولا كراهية للقاء ربي، وأن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لي من الدنيا والبقاء فيها، ولكن معني من ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده إلي.

أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما الأمة صانعة بي بعده فلم أك بما صنعوا - حين عاينت - بأعلم مني ولا أشد يقيناً مني به قبل ذلك، بل أنا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد يقيناً مني بما عاينت وشهدت. فقلت: يا رسول الله فما تعهد إلي إذا كان ذلك؟ قل: إن وجدت أعواناً فابذ إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فألفف يذك وأحقن دمك

حتى تجد على إقامة الدين وكتاب الله وسنتي أعواناً. وأخبرني ﷺ أن الأمة ستخذلني وتبايع غيري وتتبع غيري.

وأخبرني ﷺ أنني منه بمنزلة هارون من موسى وأن الأمة سيصيرون من بعده بمنزلة هارون ومن تبعه والعجل ومن تبعه، إذ قال موسى: (يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَمْ تَرَقَّبَ قَوْلِي ﴿٩٤﴾))^(١) وإنما يعني: إن موسى أمر هارون - حين أستخلفه عليهم - إن ضلوا فوجد أعواناً أن تجاهدهم، وإن لم يجد أعواناً يكف يده ويحمن دمه ولا يفرق بينهم.

وأني خشيت أن يقول لي ذلك أخي رسول الله ﷺ ((لم فرقت بين الأمة ولم ترقب قولي وقد عهدت إليك إن تجد أعواناً أن تكف يدك وتحمن دمك ودم أهل بيتك وشيعتك)).

فلما قبض رسول الله ﷺ مل الناس إلى أبي بكر فبايعوه وأنا مشغول برسول الله ﷺ بغسله ودفنه ثم شغلت بالقرآن، فأليت على نفسي أن لا أرتدي إلا للصلاة حتى أجمعه في كتاب ففعلت.

ثم حملت فاطمة على حمار وأخذت بيد أبي الحسن والحسين، فلم ادع أحداً من أهل بدر وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار إلا ناشدتهم الله في حقي ودعوتهم إلى نصرتي.

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٩٢ - ٩٤.

فلم يستجب لي من جميع الناس إلا أربعة رهط: سلمان، وأبو ذر، والمقداد والزيبر ولم يكن معي أحد من أهل بيتي أصول به ولا اقوى به، أما حزة فقتل يوم أحد، وأما جعفر فقتل يوم مؤتة، وبقيت بين
قوية^(١).

ثم يعود فيتمنى ﷺ فيقول: لو وجدت أربعين رجلاً مثل الأربعة !!

يا بن قيس هل سمعت لي بفرار قط أو نبوة؟

يا بن قيس، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إني لو وجدت يوم بويح أخو تيم -الذي غيرتني بدخولي في بيعته - أربعين رجلاً كلهم على مثل بصيرة الأربعة الذين قد وجدت لما كففت يدي وناهضت القوم، ولكن لم أجد خامساً فأمسكت.

قال الأشعث: فمن الأربعة يا أمير المؤمنين؟

قال ﷺ: سلمان، وأبو ذر، والمقداد والزيبر بن صفية قبل نكته بيعتي، فإنه بايعني مرتين: أما بيعته الأولي التي وفي بها فإنه لما بويح أبو بكر أتاني أربعون رجلاً من المهاجرين والأنصار فبايعوني وفيهم الزبير، فأمرتهم أن يصبحوا عند بابي محلقيين رؤوسهم عليهم السلاح فما وفي لي ولا صدقتي منهم أحد غير أربعة: سلمان، وأبو ذر، والمقداد والزيبر.

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي - سليم بن قيس: ٢١٦ - دار الخوراء - الطبعة الثانية.

وأما بيعته الأخرى إياي: فإنه أتاني هو وصاحبه طلحة بعد قتل عثمان فبايعاني طائعين غير مكرهين، ثم رجعا عن دينهما مرتدين ناكثين مكابرين معاندين خاسرين، فقتلهما الله إلى النار.

وأما الثلاثة - سلمان، وأبو ذر، والمقداد - فثبتوا على دين محمد ﷺ وعلى ملة إبراهيم حتى لحقوا بالله يرحمهم الله.

يا بن قيس، والنبي فلق الحبة وبرء النسمة، لو أن أولئك الأربعين الذين بايعوا ووفوا لي وأصبحوا على بابي مخلقين رؤوسهم قبل أن تجب لعتيق في عنقي بيعته لناهضته وحاكمته إلى الله عز وجل ولو وجدت قبل بيعة عثمان أعواناً لناهضتهم وحاكمتهم إلى الله فإن ابن عوف جعلها لعثمان واشترط عليه فيما بينه وبينه أن يردها عليه عند موته، وأما بعد بيعتي إياهم فليس إلى مجاهدتهم سبيل^(١).

(١) كتاب سليم بن قيس - سليم بن قيس: ٢١٩ - مطبعة الحوراء - الطبعة الثانية.

الفصل الثالث

مظلومية السيدة فاطمة عليها السلام:

قال تعالى: (قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (١).

لا بد لنا أن نسلط الضوء على حالة تعامل الأمة مع هذه الآية الكريمة التي نزلت في مودة أهل بيت رسول الله ﷺ بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى خاتماً جهاده الذي دام ثلاث وعشرون سنة وما لاقاه من الأذى، حيث يقول ﷺ: ((ما أودني نبي بمثل ما أوديت)).

هذا في حياته فماذا حصل بعد وفاته ﷺ؟ لا بد لنا أن نستعرض موجز ما جرى على أهل بيته وخاصة السيدة فاطمة عليها السلام الضحية الأولى من مظلومية ومصائب وأغصاب حق. أن هذه الحقائق حفظت بصورة حية في طيات الكتب التاريخية والمصادر الحديثة، وعلى هذا فمن نأخذ بنظر الاعتبار في نقلنا لهذه الحوادث من الوثائق والمصادر المعتبرة ترتيبها الزمني منذ القرون الأولى وحتى المؤرخون والكتاب في العصر الحاضر:

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

المحور الأول:

١- إقتحام بيت فاطمة عليها السلام وكشفه:

قال ابن قتيبة^(١): إن أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي بن أبي طالب عليه السلام. فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي عليه السلام فأبوا أن يخرجوا فدعا بلخطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة؟ فقال: (وإن) فخرجوا فبايعوا إلا علياً فإنه زعم أنه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن، فوقفت فاطمة عليها السلام على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقاً. فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟

فقال أبو بكر لقفذ وهو مولى له: أذهب فأدع لي علياً، قال: فذهب إلى علي: فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي عليه السلام: لسريع ما كذبتم على رسول الله. فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً. فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقفذ: عد إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع فجاءه قنفذ فأدى ما أمر به، فرفع علي صوته فقال: سبحان الله؟ لقد ادعى ما ليس له، فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً ثم قام عمر، فمشى معه جماعة، حتى أتوا باب فاطمة، فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادى بأعلى صوتها: يا ابن رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن

(١) الإمامة والسياسة - ابن قتيبة الدينوري: ١٦ - ١٧.

الخطاب وأبن أبي قحافة فلما سمع القوم صوتها وبكاءها، أنصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع وأكبدهم تنفطر، وبقي عمر ومعهم قوم، فأرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا إذاً والله الذي لا إله إلا هو تضرب عنقك، فقال: إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسول الله. قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسول الله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء. ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق علي عليه السلام بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الأخبار الواردة في حقيقة الهجوم على بيت فاطمة:

الأول: قال أبو بكر بن أبي شيبة ^(١): حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله فيشارونها ويتراجعون في أمرهم. فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، خرج حتى دخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والله ما أحد أحب إلينا من أبيك وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك إن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت. فلما خرج عمر جاؤوها فقالت: تعلمون ان عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم البيت، وأيم الله ليمضين لما حلف عليه فأنصرفوا راشدين قروا رأيكم ولا ترجعوا إلي فأنصرفوا فلم يرجعوا إليها حتى بايعوا لأبي بكر.

(١) المصنف - ابن أبي شيبة الكوفي: ٨ / ٥٧٢ - تحقيق سعدي اللحام - دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى - ١٩٧٧م - ١٤٠٩ هـ

الثاني: قال البلاذري ^(١) (المتوفى سنة ٣٧٥ هـ): إن أبا بكر أرسل إلى علي يريد البيعة، فلم يبايع فجاء عمر ومعه قيس فتلقته فاطمة رضي الله عنها على الباب، فقالت فاطمة: يا بن الخطاب أترارك محرراً علي بابي؟

قال: نعم وذلك أقوى فيما جاء به أبوك، وجاء علي، فبايع وقال: كنت عزمت أن لا أخرج من منزلي حتى أجمع القرآن.

الثالث: جاء في تاريخ الطبري (المتوفى سنة ٣١٠ هـ): حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جرير عن مغيرة عن زياد بن كليب قال: أن عمر بن الخطاب أتى منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن. فخرج عليه الزبير متسلطاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأنذوه ^(٢).

الرابع: جاء في كتاب العقد الفريد ^(٣) (أبن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ هـ): الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر علي والعباس والزبير وسعد بن عباد، فأما علي والعباس والزبير، ففعدوا في بيت فاطمة حتى بعث إليهم أبو بكر عمر بن

(١) كتاب جل من أنساب الأشراف - البلاذري: ٢/ ٢٦٨، حققه وقدم له سهيل زكار ورياض زركلي - دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م - ١٤١٧ هـ

(٢) تاريخ الأمم والملوك - للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: ٢/ ٤٤٣، مطبعة الاستقامة بالقاهرة/ ١٩٣٩م - ١٣٥٧ هـ

(٣) كتاب العقد الفريد - أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: ٤/ ٢٥٩ - ٣٦٠، مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا بالقاهرة - ١٩٦٢م، الطبعة الثانية.

الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل بقبس من نار على أن يضرهم عليهم الدار فلقيته فاطمة.
فقلت: يا بن الخطاب أجنث لتحرق دارنا؟
قل نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة.

الخامس: قال في الملل والنحل^(١) (أبي المفتاح الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ):
قل عمر: فلم تعط الرتبة في ديننا؟ قل هذا شك وتردد في الدين ووجدان حرج في النفس مما قضى وحكم وزاد في الغربة فقال: ان عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها وكان يصيح أحرقوا الدار بمن فيها وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام.

السادس: قال صاحب المعجم الكبير^(٢) (للحافظ الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ):
الحديث طويل، ثم قال أما اني لا آسي على شيء إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني لم أفعلهن وثلاث لم أفعلهن وددت أني فعلتهن وثلاث وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهن، فأما الثلاث التي وددت لم أفعلهن وددت أني لم أكشف بيت فاطمة وتركته وأن اغلق على الحرب وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين أبو عبيدة أو عمر فكان أمير المؤمنين وكننت وزيراً.

(١) الملل والنحل - أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: ٨/ ٥٧ - دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية - ١٩٧٥م - ١٣٩٥هـ

(٢) المعجم الكبير - للحافظ أبي قاسم سلمان أحمد الطبراني - الدار العربية - بغداد - الطبعة الأولى - ١٣٩٧هـ

السابع: قال صاحب الوافي^(١) (صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ): نص النبي ﷺ على أن الإمام علي وصيه وعرفت الصحابة ذلك ولكن كتبه عمر لأجل ابي بكر. وقال: أن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألفت المحسن من بطنها.

الثامن: جاء في نهج البلاغة (أبن أبي الحديد المعتزلي المتوفى سنة ٦٥٦هـ) لأبي بكر كان الزبير والمقداد يختلفان في جماعة من الناس إلى علي عليه السلام وهو في بيت فاطمة فيتشاورون ويتراجعون أمورهم، فخرج عمر حتى دخل على بيت فاطمة رضي الله عنها وقال: يا بنت رسول الله ما من أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما من أحد أحب إلينا منك بعد أبيك، وأيم الله ما ذاك بما نعي أن اجتمع هؤلاء نفر عندك ان أمر يحرق البيت عليهم، فلما خرج عمر جاءها فقالت: تعلمون أن عمر جاءني وحلف لي بالله ان عدتم ليحرقن عليكم البيت وأيم الله ليمضين كما حلف له. فانصرفوا عنا راشدين فلم يرجعوا إلى بيتها، وذهبوا فبايعوا لأبي بكر^(٢).

التاسع: جاء في مروج الذهب^(٣) (للمسعودي المتوفى سنة ٣٣٦ هـ): ومرض أبو بكر قبل وفاته بخمسة عشر يوماً. كلام له: ولما احتضر قال: ما أسى على شيء

(١) كتاب الوافي بالوفيات- صلاح الدين بن أيبك الصفدي: ١/ ١٧- دار بيروت- النشرات الإسلامية، ١٩٧٢م- ١٣٩٢ هـ

(٢) شرح نهج البلاغة- لأبن أبي الحديد: ٢/ ٤٥- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية- مطبعة عيسى البابي- الطبعة الأولى/١٩٥٩م- ١٣٧٨ هـ

(٣) مروج الذهب- للمسعودي: ٢/ ٣٠٨.

إلا على ثلاث فعلتها وددت إني تركتها. وثلاث تركتها وددت أني فعلتها، وثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنها، فأما الثلاث التي فعلتها وددت أني تركتها، فوددت أني لم أكن فتشت بيت فاطمة، وذكر في ذلك كلاماً كثيراً، وددت أني لم أكن أحرقت الفجاءة وأطلقته نجيماً أو قتلته صريحاً، وددت اني يوم سقيفة بني ساعدة قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين فكان أميراً وكننت وزيراً الخ وذكر في ذلك حديث طويل.

العاشر: قال عبد الفتاح المقصود في كتابه الإمام علي بن أبي طالب وكذلك سبقت الشائعات خطوات ابن الخطاب ذلك النهار، وهو يسير في جمع من صحبه ومعاونيه إلى دار فاطمة، وفي باله أن يحمل ابن عم رسول الله ﷺ إن طوعاً وإن كرهاً - على إقرار ما أبه حتى الآن.

وتحدث أناس بأن السيف سيكون وحده متن الطاعة ! وتحدث آخرون بأن السيف سوف يلقي السيف !.... ثم تحدث غير هؤلاء وهؤلاء بأن (النار) هي الوسيلة المثلى إلى حفظ الوحدة وإلى (الرضا) والإقرار! وهل على السنة الناس عقاب يمنعها أن تروي قصة حطب أمر به ابن الخطاب فلاحظ بدار فاطمة ^(١)، وفيها علي وصحبه ليكون علة الإقناع أو الابقاع.

الحادي عشر: جاء في أعلام النساء ^(٢) (عمر رضا كحالة): وتفقد أبو بكر قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي بن أبي طالب كالعباس والزبير وسعد بن عبادة فقعدوا في بيت فاطمة، فبعث أبو بكر إليهم عمر بن الخطاب فجاءهم عمر

(١) الإمام علي بن أبي طالب - عبد الفتاح عبد المقصود - مطبعة ومكتبة مصر: ٢٢٦/١.

(٢) أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام - عمر رضا كحالة: ١١٤/٤، المطبعة الهاشمية - ١٩٥٩م.

فناداهم وهم في دار فاطمة فأبوا أن يخرجوا، فدعا بلحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها فقيل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة فقل: وإن.

الثاني عشر: قال الشاعر حافظ إبراهيم^(١) في قصيدته يصف فيها الهجوم على بيت فاطمة بنت محمد ﷺ:

وقوله (لعلياً) قالها (عمر) أكرم بسامعها وأعظم بملقيها
 حرقتُ دارك لا أبقِي عليك بها إن لم تباعِ وبنْتُ المصطفى فيها
 ما كان غير أبي حفص يفوه بها أمام فارس (عدنان وحاميهما)

وذكر في الصفحة نفسها بهامش رقم (٣) يشير لهذه الأبيات، إلى إمتناع علي عن البيعة لأبي بكر يوم السقيفة وتهديد عمر إياه ليحرقن بيته إذا أستمروا على إمتناعه وكان فيه زوجة علي فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

الثالث عشر: ابن عبد البر ((الاستيعاب)): روى أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (٣٦٨-٤٦٣ هـ) في كتابه القيم الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

بالسند التالي: حدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا أحمد بن عمرو البزاز، حدثنا أحمد بن يحيى، حدثنا محمد بن نسير، حدثنا عبد الله بن عمر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أنَّ علياً والزبير كانا حين بويح لأبي بكر يدخلان على فاطمة فيشاورانها ويتراجعان في أمرهم، فبلغ ذلك عمر فدخل عليها عمر، فقل:

(١) ديوان حافظ إبراهيم: ٨٢/١ - المطبعة دار العوقف بيروت/١٩٣٧م.

يا بنت رسول الله، ما كان من الخلق أحد أحب إلينا من أبيك، وما أحد أحب إلينا بعده، منك ولقد بلغني أن هؤلاء النفر يدخلون عليك، ولكن بلغني لأفعلن^١ ولأفعلن^٢. ثم خرج وجاءوها. فقالت لهم: إن عمر قد جاءني وحلف لئن عدتم ليفعلن، وأيم الله ليفين بها^(١).

الرابع عشر: أبو الفداء و ((المختصر في أخبار البشر))

ألف إسماعيل بن علي المعروف بأبي الفداء (المتوفى عام ٧٣٢ هـ) كتاباً أسماه ((المختصر في أخبار البشر)) ذكر فيه قريباً مما ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد حيث قال: ثم إن أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة عليها السلام وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم، فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار فلقيته فاطمة عليها السلام وقالت: إلى أين يا بن الخطاب، أجنث لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو يدخلوا فيما دخل فيه الأمة^(٢).

الخامس عشر: النويري و (نهاية الأرب في فنون الأدب) أحمد بن عبد الوهاب النويري (٦٧٧-٧٣٣ هـ) أحد كبار الأدباء له خبرة في التاريخ يعرفه في الأعلام بقوله: بحاث، غزير الأطلاع وقال في كتابه (نهاية الإرب في فنون الأدب) - الذي وصفه الزركلي بقوله: إن نهاية الإرب على الرغم من تأخر عصره يحوي أخباراً خطيرة عن صقلية نقلها عن مؤرخين قدماء لم تصل إلينا كتبهم مثل ابن الرقيق، وأبن الرشيقي وأبن شداد وغيرهم^(٣) قال: روى ابن عمر بن عبد البر، بسنده عن

(١) الاستيعاب: ٣/ ٩٧٥، تحقيق علي محمد الجاوي/ مطبعة القاهرة.

(٢) المختصر في تاريخ البشر: ١/ ١٥٦، مطبعة دار المعرفة - بيروت

(٣) أعلام الوري: ١/ ١٦٥.

زيد بن أسلم عن أبيه: إن علياً والزبير كان حين بويع لأبي بكر، يدخلان على فاطمة، يشاورانها في أمرهم، فبلغ ذلك عمر، فدخل عليها، فقال: يا بنت رسول الله ما كان من الخلف أحد أحب إلينا من أبيك وما أحد أحب إلينا بعده منك، وقد بلغني ان هؤلاء النفر يدخلون عليك ولئن بلغني لأفعلن ولأفعلن! ثم خرج وجاءها فقالت لهم إن عمر قد جاءني وحلف إن عدتم ليفعلن وأيم الله ليفين^(١).

السادس عشر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٨-٩١١ هـ) ذلك البلحث الكبير والمؤرخ الخبير، يذكر في كتابه ((مسند فاطمة)) نفس ما رواه المؤرخون عن زيد بن أسلم عن أبيه أسلم:

أنه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله ﷺ كان علي والزبير يدخلون على فاطمة بنت رسول الله ﷺ ويشاورونها ويرجعون في أمرهم، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله والله ما من الخلق أحد أحب إلي من أبيك وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بما نعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن أمرهم أن يحرق عليهم الباب، فلما خرج عليهم عمر جاءوا فقالت: تعلمون أن عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم الباب، وأيم الله ليمضين كما حلف عليه^(٢).

السابع عشر: المتقي الهندي وكنز العمل: نقل علي بن حسام الدين المعروف بالمتقي الهندي (المتوفى عام ٩٧٥ هـ) في كتابه القيم ((كنز العمل)) ما جرى على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام وفق ما جاء في كتاب ((المصنف)) لأبن أبي شيبة،

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب: ٤٠/١٩، طبعة القاهرة.

(٢) مسند فاطمة - السيوطي: ٣٦، مطبعة مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

حيث قال: عن أسلم أنه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله ﷺ كان علي والزبير يدخلون على فاطمة ؓ بنت رسول الله ﷺ ويشاورونها ويرجعون في أمرهم، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة ؓ فقال: يا بنت رسول الله ما من الخلق أحد أحب إليّ من أبيك، وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن أمر بهم أن يحرق عليهم الباب إلى آخر ما ذكر^(١).

الثامن عشر: الدهلوي وإزالة الخفاء: نقل ولي الله بن مولوي عبد الرحيم العمري الدهلوي، الهندي الحنفي (١١١٤-١١٧٦ هـ) في كتابه ((إزالة الخفاء)) ما جرى في سقيفة بني ساعدة وقال: عن أسلم بإسناد صحيح على شرط الشيخين، وقال: أنه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله ﷺ كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب، خرج حتى دخل على فاطمة، يا بنت رسول الله ﷺ والله ما من الخلق أحد أحب إلينا من أبيك وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك وأيم الله فإن ذلك لم يكن بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن أمر بهم أن يحرق عليهم البيت^(٢) وذكر قريباً من ذلك في كتابه الآخر ((قرة العينين))^(٣).

التاسع عشر: (أبو عبيد وكتاب الأموال) أبو عبيد قاسم بن سلام (المتوفى سنة ٢٢٤هـ) أحد الفقهاء الكبار في القرن الثالث، وقد اشتهر بكتابه النفيس

(١) كنز العمال: ٥/ ٦٥١.

(٢) إزالة الخفاء: ٢/ ١٧٨.

(٣) قرة العينين: ٧٨.

((الأموال)) الذي طبع غير مرة فقد أزاح الستار عن وجه الحقيقة، وأشار إلى ما جرى على بيت فاطمة من المصائب، فقد نقل عن عبد الرحمن بن عوف قوله: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفي فيه فسلمت عليه، وقلت: ما أرى بك بأساً والحمد لله، ولا تأس على الدنيا، فوالله إن علمناك إلا كنت صلحاً مصلحاً. فقال: إني لا آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتهم وددت إني لم أفعلهم وثلاث لم أفعلهم وددت إني فعلتهم، وثلاث وددت اني سألت رسول الله ﷺ عنهم، فأما التي فعلتها وددت اني لم أفعلها فوددت أني لم أكن فعلت كذا كذا. لخلعة ذكرها قل أبو عبيد: لا أريد ذكرها - وددت اني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين عمر أو أبي عبيدة، فكان أميراً وكنت وزيراً، وددت اني حين كنت وجهت خالداً إلى أهل الردة أقمت بنبي الفضة، فإن ظفر المسلمون ظفروا وإلا كنت بصدر لقاء أو مدد الخ^(١).

ثم إن صاحب ((الأموال)) وإن لم يصرح بلفظ الخليفة وكره التلفظ به لكن غيره جاء بنفس النص الذي أحل به الخليفة يوم كان طريح الفراش.

العشرون: ((أبن سعد والطبقات الكبرى))

يذكر محمد بن سعد (المتوفى عام ٢٢٩ هـ) عند ترجمة أبي بكر ما هذا نصه: قل: أخبرنا عبد الله بن الزبير، حدثنا إسماعيل بن عامر، قل: جاء أبو بكر إلى فاطمة حين مرضت فاستأذن، فقال علي: هذا أبو بكر على الباب، فإن شئت أن تأذني له؟ قالت: وذلك أحب إليك؟

(١) الأموال: ١٩٣ - ١٩٤، مكتبة الكليات الأزهرية.

قال: نعم، فدخل عليها واعتذر إليها وكلمها فرضيت عنه ^(١).

الحادي والعشرون: ((المبرد والكامل))

محمد بن يزيد بن عبد الأكبر البغدادي (٢١٠ - ٢٨٥ هـ) أحد الأدباء الكتاب، وصاحب الآثار الممتعة، وقد نقل في كتاب ((الكامل)) ما روي عن عبد الرحمن بن عوف عندما زار أبا بكر في مرضه الذي مات فيه، وقال:

دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي مات فيه فسلمت وسألته: كيف به؟ فاستوى جالساً إلى أن قال: قال أبو بكر: أما إني لا آسى إلا على ثلاث فعلتهن ووددت إني لم أفعلهن وثلاث لم أفعلهن ووددت اني فعلتهن، وثلاث وددت أني سألت رسول الله عنهم.

فأما الثلاث التي فعلتها ووددت اني لم أكن كشفت عن بيت فاطمة وتركته ولو أغلق على حرب، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: عمر أو أبي عبيدة فكان أميراً وكنت وزيراً، ووددت إذا أتيت بالفجأة لم أكن أحرقته وكنت قتلته بالحديد أو أطلقتها.

وأما الثلاث التي تركتها ووددت أني فعلتها الخ ^(٢).

الثاني والعشرون: ابن أبي دارم و ((ميزان الاعتدال)).

أحمد بن محمد المعروف بابن أبي دارم، المحدث الكوفي (المتوفى عام ٣٥٧ هـ) الذي

(١) الطبقات: ٨/ ٢٧.

(٢) الكامل: ١/ ١١ - تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي - مؤسسة الرسالة - بيروت.

يعرفه الذهبي، بقوله: كان موصوفاً بالحفظ والمعرفة^(١) وينقل عنه الحاكم.

ويقول أيضاً في كتابه ((ميزان الاعتدال)): كان مستقيم الأمر عامة دهره ثم في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب وحضرته ورجل يقرأ عليه: أن عمر رفس فاطمة حتى أسقطت المحسن^(٢).

الثالث والعشرون: ابن عساكر و ((مختصر تاريخ دمشق))

ألف علي بن حسن المعروف بابن عساكر (المتوفى عام ٥٧١ هـ) كتاباً في تاريخ دمشق طبع في ثمانين جزءاً وقد لخصه محمد بن مكرم المعروف بأبي منظور (٦٢٠-٧١١ هـ) فجاء في ترجمة أبي بكر أنه دخل على أبي بكر في مرضه الذي توفي فيه فأصابه مقيماً إلى أن قل: فقل أبو بكر: لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن ووددت أني لو تركتهن، وثلاث تركتهن ووددت أني فعلتهن، وثلاث وددت أني سألت عنهن رسول الله ﷺ فأما التي وددت أني تركتهن: يوم سقيفة بني ساعدة وددت لو أني ألقيت هذا الأمر في عنق أحد هذين الرجلين - يعني عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً، وكنت وزيراً، وددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة عن شيء مع انهم أعلقوه على الحرب^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء: ٥٧٨/١٥.

(٢) ميزان الاعتدال: ١٣٩/١.

(٣) مختصر تاريخ دمشق: ١٢٢/١٣.

الرابع والعشرون: الجويني و ((فرائد السمطين))

إبراهيم بن محمد الحديد المعروف بلجويني (المتوفي عام ٧٢٢ هـ) من مشايخ الذهبي، يقول في حقه: إمام، محدث، فريد، فخر الإسلام وصدر الدين^(١) فقد روى في كتاب فرائد السمطين بالسند المذكور فيه عن ابن عباس، ان رسول الله ﷺ كان جاساً ذات يوم إذ أقبل الحسن عليه السلام فلما رآه بكى، إليّ إليّ يا بني فما زال يديه حتى أجلسه على فخذه اليمنى. ثم أقبل الحسين عليه السلام فلما رآه بكى، ثم قل: إليّ إليّ يا بني، فما زال يديه حتى أجلسه على فخذه اليسرى ثم أقبلت فاطمة عليها السلام فلما رآها بكى، ثم قل إليّ إليّ يا بنية فاطمة، فأجلسها بين يديه. ثم أقبل أمير المؤمنين علي عليه السلام فلما رآه بكى، ثم قل: إليّ إليّ يا أخي، فما زال يديه حتى أجلسه إلى جنبه الأيمن.

فقال له أصحابه يا رسول الله! ما ترى واحداً من هؤلاء إلا بكيت: أو ما فيهم من تسر برؤيته؟ فقال: ﷺ والذي بعثني بالنبوة وأصطفاني على جميع البرية إني وإياهم لأكرم الخلائق على الله ﷻ وما على وجه الأرض نسمة أحب إليّ منهم.

إلى أن قال: وأما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وهي بضعة مني وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روعي التي بين جنبي، وهي الحوراء الأنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربها ﷻ، زهر نورها بملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض. ويقول الله ﷻ للملائكة: يا ملائكتي، انظروا إلى أمي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يدي، ترعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبيها على عبادتي أشهدكم اني قد أمنت شيعتها من النار

(١) معجم شيخ الذهبي: ١٢٥.

واني لما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعلي كأتي بها و ((قد دخل اللذ بيتها وانتهكت حرمتها وغصب حقها، ومنعت إرثها، وكسر جنبها وأسقطت جينتها، وهي تنادي يا محمداه فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث^(١) .

الخامس والعشرون: الذهبي و ((تاريخ الإسلام))

يقول شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ) في كتاب تاريخ الإسلام:

روى علوان بن داود البجلي، عن حميد بن عبد الرحمن عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه، وقد رواه الليث بن سعد عن علوان عن صالح نفسه، قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه فسلمت عليه وسألته كيف أصبحت؟ فقال: بحمد الله بارئاً إلى أن قل: ثم قل: أني لا آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتهن وثلاث لم أفعلهن، وثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنهن: وددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وأن أغلق عليّ الحرب، وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق عمر أو أبي عبيدة^(٢) .

السادس والعشرون: نور الدين الهيثمي و ((مجمع الزوائد))

أخرج الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى سنة ٨٠٧ هـ) في كتابه مجمع الزوائد وضيع الفوائد في باب كراهة الولاية ولمن تستحب. روى وقال: فعن عبد الرحمن بن عوف، قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي

(١) فوائد السمطين: ٢/ ٣٤ - ٣٥، مطبعة بيروت.

(٢) تاريخ الإسلام: ٣/ ١١٧ - ١١٨.

توفى فيه وسلمت عليه وسألته كيف أصبحت؟ فاستوى جالساً وقال: أصبحت بحمد الله بارئاً - إلى أن قال: أما اني لا آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني لم أفعلهن، وثلاث لم أفعلهن وددت أن فعلتهن، وثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنهن.

فأما الثلاث التي وددت أني لم أفعلهن فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وإن أغلق على الحرب، وددت اني يوم سقيفة بني ساعدة قذفت الأمر في عنق الرجلين أبو عبيدة أو عمر وكان أمير المؤمنين وكنت وزيراً^(١).

السابع والعشرون: ابن حجر العسقلاني و ((لسان الميزان)) أخرج الإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل المعروف بالعسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ) في كتابه لسان الميزان بسنده عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال: دخلت على أبي بكر أعوده فاستوى جالساً فقلت: أصبحت بحمد الله بارئاً فقال أبو بكر: أما أني على ما ترى بي ... أني لا آسى على شيء إلا على ثلاث وددت أني لم أفعلهن، وددت أني لم أكشف بيت فاطمة وتركته وإن أغلق على الحرب، وددت أني يوم السقيفة كنت قذفت الأمر في عنق أبي عبيدة أو عمر فكان أميراً وكنت وزيراً^(٢).

(١) مجمع الزوائد: ٥/ ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٢) لسان الميزان: ٤/ ١٨٨ - ١٨٩.

الثامن والعشرون: الفرق بين الفرق

قال عمرو بن العاص لمعاوية: ((وأنت تعلم انه الشجاع المطرق، ومعه أهل العراق، وأهل الحجاز، وقد سمعته أنا وأنت، وهو يقول: لو أستمكنك من أربعين رجلاً يوم فتش البيت يعني بيت فاطمة))^(١).

إن النبي محمد ﷺ قيد علياً لمحاربة مغتصبي الخلافة إن أجمع حوله أربعون رجلاً، لكن الإمام علي عليه السلام لم يحصل على هذا العدد للرد على ما حصل يوم السقيفة وكذلك الهجوم على بيت فاطمة.

التاسع والعشرون: السقيفة - لسليم بن قيس الهلالي

في رواية سليم بن قيس قال: ((فأقتحموا بغير إذن (الدار) وثار علي إلى سيفه، فسبقوه إليه وكاثروه، وهم كثيرون، فتناول بعض سيوفهم، فكاثروه، فألقوا في عنقه حبلاً وحالت بينهم وبينه فاطمة عليها السلام عند باب البيت فضربها قنفاذ الملعون بالسوط، فماتت حين ماتت، وأن في عضدها كمثل الدمليج من ضربته، ثم أنطلق بعلي يعتل عتلاً، حتى أنتهى به إلى أبي بكر وعمر قائم بالسيف على رأسه وخالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل، والمغيرة بن شعبة، وأسيد بن خضير وبشير بن سعد وسائر الناس حول أبي بكر عليهم السلاح، وذكر أن قنفاذاً ألجأها إلى عضادة بابها، ودفعها فكسر

(١) الفرق بين الفرق: ١٤٨.

ضلعها من جنبها فألقت جنينها من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت،
وقيل إنَّ الضارب عمر^(١).

الثلاثون: (الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ) - كتاب إثبات الهداة لعلامة المحدثين
صاحب الوسائل، وذكره النوفلي في الأخبار، حيث قال: قال (عروة بن الزبير يغدر
أخاه عبد الله بن الزبير: إنما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا في طاعته، كما أرب
بني هاشم عمر وجمع لهم الخطب).

الحادي والثلاثون: (الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ)

قال الجاحظ عنه: كان النظام أشد الناس إنكاراً على الرافضة يعني قوله الذي
ذكره الشهرستاني في كتابه - الملل والنحل - إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم
البيعة، حتى ألقى الجنين من بطنها، وكان يصيح، أحرقوا دارها بمن فيها، وما كان
في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين^(٢).

الثاني والثلاثون: (اليعقوبي المتوفى سنة ٢٩٢ هـ)^(٣).

ومن أدلة هجوم القوم على بيت فاطمة، ما قاله العباس لعمر أثناء زيارة أبي بكر
وعمر وابن الجراح له في بيته، بعد الهجوم على دار فاطمة عليها السلام إذ هدده عمر
فقال العباس: هذا الذي قُتِّمتموه أول ذلك وبالله المستعان.

(١) السقيفة - سليم بن قيس الهلالي: ٨٣٦/٢

(٢) الوافي بالوفيات - الصفدي: ١٧/٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ١٢٥/٢.

الثالث والثلاثون: (الخطط - المقريري المتوفى سنة ٨٢٠هـ).

قال المقريري: وزعم (النظام) انه (عمر) ضرب فاطمة ابنة رسول الله ﷺ وضع ميراث العترة.

الرابع والثلاثون: (تاريخ أبو الفداء المتوفى سنة ٧٤٤هـ)^(١).

ذكر المؤرخ اسماعيل أبو الفداء: ((إن أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي عليه السلام ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة عليها السلام وقال إن أبوا عليك فقاتلهم، فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار، فلقيه فاطمة عليها السلام وقالت: إلى أين يا ابن الخطاب؟ أجنث لتحرق دارنا؟

قال: نعم.

الخامس والثلاثون: (إبراهيم بن محمد الجويني) روى الجويني بأسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي الأكرم ﷺ: ((وأما أبنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روعي التي بين جنبي، وهي الحوراء الأنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربها ﷻ زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض ويقول الله عز وجل للملائكة: يا ملائكتي انظروا إلى أمي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يدي ترعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أنني قد أمنت شيعتها من النار، وإني لما رأيتها ذكرت ما يصنع (بها) بعدي كأنني بها وقد دخل الذل بيتها، وإنتهكت حرمتها، وغضب حقها ومنعت

(١) تاريخ أبو الفداء: ١ / ١٦٤.

إرثها وكسر جنبها، وأسقطت جنبينها، وهي تنادي يا محمداه فلا تجاب وتستغيث فلا تُغاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية فتذكر انقطاع الوحي من بيتها مرةً وتذكر فراقي أخرى^(١).

أبو بكر يندم على كشف بيت فاطمة عليها السلام:

عن عبد الرحمن بن عوف قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه وسألته كيف به فاستوى جالساً فقلت لقد أصبحت بحمد الله بارئاً.

فقال: أما أني على ما ترى لوجع وجعلتم لي معشر المهاجرين شغلاً على وجمعي وجعلت لكم عهداً مني من بعدي وأخترت لكم خيركم في نفسي فكلكم دم لذلك أنفه رجاء أن يكون الأمر له ورأيتم الدنيا قد أقبلت والله لتتخذن ستور الحرير ونضائد الديباج وقائلون ضجائع الصوف ألا ذر بي كأن أحدكم على حسك السعدان والله لئن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد لخير له من أن يسبح في غمرة الدنيا وأنكم غداً لأولى آمال بالناس يجورون عن الطريق يميناً وشمالاً يا هاوي الطريق جرت إنما هو البجر أو الفجر فقال له عبد الرحمن: لا تكثر على ما بك فيهيضك والله ما ردت إلا خيراً. وأن صاحبك لذو خير وما الناس إلا رجلان رجل رأى ما رأيت فلا خلاف عليك منه ورجل رأى غير ذلك وإنما يشير عليك برأيه فسكن وسكت هنيهة.

(١) فرائد السمطين: ٣٦/٢.

قال عبد الرحمن: ما أرى بك باساً والحمد لله فلا بأس على الدنيا والله ما علمناك لا صلحاً مصلحاً. فقال: أما أني لا آسي إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني لم أفعلهن وثلاث لم أفعلهن وددت أني فعلتهن وثلاث وددت اني سألت رسول الله ﷺ عنهن.

أما الثلاث التي فعلتهن وددت اني لم أكن فعلتها فوددت اني لم أكن كشفت عن بيت فاطمة وتركته ولو أغلق على حرب. ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين عمر أو أبو عبيدة فكان أميراً وكنت وزيراً، ووددت أني إذا أثبت بالفجأة لم أكن أحرقتة وكنت قتلته بلخديد أو أطلقته.

وأما الثلاث التي تركتها ووددت أني فعلتها فوددت إنني يوم أتيت بالأشعث كنت ضربت عنقه فإنه يخيل إلي أنه لا يرى شراً إلا أعان عليه ووددت أني حيث وجهت خالداً إلى أهل الردة أقمت بنزي القصة فإن ظفر المسلمون إلا كنت رداءاً لهم ووددت حين وجهت خالداً إلى الشام كنت وجهت عمر إلى العراق فأكون قد بسطت لكلتا يدي اليمن والشمال في سبيل الله وأما الثلاث اللواتي وددت أني كنت سألت رسول الله ﷺ عنهن فوددت اني سألته هذا الأمر فكنا لا ننازعه أهله وددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب وددت أني سألته عن ميراث لعممة وابنة الأخت فإن في نفسي منهما حلجة^(١).

(١) السقيفة وفدك - لأبي بكر الجوهري البغدادي: ٤١ - ٤٣.

عمر يأمر بإحراق بيت فاطمة عليها السلام :

عن أبان بن أبي عباس عن سليم بن قيس قال: كنت عند عبد الله بن عباس في بيته ومعنا جماعة من شيعة علي عليه السلام فحدثنا فكان فيما حدثنا أن قال: يا أخوتي توفي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم توفي فلم يوضع في حفرته حتى نكث الناس وارتدوا وأجمعوا على الخلاف وأنشغل علي بن أبي طالب عليه السلام برسول الله حتى فرغ من غسله وتكفينه وتحنيطه ووضعه في حفرته ثم أقبل على تأليف القرآن وشغل عنه بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن همته الملك لما كان رسول الله أخبره عن القوم فلما أفتت الناس بالنبي أفتتوا به من الرجلين فلم يبق إلا علي وبنو هاشم وأبو ذر والمقداد وسلمان في أناس معهم يسير، قال عمر لأبي بكر يا هذا أن الناس أجمعين قد بايعوك ما خلا هذا الرجل وأهل بيته وهؤلاء النفر فأبعث فبعث إليه ابن عم لعمر يقال له قنفذ فقال: أنطلق إلى علي فقل له أجب خليفة رسول الله فأنطلق فأبلغه فقال علي عليه السلام: ما أسرع ما كذبتم على رسول الله وأنددتم والله ما أستخلف رسول الله غيري فأرجع يا قنفذ فإمّا أنت رسول فقل له قال لك علي والله ما أستخلفك رسول الله وأنت لتعلم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل قنفذ إلى أبي بكر فبلغه الرسالة فقال أبو بكر صدق علي ما أستخلفني رسول الله فغضب عمر ووثب وقام فقال أبو بكر أجلس ثم قال لقنفذ أذهب إليه فقل له أجب أمير المؤمنين أبا بكر فأقبل قنفذ حتى دخل على علي عليه السلام فأبلغه الرسالة فقال كذب والله أنطلق إليه فقل له لقد تسميت بأسم ليس لك فقد علمت أن أمير المؤمنين غيرك فرجع قنفذ فأخبره وثب عمر غضبان فقل والله أني لعارف بسخفه وضعف رأيه وأنه لا يستقيم لنا أمر حتى نقتله فخلني أتك برأسه فقال

أبو بكر: أجلس فأبى فأقسم عليه فجلس ثم قال يا قنذ فقل له أجب أبا بكر فأقبل قنذ فقال يا علي أجب أبا بكر.

فقال علي أني لفي شغل وما كنت بالذي أترك وصية خليلي وأخي وأنطلق إلى أبي بكر وما أجمعتم عليه من الجور.

فأنطلق قنذ فأخبر أبا بكر فوثب عمر غضبان فنادى خالد بن الوليد وقنذاً فأمرهما أن يحملا حطباً وناراً ثم أقبلا حتى أنتهى إلى باب علي وفاطمة عليهما السلام، وفاطمة قاعدة خلف الباب قد عصبت رأسها ونحل جسمها في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عمر حتى ضرب الباب ثم نادى يا ابن أبي طالب أفتح الباب فقالت فاطمة يا عمر ما لنا ولك إلا تدعنا وما نحن فيه قال: أفتحي الباب وإلا أحرقتك عليكم فقالت يا عمر أما تتقي الله عز وجل تدخل على بيتي وتهجم على داري فأبى أن ينصرف، ثم دعا عمر بالنار فأضرمها في الباب فأحرق الباب ثم دفعه عمر فأستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت يا أبتاه يا رسول الله فرفع السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت ثم رفع السوط فضرب به ذراعها فصاحت يا أبتاه فوثب علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذ بتلابيب عمر ثم هزه فصرعه ووجأ أنفه ورقبته وهم بقتله فذكر قول رسول الله وما أوصى به من الصبر والطاعة فقل والذي كرم محمداً بالنبوة يا ابن صهاك (لو لا كتاب من الله سبق لعلمت أنك لا تدخل بيتي) فأرسل عمر يستغيث فأقبل الناس حتى دخلوا الدار وسل خالد بن الوليد السيف ليضرب فاطمة عليها السلام فحمل عليه علي بسيفه فأقسموا على علي عليه السلام الكف، وأقبل المقداد وسلمان وأبو ذر وعمار وبريدة الأسلمي حتى دخلوا الدار اعواناً لعلي حتى كادت تقع فتنة فأنخرج علي عليه السلام وأتبعه الناس وأتبعه سلمان

وأبو ذر والمقداد وعمار وبريدة وهم يقولون ما أسرع ما ختمت رسول الله ﷺ وأخرجتم الضغائن التي في صدوركم وقال بريدة بن الحصيب الأسلمي يا عمر أتيت على أخي رسول الله ووصيه وعلى أبنته فتضربها وأنت الذي تعرفك قريش بما تعرفك به فرفع خالد بن الوليد السيف ليضرب به بريدة وهو في غمده فتعلق به عمر ومنعه من ذلك فأنتهوا بعلي إلى أبي بكر ملبياً فلما نظر به أبو بكر صاح خلوا سبيله فقال ﷺ ما أسرع ما توثبتم على أهل بيت نبيكم يا أبا بكر بأي حق وبأي ميراث وبأي سابقة تحت الناس إلى بيعتك ألم تباعني بالأمس بأمر رسول الله .

فقال عمر: دع عنك هذا يا علي فو الله أن لم تباع لنقتلك، فقال علي ﷺ إذاً والله أكون عبد الله وأخا رسول الله المقتول. فقال عمر: أما عبد الله المقتول فنعم وأما أخو رسول الله فلا فقال علي ﷺ: (أما والله لولا قضاء من الله سبق وعهد عهده إلي خليلي لست أجوزه لعلمت أننا أضعف ناصراً وأقل عدداً) وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقام بريدة فقال يا عمر: ألستما الذين قال لكما رسول الله أنطلقا إلى علي فسلمنا عليه بإمرة المؤمنين فقلتما أعن أمر الله وأمر رسوله فقال: نعم فقال أبو بكر: قد كان ذلك يا بريدة ولكنك غبت وشهدنا والأمر يحدث بعده الأمر فقال عمر: أما أنت وهذا يا بريدة وما يدخلك في هذا، قال بريدة: والله لا سكنت في بلدة أنتم فيها أمراء، فأمر به عمر فضرب وأخرج، ثم قام سلمان فقال: يا أبا بكر أتق الله وقم عن هذا المجلس ودعه لأهله يأكلون به رغداً إلى يوم القيامة لا يختلف على هذه الأمة سيفان فلم يجبه أبو بكر فأعاد سلمان فقال مثلها فأنتهزها عمر وقال: مالك وهذا الأمر وما يدخلك فيما ها هنا فقال: مهلاً يا عمر قم يا أبا بكر عن هذا المجلس ودعه لأهله يأكلون به والله خضراً إلى يوم القيامة

وإن أبيتم لتحلين به دماً وليطمعن فيه الطلقاء والطرء والمنافقون، والله لو أعلم اني أدفع ضيماً أو أعز الله ديناً لوضعت سيفي على عاتقي ثم ضربت به قدماً أتنبون على وصي رسول الله ﷺ فأبشروا بالبلاء واقنطوا من الرخاء ثم قام أبو ذر والمقداد وعمار فقالوا لعلي ما تأمر والله ان أمرتنا لنضربن بالسيف حتى نقتل فقال علي ﷺ: كفوا رحمكم الله وأذكروا عهد رسول الله وما أوصاكم به فكفوا.

فقال عمر لأبي بكر وهو جالس فوق المنبر: ما يجلسك فوق المنبر وهذا جالس محارب لا يقوم فيبايعك أو تأمر به فتضرب عنقه والحسن والحسين عليهما السلام قائمان على رأس علي ﷺ فلما سمعا مقالة عمر بكيا ورفعوا أصواتهما يا جداه يا رسول الله فضمهما علي إلى صدره وقال لا تبكيا فو الله لا يقدران على قتل أبيكما هما أذل وأدخر من ذلك، وأقبلت أم أيمن النوبية حاضنة رسول الله ﷺ وأم سلمة فقالتا يا عتيق ما أسرع ما أبديتم حسدكم لآل محمد فأمر بهما عمر أن تخرجا من المسجد وقال مالنا وللنساء ثم قال يا علي: قم بايع، فقال علي إن لم أفعل قل إذاً والله تضرب عنقك.

قال: ﷺ كذبت والله يا ابن صهاك لا تقدر ذلك أنت الأم وأضعف من ذلك فوثب خالد بن الوليد وأخترط سيفه وقال والله إن تفعل لأقتلنك فقام إليه علي ﷺ وأخذ بجماع ثوبه ثم دفعه حتى ألقه على قفله ووقع السيف من يده.

فقال عمر: قم يا علي بن أبي طالب فباع، قال فإن لم أفعل قال: إذاً والله نقتلك، وأحتج عليهم علي عليه السلام ثلاث مرات ثم مد يده من غير أن يفتح كفه فضرب عليها أبو بكر ورضى بذلك ثم توجه إلى منزله وتبعه الناس ^(١).

السيدة فاطمة وفدك:

١ - لمحات تاريخية عن فدك:

قال ياقوت الحموي ^(٢): ((فدك: بالتحريك، وآخره كاف، وقال ابن دريد: فدكت القطن تفديكاً إذا نفشته، وفدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم لما نزل خير وفتح حصونها ولم يبق إلا ثلث وأشدت بهم الحصار راسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن ينزل لهم على الجلاء وفعل وبلغ ذلك أهل فدك فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك، فهي مما يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها عين فوارة ونخيل كثيرة، وهي التي قالت فاطمة عليها السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم محلنيها. فقال أبو بكر: أريد بذلك شهوداً، ولها قصة ثم أدى اجتهاد عمر بن الخطاب بعده لما ولي الخلافة وفتحت الفتوح واتسعت على المسلمين أن يردّها إلى ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان علي بن أبي طالب عليه السلام والعباس بن عبد المطلب يتنازعان فيها فكان علي يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم جعلها في حياته لفاطمة،

(١) كتاب سليم بن قيس - سليم بن قيس: ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢.

(٢) معجم البلدان - ياقوت الحموي البغدادي: ٣٣٨/٤.

وكان العباس يأبى ذلك ويقول: هي ملك لرسول الله ﷺ وأنا وارثه، فكانا يتخاصمان إلى عمر فيأبى أن يحكم بينهما ويقول: أنتما أعرف بشأنكما أما أنا فقد سلمتها، إليكما فأقتصدا فيها يؤتى واحد منكما من قلة معرفة فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره برد فذك إلى ولد فاطمة عليها السلام فكانت في أيديهم في أيام عمر بن عبد العزيز، فلما ولي يزيد بن عبد الملك قبضها فلم تزل في أيدي بني أمية حتى ولي أبو العباس السفاح الخلافة فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فكان هو القيم عليها يفرقها في بني علي بن أبي طالب، فلما ولي المهدي بن المنصور الخلافة أعادها عليهم قبضها موسى الهادي ومن بعده إلى أيام المأمون فجاءه رسول بني علي بن أبي طالب فطالب بها فأمر أن يسجل لهم بها فكتب السجل وقرئ على المأمون، فقام دعبل وأنشد:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا برد مأمون هاشم فدكا
وفي فذك اختلاف كثير في أمره بعد النبي ﷺ وأبي بكر وآل رسول الله ﷺ، ومن رواة خبرها من رواه بحسب الأهواء وشدة المرء، وأصح ما ورد عندي في ذلك ما ذكره أحمد بن جابر البلاذري في كتاب الفتوح له فإنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعد منصرفه من خيبر إلى أرض فذك محيصة بن مسعود ورتيس فذك يومئذ يوشع بن نون اليهودي يدعوهم إلى الإسلام فوجدهم مرعوبين خائفين لما بلغهم من أخذ خيبر فصلحوه على نصف الأرض بتربتها فقبل ذلك منهم وأمضاه رسول الله ﷺ وصار خالصاً له لأنه لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكان يصرف ما يأتيه منها في أبناء السبيل، ولم يزل أهلها بها حتى أجلى عمر اليهود فوجه إليهم من قوم نصف التربة بقيمة عدد فدفعها إلى اليهود وأجلهم إلى الشام، وكان لما قبض

رسول الله ﷺ، قالت فاطمة عليها السلام، لأبي بكر: إن رسول الله جعل لي فداً فأعطني إياها، وشهد لها علي بن أبي طالب عليه السلام فسألها شاهداً آخر فشهدت لها أم أيمن مولاة النبي ﷺ فقال: قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا يجوز (إلا) شهادة رجلين أو رجل وامرأتين، فأنصرفت، وروى عن أم هاني أن فاطمة أتت أبا بكر فقالت له: من يرثك؟ فقال: ولدي وأهلي، فقالت له: فما بالك ورثت رسول الله ﷺ دوننا؟ فقال: يا بنت رسول الله ما ورثت ذهباً ولا فضة ولا كذا ولا كذا، فقالت: سهمنا بخير وصدقتنا بفدك!

فقال يا بنت رسول الله سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما هي طعمة أطعمنيها الله تعالى في حياتي فإذا مت فهي بين المسلمين.

وعن عروة بن الزبير: أن أزواج رسول الله ﷺ أرسلت عثمان بن عفان إلى أبي بكر: يسألن مواريثهن من سهم رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة، إنما هذا المال لآل محمد لنابتهم وضيئفهم فإذا مت فهو إلى والي الأمر من بعدي، فأمسكن، فلما ولي عمر بن عبد العزيز خطب الناس وقص قصة فدك وخلوصها لرسول الله ﷺ وأنه كان ينفق منها ويضع فضلها في أبناء السبيل، وذكر أن فاطمة سألته أن يهبها لها فأبى وقال: ما كان لك أن تسألني وما كان لي أن أعطيك، وكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل وانه (عليه الصلاة والسلام) لما قبض فعل أبو بكر وعمر وعثمان وعلي مثله، فلما ولي معاوية أقطعها مروان بن الحكم، وإن مروان وهبها لعبد العزيز ولعبد الملك أبنيه ثم أنها صارت لي وللوليد وسليمان، وإنه لما ولي الوليد سألته فوهبها لي وسألت سليمان حصته فوهبها لي أيضاً فاستجمعتها

وإنه ما كان لي مال أحب إلي منها، وأنني أشهدكم أنني رددتها إلى ما كانت عليه في أيام النبي ﷺ، وأبي وبكر وعمر وعثمان وعلي، فكان يأخذ ما لها هو ومن بعده فيخرجه في أبناء السبيل. فلما كانت سنة (٢١٠) أمر المأمون بدفعها إلى ولد فاطمة وكتب إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة أنه كان رسول الله ﷺ أعطى أبنته فاطمة عليها السلام فذك وتصدق عليها بها وأن ذلك كان أمراً ظاهراً معروفاً عند آله (عليه الصلاة والسلام) ثم لم تزل فاطمة تدعي منه بما هي أولى من صدق عليه، وأنه قد رأى ردها إلى ورثتها وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ليقوما بها لأهلها، فلما أستخلف جعفر المتوكل ردها إلى ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ومن بعده من الخلفاء. وقال الزجاجي: سميت فاطمة بن حام وكان أول من نزلها، وقد ذكر غير ذلك وهو في ترجمة (آجا)^(١) وينسب إليها أبو عبد الله محمد بن صدقة الفدكي، سمع مالك بن أنس، روى عنه إبراهيم بن المنذر الحزامي وكان مدنساً وقال زهير:

لئن حللت بجو في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فلك
ليأتينك مني منطلق قذع بلقي كما دنس القبطية الورك

(١) آجا: هي قمة جبل شمر تتألف من حجر الغرانيت الأحمر يبلغ ارتفاعها (١٨٠٠م)، ذكر الدكتور شكري فيصل في كتابه (المجتمعات الإسلامية في القرن الأول: ص ١١).

وذكر صاحب (المنجد) ما نصه:

((فدك واحدة في الحجاز قرب خيبر كان أهلها من المزارعين اليهود. أشتهرت قديماً بتمرها وقمحها. أرسل النبي علياً لمحاربتهم ثم صالحهم على نصف أملاكهم))^(١).
كما بين الطريحي في (مجمع البحرين): ((فدك بفتحتين: قرية من قرى اليهود بينها وبين مدينة النبي ﷺ يومان. وبينها وبين خيبر دون مرحلة. وهي ما أفاء الله على رسوله منصور وغير منصور. وكانت لرسول الله ﷺ لأنه فتحها وأمير المؤمنين عليه السلام لم يكن معهما أحد (فزال عنها حكم الفيء ولزمها أسم الأنفال). فلما نزل (فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) أَي أُعْطِي فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِدْكَأ، أعطاه رسول الله ﷺ إياها.

وكانت في يد فاطمة عليها السلام إلى أن توفي رسول الله ﷺ فأخذت من فاطمة (بالقهر والغلبة). وقد حدها علي عليه السلام: (حد منها جبل أحد، وحد منها عريش مصر، وحد منها سيف البحر، وحد منها دومة الجندل يعني الجوف))^(٢).

وبعد كلمة الجوف إشارة هامشية، حيث تذكر رواية في الهامش لها أهمية أيضاً، وهي: ((عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له: لِمَ لم يأخذ أمير المؤمنين عليه السلام فِدْكَأ لما ولي الناس، ولأي علة تركها؟ فقال: لأن الظالم والمظلوم قد كان قديماً على الله تعالى فأثاب الله المظلوم وعاقب الظالم فكره أن يسترجع شيئاً قد عاقب عليه غاصبه وأثاب عليه المغصوب)).

(١) المنجد في الأعلام: ص ٤٠٧.

(٢) مجمع البحرين - فخر الدين الطريحي - تحقيق السيد أحمد الحسيني: ٥/ ٢٨٣.

٢ - فتح فدك وطريقة أنتقالها إلى المسلمين:

ذكر المؤرخون: أن أهل فدك اليهود صلحوا رسول الله ﷺ على أن يعطوه فدكاً أو نصفها بدون قتال، قبل أن يسير إليهم الجيش، مقابل أن يحقن دماءهم. وكان ذلك بعد أن نقض يهود المدينة وما جاورها ميثاق المدينة، وتحالفوا مع أحزاب المشركين في مؤامرة كبرى، جيشت على أثرها الجيوش الجرارة، للقضاء على المسلمين واحتسامهم عن بكرة أبيهم، وكانت خيانة اليهود واضحة وعلنية وهذا هو دينهم منذ القدم، لأنهم ظنوا أن هذه الحملة العسكرية المنقطعة النظير عدداً وعلّة ستنتهي بهزيمة المسلمين المحقة لا محالة.

إلى حد أنهم فتحوا جبهة المدينة من الداخل وحاول بعض عناصرهم أن يستطلع سرية حماية المسلمات وأطفالهنّ وذلك لأجل الإغارة عليهن، مما دعى بصفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ أن تتقدم متكررة لقتال ذلك اليهودي القادم إليهم بعد أن تخلى حسان بن ثابت عن تلك المهمة وكان أن ذاك مع النساء، فقتلته وسلبته وألقت ملابسه السلبية أمام اليهود وعيون الجيش القادم لقتالهم، فعلموا من خلال تلك العملية أن هناك قوة حماية داخلية مكلفة بحماية نساء وأطفال المسلمين داخل المدينة مما جعلهم يجمعون عن النفوذ إلى قلب المدينة.

روى أبو سعيد الخدري ^(١) أن رسول الله ﷺ أرسل عمر إلى خيبر فأنهزم ومن معه، فقدم على رسول الله ﷺ يبين أصحابه وهم يبجئون، فبلغ ذلك من رسول الله ﷺ كل مبلغ، فبات ليلته مهموماً فلما أصبح خرج إلى الناس ومعه الراية، فقال: ((لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله كرار غير فرار)) فتعرض لها

(١) الشافعي في الإملعة - للشريف الرضي: ٨٧/٣ - ٨٨

جميع المهاجرين والأنصار فقال ﷺ: أين علي؟ فقالوا: يا رسول الله هو أرمده، فبعث إليه أباذر وسلمان فجاء به يُقاد لا يقدر على فتح عينيه من الرمذ فلما دنا من رسول الله ﷺ تفل في عينيه فقال:

((اللهم أذهب عنه البرد والحر، وأنصره على عدوه فإنه عبدك يحبك ويحب رسولك، كرار غير فرار)) ثم دفع إليه الراية. فاستأذنه حسان بن ثابت أن يقول فيه شعراً قال، قل: فأنشأ يقول:

وكان عليّ أرمده العين يبتغي	دواءً فلما لم يحس مُداوياً
شفاه رسول الله منه بتفليّة	فبورك مرقياً وبورك راقياً
وقل سأعطي الراية اليوم صارماً	كمياً محباً للرسول موالياً
يجب إلهي والإله يحبه	به يفتح الله الحصون الأوابيا
فأصغى بها دون البرية كلها	علياً وسماه الوزير المؤاخيا

ويقال أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يجد بعد ذلك أنى حر ولا برد.

وروى سعيد بن جبیر عن ابن عباس هذا الخبر بعينه على وجه آخر، قال: ((بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى خيبر فرجع وقد أنهزم وأنهزم الناس معه، ثم بعث من الغد عمر فرجع وقد جرح في رجله، وأنهزم الناس معه فهو يجين الناس والناس يجينونه، فقل رسول الله ﷺ ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار ولا يرجع حتى يفتح الله عليه)). وقال ابن عباس: فاصبحنا متشوقين نرائي وجوهنا رجاء أن يدعى رجل منا فدعا رسول الله ﷺ علياً وهو أرمده فتفل في عينيه، ودفع إليه الراية ففتح الله عليه)).

٣ - كيف ملكت فاطمة فذك؟

بعد النصر الكبير الذي أحرزه المسلمون على اليهود والمشركين في واقعة حبيـر الذي كان فارسها وقالع بابها علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قال فيه رسول الله ﷺ: ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار ليس بفرار لا يرجع حتى يفتح الله عليه)).

عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة نزل الوحي على رسول الله بالآية الكريمة: ((وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا))^(١) فانشغل فكر النبي بنبي القربى من هم؟ وما حقهم؟ فنزل الوحي ثانياً على رسول الله ﷺ وقال: إن الله سبحانه يأمرك أن تعطي فذكاً لفاطمة عليها السلام فطلب النبي الكريم ﷺ أبنته فاطمة عليها السلام وقال: إن الله تعالى أمرني أن أدفع إليك فذكاً، فدفعها إليها وتصرفت فاطمة عليها السلام في فذك وأخذت واردها تنفقه على مساكين المسلمين.

الروايات الواردة في فذك من العامة والخاصة:

أولاً: روايات العامة:

أ- قال السيوطي^(٢): ((وأخرج البزار وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعيد الخدري قال: لما نزلت هذه الآية: ((فَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ)) دعا رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام وأعطاه فذكاً.

(١) سورة الأسراء، الآية: ٢٦.

(٢) الدر المنثور: ١٤٤/٤.

ب- وجاء في كتاب كنز العمال أنه جاء في حاشية مسند أحمد حول مسألة صلة الرحم أنه نقل عن أبي سعيد الخدري أن الآية أعلاه عندما نزلت على رسول الله ﷺ دعا الرسول فاطمة عليها السلام وقال: ((يا فاطمة لك فذك))^(١).

ج- روى الحسكاني نقلاً عن عطاء عن ابن عباس قال: ((لما أنزل الله (فَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) دعا رسول الله ﷺ فاطمة وأعطاهما فذكاً وذلك لصلة الرحم))^(٢).

د- أخرج البزار^(٣) وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه، عن أبي سعيد الخدري قال: لما أنزلت هذه الآية ((وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)) دعا رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام فأعطاهما فذك.

هـ - أخرج ابن مردويه^(٤) عن ابن عباس قال: لما نزلت ((وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)) أقطع رسول الله ﷺ فاطمة فذك.

و- قال الفخر الرازي^(٥): إنه خطاب للرسول ﷺ فأمره الله أن يؤتي أقاربه الحقوق التي وجبت لهم في الفياء والغنيمه، وأوجب عليه أيضاً إخراج المساكين وأبناء السبيل أيضاً من هذين المثالين. كما ذكر الزمخشري^(٦) في الكشف بعد أن أورد المعاني العامة لذوي القرابة قال: وقيل: أراد بني القربى أقرباء رسول الله ﷺ.

(١) كنز العمال - المتقي الهندي: ١١٨/٢.

(٢) شواهد التنزيل - الحسكاني: ٤٤٣/١.

(٣) كنز العمال - المتقي الهندي: ٧٦٧/٣.

(٤) فتح القدير - الشوكاني: ٢١٦/٣.

(٥) تفسير الرازي: ١٩٣/٢٠.

(٦) الزمخشري: ٦٦١/٢.

ثانياً: الروايات الخاصة:

قال تعالى: (وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا) في تفسير العامة وصى سبحانه بغير الوالدين من القربات والمساكين وأبناء السبيل بأن تؤتى حقوقهم بعد أن وصى بهما وقيل: فيه إن المراد بنبي القربى قرابة النبي ﷺ. إن كلمة (نبي القربى)^(١) لها مفهوم عام وتشمل كل الأرحام والمقربين إلا أن أهل البيت هم من أوضح مصاديق القربى والرسول في طليعة المخاطبين بالآية الكريمة.

في الكافي عن الكاظم عليه السلام في حديث له مع المهدي إن الله تعالى لما فتح على نبيه ﷺ فذك وما والاها لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فأنزل الله على نبيه ﷺ ((وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا)) ولم يدر رسول الله ﷺ من هم فراجع في ذلك جبرئيل وراجع جبرئيل ربه فأوحى الله إليه أَدْفَعْ فِدْكَ إِلَىٰ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فدعاها رسول الله ﷺ فقال يا فاطمة إن الله تعالى أمرني أن أدفع إليك فذك فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك الحديث.

قل الشيخ الطوسي^(٢): وهو أمر من الله لنبيه ﷺ أن يعطي ذوي القربى حقوقهم التي جعلها الله لهم، فروي عن ابن عباس، والحسن: أنهم قرابة الإنسان. وقال علي بن الحسين عليه السلام: هم قرابة الرسول، وهو الذي رواه أيضاً أصحابنا، وروي أنه لما نزلت هذه الآية استدعى النبي ﷺ فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ وأعطها فذكاً وسلمه إليها، وكان وكلاؤها فيها طول حيلة النبي ﷺ فلما مضى النبي أخذها أبو بكر، ودفعها عن النحلة.

(١) مختصر الأمل - مكارم الشيرازي: ٧٦/٣.

(٢) التبيان - الشيخ الطوسي: ٤٦/١.

وله قول آخر في سورة الروم في الآية (٣٨) (فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) أي أعط ذوي قرباك يا محمد حقوقهم التي جعلها الله لهم في الأخماس - وهو قول مجاهد - وقيل: إنه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ أعطى فاطمة فداكاً، وسلمه إليها - روى ذلك ابو سعيد الخدري وغيره- وهو المشهور عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليه السلام، وقال السني: الآية نزلت في قرابة النبي ﷺ. وقال قوم: المراد به قرابة كل إنسان والأول أظهر. لأنه خطاب للنبي ﷺ (وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ))^(١).

وقال صاحب التفسير الكاشف^(٢): نقل أبو حيان الأندلسي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: هم قرابة الرسول ﷺ أمر الله بإعطائهم حقوقهم من بيت المال. وقال أبو بكر المعافري المالكي في أحكام القرآن ويدخل في نبي القربى قرابة رسول الله ﷺ دخولاً متقدماً وبطريق أولى من جهة ان الآية للقرابة الأدين بالرجل، فأما قرابة رسول الله ﷺ فقد أبان الله على الأقتصاص حقهم، وأخبر أن محبتهم هي أجر النبي على هداه لنا.

وقال العياشي: عن الصادق عليه السلام لما أنزل الله (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ) قال رسول الله ﷺ يا جبرئيل قد عرفت المسكين من نبي القربى؟ قال: هم أقاربك فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة عليها السلام فقال: إن ربي أمرني أن أعطيكم مما أفاء الله علي قال أعطيتكم فذلك مع أخبار أخرى في هذا المعنى.

وفي الاحتجاج عن السجاد عليه السلام أنه قال: لبعض الشاميين أما قرأت هذه الآية (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)؟ قال: نعم: فنحن أولئك الذين أمر الله نبيه أن يؤتيهم

(١) التبيان - الشيخ الطوسي: ٢٥٤ / ٨.

(٢) الكاشف - محمد جواد مغنية: ٣٨ / ٥.

حقهم. وفي المجتمع: عنه عليه السلام برواية العامة ما في معناه وعن أبي سعيد الخدري أنه لما نزلت هذه الآية أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها السلام فذلك.

ذكر الحسكاني ^(١) في شواهد التنزيل قال: أخبرنا أبو يحيى الجوري وأبو علي القاضي قالا: أخبرنا محمد بن {عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم} {أبو عبد الله الحاكم} قال: أخبرنا أبو حامد أحمد بن إبراهيم الفقيه قال: أخبرنا صالح بن أبي رميح الترمذي - سنة خمس وعشرون وثلاثمائة - قال: حدثني أبو عبد الله {محمد} بن أبي بكر {أحمد} بن أبي خيثمة {زهير} قال: حدثنا عباد بن يعقوب، قال: حدثني علي بن هاشم، عن داود الطائي، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد قال: لما نزلت: ((وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا)) دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة فأعطاهما فداها.

(١) شواهد التنزيل: ٥١٤/٨.

موقف القرآن الكريم من فدك:

ذكر المفسرون فدكاً في تفسيرهم لسورتي الإسراء والروم موضحين بذلك بيان من يهمهم ذلك الخطاب القرآني وعلى أن الآيتين نزلتا في فدك خاصة حيث قال ابن كثير في تفسيره: دعا رسول الله ﷺ فاطمة ؓ فأعطاهما فدك. وغيره من جملة المفسرين والمحدثين.

وروى العلامة العسقلاني^(١) عن طريق أبي يعلى قال: {لما نزلت ((وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ)) دعا رسول الله ﷺ فاطمة ؓ فأعطاهما فدكاً}

وقال أيضاً: ((قرأت على الحسين بن يزيد الطحان هذا الحديث فقال: ما قرأت على سعيد بن خثيم عن فضيل عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت هذه الآية ((أَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ)) دعا النبي ﷺ فاطمة ؓ فأعطاهما فدك إسناده حسن ورجاله ثقات^(٢)).

إلا أن ابن كثير يشكل ويقول: ((وهذا الحديث مشكل لو صح أسناده لأن الآية مكية وفدك إنها فتحت مع خبير سنة سبع من الهجرة فكيف يلتئم هذا مع هذا^(٣)؟

(١) المطالب العالية - ابن حجر العسقلاني: ٣/٣٦٧.

(٢) زوائد مسند البزار: ٩/٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣/٣٩٩.

ردود الإشكال :

أولاً: إن ردود الآية في السورة المكية لا ينافي كون الآية مدنية: لأن ترتيب الآيات لم يكن حسب ترتيب نزول السور، فهناك آيات مدنية ألحقت بالسور المكية وبالعكس.

قال السيوطي: ((إن ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه - ﷺ - وأمره، من غير خلاف في هذا بين المسلمين))^(١) ومن النصوص الدالة على ذلك ما رواه عبد الله بن عباس، أنه قال: ((أن رسول الله - ﷺ - كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده، يقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآيات، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآية: فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.....)).

إن قوله في كذا وكذا ﷺ يشير إلى أسم السورة، فقد كان يعبر أحياناً أسم السورة بمثل: ((سورة البقرة أو السورة التي فيها آل عمران))^(٢).

وهذا يدل على كون بعض الآيات تنزل في أماكن متفرقة بعد نزول السورة.

ثانياً: لقد نص جملة من المفسرين على أن سورة الإسراء أشتملت على آيات مدنية:

(١) الأتقان - السيوطي: ١٧٢/١.

(٢) الكتاب المصنف - ابن أبي شيبة: ٤٩٧/٢، الجلع الصحيح - البخاري: ٣٣٩/١.

أ- قال القرطبي: ((هذه السورة مكية إلا ثلاث آيات))^(١).

ب- وفي روح المعاني أستثناء آيتين منها وهما قوله تعالى: ((وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ))
وقوله: ((وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ)).

ج- ابن الجوزي في زاد المسير، فصل في نزولها، هي مكية في قول الجماعة إلا أن بعضهم يقول فيها مدني عن ابن عباس أنه قال: هي مكية إلا ثمان آيات من قوله تعالى: ((وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ)) إلى قوله ٧٠-٧٣. وهذا قول قتادة .

وقال مقاتل^(٢): فيها من المدني ((لَرَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ)) وقوله: ((لَيَسْتَفِزُّوكَ)).

ثالثاً: إن ما روى عن زيد بن ثابت أنه قال: ((كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع)) والرقاع جمع رقعة، وهي القطع التي كتب عليها القرآن في حية رسول الله ﷺ.

قال البيهقي: وهذا يشبه أن يكون المراد به: تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها، وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ.

فكان ترتيب الآيات في سورها معروفاً للصحابة ببيان النبي - ﷺ وتعليمه ذلك لهم، وقراءته للقرآن عليهم، وبذلك لم يعرف عن الصحابة أنهم في موقع آية من القرآن، بل كل آية قد عرف موضعها ومحل نزولها مكية كانت أم مدنية.

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٣/٥.

(٢) زاد المسير: ٥/٣.

رابعاً: إن الوقوف على الآيات المدنية وتمييزها عن المكية يحصل من خلال أسلوبين:

١- الأخذ بأقوال المفسرين ومؤلفي علوم القرآن، فقد ميزوا السور المكية عن السور المدنية، كما ميزوا الآيات المدنية التي جعلت في كتاب السور المكية وبالعكس.

٢- دراسة مضمون الآية وأنها هل كانت تناسب البيئة المكية أو المدنية؟ حيث أن الطابع السائد على أكثر الآيات المكية هو مكافحة الشرك والوثنية ونقد العادات والتقاليد الجاهلية، والدعوة إلى الإيمان بالمعاد والتنديد بالكافرين والمشركين، في حين أن الطابع السائد على أكثر الآيات المدنية هو تشريع الأحكام في مختلف المجالات والجدال مع أهل الكتاب في إخفاء الحقائق والتنديد بالمنافقين الذين أظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر، إلى غير ذلك من العلام والملامح التي يمكن أن يتميز بها المكي عن المدني.

فمثلاً: أن سورة الشورى التي ورد فيها قوله سبحانه: ((قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى))^(١) سورة مكية مع أن هذه الآية حسب المأثور المتواتر نزلت في أهل بيت النبي ﷺ - أعني علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فرمما يستبعد نزولها في حق أهل البيت بحجة أن السورة مكية ولم يكن يومذاك في مكة الحسن والحسين، ولكنه لو وقف على أن مكية السورة لا تلازم مكية عامة آياتها، لما استبعد نزولها في حقهم، فكم من سورة مكية وقعت في ثناياها آيات مدنية وبالعكس، وهذه السورة من القسم الأول وإن كانت مكية لكن بعض آياتها

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٣.

مدنية ومنها هذه الآية وقد صرح به علماء التفسير في كتبهم^(١) حتى أنك تجد المصاحف المصرية المطبوعة تحت إشراف مشيخة الأزهر، التصريح بأن سورة الشورى مكية إلا الآيات (٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧) فمدنية.

وإن الآراء الموروثة من الصحابة والتابعين، ثم علماء التفسير إلى يومنا هذا ثروة علمية ورثناها من الأقدمين، وهم قد بذلوا في تفسير الذكر الحكيم جهوداً كبيرة، فألقوا مختصرات ومفصلات وموسوعات حول القرآن الكريم، فالإحاطة بآرائهم والإمعان فيها وترجيح بعضها على بعض بالدليل والبرهان من أصول التفسير شريطة أن يبحث فيها بحثاً موضوعياً بعيداً عن كل رأي مسبق قال رسول الله ﷺ: ((من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار))^(٢).

أسباب النزول:

ذكر المفسرون: أن المسلمين طلبوا من النبي ﷺ أن يقسم بينهم ما فتح بغير الحرب ولا قتال، كما قسم الغنيمة بينهم. فذكر الله تعالى الفرق بين الأمرين، وهو: أن الغنيمة ما أتبعتم أنفسكم في تحصيلها. وأوجفتم خيلكم وركابكم عليها، فهي لكم، وأما الفئ فإنكم ما تحملتم في تحصيله تعباً ولا حرباً. فكان الأمر فيه مفوضاً إلى رسول الله ﷺ يضعه حيث يشاء.

قال الطبرسي: أن هذه الآية نزلت في أموال كفار أهل القرى، وهم: ((قريظة، وبنى النضير، وفدك، وخيبر)) - أي الحصون التي فتحت صلحاً - وقرى عرينة وبنيع، جعلها الله لرسوله ﷺ يحكم فيها ما أراد. وأخبر أنها كلها له فقال أناس: فهلا

(١) نظم الدرر وتناسق الآيات والسور - إبراهيم بن عمر البقاعي.

(٢) أخرجه البيهقي من حديث ابن عباس كما في البرهان في علوم القرآن: ١٦١/٢.

قسمها، فنزلت الآية ^(١) وأما الآيات التي شملت بـ(ذي القري) فكان في السور التالية:

١-الإسراء: آية: ٢٦.

٢- الروم: آية: ٣٨.

٣-الحشر: آية: ٦، ٧.

أسانيد الروايات الدالة على إعطاء النبي ﷺ فداً لفاطمة عليها السلام:

١- قال السيوطي ^(٢): أخرج البزار وأبو يعلى وأبن أبي حاتم وأبن مردويه عن أبي سعيد الخدري، قال: لما نزلت هذه الآية ((وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)) دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاهما فداً.

وأخرج بن مردويه عن ابن عباس، قال: لما نزلت ((وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)) أقطع رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام فداً.

٢- قال الحاكم الحسكاني ^(٣): عن أبي سعيد قال: لما نزلت: ((وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)) فأعطى رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام فداً.

وكذلك قول الله تعالى: ((وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)) خصوصية لهم خصهم الله العزيز الجبار بها وأصطفاهم على الأمة، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ

(١) مجمع البيان - الطبرسي: ٣٩٠/٩.

(٢) الدر المنثور - السيوطي: ١٧٧/٤.

(٣) شواهد التنزيل - الحاكم الحسكاني: ٤٣٩/١.

قال: ﷺ لفاطمة ؓ هذه فذك وهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين وقد جعلتها لك كما أمرني الله به فخذوها لك ولولديك.

ورواه الطبراني في المعجم الأوسط، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال وصححه المتقي في كنز العمال عن أبي سعيد قل: لما نزلت ((وَأَتِذَا الْقُرْآنِ حَقُّهُ)) قال النبي ﷺ يا فاطمة لك فذك، قال أخرجه الحاكم في تاريخه وأبن النجار^(١).

٣- قل ياقوت الحموي^(٢): بعث رسول الله ﷺ إلى أهل فذك وهو بخير أو منصرفه منه يدعوهم إلى الإسلام فأبوا فلما فرغ رسول الله ﷺ من خير، قذف الله الرعب في قلوبهم فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصلحونه على النصف فقيل ذلك منهم.

٤- قل أبو عبيد^(٣): كان أهل فذك قد أرسلوا إلى رسول الله ﷺ فبايعوه على أن لهم رقابهم ونصف أراضيهم ونخلهم، ولرسول الله ﷺ شطر أراضيهم ونخلهم.

٥- قل البلاذري^(٤): كان نصف فذك خالصاً لرسول الله ﷺ لأنه لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب وكان يصرف ما يأتيه منها.

(١) الفضائل الخمسة - الفيروز أبلخي: ٣/ ١٣٦.

(٢) معجم البلدان (مائة فذك).

(٣) الأموال: ٩.

(٤) فتوح البلدان - البلاذري: ١/ ٣٣.

روايات المؤرخين في حادثة غصب فدك:

بعد أن غصبوا الخلافة وزحزحوها عن واعدتها مخالفين بذلك أحكام الله تعالى. توجه الجهاز الحاكم إلى تشييد أركان حكومته ووفقاً لبعض الأخبار فقد جاء الخليفان الأول والثاني إلى أمير المؤمنين عليه السلام قائلين: (ما هو حكم الأموال التي كانت في يد النبي صلى الله عليه وآله إلى حين وفاته)؟ أجابهما عليه السلام بأنه ينبغي أن تحكمما فيها بما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحكم فيها أثناء حياته، قالوا: (فماذا عن فدك). وكانت فدك من جملة هذه الأموال التي وهبها النبي صلى الله عليه وآله للزهراء عليها السلام وجميع الناس كانوا يعلمون بهذا الأمر وحتى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله كان عامل الزهراء عليها السلام ووكيلها هو الذي يشتغل في رعاية شؤون هذه الأرض أجابهما أمير المؤمنين عليه السلام إن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي وهبها للزهراء وهي لها، قالوا: (كلا إنها لبيت المال ولا بد من إرجاعها إليه) ! فذهبوا وأخرجوا عامل الزهراء عليها السلام من الأرض بعد أن كانت لسنوات تملكها وتحت تصرفها في حية أبيها.

وبعد أستشهاده تم الاستيلاء عليها، وإخراج عامل الزهراء عليها السلام بهذه الطريقة ومن دون إبلاغها يعد مخالفاً للعرف والشرع، وقد ذكر مجيئهما إلى أمير المؤمنين عليه السلام في كتب كبار علماء العامة منهم الحافظ الطبراني (المتوفى سنة ٣٦٠هـ)، وكذلك رواه الحافظ الهيثمي (المتوفى سنة ٨٠٧ هـ) في كتابه مجمع الزوائد واللفظ للأول قال: عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر.

قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جئت أنا وأبو بكر إلى علي عليه السلام فقلنا ما نقول فيما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نحن أحق الناس برسول الله وبما ترك قال: فقلت والنبي

بجبر؟ قال: والذي بجبر، قلت: والذي بفدك؟ فقال: والذي بفدك. قلت أما والله حتى تحزوا رقابنا بالمنشير فلا !!

وهل هذا إلا التعنت والإنحراف عن جادة الصواب ! وهل هذا إلا الظلم بعينه ! وأنت ترى أن هذا الفعل لو صدر بحق امرأة من سواد الناس فضلاً عن فاطمة الزهراء عليها السلام من غير سبب شرعي، فإن فاعله لا يليق بالرياسة الدنيوية فضلاً عن الخلافة الإلهية وهذا الظلم تجاه الزهراء عليها السلام إنما يكشف خبث السريرة وفساد العقيدة وعدم التدين بالإسلام، ومن هذا وغيره يبطل أصل خلافة القوم. ولما كان أمر نزاع فدك بدرجة من الوضوح ولا يمكن إخفاؤه ولأنه يزلزل أركان أصل خلافتهم تجدهم عمدوا إلى اختلاف حديث على لسان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ...) وهكذا أتباعهم من أهل السنة والجماعة فإنهم يبررون هذه القضية بأن هذين كانا يعلمان بمصلحة الإسلام في هذا الأمر أو أنهما كانا يعتقدان بأن تصرفات النبي كانت معتبرة في زمان حياته، أما بعد وفاته فإنه لمن يخلفه - كائناً من كان - حق التصرف بأي صورة يرى فيها المصلحة وهو كما ترى.

فيا ترى هل عن مصلحة المسلمين أُنحصرت فقط في أنتزاع فدك دون أنتزاع ما في يد بعض الصحابة من أعطيات النبي صلى الله عليه وآله فقد روى البلاذري ما لفظه: (وأقطع رسول الله صلى الله عليه وآله من أرض بني النضير أبابكر وعبد الرحمن بن عوف وأبا دجانة سمك بن خوشة الساعدي وغيرهم، وكان أمر بني النضير في سنة أربع من الهجرة).

وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن عباس قال: أقطع النبي ﷺ بلال بن الحارث المزني معادن القبلية جليها وغوريها.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه: إن رسول الله ﷺ أقطع لأناس من مزينة أو جهينة أرضاً فلم يعمروها فجاء قوم فعمروها، فخاصمهم الجهنيون أو المزيون إلى عمر بن الخطاب فقال: لو كانت منه أو من أبي بكر لرددتها ولكنها قطيعة من رسول الله ﷺ.

ومنها ما أخرجه الطبراني والبيهقي: أن النبي ﷺ لما قدم المدينة أقطع الدور وأقطع ابن مسعود فيمن أقطع قال الشوكاني: وأسنداه قوي^(١). وفي الصحيح من حديث أسماء بنت أبي بكر: أن النبي ﷺ أقطع الزبير أرضاً من أموال بني النضير بخيبر.

فلماذا لم تصدر هذه الإقطاعات من قبل السلطة الحاكمة آنذاك!؟

ولماذا لم يطلبوا بينة منهم كما طولبت الزهراء عليها السلام!؟

بل تعدى الأمر إلى أكثر من ذلك فقد نقل أهل التاريخ والسير أن أبا بكر أمضى دعاوى من ادعى أن له حقاً عند رسول الله ﷺ ولم يطالبه بأي بينة، روى ابن سعد في طبقاته: عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت منادي أبا بكر ينادي بالمدينة حين قدم عليه مال البحرين: من كانت له علة عند رسول الله ﷺ فليأت فيأتيه

(١) نيل الأوطار: ٥٩/٦.

رجال فيعطيهم، فجاء أبو بشير المازني فقال: إن رسول الله ﷺ قال: يا أبا بشير إذا جاءنا شيء فأتنا فأعطه أبو بكر حفنتين أو ثلاثاً فوجدناها ألفاً وأربعمائة درهم^(١).
 فهل يا ترى إن الزهراء عليها السلام أقل شأناً من هؤلاء المجاهدين أم ماذا؟ لعمرى لو ساووها بأبسط الناس لما ظلموها حقها، كيف وهي بنت رسول رب العالمين وبنت السيدة الجليلة خديجة الكبرى خصوصاً مع تصريح القرآن بطهارة هذه السيدة المظلومة المعصومة، وبوجوب مودتها ومع تصريح الرسول ﷺ بأن من آذاها فقد آذى الله وهي ابنته الوحيدة وسيدة نساء أهل الجنة أولم يشهد المخالف قبل المؤلف بصدقها وفضلها فقد روى قوله ﷺ: (فاطمة بضعة مني يربيني ما أرابها ويؤذي ما آذاها) وقوله ﷺ: (جبرائيل يبلغ سلام الله جزء للنبي ولولودته فاطمة)^(٢) (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)^(٣).

الخلفية السياسية لفدك:

مما يشير له الموقف التاريخي على أن فدك كانت حالة سياسية أكثر مما هي اقتصادية الحوار الذي جرى بين الإمام الكاظم عليه السلام وبين هارون العباسي.
 كان هارون العباسي يقول لموسى بن جعفر عليه السلام: يا أبا الحسن خذ فدك حتى أردنا عليك، فيأبى الإمام موسى عليه السلام، حتى ألح عليه فقال: لا آخذها إلا بمحدودها:
 قل: وما حدودها؟

(١) الطبقات الكبرى - ابن سعد: ٣٦٩/٢.

(٢) ميزان الاعتدال: ٢٦/٢.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٥٤.

قال: يا أمير المؤمنين، إن قدرتها لم تردّها.

قال: بحق جدك إلا فعلتها؟

قال: أما الحد الأول فَعَدَن. فتغير وجه هارون وقال: هيه.

قال: والحد الثاني سمرقند. فأريد وجهه.

قال: والحد الثالث أفريقية. فأسود وجهه وقال: هيه.

قال: والرابع سيف البحر مما يلي الخزر وأرمينية.

قال الكاظم عليه السلام: قد أعلمتك أنني إن حددتها لم تردّها.

فعند ذلك عزم هارون على قتله، وأستكفى أمره يحيى بن خالد... الخ. لذلك لم تك فلك الهدف الرئيسي للصراع القائم بين الشيخين وفاطمة عليها السلام ولكنه العتبة التي يجب أن يمر عبرها محور الصراع. وهذا مما يدل على أن طلب فاطمة عليها السلام بفدك ليس من أجل أن تستفيد منها في إنعاش حياتها المعيشية؟ مع أن من الواضح أن حياتها عليها السلام بقيت على حالها قبل ذلك، ومعها، وبعدها، فهي لم تشيد بأموال فدك قصراً ولا تزينت بالذهب والفضة، إنما هو تحقيق الحق وإثبات مظلومية أهل البيت التي بدأت بأجتماع السقيفة وما جرى بعدها من المآسي والألام على أهل البيت عليهم السلام. فكانت فدك هي المدخل للوصول إلى الأهداف الحقيقية التي دافع عنها علي بن أبي طالب عليه السلام ولكنه لم يجد من ينصره إلا الفئة القليلة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

أمثال: ((عمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود الكندي، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الحملي، وجابر بن عبد الله الأنصاري)) أما الباقيون فقد ألزموا جانب الصمت

وكانهم لم يسمعوا حديثاً واحداً من رسول الله ﷺ في علي بن أبي طالب عليه السلام وما أنزل في حقه يوم غدیر خم حيث بلغ المجتمعون آنذاك أربع وعشرون ألفاً من الصحابة حين نزول الآية الكريمة: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ))^(١).
 إلا أنهم نسوا أو تناسوا سبحانه الله ... فلك الله يا علي.

عن أبي حفص بن شاهين قال: حدثنا أحمد بن عبد الله النبري البزاز^(٢) قال: حدثنا علي بن سعيد الرضي قال: حدثنا صخرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة.

قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهراً وهو يوم غدیر خم، لما أخذ رسول الله ﷺ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) فقال له عمر بن الخطاب: يخ يا ابن أبي طالب {أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة}^(٣).

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) تاريخ دمشق: ٧٥/٢.

(٣) شواهد التنزيل - الحاكم الحسكاني: ٣٣٨/١.

الزهراء بلاغة وفصاحة :

لقد أفرغت الزهراء عليها السلام عن لسان أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله في بيانه وفصاحته وشجاعته في صراعه مع الظلم.

الخطبة الأولى : خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام حين منعوها فذك :

روى عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه عليهم السلام : أنه لما اجتمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة فذكاً، وبلغها ذلك، لانت بحمارها على رأسها وأشتملت بجلبابها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيوها ما تحرم مشيتها مشية {أبيها} رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة فجلست ثم آنت أنه أجهد القوم لها بالبكاء فارتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم^(١) أفتتحت الكلام. بحمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها، فقالت:

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما أهدى، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها^(٢)، وتام منن أولائها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها وندبهم^(٣) لإستزادتها بالشكر

(١) الفورة: الغليان.

(٢) أسدى: أعطى.

(٣) ندبهم: دعاهم.

لاتصالها، وأستحمد إلى الخلائق بأجزالها، وثنى بالنذب إلى أمثالها وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمت القلوب موصلها، وأثار في التفكير معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته، أبتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة أمتثلها^(١)، كونها بقدرتها، وذراها بمشيئته، من غير حجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تثبيتاً لحكمته، وتنبهياً على طاعته وإظهاراً لقدرته، وتعبداً لبريته وإعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده عن نقمته، وحياشة^(٢) لهم إلى جنته.

وأشهد أن أبي محمداً {النبي الأمي} ﷺ عبده ورسوله أختاره وأنتجبه قبل أن أرسله، وسماه قبل أن أجتبه، وأصطفاه قبل أن أبتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، ويستر الأهاويل مصونة^(٣) وبنهاية العدم مقرونة علماً من الله تعالى بمايل الأمور، وإحاطة بمحادث الدهور ومعرفة بمواقع المقدور^(٤).

إبتعثه الله إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه^(٥)، فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفاً على نيرانها، لابلدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بأبي محمد ﷺ ظلمها وكشف عن القلوب بهمها وجلى عن الأبصار

(١) إحتنى مثاله: أي أقتنى به.

(٢) أحوشته: إذا جنته من حواليه.

(٣) المراد بالستر: ستر العدم، أو حجب الأصلاب والأرحام ونسبته إلى الأهاويل.

(٤) بمواقع المقدور: مواقع الأمور.

(٥) مقادير حتمه: مقادير حكمه.

غمها ^(١) وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العمياء، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الصراط المستقيم.

ثم قبضه الله إليه رافة وأختبار، ورغبة وإيثار، فمحمد ﷺ من تعب هذه الدار في راحة، قد حُفَّ بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي، نبيه وأمينه على الوحي، وصفته {في الذكر} وخيرته من الخلق ورضيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثم أُنْفَتَتْ ﷺ إلى أهل المجلس وقالت: أنتم عباد الله نصب ^(٢) أمره ونهيه وحما دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغائه إلى الأمم، وزعمتم حقاً لكم لله فيكم عهد، قلمه إليكم، وبقية أستخلفها عليكم: كتاب الله الناطق والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضيء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره، منجلبة ظواهره، مغتبط به أشياعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة أستماعه به تنل حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المخدرة، وبيئاته الجالية، وبراهينه الكافية، وفوائده المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة.

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملة وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عز للإسلام {وذلاً لأهل الكفر والنفق}، والصبر معونة على أستيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلة

(١) جمع الغمة: وهي الحيرة.

(٢) النصب والنصب: العلم المنسوب.

الأرحام منسأة^(١) في العمر ومنمة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالندر تعريضاً للمغفرة وتوفية المكايل والموازن تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، وأجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية فأتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به و{ما} نهاكم عنه، إنما يخش الله من عباده العلماء.

ثم قالت: أيها الناس أعلموا: إني فاطمة وأبي محمد ﷺ، أقول تعوداً وبدواً ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً^(٢) لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فإن تعزوه^(٣) وتعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه ﷺ، فبلغ الرسالة صادعاً بالندارة، مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً تبجهم^(٤) أخذاً بالظالمهم. داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام وينكث الهام^(٥)، حتى أنهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى^(٦) الليل عن صبحه وأسفر

(١) النسية: تأخير في الوقت.

(٢) يقال: شط فلان في حكمه شطوطاً وشططاً: جار وظلم.

(٣) يقال عزوته إلى الله: أي نسبته إليه.

(٤) التبجج: وسط الشيء ومعظمه.

(٥) ينكث الهام: يغلث الهام.

(٦) تفرى: أي إنشق.

الحق عن محضه ونطق زعيم الدين، وخرست شقائق^(١) الشياطين، وطاح وشيظ^(٢) النفاق، وأخلت عقد الكفر والشقاق وفهمتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص^(٣) {الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً} وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة^(٤) الطامع وقبسة^(٥) العجلان وموطى الأقدام، تشربون الطرق^(٦)، وتقتاتون القد^(٧) أذلة خاسئين {صاغرين} تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بأبي محمد ﷺ بعد اللتيا والتي وبعد أن مني بهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله أو لجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفى حتى يطاء صملاخها بأخصه ويحمد لها بسيفه مكدوداً في ذات الله مجتهداً في أمر الله قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله مشمراً ناصحاً مجداً كادحاً لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون^(٨) فاكهون آمنون تتربصون بنا الدوائر^(٩) وتتوكفون^(١٠) الأخبار،

(١) الشقائق: جمع شقيقة بالكسر وهي شيء كالرنة يخرجها البعير من فيه إذا هاج.

(٢) الشيظ: الرذل والسفلة.

(٣) الخماص: دقة البطن.

(٤) النهزة: الفرصة.

(٥) القبس: الشعلة من النار.

(٦) الطرق: ماء السماء.

(٧) القد: جلد غير مطبوخ.

(٨) الدعة: الخفض.

(٩) الدوائر: صروف الزمان.

(١٠) التوكف: التوقع والانتظار.

وتتكصون^(١) عند النزال، وتفرون من القتال فلما اختار الله لنبيه دار أنبياءه ومأوى أصفائه، ظهر فيكم حسكة^(٢) النفاق، وسمل^(٣) جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين ونيغ خامل^(٤) الأقلين، وهدر فنيق^(٥) المبطلين فخطر في عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه^(٦) هاتفاً بكم. فألفاكم لدعوته مستجيبين وللعزة فيه ملاحظين، ثم أستنهضكم فوجدكم خفاً وأحشكم^(٧) فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إيلكم ووردتم غير مشربكم.

هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لما يندمل والرسول لما يُقبر إبتداراً زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، {و} خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ بثس للظالمين بدلاً، ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، ثم لم تلبثوا إلا ريث^(٨) أن تسكن نفرتها ويلس^(٩) قيادها ثم أخذتم تورون وقدها وتهيجون حمرتها

(١) النكوص: الأحجام والرجوع عن الشيء.

(٢) الحسك: حسك السعدان: أي ضغن وعداوة.

(٣) السمل: سمل الثوب أصبح قطعة قطعة.

(٤) الخميل: هو الخامل الساقط.

(٥) الفتيق: هو الفحل المكرم.

(٦) مغرز الرأس: ما يخفى فيه.

(٧) أحشمت الرجل: أغضبته.

(٨) الريث: الأبطاء.

(٩) السلس: اللين.

وتستجيبون لهاتف الشيطان الغوي وإطفاء أنوار الدين الجلي وإهماد^(١) سنن النبي الصفي تشربون حسواً في إرتغاء^(٢) وتمشون لأهله وولده في الخمرة^(٣)

والضراء ونصبر منكم على مثل حز^(٤) المدى ووخز السنان في الحشا وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟! أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية: أني ابنته أيها المسلمون! أغلب على إرثيه يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا إرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً { على الله ورسوله }! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ((وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ))^(٥) وقال فيما أقتص من خبر يحيى بن زكريا عليه السلام إذ قال: ((فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ كِتَابًا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ))^(٦).

وقال: { أيضاً } : ((وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ))^(٧).

(١) إهماد النار: إطفائها.

(٢) الأرتغاء: أي رغبة اللين.

(٣) الخمر بالتحريك: ما وراءك من الشجر والجبل.

(٤) حز المدى: الحز القطع والمدى السكين (أي قطع السكين).

(٥) سورة النمل، الآية: ١٦.

(٦) سورة مريم، الآيتين: ٥ - ٦.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

وقال: ((بِوَصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ))^(١)، وقال: ((إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَوْلَادِ الذَّكَرِ وَالْأُنثَىٰ مِمَّا قَدْ قَضَىٰ اللَّهُ وَأَنَّ الْوَصِيَّةَ لِلرِّجَالِ مِثْلُ حَظِّ النِّسَاءِ))^(٢) وزعمتم: أن لا حظوة^(٣) لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية {من القرآن} أخرج أبي محمداً ﷺ منها أم هل تقولون: إنَّ أهل الملتين لا يتوارثان؟

أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدويكما مخطومة^(٤) مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم لله، والزعيم محمد ﷺ والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم {ما قلت} إذ تندمون، ولكل نبا مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم.

الخطبة الثانية لفاطمة ؓ وهي تخاطب الأنصار:

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت {لهم}: يا معشر النقيية^(٥) وأعضاء الملة وحضنة الإسلام، ما هذه الغميمة^(٦) في حقي والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول: ((المرء يحفظ في ولده))؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا

(١) سورة النساء، الآية: ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٠.

(٣) الخطوة: المكانة والمنزلة.

(٤) الخطام بالكسر: زمام البعير لأنه يقع على الخطم وهو الأنف.

(٥) النقيية: المبارك النفس.

(٦) الغميمة: ضعف في العمل، وجهل في العقل.

إهالة^(١) ولكم طاقة بما أحاول وقوة على ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمد ﷺ؟ فخطب جليل، أستوسع وهنه^(٢) وأستنهر فتقه، وأنفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وأنتشرت النجوم لمصيبته، وأكدت^(٣) الآمال وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها ولا بائقة^(٤) عجلة، أعلن كتاب الله جل ثناؤه، في أفنيتكم^(٥)، في مساكم ومصبحكم، {يهتف في أفنيتكم} هتافاً، وصراخاً وتلاوةً، وأحاناً، ولقبه ما حل بأنبياء الله ورسله، حكم وفصل وقضاء حتم: ((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرُّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ))^(٦)، إيما بني قيلة^(٧)، أهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع ومنتلى^(٨) ومجمع؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة^(٩)، وأنتم ذوو العدة والعدة والأداة والقوة وعندكم السلاح والجنه، توافيكم الدعوة فلا تحييون، وتأتيكم الصرخة فلا تغثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي

(١) الإهالة: يضرب لمن يخبر بكيئونة الشيء.

(٢) وهنه: وهو بمعنى الخرق والشق.

(٣) أكلت: قل خيره.

(٤) البائقة: الداهية.

(٥) الفناء: سعة أمام الدار.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٧) بنو قيلة: الأوس والخزرج وقيلة) اسم أم لهم قديمة وهي بنت كاهل.

(٨) المنتلى: المجلس.

(٩) الخبرة: الحيرة.

انتخبته، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت قاتلتهم العرب، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم وكافحتم البهيم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودر حلب الأيام وخضعت ثغرة الشرك وسكنت فورة الإفك، وخذت نيران الكفر، وهدأت دعوة المهرج {والمرج}، وأستوسق^(١) نظام الدين فأنى حرتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ يؤساً لقوم نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم، وهموا بإخراج الرسول، وهم بدأوكم أول مرة، أنخسوناهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض^(٢) وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض وخلوتم بالدعة^(٣) ونحوتم بالضيق من السعة، فحجتم ما وعيتم، ودسعتم^(٤) الذي تسوغتم فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد.

ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم^(٥) والغدرة التي أستشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس ونفثة^(٦) الغيظ وخور القناة، وبثة^(٧) الصدر، وتقدمة الحجة، فدونكموها فأحتقبوها^(٨) دبرة الظهر، نقيه الخف باقية

(١) الوسق: قسم الشيء إلى الشيء وأستوسق أي اجتمع.

(٢) الخفض: بين العيش وسعته.

(٣) الدعة: الخفض في العيش.

(٤) الدسع: الدفع.

(٥) خامر الشيء: قاربه وخالطه.

(٦) النفث: أقل من.

(٧) البث: أشد الحزن.

(٨) إحتقت خيراً أو شراً: إدخره.

العار، موسومة بغضب الله وتنازل الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفتنة، فيعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فأعملوا إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون.

فأجابها أبو بكر (عبد الله بن عثمان)، وقال: يا بنت رسول الله! لقد كان أبوك ﷺ بالمؤمنين عطوفاً كريماً، {و} رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً، وعقاباً عظيماً، إن عزونه وجدته أبلك دون النساء، وأخا إلفك^(١) دون الأخلاء، أثره على كل حميم وساعده في كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا سعيد ولا يبغضكم إلا شقي بعيد، فأنتم عترة رسول الله ﷺ الطيبون، والخيرة المنتجبون، على الخير أدلتنا، وإلى الجنة مسالكنا، وأنت يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صداقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقلك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأي رسول الله ولا عملت بإذنه، وإن الرائد لا يكذب أهله وإنني أشهد الله وكفى به شهيداً، أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه)).

(١) الإلفة: الأناج والجن.

وقد جعلنا ما حاولته في الكراع^(١) والسلاح، يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفار ويجاهدون المردة الفجار، وذلك بجماع من المسلمين، لم أفرد به وحدي ولم أستبد بما كان الرأي عندي، وهذه حالي ومالي، هي لك {و} بين يديك، لا نزوي^(٢) عنك ولا ندخر دونك وأنت سيدة أمة أبيك والشجرة الطيبة لبنيك، لا ندفع مالك من فضلك ولا نوضع من فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي فهل ترين أنني أخالف في ذلك أبالك ﷺ.

فقلت ﷺ سبحان الله، ما كان أبي رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادقاً^(٣) أعتلاك عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل^(٤) في حياته هذا كتاب الله حليماً عدلاً، وناطقاً فصلاً يقول: (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ)^(٥) ويقول: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانَ دَاوُودَ)^(٦) وبين جزء فيما وزع من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث، ما أزاح به علة المبطلين، وأزال التظني والشبهات في الغابرين، كلا بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

فقال أبو بكر صلح الله ورسوله، وصدقت أبتته، أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أبعد صوابك ولا أنكر خطابك

(١) الكراع: أسم لجماعة خاصة.

(٢) لا نزوي: لا نخفي.

(٣) أعتلاك عليه: رفعك عليه.

(٤) الغوائل: جمع غائلة (الحادثة المهلكة).

(٥) سورة مريم، الآية: ٦.

(٦) سورة النمل، الآية: ١٦.

هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت
غير مكابر ولا مستبد، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفت فاطمة عليها السلام إلى الناس وقالت:

معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل ^(١) الباطل المغضية على الفعل القبيح الخاسر
أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلا بل ران على قلوبكم ما أسأت من
أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، وبس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشر ما
منه أغتصبتم لنجدن والله محله نفيلاً، وغبه وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء، وبان
بأورائه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون وخسر هنالك
المبطلون.

ثم عطفت على قبر النبي صلى الله عليه وآله وقالت ^(٢):

لو كنت شاهداً لم تكثر الخطب	قد كان بعدك أبناء ومنبئة
وأختل قومك فاشهدهم ولا تغب	إفقدناك فقد الأرض وابلسها
عند الإله على الأذنين مقرب	وكل أهل له قربي ومنزلة
لما مضيت وحالت دونك الترب	أبدت رجل لنا نجوى صدورهم
لما فقدت وكل الأرض مغتصب	تجهمتنا رجال وأستخف بنا
عليك ينزل من ذي العزة الكتب	وكنت بديراً ونوراً يستضاء به
فقد فقدت وكل الخير محتجب	وكان جبريل بالآيات يؤنسنا
لما مضيت وحالت دونك الكتب	فليت قبلك كان الموت صلاقتنا

(١) المغضية: ادله الجفون.

(٢) موسوعة شهادة المعصومين: ١/ ١٢٥.

ثم أنكفت عليه السلام وأمير المؤمنين عليه السلام يتوقع رجوعها إليه، ويتطلع طلوعها عليه، فلما أستقرت بها الدار، قالت: لأمر المؤمنين عليه السلام:

يا ابن أبي طالب، اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجلد^(١) فخانك ريش الأعزل^(٢) هذا ابن أبي قحافة يبتزني^(٣) نحلة أبي وبلغه ابني! لقد أجهدني خصامي^(٤)، والفينة الدّ في كلامي حتى حبستني قيلة نصرها والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع، خرجت كاظمة، وعدت راغمة، أضرعت^(٥) خدك يوم أضعت حدك أفترست الذئاب وأفترست التراب، ما لففت قانلاً، ولا أغنيت^(٦) طائلاً، ولا خيار لي، ليتني مت قبل هنيئي، ودون ذلتي عذيري الله من^(٧) عادياً ومنك حامياً، ويلاي في كل شارق! ويلاي في كل غارب! مات العمد وهن العضد شكواي إلى أبي وعدواي إلى ربي! اللهم إنك أشد منهم قوة وحولاً، وأشد بأساً وتنكيلاً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل لك بل الويل لسانك^(٨) ثم تهنى عن وجدك يا أبنة الصفوة، وبقية النبوة، فما ونيت^(٩) عن ديني، ولا أخطأت مقدوري فإن كنت

(١) الأجلد: الصقر وهي صفة غالبية عليه.

(٢) الأعزل: الذي لا سلاح له.

(٣) أبرزه ثيابه: سلبه.

(٤) أجهد في خصامي: أجهر.

(٥) ضَرَعْتُ: ذُلُّ وخضع.

(٦) في البحار: أغنيت باطلاً.

(٧) عادياً: ظلم وتجاوز.

(٨) لسانك: المبغض.

(٩) ونيت: الونى الضعف والفتور.

تريدين البلغة، فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما أعد لك أفضل مما قطع
عنك، فاحتسبي الله.

فقال حسبي الله وأمسكت.

الخطبة الثالثة لفاطمة عليها السلام:

﴿القتها على نساء المهاجرين والأنصار﴾:

قال سويد بن غفلة: لما مرضت {سيدتنا} فاطمة (سلام الله عليها)، المرضة التي
توفيت فيها، اجتمعت إليها نساء المهاجرين والأنصار ليعدنّها، فقلت لها: كيف
أصبحت من علتك يا ابنة {محمد} رسول الله ﷺ؟ فحمدت الله وصلت على
أبيها ﷺ ثم قالت: أصبحت والله عاتقة لديناكنّ قالية^(١) لرجالكنّ، لفظتهم^(٢)
بعد أن عجمتهم^(٣) وشنأتهم^(٤) بعد أن سبرتهم^(٥)، فقبحاً لفلول^(٦) الحد واللعب
بعد الجد وقرع الصفة^(٧) وصدع القنة^(٨)، وختل الآراء وزلك الأهواء وبس ما
قلعت لهم أنفسهم: أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم لقد

(١) القلى: شدة البغض.

(٢) اللفظ: أن ترمي بشيء كان في فيك.

(٣) العجم: العض والمضغ.

(٤) شنأتهم: ستمتهم.

(٥) السبر: التجربة واستخراج كنه الأمر.

(٦) الفلول: الجماعة.

(٧) الصفة: الحجر الصلد.

(٨) الصدع: الشق.

قلدتهم ربققتها^(١) وحلتهم أوقتها وشننت عليهم غاراتها فجدعاً^(٢) وعقرأ^(٣)
وبعداً للقوم الظالمين^(٤).

ويجهم أنى زعزعوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة ومهبط الروح
الأمين، والطبين بأمور الدنيا والدين؟!
ألا ذلك هو الخسران المين.

وما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام؟!

نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته ونكال وقعته، وتنمره
في ذات الله، وتالله لو مالوا عن المحجة اللامحة، وزالوا عن قبول المحجة الواضحة،
لردهم إليها وحلمهم عليها، ولسار بهم سيراً سجعاً لا يكلم خشاشة ولا يكل
سائره ولا يمل راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً رويأً تطفح صفتاه ولا يترنق
جانباه، ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سرأً وإعلاناً ولم يكن يتحلى من الغنى
بطائل، ولا يحظى من الدنيا بنائل غير ري الناهل وشعبة الكافل، ولبان لحم
الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب، ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا
يكسبون، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين.

(١) الربق: حبل فيه عنة تشد به البهم.

(٢) الجدع: القطع.

(٣) عقره: جرحه.

(٤) الاحتجاج: ٢٨٦/١.

ألا هلم فاستمع! وما عشت أراك الدهر عجباً!! وإن تعجب فعجب قولهم! ليت شعري إلى أي أسناد أستندوا؟! وإلى أي عماد اعتمدوا؟! وبأية عروة تمسكوا؟! وعلى أي ذرية أقدموا وأحتنكوا؟! لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلاً، أستبدلوا والله الذنابي بالقوادم والعجز بالكاهل فرعماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعةً، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون. ويحهم أضمن يهني إلى الحق أحق أن يتبع، أم من لا يهدي إلا أن يهني فمالكم كيف تحكمون؟! أما لعمرى لقد لقحت فظرة ريشما تنتج، ثم أحتلبوا ملأ القعب دماً عبيطاً وذعافاً مبيداً هنالك يحخر المبطلون، ويعرف التالون غت ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً، وأطمئنوا للفتنة جاشاً وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم وبهرج شامل، وأستبداد من الظالمين، يدع فيثكم زهيداً وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم! وأنى بكم وقد عميت عليكم، أنلزمكموه وأنتم لها كارهون.

قال سويد بن غفلة: فأعادت النساء قولها عَلَيْكُمْ على رجالهن إليها قوم من وجوه المهاجرين والأنصار معتذرين، وقالوا: يا سيدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر قبل أن نبرم العهد ونحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره.
فقلت عَلَيْكُمْ: إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم.

بيان خطب الزهراء (الخطبة الأولى):

((الحمد لله على ما أنعم)): إن شكر المنعم واجب شرعاً وعقلاً وعرفاً، يستحق الحمد على ما أنعم من النعم الظاهرية كالرزق والصحة والأمان.

((وله الشكر على ما أهم)): من النعم الباطنية، كالعلم والمعرفة والهداية الخاصة والعمامة التي أهم بها الإنسان، لأن الإلهام إلقاء في القلب والنفس كالتلقين.

((والثناء بما قدم)): لله تعالى نعم كثيرة قد قدمها في الحياة الدنيا ونعم قد أخرجها إلى الدار الآخرة وهي الجنة وما فيها من نعيم دائم.

((من عموم نعم ابتدأها)): النعم العمامة التي ابتدأها الله تعالى كالماء والهواء ثم الإيجاد والخلق الأول وعالم التكوين.

((وسبوغ آلاء أسداها)): الآلاء السابغة أي النعم الشاملة الكاملة التامة أسداها: أعطاها كنعمة الأعضاء والجوارح والمشاعر والمدارك للإنسان وغير الإنسان.

((وتمام منن والاهاء)): المنن: جمع منة وهي النعمة والعطية والإحسان وليس المقصود -هنا- المنة بمعنى المن وهو عدو الإحسان الذي نهى الله تعالى عنه بقوله: (لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى)^(١).

((جم عن الإحصاء عددها)): أي: كثرت نعم الله تعالى فعجز الناس عن إحصائها وعددها كما قال سبحانه: ((وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)).

(نأى عن الجزاء أمدها) الأمد: الغاية ومنتهى الشيء، فلعل المعنى: إن الإنسان لا يستطيع أن يجازي ربه على نعمه والاعه.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

((وتفاوت عن الإدراك أبدها)): كذلك لا يمكن للإنسان أن يدرك النعم الإلهية ((ونريهم لاستزادتها بالشكر لأتصالها)): ان الشكر يوجب زيادة النعمة ودوامها وأتصالها، كما قال سبحانه: ((لئن شكرتم لأزيدنكم)).

((وأستحمد إلى الخلائق بأجزائها)) كذلك الحمد يوجب المزيد من الخيرات والبركات الإلهية.

((وتنى بالنذب إلى أمثالها)) أي: أنه تعالى ندب عباده ودعاهم إلى الإستزادة من موجبات الخير والرحمة، كالإنفاق في سبيل الله والعطف.

((وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، المقصود أن كلمة: (لا إله إلا الله) يعود معناها إلى الإخلاص، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (وكمال توحيد الإخلاص، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه) فقد قيل: إن المقصود من الإخلاص هو جعله خالصاً من النقائص للجسم والعرض، وما شاكلهما من النقائص، وكمال الإخلاص له نفي الصفات، أي الصفات الزائدة على ذاته لأن كل موجود متصف بصفته، وصفته غير ذاته، فالإنسان غير العلم، والعلم غير الإنسان ولكن الله تعالى علمه عين ذاته، وبقيّة صفاته كلها عين ذاته،

((وضمن القلوب موصولها)): أي إن الله تعالى ألزم القلوب المعنى الذي تصل إليه كلمة (لا إله إلا الله) وهو معنى التوحيد القطري، أي جعل القلوب على هذه الفطرة، قال تعالى: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)^(١) والفطرة: الملة، وهي

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

الدين والإسلام والتوحيد، وهي التي خلق الناس عليها ولها وبها، ومعنى ذلك أن الله تعالى خلقهم وركبهم وصورهم على وجه يدل على أن لهم صانعاً قادراً علماً حياً قديماً واحداً، لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء.

((وأنا في الفكر معقولها)): أي بسبب التفكير والتعقل أوضح الله المعنى الذي يوصل إليه بعد التدبر والتعمق، أي معنى كلمة التوحيد، والمقصود منه التوحيد النظري، وقد مضى الكلام عن التوحيد الفطري، ومعنى التوحيد النظري: التفكير في الدلائل والبيانات، والنظر في الآيات في الأفق وفي أنفسهم.

((المتنع عن الأبصار رؤيته)): حيث أن الله تعالى ليس بجسم، ولا جوهر ولا عرض، والعين لا تدرك ولا ترى الأجسام والأعراض، وهي الأمور التي تعرض للجسم، كالألوان والطول والعرض وما شابه ذلك، وحيث إن الإدراك بالبصر إنما يتحقق بأنعكاس صورة المرئي في عدسة العين، أو اتصال أشعة العين إلى ذلك الشيء المرئي، وحيث إن الله تعالى ليس بجسم فلا يمكن أنعكاسه في العين، ولهذا من المستحيل أن تدركه العيون ولا يمكن لأي موجود أن يرى الله تعالى ويدركه بالعين، كما قال تعالى: ((لَأَ تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ))^(١) وليس هذا الأمتناع خاصاً بالرؤية، بل بجميع الحواس الظاهرة كالسامعة والشامة والذائقة واللامسة.

((ومن الألسن صفته)): أي لا يمكن وصف الله تعالى كما لا يمكن رؤيته وكيف يستطيع الإنسان أن يصف شيئاً لم يره ولم يحط به إحاطة، كما قال علي عليه السلام:

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

((ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود)) لأن صفاته عين ذاته، فكما إنه لا يمكن إدراك ذاته كذلك لا يمكن إدراك صفاته التي هي عين ذاته.

((ومن الأوهام كيفيته)): إن الله تعالى جعل للإنسان قوى باطنية وهي الحواس الخمس الباطنية، وهي (الذاكرة، والحافظة، والواهمة، والمفكرة، والحس المشترك).

الواهمة: هي القوة التي تدرك بها الأشياء الجزئية، كأن يتصور الإنسان امرأة جميلة، أو قصرًا شاهقًا أو حديقة غناء، أو ما شابه، وكل ما تصوره الإنسان أو توهمه فهو مخلوق، ولا يستطيع الإنسان أن يتصور الخالق تصورًا صحيحًا حقيقيًا، أي لا يستطيع أن يعلم كيف هو؟ وهو تعالى لا يكيف بكيف؟ أي لا يمكن تصور الكيفية في ذاته ((أبتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها)): أي خلق الله الكائنات لا من مادة، أي أوجدها وما كانت موجودة.

يقول الماديون: لا يمكن أن يوجد شيء إلا من مادة، والمادة أصل الأشياء فإذا سألتهم: وما المادة من أي شيء وجدت؟ وأين وجدت؟ ومن أوجدها؟ تراهم يسكتون ولا يجيبون جوابًا، لأنهم إذا قالوا: إن المادة وجدت من غير مادة، قلنا لهم: فما المانع أو توجد الموجودات الأخرى من غير مادة قلنا لهم: فما المانع أن توجد الموجودات الأخرى من غير مادة؟ وإذا قالوا: إن المادة وجدت من مادة أخرى نسألهم: المادة الأخرى من أي شيء وجدت؟ وهكذا.

فالأعتقاد بأن الله تعالى خلق الأشياء لا من شيء أفضل وأسلم من نظريات الملايين.

((وَأَنشَأَهَا بِلَا إِحْتَدَاءٍ أَمْثَلَةً أَمْثَلَهَا)): أوجد الله تعالى لا من مادة ولا من شيء بلا أقتداء بأحد في تصويرها، أن الله تعالى أوجد الكائنات بلا أحتذاء ولا أقتداء ولا أتباع بموجودات أخرى مماثلة ومتشابهة لتلك الكائنات.

((وَذَرَاهَا بِمَشِيئَتِهِ)): أي خلقها بإرادته دون قوله، وحسب إرادته في الكيفية والصورة والشكل والهيئة والعدد، وبقيّة الخصوصيات خلقها بمشيئته بلا إجبار، وبإرادته التي إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون.

((مَنْ غَيْرُ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَى تَكْوِينِهِ)): أي إن الله تعالى خلق الكائنات بلا حاجة منه إلى إيجادها وتكوينها مثل أن يستأنس بهم أو يستعين بهم في الأمور، فله تعالى الكمال الكامل بجميع معنى الكلمة، ولا طريق للاحتجاج إلى ذاته المقدسة.

((وَلَا فَائِذَةَ لَهُ فِي تَصْوِيرِهَا)): أي لم تكن فائذة في إحداث تلك الصور والأشكال والهيئات، فإذا نفينا الحاجة والفائذة في التكوين والتصوير ينبغي أن نعلم السبب في ذلك، لأن الفعل بلا سبب لغو وتعالى الله عن ذلك.

((إِلَّا تَثْبِيثًا لِحُكْمَتِهِ)) أو (تَبْيِينًا) وعلى كل تقدير، فاللعنى أن المقصود من الإنشاء والتكوين والإيجاد هو إظهار الحكمة الإلهية، وهو تعالى يعلم تلك الحكمة البالغة التي اقتضت إيجاد الكائنات، ولعل من تلك الحكمة أن الله تعالى خلق الكائنات لكي يُعرف.

((وَتَنْبِيهًا عَلَى طَاعَتِهِ)): أي خلق الخلائق كي ينبههم على وجوب طاعته والإنقياد لأوامره، لقوله تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) والإطاعة والعبادة إنما تحصل بعد المعرفة وما قيمة العبادة بغير معرفة؟ وما قيمة المعرفة بدون طاعة وعبادة؟

((وإظهار لقدرته)): قدرة الله تعالى كانت موجودة، وإنما أراد إظهار شيء من قدرته فخلق الجمادات والنباتات والحيوانات والإنسان، وأودع في كل واحد من هذه الموجودات آيات من القدرة فخلق الكواكب والمجرات والأفلاك والسموات، وخلق الكريات الحمر والبيض في الدم، وخلق الذرة وجعل لها قوائم.

((وتعبداً لبريته)): خلق الله الموجودات كي ينقلوا لأوامره، وينزجروا عن نواهيه، والعبادة هي الإنقياد والطاعة.

((وإعزازاً لدعوته)): أي خلق الله الأشياء لتكون تقوية للبراهين والحجج التي يستدل بها الداعون إلى الله تعالى من الأنبياء وغيرهم.

((ثم جعل التواب على طاعته)): الإنسان لا يندفع نحو العمل إلا بدافعين دافع الرغبة وهو الطمع لجلب الخير، ودافع الرهبة وهو الخوف من المكروه - فالتاجر يتجر طلباً للمنافع وخوفاً من الفقر، والطالب يتعلم ويدرس طلباً للثقافة أو التوظيف، وهرباً من الجهل الذي يجول بينه وبين الصعود إلى مدارج الكمال، والإنسان لا ينقاد ولا يطمع في الأجر والثواب، وخوفاً من العذاب والعقاب وأنطلاقاً من هذه الحكمة جعل الله التواب وهو الأجر مع التقدير والأحترام جزاء للطاعة والإنقياد.

((ووضع العقاب على معصيته)): أي جعل قانون العقوبة للعاصين المخالفين لأوامره المتجاوزين لأحكامه، لماذا؟

((زيادة لعباده من نعمته)): وضع الله تعالى قانون العقوبة لأجل ردع العباد ومنعهم عن ارتكاب الأعمال التي توجب نعمته أي عقوبته.

((وحياشةً لهم إلى جنته)): أي جعل الثواب والعقاب لمنع العباد عن المعاصي، وسوقهم إلى طريق الجنة، أي الأعمال التي يستحق الإنسان بها الجنة، وقد مر معنى الحياشة.

((وأشهد أن محمداً عبده ورسوله)): أقرت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بالشهادتين بعد أن شرحت كلامها شرحاً كافياً حول التوحيد، فانتقلت إلى ذكر النبوة وما يدور في هذا الفلك، فأعترفت لأبيها -أولاً- بالعبودية الكاملة أي الإنقياد والخضوع لله تعالى، وهي درجة يبلغها الإنسان باختياره مع العلم أن النبوة مرتبة تحصل للنبي بغير سعي منه.

ثم أعترفت له بالرسالة، أي أنه نبي مرسل من عند الله تعالى إلى الخلائق بشريعة سماوية ومن المؤسف أن كلمة (الرسالة) صارت تستعمل -في زماننا- في كل مبدأ حق أو باطل، وفي كل فكرة صحيحة أو سقيمة.

((أختاره وأنتجبه قبل أن أرسله)): أنتقه الله من أهل العالم كما ينتقي أحدنا الفرد الكامل الممتاز من أفراد عديدة كالفاكهة الواحدة مختارها من مئات أمثالها بعد أن نرى فيها المزايا المتوفرة المتجمعة فيها، المفقودة في غيرها، من حيث الحجم واللون والنضج والطعم والنوع وما شابه ذلك وهكذا اختار الله محمداً صلى الله عليه وآله قبل أن يرسله، أي أن أهلية الرسول -وأستحقاقه لهذا المنصب الخطير وهو النبوة- كانت ثابتة ومعلومة عند الله تعالى قبل أن ينزل الرسول إلى ساحة العمل والجهاد والدعوة إلى الله وما كانت -هناك- حاجة للاختيار والأمتحان حتى تظهر مواهبه وأستعداده وتقلبه للمسؤولية، بل كان الله يعلم كفاءة الرسول لهذا العبء الثقيل.

((وسماه قبل أن أجتبله)): أي سماه الله محمداً قبل أن يخلقه أو سماه - أي أن الله تعالى قد قرر في سابق علمه أن يكون بمحمد ﷺ رسول الله، أو سماه الله لأنبيائه قبل أن يخلق.

((وأصطفاه قبل أن أبتعثه)): أي اختاره الله تعالى قبل أن يرسله نبياً.

((إذ الخلائق بالغيب مكنونة)): إن الله تعالى أصطفى محمداً واختاره وأجتباه في الوقت الذي كانت الخلائق وهو الناس غير موجودين، بل كانوا في الغيب محتفين مستورين، أي كانوا في علم غيب الله وما كان لهم وجود في الخارج بحيث ما كان يمكن إدراكهم.

((ويستر الأهاويل مصونة)): هذه الجملة تفسير لما قبلها، والأهاويل جمع أهوال ومفردها هول، وهو الخوف من الأمر الشديد والمقصود: وحشة ظلمات الغيب.

((وبنهاية العدم مقرونة)): نهاية الشيء حدوده وآخره، والمقصود أن الخلائق كانت بعيدة عن الوجود أي كانت معدومة.

((علماً من الله بمآثل الأمور)): من ذلك الوقت اختار الله محمداً ﷺ بسبب علمه بعواقب الأمور وما ترجع إليه الأمور، كان الله يعلم عواقب البشر وعواقب حالاتهم وشؤونهم، وعواقب رسالة النبي وبعثته، ومواهبه وكفاءته للرسالة بسبب أتصافه بالأخلاق الحميلة والصفات الجميلة، ولهذا اختاره للرسالة من ذلك الوقت.

وقد صرحت أحاديث كثيرة جداً مروية عن رسول الله ﷺ :

إن أول ما خلق الله نور محمد ﷺ وهكذا قوله ﷺ: إن الله خلق نوري ونور علي قبل أن يخلق آدم أو قبل أن يخلق السماوات والأرض بأثنتي عشر ألف سنة أو أربعة وعشرين ألف سنة، وغيرها من الروايات الواردة في الكتب المعتمدة.

((إحاطة بمحوادث الأمور)): وبسبب إدراكه تعالى جميع ما يدرك من الوقائع التي تحدث وتتجدد على مر الأعوام والقرون.

((ومعرفة بمواقع المقدر)): وبسبب معرفته بأزمنة الأمور وأمكنها التي قضاها، والمصالح التي رآها تعالى.

((أبتعه الله إتماماً لأمره)): بعث الله محمداً ﷺ إتماماً للحكمة التي خلق الله الأشياء لأجلها، ولعل المقصود هو ختم النبوة برسول الله ﷺ.

((وعزيمة على إمضاء حكمه)): وإرادة قوية أكيدة لإنفاذ حكمه وقضائه وتقديره في خلقه.

((وإنفاذاً لمقادير حتمه)): وإجراء لمقدوراته الواجبة التي لا يمكن إسقاطها وهي المقادير المحتومة التي لا تتغير ولا تبدل.

وهنا نتحدث السيدة فاطمة الزهراء عن الحياة الدينية والتفسخ العقائدي في ذلك العهد:

((فرأى الأمم فرقاً في أديانها)): أي رأى رسول الله ﷺ أهل الأرض على أديان متفرقة، من يهود ونصارى ومجوس وصابئة وملاحلة وزنادقة.

((عكفاً على نيرانه)): ملازمة على عبادة النار، ومواظبة عليها، وهم المجوس الذين كانوا يقدسون النار إلى حد العبادة، بل وبينون بيوتاً للنار، ويحافظون على إبقائها كي لا تنطفئ.

((عابدة لأوثانها)): جمع وثن وهو الصنم المصنوع من خشب أو حجارة أو غيرها من التماثيل في كنائسهم وبيعهم، ينحنون أمامها، ويركعون ويسجدون لها بقصد العبادة.

((منكرة لها مع عرفانها)): جاحدة لله تعالى مع معرفتهم به تعالى كما قل جر: ((يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا))^(١) والمقصود أنهم كانوا يعرفون الخالق، والصانع بالفطرة والوجدان والعقل، إذ إنهم كانوا يعلمون أن كل مصنوع لا بد له من صانع، ويعلمون أن الكائنات مخلوقة ولم يدع أحد من المخلوقين أنه خلق الشمس والقمر والسماء والأرض، فلا بد من الاعتقاد بوجود صانع لها.

((فأنار الله بمحمد ﷺ ظلمها)): أزال الله تعالى - بمجهود الرسول وجهه - تلك الظلمات، ظلمات تلك الأمم، ظلمات الكفر والشرك والجهل أي أن الأدلة والبراهين التي أحتج بها الرسول كانت كقابلة للقضاء على تلك النظريات التي

(١) سورة النحل، الآية: ٨٣

تأسست عليها عبادة النيران والأوثان، وليس المقصود أن الرسول قضى على جميع الأديان الباطلة والعقائد الفاسدة بمعنى إزالتها عن الوجود، بل أثبت أن الإسلام هو الحق وغيره باطل.

((وكشف عن القلوب بهما)): كشف الله -بمحمد ﷺ- عن القلوب مشكلاتها، والأمور المخفية المستورة عنها، كالاعتقاد بالتوحيد والحشر والنشر في القيامة، إذ كانت تلك الأمور من المشاكل الغامضة عندهم، ولكنها انحلت وأنكشفت ببركة الرسول.

((وجلى عن الأبصار غمها)): وكشف وأوضح عن العيون الظلمة المبهمة المستولية عليها، والمقصود من الظلمة -هنا- الإنحرافات العقائدية التي كانت كالظلمة على أعينهم ولهذا ما كانوا يبصرون الحقائق بسبب تلك الظلمة.

((وقام في الناس بالهداية)): قام رسول الله ﷺ بإراءة الطريق للناس ونصب لهم العلامات الدالة على الحق والحقيقة، على التوحيد والنبوة والمعاد.

((وأنقذهم من الغواية)): أنقذهم من الضلالة التي كانوا يعيشون فيها، ويموتون عليها، الضلالة في العقائد، في الأخلاق، في الأداب والسلوك في العادات والتقاليد فكانهم مغرورون في البحر، فأنقذهم الرسول من الغرق وأسعفهم من الهلاك.

((وبصرهم من العماية)): أصحاب بصر وبصيرة، فالأعمى - لغةً هو الذي لا يرى شيئاً، والأعمى مجازاً - هو الذي لا يدرك الحقائق كما هي، فإذا تعلم صار بصيراً.

((وهدهام إلى الدين القويم)): للهداية معاني عديدة، منها إرادة الطريق لمن لا يعرف الطريق، ومنها الإيصال إلى المطلوب، ولقد قام رسول الله ﷺ بالهداية بكلام المعنيين: أراهم طريق السعادة وأوصلهم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

((ودعاهم إلى الصراط المستقيم)): أي الطريق الذي لا أعوجاج فيه، وهو الإسلام.

((ثم قبضه الله إليه قبض رافة واختيار، ورغبة وإيثار)): أي توفه الله وأخذته إلى علم الآخرة بسبب الرافة لا الغضب والسخط، وباختيار منه لا بإجبار وإكراه أو بأختيار من الله تعالى له الآخرة وإرادة منه تعالى، وفضل له الآخرة على الدنيا كما قال تعالى: ((وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى))^(١).

((فحمد ﷺ من تعب هذه الدار في راحة)): من مشاكلها ونوائبها، وما كان يرى فيها من أنواع الأذى والمخالفة، فإن الموت راحة لأولياء الله، وإن حياة الأنبياء حياة متعبة لأنها جهود وجهاد ومشقة وعناء.

((قد حف بالملائكة الأبرار)): الذين حفوا به والتفوا حوله، ورافقوا روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى إلى أعلى عليين.

((ورضوان الرب الغفار)): الذي شمله في ذلك العالم بصورة أوسع لأن الدنيا تضيق عن ظهور جميع آثار رضى الله، ولكن الآخرة واسعة المجال.

((ومجاورة الملك الجبار)): فهو حفظ الله وضمارة وقريب من ثوابه والطفاه.

(١) سورة الضحى، الآية: ٤.

((صلى الله على أبي، نبيه وأمينه على الوحي وصفيه)): الأمين النبي أوتمن على الوحي والرسالة وصفيه الذي أصطفاه من خلقه.

((والسلام عليه ورحمة الله وبركاته)) وفي نسخة: ((محمد ﷺ)) في راحة من تعب هذه الدار، موضوعاً عنه أعباء الأوزار، محفوفاً بالملائكة الأبرار)).

ثم أنتقلت في خطبتها ﷺ من ذكرها النبوة إلى ما تركه الرسول الأعظم ﷺ من الثقيلين: الكتاب والعترة الذين يقومون مقام النبي.

فقلت: وهي مخاطبة للحاضرين في المسجد النبوي الشريف حينذاك: ((أنتم- عباد الله- نصب أمره ونهيه)): كلمة: (عباد الله) جملة معترضة بين المبتدأ والخبر، والمعنى: أخص بالخطاب عباد الله أنتم نصب أمره ونهيه، أي أنتم منصوبون لأوامر الله تعالى ونواهيه، لأنكم كنتم موجودين عند ورود الأوامر والنواهي، والخطاب موجه إليكم.

((وحمله دينه ووحيه)): أي الحاملون لأحكام الدين لمشاهدتكم سيرة الرسول والأحكام التي كان ﷺ يصدرها، وأنتم الحاملون لآيات القرآن حينما كان جبرائيل ينزل بها على الرسول يعلمكم إياها.

((وأمناء الله على أنفسكم)): أنتم الذين أئتمنكم الله على دينه حتى تلقوا الأحكام من الرسول ثم تلقوها إلى الأفراد الذين لم يتعلموا تلك الأحكام.

((وبلغاؤه إلى الأمم)): لا شك أن العلوم تنتقل من جيل إلى جيل على مر القرون، وحيث إنكم عاصرتم الرسول وسمعتم أحاديثه وتعلمتم سنته يجب عليكم أن تبلغوا تلك الأوامر والتعاليم والأحاديث والسنن إلى الأجيال القادمة، فأنتم

مبلغوا الدين الإسلامي إلى الأمم القادمة وعليكم هذه المسؤولية العظمى تجاه الإسلام والمسلمين، فيجب عليكم أداء الأمانة سليمة من التلاعب وتبليغ الأحكام كما أنزلها الله بدون تحريف أو تغيير. لأنكم الوسائط بين الرسول ﷺ وبين بقية المسلمين فإن أحسنتم الأداء فلکم الأجر الجزيل، وإن خنتم الأداء والتبليغ فعليكم أوزار كل إنحراف يحدث في الدين وفي المسلمين.

ملحق الخطبة (١):

((زعيم حق له فيكم، وعهد قلمه إليكم، وبقية أستخلفها عليكم)): هذه الجمل ذكرها أكثر رواة الخطبة، ولكنها لا تخلو من الإضطراب والغموض ولعل في الكلام سقطاً وحذفاً وقد ذكر شراح الخطب وجوهاً محتملة لهذه الكلمات لا تخلو من تكلف وتعسف، ولكن النتيجة والمقصود أن الرسول ﷺ عهد إليكم بما يجب عليكم، وترك فيكم بقية منه جعلها خليفة له عليكم. ومعنى البقية هو ما يخلفه الإنسان في أهله من الآثار واللوازم والمراد أن الرسول ترك فيكم ما يسد الحاجة ويكفي الأمة الإسلامية مهامها وفي بعض النسخ: ((وبقية أستخلفنا عليكم، ومعنا كتاب الله)) وهذه الجملة تشير إلى الحديث المشهور المعتبر عند المسلمين وهو قوله ﷺ ((إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))^(١) وهنا نتحدث السيدة فاطمة الزهراء عن أحد الثقلين وهو القرآن الكريم فقالت: ((كتاب الله الناطق)): أي المبين الموضح، كالإنسان الذي يتكلم بكل وضوح.

(١) صحيح مسلم وغيره.

((والنور الساطع)): قد ورد في القرآن الكريم التعبير عن القرآن والنبوة والإمامة والبعث في يوم القيامة وغير ذلك من الأدلة والبراهين تجدها واضحة عند أهلها، وعند كل من يعرف منطق القرآن، ويفهم المناسبة بين الدليل والمدلول، والعلة والمعلول، استمع إلى قوله تعالى: ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا))^(١) وقوله: ((وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ))^(٢) ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾^(٣). وغيرها من الآيات التي هي أدلة وبراهين وحجج على ما ذكره الله تعالى.

((منكشفة سرائره)): في القرآن واضحة الدلالة، ظاهرة المعنى وآيات تشتمل على معاني دقيقة وأسرار خفية كأسرار الكيمياء الغيبية أو الآيات المتشابهات، وهي كلها منكشفة ومعلومة عند أولي الألباب والراسخين في العلم.

((متجلية ظواهره)) ظواهر القرآن واضحة كمال الوضوح.

((مغبط به أشياعه)): أي إن أتباع القرآن يبلغون منزلة عند الله بحيث يغبطهم الناس، أي يتمنى الناس الوصول إلى تلك الدرجات التي نالها الذين أتبعوا القرآن.

((قائد إلى الرضوان أتباعه)): القرآن يقود إلى رضوان الله تعالى أو أتباع القرآن يقول إلى الرضوان والنتيجة واحدة.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٢) سورة يس، الآيتين: ٧٨ - ٧٩.

((مؤد إلى النجاة أستماعه)): أي الأستماع إلى القرآن يؤدي إلى النجاة كما قال تعالى: ((وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))^(١).

سيما إذا كان مع الأستماع تدبر وتعقل، لأن الخوف من الله يحصل بأستماع القرآن وكذلك الرجاء به، وهكذا ينمو الإنسان من عذاب الله تعالى، فكم من كافر أسلم بسبب أستماع القرآن؟ وكم من مذبذب تاب؟ وكم من منحرف اعتدل وكم من شك استقام وتيقن.

-- ((به تنال حجج الله المنورة)): الحججة ما يحتاج به الإنسان ويمكن الاستدلال والأحتجاج به في القضايا العقلية والأحكام الشرعية، والأمور العرفية.

((وعزائمه المفسرة)): أي الواجبات التي فسرها القرآن نفسه أو النبي ﷺ أو أئمة أهل البيت عليهم السلام لأن القرآن نزل في بيوتهم، وأهل البيت أدري بما في البيت، فسروا أحكام العبادات وكيفيةها والخصوصيات المتعلقة بها من الوضوء إلى الغسل إلى الصلاة إلى الصوم والحج والجهاد وغير ذلك من الواجبات.

((ومحارمه المخذرة)): حذر الله تعالى في القرآن عباده عن ارتكاب المحرمات حذرهم بالعذاب الأليم في الدنيا أو الآخرة.

((وبيناته الجالية)): أي الحكمات الواضحة التي لا تحتاج إلى تأويل.

((وبراهينه الكافية)): وفي نسخة ((وجمله الكافية)): أي المتشابهات المعلومة عند الراسخين في العلم.

(١) سورة الاعراف، الآية: ٢٠٤.

((وفضائله المندوبة)): وهي الأمور المستحبة التي ندب الله تعالى عباده إليها أي دعاهم إليها بدون إلزام كصلاة الليل وأمثالها.

((ورخصه الموهوبة)): في القرآن أحكام واجبة كما تقدم الكلام عنها، ومميزة وهي المستحبات التي يتميز الإنسان فيها.

((وشرائعه المكتوبة)): شرائع جمع شريعة، وهي ما شرع الله أي قرره لعباده من الدين تشبيهاً بمورد الماء، والمكتوبة هي الواجبة المفروضة، ثم أنتقلت ﷺ إلى علل الأحكام في الشريعة الإسلامية وما هناك من فوائد وأسرار، وحكم في التشريع الإسلامي التي هي للوقاية أكثر مما هي للعلاج، وقد قيل: (الوقاية خير من العلاج) ويتضح لك ذلك قالت ﷺ: ((فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك)) وفي نسخة: ((ففرض الله الإيمان)): الآيات الواردة في القرآن الكريم، الأمرة بالإيمان بالله وحده، إنما هي لغرض التطهير من أرجاس الشرك بالله، فالشرك بمنزلة المكروبات الضارة، والإيمان تعقيم لها، فالشرك قذارة متعلقة بالأذنان، ملتصقة بالعقول، وقد تلوثت بها القلوب، والإيمان تطهير عام لإزالة تلك القذارة.

((والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر)): المقصود من تشريع الصلاة هو القضاء على رذيلة الكبر، لأن الصلاة خضوع وخشوع لله وركوع وسجود وكذلك، وأكثر المصابين بداء الكبرياء هم التاركون للصلاة.

((والزكاة تزكية للنفس وغماءً في الرزق)): وفي نسخة: ((والزكاة تزيدكم لكم في الرزق)): إنما سميت الزكاة لأنها تزكي الإنسان أستمع إلى قوله تعالى: ((خُذْ مِنْ

أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا))^(١) وقد جعل الله تعالى البركة والنمو في إعطاء الزكاة، فيأذن الله للأرض أن تجود ببركاتها فيكثر الزرع ويمتلئ الضرع، وتراكم الخيرات، وتتضاعف الثمار.

((والصيام تهيئة للإخلاص)): قد يمكن أن يصلي الإنسان قصد الرياء ولا يمكن أن يصوم ويطوي نهاره جائعاً عطشاناً، ويتحمل المشقة بسبب الإمساك والإمتناع عما يشتهي بقصد الرياء، فالصوم من أظهر العبادات الخالصة لوجه الله الكريم.

((والحج تشييداً للدين)): للحج فوائد ومنافع معنوية لا تتحقق بغير الحج فلحج عبارة عن عدد كبير من المسلمين من البلاد بعيدة الأقطار عديدة، من شرق الأرض وغربها وعن كل قطر يسكن فيه مسلم يستطيع الحج، في أيام محدودة الأماكن معينة، على هيئات خاصة وكيفيات مخصوصة، فيلتي بعض بعضهم ببعض ويتعرف المسلم الأفريقي بالمسلم الآسيوي.

((والعدل تنسيقاً للقلوب)): وفي نسخة: ((وتنسيقاً للقلوب)) لا أعرف لتعليل العدل تعريفاً أحسن وأكمل من هذا التعريف، لأن تنسيق القلوب تنظيمها كتسبيق خرز السبحة، وتنظيمها بالخيط، فلو انقطع الخيط تفرقت الخرز وتشتت، وأختل التنظيم وزال التنسيق.

إن العدل في المجتمع سواءً الفردي أو الاجتماعي مع الناس يكون سبباً لتنظيم القلوب وأنسجامها بل وأنماجها، وإذا فقد العدل فقد الأنسجام وجاء مكانه التنافر والتباعد والتقاطع، وأخيراً التقاتل.

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٣.

وليست العدالة من خصائص الحكام والولاة والقضاء، بل يجب على كل إنسان أن يسير ويعيش تحت ظلال العدالة، ويعاشر زوجته وعائلته وأسرته ومجتمعه بالعدالة إبقاءً لمحبة القلوب.

((وإطاعتنا نظاماً للملة)): وفي نسخة: ((وطاعتنا)) كل أمة إذا أرادت أن تعيش لا بد لها من اختيار نظام حاكم سائد، والنظام كلمة واسعة النطاق كثيرة المصداق غزيرة المعاني.

إن الأمة الإسلامية التي هي في طليعة الأمم الراقية المتحضرة لا بد وأن يكون لها نظام، وإن الله تعالى جعل إطاعة أهل البيت عليهم السلام نظاماً للملة الإسلامية، ومعنى ذلك أن الله جعل القيادة العامة المطلقة العليا لأئمة: أهل البيت الأثني عشر عليهم السلام وهم عترة الرسول صلى الله عليه وآله فقط. لا كل من يستلم زمام الحكم، أو يجلس على منصة القيادة تجب إطاعته وتنفيذ أوامره. وإنما جعل الله إطاعة أئمة أهل البيت نظاماً للمسلمين لأن الله تعالى زوّدهم بالمواهب. ومنحهم الأهلية، وأحاطهم علماً بكل ما ينفع المجتمع ويضره، وبكل ما يصلح الناس ويفسدهم.

وجعلهم الرسول عدل القرآن بقوله صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وإنكم لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما.

ولقد سبق أن تحدثت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام عن القرآن وأنه بقية أستخلفها عليكم، ثم ذكرت بعض ما يتعلق بعظمة القرآن.

ثم أنتقلت إلى ذكر روح الإسلام، ثم أنتقلت إلى ذكر الثقل الثاني، وهم العترة، وهم أهل البيت، وهم أولو الأمر الذين أوجب الله إطاعتهم على العباد بقوله تعالى: ((أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا الْأَمْرَ مِنْكُمْ))^(١).

((وإمامتنا أماناً للفرقة)): وفي نسخة: ((لماً للفرقة)) إمام على وزن كتاب هو المقتدى.

والإمامة الكبرى التي هي الخلافة العظمى، منصب سماوي، ومنزلة تتعين من عند الله تعالى، لأنها تالية للنبوّة من حيث العظمة والأهمية، أنظر إلى أولياء الله كيف يسألون الله تعالى أن يبلغهم تلك المنزلة الرفيعة والدرجة السامية.

فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام يأتيه النداء من عند الله تعالى: ((إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ))^(٢) أي المقتدى به في أفعاله، وأقواله، وأنه الذي يقوم بتدبير الأمة وسياستها والقيام بأمرها، وتأديب جناتها، وتولية ولاتها، وإقامة الحدود على مستحقيها ومحاربة من يكيدها ويعاديها، وليس المقصود من الإمامة - هنا - النبوّة، لأن إبراهيم كان نبياً حينذاك وإنما أضاف الله له الإمامة إلى النبوّة.

وإذا تأملنا في هذه الآيات البينات يتضح لنا أن المناصب السماوية والوظائف الإلهية ينبغي أن تكون من الله تعالى وتعيينه وجعله، تدبر في قوله تعالى:

((يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ))^(٣).

(١) سورة النسله الآية: ٥٩.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٢٤.

(٣) سورة ص، الآية: ٣٦.

((وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ))^(١).

((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا))^(٢).

((وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا))^(٣).

((إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا))^(٤).

((وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا))^(٥).

((وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾))^(٦).

وغيرها من الآيات التي تتجلى فيها كلمة: (جعلنا) و(أجعلنا) و (جعلناهم) وما أشبه ذلك.

وهنا تشير الزهراء عليها السلام: (وامامتنا) إلى إمامة الأئمة الأثني عشر وتخص زوجها: أبا الأئمة علياً عليه السلام.

((والجهاد عزاً للإسلام)): العزة لا تحصل إلا بالقوة، وتظهر القوة بأستعمل السلاح وأستعراض الجيش، وإظهار المعدات الحربية، وتجلي البطولات وغير ذلك. وأحسن أستعراض للقوة وإثبات الشخصية هو الجهاد في سبيل الله فالقوة والقدرة والإمكانية والتضحية ومدى تعلق المسلمين بالبدء، والمواهب التي تظهر

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٦) سورة طه، الآيتين: ٢٩ - ٣٠.

في جبهات القتال، وتظهر النتيجة بالانتصار والظفر والغلبة على أعداء الدين، وإستيلاء الخوف على كل مناوى للإسلام والقوي لا يخضع إلا للقوة لا للإنسانية فقط، ولا للثروة فقط، بل للقوة، وهكذا تجتمع العزة للأمة القوية وللمبدأ الذي يعتنقه الأقوياء.

((والصبر معونة على أستيجاب الأجر)): الصبر على المكاره من فقر إلى مرض إلى دين إلى سجن إلى مصيبة، يدل على التسليم لإرادة الله تعالى، والتسليم فضيلة سامية ومنزلة عالية يستعين بها الإنسان الصابر على تحصيل الأجر الجزيل والثواب الأوفى، وبالصبر يتم فعل الطاعات وترك السيئات.

((والأمر بالمعروف مصلحة للعامة)): فرض الله الأمر بالمعروف على كل مكلف في حدود القدرة والإمكانية بشروط معينة مذكورة في محلها، ويعتبر نوعاً من الجهاد ومعنى ذلك أن كل فرد من أفراد المسلمين يعتبر نفسه مسؤولاً عن الدين مرتبطاً به، غير منفصل عنه، وهو تفسير عملي لقوله: ﴿كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته﴾ لأن الإسلام لا يؤمن باللامبالاة وبالإنعزال عن المجتمع الديني، لأن الإسلام يعتبر المسلمين أسرة واحدة مترابطة، وأمة واحدة يربطها رباط الدين والعقيدة.

((وبر الوالدين وقاية من السخط)): وفي نسخة: ((والبر بالوالدين وقاية من السخطة)) ومعنى ذلك أن عقوق الوالدين يسبب سخط الله وغضبه على العاق لوالديه، إذن يكون الإحسان إليهما سبباً للوقاية من غضب الله تعالى، وبعد إلقاء نظرة على الآيات التي توصي برعاية حقوق الوالدين تتضح لنا أهمية هذا الجانب الأخلاقي:

((وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا....))^(١).

((يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ....))^(٢).

((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا....))^(٣).

((وصلة الأرحام منمة للعدد...)) وفي نسخة: ((وصلة الأرحام منسأة للعمر ومنمة للعدد)) إن للأعمال آثار طبيعية ولا يمكن التخلف عنها، فالذي يصل رحمه - أي أقربائه الذين تجمعه وإياهم رحم من أرحام الأمهات باللسان أو باليد أو بالمال لا بد وأن يكون طويل العمر، كثير النسل والعدد كثير المال.

وقطع الرحم يسبب قصر العمر وزوال المال. وقد رأينا الكثيرين من أبناء زماننا الذين قطعوا أرحامهم أي قطعوا العلاقات الودية (بجميع أنواعها) مع أقربائهم، فكانهم قطعوا جذور أعمارهم، وهلموا أسس حياتهم وبقائهم بأيديهم فأنقضوا بعد أن افتقروا.

((والقصاص حقناً للدماء)): لا يوجد في سجلات القوانين في العالم كله قانون المحافظة على حياة الناس كقانون القصاص، ولهذا قال تعالى: ((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))^(٤).

إن القضاء على حياة القاتل يعتبر إبقاءً وحفظاً لحياة الآخرين، إذ إن الإنسان إذا عزم على قتل أحد ظلماً وإذا علم أنه سوف يقتص منه، فإنه بالقطع واليقين

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٨

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

سيمتنع من الإقدام على جريمة القتل، ولكنه إذا علم أن جزاءه السجن، وفي السجن الراحة والأكل والشرب، ورجاء شمول العفو والتخفيف، أو دفع العوض وما شابه ذلك من الرشوة وشفاعة الشافعين لدى السلطة الحاكمة، فعند ذلك تهون عنده الجريمة، ويتسهل الجنابة، ويقدم على إراقة الدماء البريئة ظلماً وعدواناً.

((والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة)): وفي نسخة: ((بالنذر)) النذر هو المعاهدة مع الله تعالى على فعل من الأفعال، فالوفاء بالنذر يعتبر وفاء بالمعاهدة كما قال تعالى: ((وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا))^(١) والإنسان يجعل نفسه في معرض المغفرة عن طريق النذر والوفاء بالنذر.

((وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس)): أوجب الله تعالى على البائع والمشتري أن يراعي حقوق الإنسان، وأن لا يبخس الناس أشياءهم، وأن يعاملوا الناس بالأمانة والعدالة، لا بالظلم والخيانة وذلك بعدم التلاعب في المكيال الذي يكل به الشيء من طعام وغيره أو الميزان الذي يوزن به الشيء.

((والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس)): وفي نسخة: ((والإنتهاء عن شرب الخمر)) لقد ذكرنا حول آية التطهير معاني عديدة للرجس، والخمر تعتبر من أفراد الرجس ومصاديقه كما قال تعالى: ((إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))^(٢).

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٢) سورة المائدة الآية: ٩٠.

وقد كتب الكثير من المسلمين وغيرهم كتباً ومقالات حول أضرار الخمر، والجرائم المتولدة منها، والولايات التي تتكون منها.

((وأجتنب القذف حجاً عن اللعنة)) وفي نسخة: ((وأجتنب قذف المحصنات)) إن الإسلام هو الدين الذي يحافظ على كرامات الناس، ويعتبر الإسلام المس بالكرامة نوعاً من أنواع الجريمة، وقد جعل لهذه الجريمة عقوبة دنيوية وعذاباً في الآخرة.

((وترك السرقة إيجاباً للعة)) وفي نسخة: ((ومجانبة السرقة)) إن اليد ثمينة غالية ما دامت أمينة عفيفة، فإذا سرقت فقد خانت فصارت رخيصة لا كرامة لها، لأنها تجاوزت الحدود.

سأل أبو العلاء المعري من السيد المرتضى علم الهدى (رضوان الله عليه):

يدٌ بجمس مئين عسجدٍ أوديت ما بالها قطعت في ربع دينار؟
أي أن اليد التي ديتها خمسمائة دينار ذهب، لماذا تقطع إذا سرقت شيئاً قيمته ربع دينار؟ فاجابه السيد المرتضى قائلاً:

عز الأمانة أغلاها، وأرخصها ذلُّ الخيانة، فأفهم حكمة الباري
فالسرقة تسلب العفة من اليد أي صاحب اليد وترك السرقة يوجب بقاء العفة والأمانة.

((وعدل الحكام إناساً للرعية)): لقد تقدم في كلامها عليها السلام شيء حول العدل بصورة عامة كالعدل بين الزوجات وبين الأولاد وبين الناس وهنا تشير في كلامها إلى عدل الحكام، والمقصود من الحكام -هنا- السلطة الحاكمة من الملك إلى

الوزراء إلى الأمراء إلى رؤساء الدوائر والمحافظين والقضاة والحكامين، وأمثالهم من ذوي السلطة والقدرة.

ومن الطبيعي: أن أصحاب المناصب الخطيرة يشعرون أو يتصورون بهالة من الكبرياء تحيط بهم، وعلى هذا الأساس يرون أنفسهم أجل قدراً وأعظم شأناً وأرفع مستوى من غيرهم.

وأفراد الرعية يشعرون بشيء من البعد الواسع والبون الشاسع بينهم وبين الطبقة الحاكمة، وهذا سبب التنافر بين الحكومة وبين الشعب، وبين جهاز الحكومة والمواطنين.

((وحرّم الشرك إخلصاً بالربوبية)): لأن الشرك نوع من الكفر، والواجب عن العباد أن يعبدوا الله مخلصين له الدين. ثم إنها ختمت هذا الفصل من كلامها بآيات مناسبة للموضوع، وهي قوله تعالى: ((لَتَقْوُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ))^(١).

ثم وجهت السيدة فاطمة الزهراء كلامها إلى الحاضرين في ذلك المؤتمر فقالت: ((أيها الناس أعلموا أنني فاطمة)) وذكرت اسمها للمستمعين، ذلك الاسم الذي لا يجمله أحد ذلك الاسم الذي سمعه الناس مراراً وتكراراً من فم الرسول الأعظم ﷺ مشفوعاً بالعواطف النبوية، مقرونًا بكل تجليل وتعظيم وتقدير.

((وأبي محمد ﷺ: وهذا النسب الشريف الأرفع، النسب الذي ليس فوقه نسب، النسب الذي هو مفخرة الكون، ودرة تاج الوجود وشعاع الشمس.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

لقد عرفت نفسها لثلاثا يقول قائل: ما عرفناها، ولماذا لم تصرح بأسمها؟

وبهذا أتمت الحجة، ولم تبقَ لذي مقال مقالاً، ذكرت أسمها الصريح ونسبها الواضح وتعريضاً وتوبيخاً لهم.

((أقول عوداً وبدءاً)): أي أتكلم آخرأً وأولاً، وأولاً وآخرأً، وأنا على يقين بما أقول، وفي نسخة: (عوداً على بدء) والمعنى واحد.

((ولا أقول ما أقول غلطاً)): وهو الخطأ في الكلام من كذب وخديعة ومغالطة.

((ولا أفعل ما أفعل شططاً)): لا أتكلم جوراً وظلماً وتجاوزاً عن الحد.

((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ))^(١).

أفتحت هذا البحث بذكر أبيها الرسول ﷺ وأدجت كلامها بكلام الله تعالى، حيث يقول: إن الرسول من العرب، يشق ويعز عليه وقوعكم في الشلة لأجله، حريص على توفير وسائل السعادة لكم، بالمؤمنين من هذه الأمة رؤوف رحيم، كلمتان مترادفتان، معناهما العطف واللطف والحنان ((فإن تعزوه وتعرفوه)): أي تنسبوه، وتقولوا فيه إنه أبو من؟ وأخو من؟ وفي نسخة: ((فإن تعزروه وتوقروه)) أي تعظموه.

((تجدوه أبي دون نساءكم)): نعم. أنا أبنته الوحيدة، وهو أبي، ولا تشاركني نساؤكم في هذا النسب الطاهر المطهر.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

((وأخا ابن عمي دون رجالكم)): نعم، إنه أخو زوجي، ولم يشارك أحد من رجالكم أبي في الأخوة وليس المقصود -من- أخوة النسب، بل الأخوة التي حصلت يوم المؤاخاة حيثما آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، آخى بينه وبين علي وكان الرسول ينوه بهذه الأخوة في شتى المناسبات ومختلف المجالات، ويركز على كلمة: (أخي) كقوله ﷺ: أدعوا لي أخي، وأين أخي؟ وأنت أخي، وإنه أخي في الدنيا والآخرة.

وكان علي عليه السلام يعتز بهذه الأخوة والمؤاخاة، ويذكرها نظماً ونثراً ومنه قوله عليه السلام:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي معه ربيت، وسبطه هما ولدي
وقوله: أنا عبد الله وأخو رسول الله، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم لا
يقوله غيري إلا كذاب.

((ولنعم المعزي إليه ﷺ: نعم المنسوب إليه والمنتمي إليه أنه أشرف من ينتسب إليه، وأطهر من ينتمي إليه، لأنه علة الإيجاد ويمنه رزق الورى.

((فبلغ الرسالة صلادعاً بالندارة)): بلغ الرسول كل ما أمر بتبليغه مظهراً بالإنذار والتخويف يعذب الآخرة.

((مائلاً عن مدرجة المشركين)): وفي نسخة: ((ناكباً عن سنن مدرجة المشركين)): أي عدد عدل عن طريقة المشركين ومسلكتهم.

((ضارباً ثجهم)): أي كان الرسول ضارباً كواهل المشركين وظهورهم والمقصود جهاد الكفار والمشركين.

((أخذاً بأكظامهم)) أي عمسكاً على أفواههم، أو مخارج أنفاسهم، وهي كناية عن إيقافهم عند حدهم، وإجباط مؤامراتهم، وتفنيدهم بأبطالهم.

((داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة)): كان يدعو إلى الله، لا إلى الدنيا، إلى سبيل ربه، لا سبيل غيره، ويراعي في دعوته مستويات الناس، فيدعو بالحكمة وهي المقالة الموضحة للحق والمزججة للشبهة، هذا بالنسبة للطبقة الواعية المثقفة، ويدعو بالموعظة الحسنة وهي الخطابات المقنعة للنفوس، والعبر النافعة للحياة، وهذا بالنسبة للطبقة العامة.

ويجادهم بالتي هي أحسن، وهي أحسن طرق المجادلة والتفاهم، وإقامة الأدلة والبراهين بالنسبة للمعاندين.

((ويكسر الأصنام)): التي كان المشركون يعبدونها ويعتبرونها آلهة من دون الله.

((وينكت الهام)): وفي نسخة: ((ينكس الهام)): إشارة إلى قتال رؤساء الكفر وأقطاب الشرك وقمعهم وإذلالهم، وهم الذين كانوا يؤججون نيران الحروب ويشيرون الفتن أمثال: شيبه وأبي جهل ونظرائهم أو إذلال المفسدين والمشاغبين، وفي نسخة: ((ينكت الهام)): أي يلقي الرجل على رأسه.

((حتى أنهزم الجمع وولوا الدبر)): أي أستمروا الكفاح والجهاد سنوات عديدة تتكون خلالها الحروب والغزوات والإضطرابات حتى قضى الرسول على أصول الفتن وجرائم الفساد فأنكسرت شوكة الكفار، وضعت معنوياتهم وأخيراً حتى أنهزم الجمع، أي جماعة الكفار وأدبروا فارين.

((حتى تفرى الليل عن صحبه)): حتى أنجلت ظلمات الكفر السوداء، وتجلى صبح الإسلام الأبيض الناصع.

((وأسفر الحق عن محضه)): أي أرتفعت الحواجز الباطلة التي حجبت الحق عن الظهور فأضاء الحق الخالص الذي لا يشوبه شيء من الباطل وكلها كنايات عن تجمع القوى الدينية.

((ونطق زعيم الدين)): تكلم رئيس الدين فيما يتعلق بأمر الدين وأمر المسلمين بكل حرية وصراحة.

((وخرست شقائق الشياطين)): الشقائق جمع شقشقة - شيء يشبه الرثة يخرج من فم البعير عند هيجانه، والمقصود من (أخرست شقائق الشياطين) هو تبخر نشاطات المفسدين، وأختناق أصواتهم.

((وطاح وشیظ النفاق)): المقصود سقوط المنافقين عن الاعتبار، وفشل مساعيهم. ((وأنجلت عقد الكفر والشقاق)): أي فشلت المحاولات والمخالفات والاتفاقيات التي قام بها الكفار والمخالفون ضد الإسلام والمسلمين كما في سورة الأحزاب. ((وفُهم بكلمة الإخلاص)): وتلفظهم بكلمة: (لا اله إلا الله) بألسنتكم.

((في نفر من البياض الخماص)): أي بيض الوجوه من النور، الضامر في البطون من التجوع بسبب الصوم أو الزهد ويمكن أن يكون المقصود من هذين الوصفين أناساً معينين، وهم الصفوة من أصحاب النبي ﷺ أو أهل البيت ﷺ. ((وكنتم على شفا حفرة من النار)): بسبب الكفر والشرك بالله العظيم. ثم أشارت ﷺ إلى الحيلة الاجتماعية التي كان الناس يعيشونها في ذلك الوقت،

وهي الفوضوية وأختلال النظام، والمهرج الذي كان مستولياً على كافة جوانب الحياة، فقالت: ((مذقة الشارب)): إذا مرَّ الإنسان الظمآن من مكان، ووجد ماء ليس له مالك، أو له مالك ولكنه لا يستطيع الدفاع والمقاومة فيطمع ذلك الإنسان أن يشرب من ذلك الماء ويبرد غليله.

((ونهزة الطامع)): وهكذا إذا مر الإنسان من مكان ووجد هناك طعاماً لا مالك له أو مالكة ضعيف فنرى الجائع يطمع في ذلك الطعام، فينتهز الفرصة ويستوفي نصيبه من ذلك الطعام.

((وقبسة العجلان)): هي الشعلة أو الجذوة من النار يأخذها الرجل المسرع إذا أحتاج إليها.

ملحق خطبة فاطمة عليها السلام (٢):

((وموطئ الأقدام)): وكنتم أذلاء، مستضعفين تدوسكم الأقوياء بأقدامها.

((تشربون الطرق)): الماء الذي كنتم تشربونه هو الماء المتجمع في المستنقعات والحفر تدخلها الحيوانات، وتبول فيها الإبل، مع العلم أن النفوس الشريفة تستقذر هذا الماء وتمجه، ولا ترضى به، ولكنه الجهل، والإحساس بالنقص، والخضوع للمذلة والهوان.

((وتقتاتون القدَّ والورق)): أي كان قوتكم وطعامكم من القدَّ وهو اللحم أو الجلد اليابس وأوراق الأشجار، لأن أرض الحجاز قاحلة جرداء لا ضرع فيها ولا زرع إلا ما ندر.

((أذلةٌ خاسئين)): الخاسئ هو المنبوذ المطرود الذي لا يترك أن يدنو من الناس لحقارته.

((تحافون أن يتخطفكم الناس من حولكم)): إن حيلة الفوضى وفقدان الأمن والأمان يسلب الاستقرار والطمأنينة في النفوس، فالقوي يطمع في الضعيف والغني يستعبد الفقير، وذلك لعدم وجود السلطة والقانون.

((فأنقذكم الله بأبي (محمد) ﷺ): إنه المنقذ الأعظم والمصلح الأكبر الذي أنقذ العباد من تلك المفاسد والويلات والمصائب وأحدث إنقلاباً في العقائد والنفوس والأخلاق والعادات السيئة.

((بعد اللتيا والتي)): هذه الكلمة صارت مثلاً في هذه المناسبة، أي أستطاع الرسول الأعظم ﷺ: أن يظهر المجتمع، وينقذ الناس من مصائب الجاهلية بعد

شق الأنف، بعد أن تحمل المشاكل وأنواع الأذى، بعد الضغط والكبت والأضطهاد.

((وبعد أن مُني بهم الرجال)): استطاع الرسول ﷺ إنقاذ الناس بعد أن أبتلي بالرجال الأقوياء، من قريش الذين أجبوا نيران الحروب وحاربوا رسول الله ﷺ بكل ما يملكون من حول وقوة وهم أكثر عدداً من المسلمين وأكثر علة وعتاداً.

((وذؤبان العرب)): إن الإنسان إذا تجرد عن الإنسانية والأخلاق والفضيلة ينزل إلى مرتبة الحيوانات، فإذا فقد الفهم والعلم فإنه يشبه بالحمار، وإذا فقد العاطفة والرافة فإنه يشبه بالسباع والحيوانات المفترسة، فيصح أن يقال في حقه: إنه ذئب.

لقد ابتلي الرسول ﷺ بهؤلاء المفسدين، بدءاً من معركة بدر إلى معركة أحد إلى الخندق إلى حنين وغيرها، تجدد هؤلاء المفسدين كانوا في طليعة أسباب الفتنة والأضطرابات والمشاغبات، وحتى الحروب التي خاضها المسلمون مع اليهود كان هؤلاء هم السبب في إثارتها.

((ومردة أهل الكتاب)): إشارة إلى الحروب التي أوقد نيرانها اليهود والنصارى أمثال: بني النضير، وبني قريظة وبني قينقاع، وبني الأصغر في مؤتة.

((كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله)): كانوا يجيئون بالمؤامرات ضد الرسول ﷺ يجرؤون القبائل على محاربة الرسول فكانت المساعي فاشلة وكان الأنصار والغلبة والظفر حليفاً للرسول ﷺ.

((أو نجم قرن للشيطان)): لو أنكسر قرن الحيوان نبت له قرن آخر، وتقول السيلة فاطمة الزهراء عليها السلام: إذا نهض أحد المفسدين للقيام بالأعمال الشيطانية،

فتعتبر السيلة الزهراء تلك المعاكسات والمقاومات التي كان المشركون يقومون بها أعمالاً شيطانية. أي ضارة ومضلة فهي تعطف هذه الجملة على جملة: ((كلما أوقدوا)) أي كلما نجم قرن للشيطان أو (فغرت فاغرة) أو فتحت حية الكفر فيها لتلدغ المجتمع الإسلامي.

((قذف أخله في لهواتها)): أي كان الرسول يقضي على تلك النشاطات الجهنمية والنعرات الشيطانية يقضي عليها بأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام.

كان الرسول يأمر علياً أن يرد عنه كتابت المشركين وعصابات المنافقين فكان علي عليه السلام يخاطر بحياته، ويغامر بنفسه ويواجه أولئك الذئاب المفترسة كان يقاتلهم وحده، يخوض غمار الحرب، فيصح بذلك التعبير بقولها:

((قذف أخله في لهواتها)): في فم الموت بين أنياب الوحوش والرماح الشارعة والسيوف القاطعة.

((فلا ينكفي حتى يطاء صملاخها بأخصه)): لا يرجع علي عليه السلام من القتل حتى يسحق رؤوس الأعداء، ويدوس هامات الرؤساء بباطن قدمه.

((ويحمد لها بسيفه)): كان يقضي على المفسدين والمنافقين ويطفى لهيب الحروب بسيفه ويمهد الطريق لكلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

((مكدوداً في ذات الله)): قد أخذ التعب والعناء من كل مأخذ كل ذلك لله وفي الله ولوجه الله وفي سبيل الله.

((مجتهد في أمر الله)): المجتهد في اللغة- الذي يجهد نفسه أي يتعبها.

كان علي عليه السلام يبذل ما في وسعه وطاقته وجميع إمكانياته لتحقيق أهدافه السامية وتحصيل أمنياته، وهي إعلاء كلمة الله.

((قريباً من رسول الله)): ليس المقصود القرب المكاني، بل القرب المعنوي من حيث قرابة النسب، وانسجام الروح، واندماج النفس واتحاد الاتجاه، ووحدة الهدف، فعلي عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بنص القرآن الكريم بقوله تعالى: (وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ)^(١) وهل هناك قرابة أو نسب أقوى من هذا؟

((سيداً في أولياء الله)): وفي نسخة: ((سيد أولياء الله)): فيكون المقصود هو رسول الله صلى الله عليه وآله.

((مشرراً ناصحاً، مجداً كادحاً)): هكذا تصف السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام زوجها كأنه يشمر عن ثيابه نشاطاً وأستعداداً للعمل للإسلام ولصالح الإسلام في سبيل إسعاد المسلمين.

نعم كانت حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كلها جهوداً وجهاداً، ونشاطاً وإنتاجاً وإنجازاً وخدمة للإسلام والمسلمين.

((وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون)): كان علي عليه السلام يستقبل الأخطار والأهوال في الوقت الذي كان المسلمون بعيدين عن تلك الأخطار مشغولين بأنفسهم يتمتعون بالراحة، ويتفكرون في تحصيل الملذات وإشباع الرغبات.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

((تربصون بنا الدوائر)): فكان بعض أولئك الأفراد مندسين في صفوف المسلمين يتوقعون هلاك الرسول، وينتظرون نزول المكاره وحلول الكوارث برسول الله، والدوائر وصروف الزمان، والعواقب السيئة، وتحول النعمة وزوالها ونزول البلاء.

((وتتوكفون الأخبار)) تتوقعون وصول الأخبار الدالة على هلاكنا.

((وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال)): ففي يوم أحد كانت المأساة من فرار المسلمين، ويوم حُنين كانت الفضيحة ويوم خيبر كان العار منطبعاً على جبهات المهزيمين، ولا تسأل عن يوم الخندق حين أستولى الرعب على القلوب والفرز على النفوس حينما برز عمرو بن عبد ود فكفى الله المؤمنين القتال بعلي عليه السلام.

ثم أنتقلت ﷺ لبيان دور النفاق والمنافقين بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ ودورهم في إنحراف الأمة عن المسار الصحيح.

فقالت: ((فلما أختار الله لنبيه ﷺ دار أنبيائه)): وهي الدرجات العلا في الجنة، فهناك الأنبياء، وهناك ((مأوى أصفياه))

((ظهرت فيكم حسكة النفاق)): وفي نسخة: ((حسكية)): وهي الشوكة، ويراد بها العداوة وهي عداوة النفاق، أي العداوة الحاصلة بسبب النفاق.

((وسمل جلباب الدين)): وفي نسخة: ((أسمل)) وفي بعض النسخ: ((جلباب الإسلام)): أي ظهرت آثار الإندراس على ثياب الإسلام. بعد أن كانت في غابة الحسن والجمل والطراوة.

((ونطق كاظم الغاوين)): وفي نسخة: ((فنطق كاظم، ونيغ حامل)): أي تكلم الذي ما كان يتجرأ أن يتكلم من جهة الخوف.

((ونبيغ حامل الأفلين)): وفي نسخة: ((الأفلين)): والمقصود بروز الأفراد الساقطين غير النابهين.

((وهدر فنبق المبطلين)): وفي نسخة: ((فنبق الكفر)): أي رفع البعير - الفحل الذي لا يركب - صوته

((فخطر في عرصاتكم)): أي مشى ذلك البعير مشية المعجب بنفسه مشية الكبرياء والغرور وكلها كنايةات عن ظهور النفاق الكامن في الصدور وبروز النزعات والاتجاهات التي كانت محتفية في عصر الرسول ﷺ وأنقلاب الضعفاء العجزة أقوياء.

((وأطلع الشيطان رأسه من معرزه هاتفاً بكم)): تعتبر الزهراء عليها السلام إن الشيطان الذي كان محتفياً في عهد الرسول ﷺ يوم كان الإسلام في التقدم والقوة أخرج رأسه وهتف بكم ودعاكم إلى نقض البيعة التي تمت يوم الغدير.

((فألفاكم لدعوته مستجيبين)): وفي نسخة: ((فوجدكم لدعوته التي دعا إليها مجيبين)) أي حينما هتف بكم الشيطان وجدكم كما يجب، وصدق عليكم ظنه ((وللعزة فيه ملاحظين)): أي وجد الشيطان فيكم تجاوباً شديداً، وقبولاً للإمحاء، بلا تفكير ولا تعقل في الأمور.

((ثم أستنهضكم فوجدكم خفافاً)): أمركم بالقيام به فوجدكم مسرعين دون تناقل.

((وأحشكم فألقاكم غضاباً)): وفي نسخة: ((وجدكم غضاباً)): أي حملكم على الغضب وحرضكم عليه فوجدكم تغضبون لغضبه، والمقصود: وجدكم الشيطان متقادين لأوامره، مطيعين له في كل الأحوال.

((فوسمتم غير إبلکم)): فكانت النتيجة أنكم عملتم ما لا يجوز لكم أن تفعلوه وأنتخبتم من ليس بأهل الانتخاب، وأعطيتهم مقاليد الأمور غير أهلها، وخولتم القيادة إلى غير أكفائها.

((وأوردتم غير شربکم)): وفي نسخة: ((وأوردتموها شرباً ليس لكم)): كالراعي الذي ينزل إبله في عين ماء ليست له، والمقصود إنكم أخذتم ما ليس لكم الحق من الخلافة، والمراد التصرفات الشاذة التي قام بها الناس في تعيين الخليفة.

((هذا والعهد قريب)): حدث كل هذا التغيير والحل أن العهد قريب، أي لم يمض زمن بعيد عن أيام الرسول ﷺ إذ من الممكن أن الدين يتغير، أو المسلمون ينسون الأوامر والتعاليم بسبب مرور الزمان، ولكن -هنا- ليس الأمر كذلك فإنه لم يمض على وفاة الرسول أسبوعان.

((والكلم رحيب)): وهذا تعبير عن سعة الجراحات وعظم المصيبة وفضاعة الخطب.

((والجرح لما ينمل)): أي لم يلتئم جرح مصاب وفاة النبي ﷺ.

((والرسول لما يقصر)): أي ظهرت بوادر الانقلاب قبل دفن النبي ﷺ بل في تلك الساعات التي كان علي عليه السلام يغسل الرسول ﷺ ويكفنه فاجتمعتم وصنعتم ما صنعتم.

((إبتداراً زعمتم خوف الفتنة)): وفي نسخة: ((بداراً)): أي أسرعتم إلى تلك الأعمال بكل أستعجال، وتزعمون أنكم إنما فعلتم ما فعلتم وقاية عن وقوع الفتنة ومعنى زعم: أذعى شيئاً وهو يعلم كذبه، ومعنى -زعمتم- هنا: أذعيتم أنكم فعلتم تلك الأفعال لئلا تقع الفتنة، وكنتم تعلمون أنكم كاذبون في هذا الإدعاء.

((ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين)) الفتنة أنتم، وأنتم الفتنة، وعملكم هو الفتنة المفسدة، غصبتم الحقوق عن أهلها لأجل الوقاية من الفتنة حسب إدعائكم، وأي محنة أعظم من تغيير مجرى الإسلام وتبديل أحكامه وغصب حقوق أهل البيت.

((فهيئات منكم)): كلمة: (هيئات) معناها البعد وكأنها تستبعد تلك الأعمال منهم أستبعاداً مزوجاً بالتعب من أنهم كيف أقدموا على تلك الأعمال.

((وكيف بكم)): تتعجب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من ذلك التبذل في العقائد والسلوك أي كيف فعلتم هذه الأعمال؟ وكيف تليق بكم تلك الجنايات ((وأنى تؤفكون)): أي إلى أين صرفكم الشيطان عن طريقتكم المثلى، وحدا بكم إلى هذه الأعمال.

((وكتاب الله بين أظهركم)): أي والحال أن القرآن لا يزال موجوداً فيما بينكم محفوظاً بكم، وفي نسخة: ((وكتاب الله جزء بين أظهركم قائمة فرائضه، واضحة دلائله نيرة شرائعه)).

((أموره ظاهرة)): أي لا يوجد في القرآن ما يوجب الشك والإرتياب لأن أموره ظاهرة.

((وأحكامه زاهرة)): متألثة مشرقة.

((وأعلامه باهرة)): أي العلامات التي يستدل بها على القرآن غالبية النور والضياء.

((وزواجه لائحة)): أي نواهيه التي تزجركم عن إتباع الهوى واضحة.

((وأوامره واضحة)): الأوامر التي تأمركم بإطاعتنا وتعلم الأحكام منا، والإنقياد لنا ظاهرة.

((وقد خلفتموه وراء ظهوركم)): يا للأسف! إن القرآن الموصوف بهذه الأوصاف صار اليوم منبذاً وراء ظهوركم، لا تعملون به ولا تأخذون بقوله.

((أرغبة عنه تريدون؟؟)): هذا استفهام توبيخي، لأن الإنسان إذا ألقى الشيء وراءه فمعناه أنه لا يرغب إليه لهذا يدبر عنه.

((أم بغيره تحكمون؟)): أي تحكمون بغير القرآن من القوانين؟ إذ القرآن لا يصلح للعمل عندكم؟

((بئس للظالمين بدلاً)): بئس ذلك البديل الذي أخذتم به بدل القرآن، وهو الحكم الباطل.

((ثم لم تلبث إلا ريث أن تسكن نفرتها ويسلس قيادتها)): وهنا شبهت فاطمة عليها السلام الفتنة بالناقة أو الدابة الشاردة التي يصعب قيادتها أي الإستيلاء عليها بالركوب وهذه إشارة إلى إستيلائهم على الخلافة.

((ثم أخذتم توروبون وقدتها، وتهيجون جمرتها)): أي شرعتم بإثارة الفتن كالذي ينفخ في الجمره حتى تلتهب أو يحرك الجمره حتى تشتعل وتظهر نارها. لتحرق الرطب واليابس.

((وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي)): لأن الشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، ويحدثنا القرآن الكريم عن كلام الشيطان الغوي؟ نعم إن الأعمال التي قامت بها رجل السلطة ضد آل الرسول لم تكن إجابة وإستجابة لله ولرسوله، بل كانت استجابة للشيطان الغوي.

((وإطفاء أنوار الدين الجلي)): للدين الإسلامي أنوار يهدي بها الناس، وهي محاسن الأحكام والقوانين الروحاني التي يتمتع بها الدين، ويسعون لإطفاء تلك الأنوار.

((وإخاد سنن النبي الصفي)): وفي نسخة: ((إهماد)): أي القضاء على طريقة الرسول وهنا تشبيه السنة النبوية بالنور، وتشبيه القضاء عليه بالإخاد.

((تروبون حسواً في إرتغاء)): هذه الجملة تشير إلى قضية معروفة وهي إن اللبن حينما يُحلب تعلوه رغو فياتي الرجل فيظهر أنه يريد شرب الرغو فقط، ولكنه يشرب الماء سراً وبهذا يضرب المثل لمن يدعي شيئاً ويريد غيره. فهو يشرب اللبن سراً ولكنه يدعي أنه يحسو الرغو، فيقل فلان يرو حسواً في رتغاء. والإرتغاء شرب الرغو.

((وتمشون لأهله وولده في السراء والضراء)): وفي نسخة: ((في الخمر والضراء)) والخمر -بفتح الخاء والميم- هو ما يسترك من الشجر وغيره والضراء -بفتح الضاد وتحفيف الراء: الشجر الملتف، أو الأرض المنخفضة، والمقصود أنكم

تؤذون أهل رسول الله وأولاده بالكر والخديعة وبصورة سرية غير مكشوفة، لهذه الغاية قطعتم عنهم موارد الرزق ليكونوا فقراء ضعفاء مسلوبو الإمكانات كي لا يميل إليهم أحد.

((ونصير منكم على مثل حزّ المدي))؛ نحن نصبر منكم على الأذى والمكاره التي تصلنا منكم كمن يصبر على تقطع أعضائه بالسكين.

((ووخز السنان في الحشى))؛ مثل من طعنوه بسنان الرمح في أحشائه أي ليست القضية سهلة حتى يمكن التفاوضي عنها والتناهي، بل هي مأساة كبيرة وجريمة عظيمة.

((وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا))؛ وبعد هذا كله لتبرير موقفكم العدائي وتغطية أعمالكم تزعمون أي تدعون عذبا؛ أن لا إرث لنا من رسول الله ﷺ تنكرون أهم الأمور وأوضح الأشياء في الدين الإسلامي، وهو قانون الوراثة في القرآن والسنة.

((أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ))؛ وفي نسخة: ((تَبْتَغُونَ))؛ أدجت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هذه الآية في حديثها كما هي عاداتها بسبب إستئناسها بتلاوة القرآن نقول: إن إنكار الوراثة ليس في الحكم الإسلامي، فهل أعجبكم أن تحكموا بأحكام الجاهلية التي كانت تبعا للأهواء الفردية، منبعثة عن أغراض شخصية وهي حرمان البنات من الإرث، وتخصيص الإرث للذكور فقط.

((وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لَقَوْمٍ يُوقِنُونَ))؛ آية أخرى أدجتها في حديثها. وهل يوجد حكم أو قانون أحسن وأجل من حكم الله عند الذين يوقنون بالله؟

((بلى، تجلى لكم كالشمس الضاحية إني أبنته)): بلى الأمر واضح عندكم كالشمس التي تظهر في ضحوة النهار، في سماء صافية لا سحب فيها ولا ضباب، هكذا أتضح عندكم أني أبنته قطعاً وبلا شك.

((أفلا تعلمون؟)): هذه الأمور وهذه الحقائق؟ أو أفلا تعلمون أني أبنته

((أيها المسلمون)): الحاضرون المستمعون إلى خطابي، يا من رشحتم أبا بكر للخلافة يا أمة محمد أنا بنت محمد أنا ابنة رسول الله ﷺ.

((أغلب على إرثي)): يغلبوني على أخذ إرثي وحقي؟ وفي نسخة: ((أبتر إرث أبي)): أيسلبوني إرث أبي؟ والهاء - هنا - للوقف والسكون

((يا بن أبي قحافة)) هنا وجهت السيلة فاطمة الزهراء عليها السلام خطابها إلى رئيس الدولة، ولم تقل له: يا خليفة رسول الله لأن رسول الله ﷺ لم يستخلفه ولم تخاطبه بالكنية (يا أبا بكر) لأنه تعظيم له، وإنما قالت له يا بن أبي قحافة.

((أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟)): بأي قانون ترث أباك إذا مات ولا أرث أبي إذا مات؟؟ هل تعتمد على كتاب الله في منعي عن إرث أبي؟

((لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيئاً)): لقد جئت بإفراء عظيم، وكذب مخلق على القرآن

((أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟)): أليس هذا القرآن موجود عندكم؟ فلماذا تركتم العمل به وطرحتموه وراءكم؟

إذ يقول تعالى: ((وَوَرِّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ))^(١) أليس هذا تصريحاً بقانون التوارث والوراثة بين الأنبياء؟ أما كان سليمان وابنه داود من الأنبياء؟

إن المقصود من الإرث في هذه الآية هو إرث المال، ومعنى ذلك أن سليمان ورث أموال أبيه داود ولم يفهموا غير هذا.

قل تعالى: ((وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ))^(٢) أي وذوو الأرحام والقرباة بعضهم أحق بميراث بعضهم من غيرهم، وهذه الآية عامة في التوارث بين الأرحام والأقارب.

قل تعالى: ((يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ))^(٣) أي يأمركم الله ويفرض عليكم في توريث أولادكم إذا ورثتم للأبن مثل نصيب الأنثيين وهذه الآية أيضاً عامة في جميع المسلمين بلا تخصيص للأنبياء إنهم لا يورثون أولادهم.

قل تعالى: ((إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ))^(٤).

((وزعمتم أن لا حظوة لي)): أي ادعيتم أن لا نصيب ولا منزلة لي ((ولا إرث من أبي)) رسول الله ﷺ ((ولا رحم بيننا)) ولا قرابة ولا صلة لأنكم أنكروتم الوراثة الثابتة بيني وبين أبي، فقد أنكروتم كل صلة وعلاقة وقرابة بيني وبين أبي.

(١) سورة النمل، الآية: ١٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٠.

((أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي؟)) وفي نسخة ((أفحكم الله بآية)): إن آيات الإرث عامة وشاملة لجميع المسلمين، فهل أستثنى الله أبي من آيات الإرث فلا وراثه بين النبي وأهله؟

((أم تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟)): فالكافر لا يرث المسلم؟

((أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟)): هل تشكون في إسلامي وكوني مسلمة، وعلى شريعة الإسلام؟

يا للمصيبة ! لقد بلغ الأمر ببضعة رسول الله ﷺ وأبنته الوحيدة وسيدة نساء العالمين أن تتكلم هكذا، وتحتج بهذا المنطق؟ فإننا لله وإنا إليه راجعون.

((أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وأبن عمي؟)): إن آيات الإرث عامة فإن كانت مخصصة للرسول كان الرسول يعلم ذلك، ويخبر أبنته مع العلم أنه ﷺ لم يخبر أبنته ولا غيرها من الناس بهذا الحكم الخاص، وهل من المعقول أن يخفي رسول الله ﷺ هذا الحكم من أبنته مع شدة اتصالها به وكثرة تعلقه بها، وشدة الحاجة إلى بيان الحكم لها لثلاث تطالب بالإرث بعد وفاة أبيها الرسول ﷺ.

تقول فاطمة ؓ أم تقولون: أنكم أنتم أعلم بالقرآن وآياته الخاصة والعامة من أبي رسول الله ﷺ الذي نزل القرآن على قلبه؟ أم أنتم أعلم من ابن عمي علي بن أبي طالب باب مدينة علم رسول الله إذ لو كان الأمر هكذا لكان زوجي يخبرني، وما كان يأمرني أن أحضر في المسجد وأطالب بحقوقتي وإرث أبي.

((فدونكها مخطومة مرحولة)): إلى هنا كان الخطاب عاماً لجميع المسلمين الحاضرين في المسجد وهنا وجهت خطابها إلى رئيس الدولة وحده، وقالت:

(فدونكها): أي خذها، خذ فذك وشبهت فذك بالناقة التي عليها رحلها وخطامها والرحل للناقة كالسرج للفرس، والخطام: الزمام، والمقصود: خذ فذك جاهزة مهياً وفي هذا الكلام تهديد.

((تلقاك يوم حشرك)): إشارة إلى أن الإنسان يرى أعماله يوم القيامة قال تعالى: ((وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا))^(١).

((فتنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعود القيامة)) في ذلك اليوم الحكم الله الواحد القهار والذي يخاصمك هو سيد الأنبياء وهو أبي يوم الفصل الذي كان ميقاتاً وعند الله تجتمع الخصوم.

((وعند الساعة يخسر المبطلون)): يخسر الذين أدعوا الباطل، وادعوا ما ليس لهم.

((ولا ينفعكم إذ تنلمون)): لا ينفع الندم في ذلك اليوم، إذ الإنسان قد يندم في الدنيا على عمله فينفعه الندم إذ إنه لا يعود إلى ذلك العمل، ولكن في القيامة لا ينفع الندم إذ لا عمل هناك وإنما هو الحساب.

((ولكل نبأ مستقر فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم)): وهذا تهديد بعذاب الآخرة، الدائم المستمر.

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار وهم أهل المدينة الذين نصرُوا رسول الله لما هاجر من مكة إلى المدينة، وأستنصرتهم بعد أن ذكرتهم بسوابقهم المشرفة في عهد الرسول.

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

وقالت: ((يا معشر النقيية وأعضاء الملة وعضنة الإسلام)): أيتها الطائفة النجبية وأعوان الدين أيها المحافظون على الإسلام، أحتضنتم الإسلام كما تحتضن المرأة ولدها أو كما يحتضن الطائر بيضه.

((ما هذه الغمزية في حقي؟)): ما هذا التغافل والسكوت عن حقي؟

((والسنة عن ظلامي؟)): السنة - بكسر السين - الفتور في أول النوم والظلام: ما أخذ الظالم منك فتطلبه عنده، وتصف الزهراء عليهن السلام سكوتهم عن إسعافها بالسنة التي هي مقلمة للنوم الذي يفقد النائم فيه الشعور.

((أما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي يقول: المرء يحفظ في ولده؟)): أي تحفظ كرامة الإنسان يحفظ كرامة أولاده ورعاية حقوقهم، كما قيل: (لأجل عين ألف عين تكرم) أليس رسول الله أبي؟ ألسنت أبنته؟ أما ينبغي لكم أن تحترموا مكائني لأجل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

((سرعان ما أحدثتم وعجلان إذ إهالة)): تتعجب السيدة فاطمة من إسراعهم في إحداث الأمور، والإعتداء على آل الرسول صلى الله عليه وسلم والإهالة: الشحم، أو الشحم المذاب، وتستعجل هذه الكلمة لمن يخبر بالشيء قبل وقته، والمقصود: إنكم دبرتم الأمور ضدنا بكل استعجال وبكل سرعة.

((ولكم طاقة بما أحاول)): عنكم قدرة وإمكانية لإسعافي ومساعدتي ونصرتي في إسترجاع حقوقي المفصوبة التي أقصد إستردادها.

((وقوة على ما أطلب وأزاول)): لستم ضعفاء عجزين عن حمايتي والدفاع عني فما عذركم وما سبب سكوتكم؟

((أتقولون: مات محمد)): ومات دينه، وماتت كرامته وحرمته؟

أهذا جراًكم علينا أهل البيت؟

((فخطب جليل أستوسع وهنه وأنفتق رتقه)): أمر عظيم شديد بموت العظماء ثم توسع ضعفه كالطعنة التي توسع الشق في البدن.

((وأظلمت الأرض بغيبته)): لأن رسول الله ﷺ كان نوراً تستضيء به الأرض ومن عليهما بوفاته أظلمت الأرض. وتجد في القرآن آيات كثيرة تعبر عن رسول الله ﷺ بالنور كقوله تعالى: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ)^(١).

((وكسفت النجوم لمصيبته)): إن الضوء الذي تراه على وجه القمر وعلى بقية النجوم ما هو إلا انعكاس لنور الشمس على القمر والنجوم، فإذا زال نور الشمس إنكسفت النجوم وزال عنها الضوء.

((وأكدت الآمل)): أي انقطعت الآمل التي كانت منوطة برسول الله ﷺ بسبب وفاته وذلك كما يقال: خابت الظنون وانقطعت الآمل.

((وخشعت الجبال)): من هول الفاجعة، وعظم الواقعة حتى الجمادات تتأثر بالحوادث العظيمة، كما قل تعالى: ((لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مَتَّصِدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ))^(٢).

((وأضيع الحريم)): الحريم: ما يحميه الرجل ويقاتل عنه، والمقصود -هنا- حريم آل الرسول وهم عترته الطيبة، نعم، ضاع حريمه أي ضياع! وانتهكت حرمة!

(١) سورة المائدة، الآية: ١٥.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٢١.

ملحق خطبة فاطمة عليها السلام (٢) :

((وأزيلت الحرمه عند مماته)): أي غُلبت.

((فتلك -والله- النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى)): إن مصيبة وفاة العظماء تكون عظيمة، فكلما كانت عظمة المتوفى أكثر كانت مصيبة وفاته أعظم وأفجع، ولقد كان رسول الله ﷺ أشرف المخلوقات وأطهر كائن على الأرض.

((لا مثلها نازلة)): لا توجد في العالم مصيبة كبيرة كمصيبة وفاة الرسول ﷺ.

((ولا بائقة عاجلة)): أي لا مثلها داهية في القريب العجل، إذ من الممكن أن تحدث في العالم حادثة أعظم وقعاً من وفاة الرسول ﷺ وهي حادثة قيام الساعة وقيام القيامة.

قال أمير المؤمنين في وصف مصيبة وفاة الرسول ﷺ بقوله: ((فنزول بي من وفاة رسول الله ﷺ ما لم أكن أظن الجبال لو حملته عنوة كانت تنهض به، فرأيت الناس من أهل بيتي ما بين جازع لا يملك جزعه، ولا يضبط نفسه، ولا يقوى على حمل فادح ما نزل به، قد أذهب الجزع صبره، وأذهله عقله، وحال بينه وبين الفهم والإنهام، والقول والاستماع)).

((أعلن بها كتاب الله -سجل ثناؤه- في أفنيتكم)): أعلن القرآن الكريم بوفاة الرسول في جوانبكم ونواحيكم، أي القرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار.

((في محاسم ومصبحكم)): مساءً وصبلاً كنتم تسمعون الآيات التي تخبر عن وفاة الرسول (هتافاً وصرخاً) كان الإعلان بوفاة الرسول بأنواع مختلفة: بالهاتف وهو القراءة مع الصوت والصراخ وهو القراءة بالصوت الشديد.

((وتلاوة وألحاناً)): بالتلاوة إذا كانت القراءة سريعة وبالألحان إذا كانت بتأمل وتأنٍ.

((و ولقلبه ما حلُّ بأنبيائه ورسله حكم فصل، وقضاء حتم)): إن الموت الذي حل بالأنبياء الذين كانوا قبل الرسول الأعظم ﷺ كان من الأحكام المقطوع بها التي لا شك فيها، والقضاء الذي لا يقبل التغيير، والمقصود: أن الموت هو سنة الله في عباده من أنبياء وغيرهم، ثم أستدلت على كلامها بقول الله تعالى: ((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَتَقَلَّبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ))^(١) ووجه الاستدلال بالآية أن محمداً رسول الله ﷺ وقد مضت من قبله الأنبياء ومات قبله المرسلون.

((إيهأ بني قيلة)): إيهأ بمعنى هيهات، وبمعنى الأمر بالسكون، أو بمعنى طلب الزيادة من التحدث يا أولاد قيلة، وهم الأوس والخزرج.

((أهضم تراث أبي؟)): والمعنى: هل يظلمونني في إرث أبي؟

((وأنتم بمرأى مني ومسمع)): والحال أنتم في مجلس ومكان يجمع بيني وبينكم، والمقصود: أنتم حاضررون وتسمعون كلامي وشكايتي، وترون حالي ومظلوميته ((تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة)): تحيط بكم دعوتي وندائي ويشملكم العلم وتعلمون الخبر.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

((وأنتم ذوو العدد والعدة)): وأنتم أصحاب العدد الكثير والتأهب والاستعداد أي لستم قليلين حتى تعتذروا بقلّة العدد بل أنتم ذو العدد الكامل.

((والأداة والقوة وعندكم السلاح والجُنّة)): عندكم القدرة والإمكانية لنصرتي كما عندكم الأسلحة التي حاربتم بها وجاهدتم في سبيل الله.

((توافيكم الدعوة فلا تحييون)): تبلغكم دعوتي وإستغاثتي فلا تحييونني؟

((وتأتيتكم الصرخة فلا تعينون)): تأتيكم صرختي: أي صرخة المظلومية والأضطهاد فلا تعينوني؟

((وأنتم موصوفون بالكفاح)): أي الجهاد في سبيل الله، وأستقبال العدو ومباشرة الحرب.

((معروفون بالخير والصلاح والنخبة التي أنتخبت)): إن رسول الله ﷺ أنتخب المدينة وأنتخبكم لهذه الغايات والصفات فاختاركم لنصرته، ولهذا هاجر إليكم.

((قاتلتم العرب وتحملتم الكد والتعب)): تحملتم الحر والبرد والتضحية ألم الجراح من أجل نصرة النبي وإعلاء كلمة الإسلام.

((وناطحتم الأمم وكافحتم البهم)): قاتلتم الملل المختلفة من اليهود والنصارى بدون ضعف وتواني.

((لا نبرح أو تبرحون)): أي لا نبرح ولا تبرحون (نأمركم فتأتمرون): أي كنا لم نزل أمرين وكنتم لأوامرنا مطيعين.

((حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام)): حتى إذا أنتظم أمر الإسلام بمساعينا وسببنا ودارت رحى الإسلام دوراناً صحيحاً منتظماً.

((ودر حلب الأيام)): كثرت الخيرات والغنائم بسبب الفتوحات كاللبن الذي يدر من الثدي.

((وخضعت ثغرة الشرك)): ذلت رقاب المشركين وخياشيمهم للإسلام وسقطوا عن الاعتبار.

((وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر)): أي سكتت أصوات الكذب ونيران الحرب التي كان الكفار يؤججونها.

((وهدأت دعوة المهرج وأستوسق نظام الدين)): سكنت دعوة الفتنة والباطل وانتظم أمر الدين بعدما كان متشتتاً.

((فأنى حرتم بعد البيان وأسررتم بعد الإعلان؟)): كيف وقعتم في وادي الحيرة: وكيف أخفيتم أشياء كانت معلنة أو كنتم تتجاهرون بها.

((ونكصتم بعد الإقدام وأشركتم بعد الإيمان؟)): كيف رجعتم القهقري بعد إقدامكم على الإسلام ثم أشركتم بالله بمخالفتكم للرسول ﷺ في أمر عترته.

((ألا: قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض)): أي أعلم أنكم قد أقمتم على الراحة وسعة العيش.

((وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض)): أبعدتم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو أحق وأولى بولاية الأمور، والتصرف في قضايا الإسلام من غيره

((وخلوتم بالدعة ونجوتم من الضيق والسعة)): أي أنفردتم بالراحة والسكون لأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لا يهلان ولا يصانع ولا يفضل أحداً على أحد بالعطف

وهذا ضيق بالنسبة لكم ولهذا نجوتم من هذا الضيق وانتقلتم إلى من هو طوع
أمركم، سلس القيادة، يفعل ما تشاؤون ويحكم بما تريدون.

((فمجتبم ما وعيتم ودستتم النبي تسوغتم)): أي رميتم من أفواهكم ما حظتم
ثم تقيأتم الشيء الذي شربتموه بسهولة ولذة.

المقصود الانسحاب عن الدين ورفض الإيمان ثم الآية: ((إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ
فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ))^(١).

((ألا: قد قلت ما قلت على معرفة مني بلخذلة التي خامرتكم)): تقول ﷺ أنا
أعلم أجهاتكم، وأعرف نفسياتكم، وحينما خطبت فيكم وأستهضتكم كنت
أعلم بأنكم لا تنصرونني ولا تسعفونني.

((والغدرة التي أستشعرتها قلوبكم)): أستشعر التوب إذا جعله شعاراً أي جعله
متصلاً بجسده، ملاصقاً لبدنه، تقول ﷺ: أنا أعرف الغدر الملاصق بقلوبكم،
الغدر الذي جعلتها قلوبكم شعاراً لها، والغدر ضد الوفاء، أي لا أنتظر منكم
الوفاء لمعرفة الغدرة الموجودة في قلوبكم.

((ولكنها فيضة النفس ونفثة الغيظ)): وهذا تعبير عن شلة الآلام التي تحملها
الزهراء فإنها أصبحت تفيض كما يفيض الإناء إذا امتلأ بالماء. وكذلك آثار
الغضب الموجود لديها.

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٨

((وخور القنا وبثه الصدر)) أي انها ضعفت كما يضعف الرمح من كثرة الطعن. ثم الهم الذي لا يقدر صاحبه على كتمانها فيظهره. قل يعقوب عليه السلام: (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي) ^(١): أي همي.

((وتقدمة الحجة)): إني خطبت فيكم، وقلت ما قلت لا طمعاً في نصرتكم ولا رجاء في حمايتكم، ولكن إعلامكم قبل كل ما يلزم، وذكر كل دليل وبرهان وحجة على ما أقول لثلاث تعذروا يوم القيامة.

((فدونكم إياها فأحتقبوها دبيرة الظهر)): خذوا الخلافة وشدوا عليها حقائبكم وكأنها ناقة مجروحة الظهر، ((نقبة الخف)): دقيقة الخف.

((باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد)): دائمة الخزي في الدنيا وفي الآخرة الذي ينتهي بكم إلى: ((نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦٦﴾)) التي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ ﴿٧٧﴾)) ^(٢) التي تحرق الظاهر والباطن، وتصل إلى الأفئدة والقلوب.

((فبعين الله ما تفعلون)): إن الله تعالى يرى أعمالكم وأفعالكم ولا يغيب عنه ولا يخفى عليه شيء قل تعالى: ((وَسَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)) ^(٣).

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٦

(٢) سورة الحمزة، الآيتين: ٦-٧.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

((وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد)): إشارة إلى قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا))^(١) أنا ابنة محمد ﷺ الذي أُنذركم بعذاب الله الذي أعده للظالمين.

((فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون)): أي أعملوا ما شئتم فإنا عاملون ما يجب علينا من الصبر والتحمل ثم أنتظروا عواقب أفعالكم ونحن ننتظر عواقب صبرنا.

وبعد الحوار الذي دار بينها وبين أبي بكر وجهت السيدة فاطمة عليها السلام عتابها الأخير إلى الجماهير المتجمهرة التي كانت تستمع إلى ذلك الحوار الحاد فقالت ((معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل)): أي القول الباطل، حينما قلدتم هذا الرجل ما قلدتم، وأنفقتم معه -حسب إدعائه- على غضب حقوقي.

((المغضية على الفعل القبيح الخاسر)): الإغضاء هو إدناء الجفون على العين كالذي ينظر إلى الأرض أو ينظر في حجره، كناية عن السكوت والرضا بالفعل القبيح الخاسر. ((أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا))^(٢) هل نسيتم الآيات النازلة فينا؟ أولم تفهموا الآيات التي تلوتها في وراثة الأنبياء؟ أم قلوبكم مقفلة مغلقة فلا تنفتح لكلام الله وأحكامه في القرآن؟ ((كلا)): ليس السبب عدم التدبر في القرآن ((بل ران على قلوبكم ما أسأت من أعمالكم)): أي غلب على قلوبكم وغطاها سوء أعمالكم.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٢) سورة محمد الآية: ٢٤.

((فأخذ بسمعكم وأبصاركم)): كالغفلة المستولية على القلب، المؤثرة على السمع والبصر، فلا يسمع الغافل الصوت ولا يبصر الشيء بسبب أنشغال قلبه وغفلته ((وبئس ما تأولتم)): في آيات القرآن وأحكام الإسلام وتغييرها عن مجراها الحقيقي.

((وساء ما به أشرتم)): تقصد التعاون والاتفاق على غضب حقوق آل محمد ﷺ.

((وشر ما منه اعتضتم)): أي أساء ما أخذتم به عوضاً عما تركتم أي بئس الباطل الذي أخذتموه عوضاً عن الحق، وكلها كنايات وإشارات يفهمها العقلاء.

((لتجدن -والله- محمله ثقيلاً وغبه وبيلاً)): إشارة إلى المسؤولية الكبرى يوم القيامة.

((إذا كشف لكم الغطاء)): إذا تمم وأنقلتم إلى عالم الجزاء.

((وبان ما وراءه الضراء)): وظهر لكم الشيء الذي وراءه الشدة.

((وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحسبون)): ((وَوَحَّسِرَ هُنَالِكَ الْمُتْبَلُونَ))^(١)

وهكذا أدمجت السيدة فاطمة حديثها وخطابها مع الآيات القرآنية المناسبة للمقام

هكذا أتمت السيدة فاطمة عليها السلام الحججة على الجميع، وأدت ما عليها من

الواجبات وبثت آلامها في سجل التاريخ:

(١) سورة غافر، الآية: ٧٨.

ثم عطفت على قبر أبيها رسول الله ﷺ وقالت:

قد كان بعدك أبناء ومنبته^(١)
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها^(٢)
وكل أهلٍ له قربي ومنزلة
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم
تجهمتنا رجال وأستخف بنا
وكنت بدمراً ونوراً يستضاء به
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا
فليت قبلك كان الموت صادفنا
إننا رزينا بما لم يرز ذو شجن^٣
سيعلم المتولي ظلم حامتنا
وسوف نبيك ما عشنا وما بقيت
وقد رزينا به محضاً خليفته
فأنت خير عباد الله كلهم
وكان جبريل روح القدس زائرنا
ضأقت عليّ بلاد بعدما رحبت

لو كنت شاهدا لم تكثر الخطبُ
وأختل قومك فاشهدهم وقد نكبوا^(٣)
عند الإله على الأذنين مقربُ
لما مضيت وحالت دونك التربُ
لما فقدت، وكل الإرث مغتصبُ
عليك تنزل من ذي العزة الكتبُ
فقد فُقدت فكل الخير محتجبُ
لما مضيت وحالت دونك الكتبُ
من البرية لا عجم ولا عربُ
يوم القيامة أنى سوف ينقلبُ
له العيون بتهمال له سكبُ
صافي الضرائب والأعراف والنسبُ
وأصلق الناس حين الصلح والكذبُ
فغاب عنا فكل الخير محتجبُ
وسيم سبطاك خسفاً فيه لي نصبُ

(١) المنبته: الأمر الشديد المختلف.

(٢) الوابل: المطر الغزير.

(٣) نكبوا: عدلوا عن الطريق.

وقيل أن هذه الأبيات لهند بنت أبان بن عبد المطلب تمثلت بها السيدة فاطمة. حين ألفت بنفسها على قبر أبيها وهي تشد هذه الأبيات.

الخطبة الثانية وبيانها:

حديث فاطمة الزهراء عليها السلام مع نساء المهاجرين والأنصار:

((أصبحت -والله- عائفة لديناكن)): لقد أبدت تنفرها عن الحياة الدنيا وكرهتها لذلك المجتمع الذي لا يؤمن بالقيم.

((قالية لرجالكن)): ويحق لها أن تبدي أشتزازها وغضبها على رجل المدينة الذين كان موقفهم تجاه السيدة فاطمة الزهراء موقفاً غير طيب، فلقد مر عليك أنهم أبدأوا أنزعاجهم من بكاء السيدة فاطمة الزهراء على فقد أبيها الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتجاوبوا معها في إسعافها والوقوف معها.

((لفظتهم بعد أن عجمتهم)): أي رميتهم من فمي بعد أن عضضتهم، كما يرمي أحدنا اللقمة من فمه ويشمئز منها.

((وشنأتهم بعد أن سبرتهم)): أي أبغضهم ومللتهم بعد أن أختبرتهم، وكرهتهم بقلبي سوء تصرفاتهم.

((فقبحاً لفلول الحد)): شبهت السيدة فاطمة عليها السلام رجل أهل المدينة بالسيف الذي انثلم حده فلا يقطع، إشارة إلى قعودهم عن نصرتها، وخذلانهم إياها، فكأنها عليها السلام تستقبح فيهم سكوتهم عما جرى على بنت نبيهم من الظلم والاضطهاد ((والالعب بعد الحد)): والمقصود عدم المبالاة بلحق بعد اهتمامهم

بذلك فإنهم كانوا جادين في نصره الإسلام، ولكن الآن صاروا وكأنهم يلعبون ألعاباً سياسية.

((وقرع الصفة وصدع القننة)): أي التذلل والانقياد لكل من قادمهم.

((وخطل الآراء وزلل الأهواء)): إشارة إلى إنحراف آرائهم وفسادها وشذوذ مواقفهم السلبية. التي لعبت بمقدرات المسلمين على مر التاريخ، وتلك العثرات المنبعثة عن إتباع الأهواء الضالة المضلة، ومن مشتبهات الأنفس.

قال تعالى: ((لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ))^(١).

((لا جرم لقد قلدتم ربقتها)): لقد ألفت ﷺ مسؤولية الأجيال كلها على أعناق أولئك الأفراد لأن حضورها المسجد وخطبتها أتمت الحجة على الحاضرين وأستنجدت بالمهاجرين والأنصار فثبت التكليف الشرعي في حقهم وحيث إنهم لم ينصروها فهم مؤولون.

((وحملتهم أوقتها وشننت عليهم عارها)): شننت الماء على التراب: أرسلته وصيبته بصورة متفرقة والمعنى: إن عليهم سبة التاريخ وعاره للأبد بسبب ذلك الجفاء الذي أبدوه تجاه أهل البيت.

((فجدعاً وعقرأً وسحقاً للقوم الظالمين)): وهذا دعاء عليهم بسبب ظلمهم لآل الرسول.

((ويحهم!!)): ويح: كلمة تستعمل في مقام التعجب، وقد يكون معناها الويل.

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٠

((أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة؟)): تتعجب فاطمة عليها السلام من سوء اختيارهم أي كيف نحوا خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مواضعها الثابتة التي هي بمنزلة الجبال لحركة الأرض وسيرها بصورة منظمة وحفظها من الاضطراب.

((وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين)): القواعد: جمع قاعدة وهي -هنا- الأساس للبناء، فكما أن البناء يحتاج أساس قوي ومتين فإن الخلافة أيضاً تحتاج قواعد شرعية ونظام إلهي.

((والطيبين بأمر الدنيا والدين)): الفطن الحلاق بأمر الدنيا المتعلقة بالحياة وكذلك القضايا المتعلقة بالدين في جميع المجالات وشتى الأحكام ونقصد بذلك أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وتخص إمام المتقين عليه السلام.

((آلَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ))^(١): نعم انه الخسران الكبير الذي خسرتة الأمة الإسلامية حين سلبت السلطة من أهل البيت عليهم السلام إن المآسي التي شملت الأمة الإسلامية (عبر التاريخ) مما تقشعر منها الجلود وتضطرب منها القلوب، كل ذلك من جراء القيادة غير الرشيدة التي تسلمها أفراد من هذه الأمة. نعم الخسران المبين، ولا يزال الحبل ممدوداً حتى اليوم وبعد اليوم.

((وما الذي نعموا من أبي الحسن؟)): أي: شيء عابوه من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حتى أبعده عن السلطة وقدموا غيره عليه؟

أنقصاً في العلم؟

أو جهلاً في الفتيا؟

(١) سورة الزمر، الآية: ١٥.

أو سوءاً في الخلق؟

أو ضعفاً في الدين؟

كان علي عليه السلام أعلم هذه الأمة جمعاء، وهو باب مدينة علم الرسول وأقضاءهم في الفتوى.

وأشبهه الناس خلقاً برسول الله ﷺ

((نقموا منه -والله- نكير سيفه)): أي عابوا شدة سيفه، والمقصود أن علياً كان قد قتل في حروب الفتوحات الإسلامية هؤلاء وأسلافهم.

((وقلة مبالاته بحتفه)): أي عدم اهتمامه وأكثرائه بالموت.

((وشدة وطأته ونكال وقعته)): يقال: فلان شديد الوطأة أي شديد الأخذ وشديد القبض.

((وتنمره في ذات الله عز وجل)): النمر شديد الغضب، إذا غضب لنفسه لم يبالي: قل أعداءه أم كثروا، وكذلك علي عليه السلام لا يردده شيء ولا يحول دون هدفه حائل ولا يمنعه مانع من تحقيق رسالته.

عن أبي زيد النحوي قال: سألت الخليل بن أحمد العروضي فقلت: لِمَ هجر الناس علياً عليه السلام وقربه من رسول الله ﷺ وموضعه من المسلمين، وعناؤه في الإسلام؟

فقال: تبهر-والله- نوره أنوارهم، وغلبهم على صفو كل منهل، والناس إلى أشكالهم أميل.

والمقصود أنهم عابوا علياً على فضائله ومناقبه، وعلى إنجازاته وخدماته وعلى شجاعته وتضحياته، وجهاده وبطولاته.

((والله لو تكافوا عن ذمام نبذ رسول الله ﷺ إليه لاعتقله)): شبهت السيدة فاطمة ؓ المجتمع الإسلامي أو الأمة الإسلامية بالقافلة وشبهت الخلافة والقيادة الإسلامية بالزمام وهو المقود أي الحبل الذي يقاد به البعير، وشبهت علياً ؓ بالدليل الذي يتقدم القافلة ويأخذ بزمام البعير ليقود المسيرة.

ولم تنس السيدة فاطمة ؓ أن تقول: (نبذ رسول الله إليه) أي إن القيادة الإسلامية إنما صارت لعلي ؓ بأمر رسول الله ﷺ حين قام في الناس رافعاً صوته: ((من كنت مولاه فعلي مولاه)).

وبعد هذا تقسم بالله قائلة: ((والله)): فالسألة مهمة وعظيمة جداً جداً وتستحق أن يقسم الإنسان بالله لأجلها.

((لو تكافوا)): أي كفوا أيديهم، أي منع بعضهم بعضاً بحيث لو أراد أحدهم تناوله منعه الآخرون ((لأعتقله)): أي أعتق علي ؓ الزمام أي قام بالواجب كما ينبغي وقلد المسيرة على أحسن ما يتصور، وأفضل ما يرام ثم وصفت ؓ نتائج تلك القيادة الرشيدة لو كان يفسح لها المجال، وذكرت الفوائد والمنافع والخيرات والبركات التي كانت تعم الأمة الإسلامية على مر القرون.

((ثم لسار بهم سيراً سجعاً)): أي سار القائد بالمسيرة سيراً ليناً سهلاً، بكل هدوء وطمأنينة.

((لا يكلم خشاشة ولا يتتبع راكبه)): أي الحبل أو الخشب الذي جعل في أنف البعير ويقال له الخشاش، لا يجرح أنف البعير، ولا ينزعج راكب البعير، والمقصود: سلامة الراكب عن كل مشقة حل السير.

((ولأوردهم منهلاً غيراً فضفاضاً)): إن الدليل الذي يتقدم القافلة لا بد وأن ينزل بهم منزلاً حسناً، ومكاناً لائقاً للراحة على شاطئ نهر أو عين ماء، ليأخذوا حاجتهم من الماء، ويسقوا دوابهم وغير ذلك.

تقول فاطمة عليها السلام: كان علي عليه السلام يقود المسيرة إلى منهل غير والمنهل: المورد أي محل ورود الإبل، والنمير: العذب، النابع من عين لا ينقطع ماؤها والفضفاض الواسع.

((تطفح ضفته ولا يترنق جانبه)): النهر إذا كان ممتلئ يفيض جانبه وإذا كان عذباً لا يتكدر جانبه بالطين كما هو الشاهد من تكدر الماء بالطين على جوانب النهر وحتى البحر.

((ولأصدرهم بطاناً)): وكانت نتيجة ذلك الورود هو الصدور من المنهل، والخروج من ذلك المورد بالشبع والإرتواء، فلا جوع ولا حرمان ولا فقر ولا مسكنة

((ونصح لهم سراً وإعلاناً)): النصيح: حب الخير، وعدم الغش، والمعنى: أن علياً كان يسعى في إسعادهم وجلب الخير لهم بصورة سرية وعلنية، أي ما كان يطلب من وراء تلك القيادة إلا الخير للناس وللإسلام لا لنفسه.

((ولم يكن يحلّي من الغنى بطائل، ولا يحظى من الدنيا بنائل، غير ري الناهل وشبعة الكافل)): وهنا تذكر السيدة فاطمة عليها السلام موقف زوجها من تلك القيادة والزعامة العامة.

((ولم يكن يحلّي من الغنى بطائل)): أي ما كان ينال من توارث الدنيا بالعطاء ((ولا يحظى من الدنيا بنائل)) سوى مقدار إرواء نفسه من العطش، وإشباع عائلته من الجوع.

ثم لو كان علي جالساً على منصة الحكم ما كان يستفيد من أموال الناس لنفسه فائدة كثيرة، وما كان يصيب من بيوت الأموال لنفسه فائدة كثيرة.

((ولبان لهم الزاهد من الراغب)): إن السيدة فاطمة عليها السلام ولا تزال توالي حديثها عن زوجها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وإنه لو كان يستلم القيادة كان ينع من الدنيا بالشيء اليسير اليسير، وذلك بمقدار إرواء عطشه وإشباع عائلته.

((والصديق من الكاذب)): وظهر لهم الصديق الذي يصلق في أقواله وأفعاله من الكذب الذي يكذب في إدعاءاته وتصرفاته.

ثم أنها عليها السلام ختمت هذه المقطوعة من حديثها بالآية الكريمة، ((وَكُورَ أَنْ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَّخْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكَيْنَ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))^(١). تقول السيدة فاطمة عليها السلام أن الناس لو كانوا يقبلون كلام الرسول صلى الله عليه وآله في تعيين علي عليه السلام بالخلافة وكانوا يتقادون له لكانت الدنيا لهم روحاً وريحاناً وجنة نعيم.

(١) سورة الاعراف، الآية: ٩٦.

ولكنهم خالفوه وأختاروا غيره وبفعلهم هذا كذبوا رسول الله ﷺ تكذيباً عملياً فسوف يشاهدون الويلات تنصب عليهم.

((ألا هلم واستمع وما عشت أراك الدهر عجباً)): أي كلما عشت في الدنيا رأيت العجائب التي لا تخطر على بال أحد. ((وإن تعجب فعجب قولهم))^(١) والمقصود أن الناس يتعجبون من بعض الأمور وليست بعجبية ولا تستحق التعجب وهناك أمور وقضايا عجيبة ينبغي أن يتعجب منها لأنها أمور لا تنجم مع الشرع ولا مع العقل ولا الوجدان ولا الضمير ولا تدخل تحت أي مقياس من المقاييس الصحيحة.

((ليت شعري إلى أي سناد أستندوا؟)) إن الناس كانوا يستندون على رسول الله ﷺ وينقادون له، ويعتمدون على أقواله، ويطيعون أوامره من حيث أنه رسول الله لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

((وبأية عروة تمسكوا؟)): لقد ثبت عند المسلمين كلام رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنكم ما أن تمسكتم بهما)): والمعنى أن الرسول أمر المسلمين أن يتمسكوا بالقرآن والعترة معاً. ولكن هؤلاء بأية عروة تمسكوا وتعلقوا واعتصموا؟.

((وعلى أية ذرية أقدموا وأحتنكوا؟)): أي علم هؤلاء من هي فاطمة الزهراء؟ ومن هم الذرية الطاهرة الشريفة الذي أمر الله بمودتهم بقوله: ((قل لَأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى))^(٢) الذين مثلهم كمثل سفينة نوح، من ركبها

(١) سورة الرعد، الآية: ٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

نجي ومن تخلف عنها هوى وغوى وهلك، الذين من أحبهم فقد أحب الله، ومن آذاهم فقد آذى الله ومن أبغضهم فقد أبغض الله.

((لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ))^(١) أي أن الذي اختاروه للولاية بشس المولى وبشس العشير، والعشير هو الصديق الذي ينتخب للمعاشرة.

((استبدلوا -الله- الذنابا بالقوادم والعجز بالكاهل)): من جملة العلوم التي لها الصدارة على بقية العلوم هو علم الاجتماع، وهو علم يبحث عن تقدم الأمم أو تأخرها، أسباب ضعفها أو قوتها، صلاحها وفسادها، ونتائج الصلاح ومضاعفة الفساد قال رسول الله ﷺ: ((طائفتان من أمتي إذا صلحتا صلح الناس، وإذا فسدتا فسدتا الناس: العلماء والأمرء)) في ذلك اليوم كان جهاز الدولة وجهاز الدين واحداً يدار من قبل الخليفة.

((فرغماً لمعاطس قوم محسبون أنهم يحسنون صنعا)): إنها تدعوا على قوم الذل والهوان، وهو إرغام أنوفهم، وهم الذين يظنون أنهم مهتدون في أعمالهم ومصالحون في تصرفاتهم.

والحال: قال تعالى: ((أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَكَانَ لَأَ شَعْرُونَ))^(٢): وهل يشعر المنحرف أنه منحرف وشاذ؟ بل بالعكس، يتصور أنه هو المهتدي المعتدل المستقيم، وأنه على الحق وأن غيره على الباطل ولا يؤثر فيه المنطق ولا ينفع فيه الدليل والبرهان.

(١) سورة الحج، الآية: ١٣.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٢.

((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾))^(١).

ثم أدمجت آية أخرى في كلامها بالمناسبة فقالت:

ويجهم! ((أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ))^(٢). وهذه الآية الشريفة تشير إلى بحث الهداية والمقارنة بين الذي يهدي إلى الحق، ويرشد الناس إلى الطريق وبين الذي لا يهتلي ولا يعرف الطريق إلا أن يهدي أي يهديه غيره أيهم أحق بالإتباع؟ وهذه إشارة إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

((أما لعمرى! لقد لقحت)) لقحت جرثومة الفتنة في الأمة الإسلامية، والفتنة في طريقها إلى التوسع والانتشار.

((فنظرة ريشما تنتج)) أي أنتظروا حتى تنتشر الميكروبات في هيكل المجتمع الإسلامي فبعد أن كانت القيادة الصالحة اللائقة تقود المسلمين وإذا بقيادة معاكسة ومغايرة لها تماماً تزامها وتحل محلها.

((ثم أحتلبوا ملق القعب دماً عيبطاً)) الناقة إذا ولدت يحلب منها اللبن، ولكن الفتنة إذا لقحت وأنتجت يحلب منها الدم لا اللبن، أي تتكون المجازر والمذابح، فبعد أن كان الدين الإسلامي دين الأمن والحياة والسلام والواقع وإذا به ينقلب مفهومه لدى هؤلاء فيصبح دين الإبادة والهلاك والدمار والفتنة. والقعب: القدح الكبير الفخم.

(١) سورة الكهف، الآيتين: ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٥.

((وذعافاً مقرأً مبيداً)): أي أحتلبوا الدم ، وأحتلبوا السم المر المهلك، والمقصود منها: النتائج السيئة التي عمَّ شؤمها الإسلام والمسلمين من الولايات والمصائب التي أنصبت على المسلمين.

((هنالك يخسر المبطلون)): أي عند ذلك يظهر خسران المبطلين.

((ويعرف التالون غباً ما أسسه الأولون)) يعرف الآخرون عقبة الأعمال التي أسسها الأولون.

((ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً)) يقال: طب نفساً أي أسكن واهدأ عن القلق وهذا كما يقال للظالم: قرت عينك، أو بشراك وأمثالها من الكلمات التي يراد بها العكس في الكلام لا الحقيقة.

((واطمانوا للفتنة جأشاً)) أي فلتسكن للفتنة قلوبكم، وهذا أيضاً يراد به العكس فإن القلب لا يسكن للفتنة وإنما يسكن للأمان والسلامة.

((وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم)) هذه الكلمة على غرار قوله تعالى: ((فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))^(١). وهذه الكلمة أو الجملة أيضاً على العكس.

((وهرج شامل وأستبداد من الظالمين)) الهرج: الفتنة والفوضى وأختلال الأمور أما الأستبداد: الدكتاتورية، والعمل على خلاف المقاييس والموازن، لا تحت أي نظام أو قانون أو شريعة أو دين.

(١) سورة آل عمران، الآية ٢١.

((يدع فينكم زهيداً وجمعكم حصيداً)) إن الأستبداد سيف صارم وسطوة معتد غاشم، يدع فينكم زهيداً: أي يجعل حقوقكم المالية قليلة- ثم يحصد جمعكم بسيفه.

وختمت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام خطابها للنساء بهذه الجملة:

((فيا حسرت لكم)) والمعنى: يا لكم من حسرة وندامة على ما فاتكم من الخير والهداية والأمن والأمان والأجر والثواب في الدنيا والآخرة.

((وأنى بكم؟)) أي ما أدري إلى ما يصير أمركم وقد سلكتن عن طريق الهداية ووقعتم في موارد الهلكة والخسران.

((وقد عميت عليكم)): أي خفيت عليكم الحقائق بسبب قلة تدبركم فيها: ((أَنْلِزِمُكُمْوَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ))^(١): أي تريدون مني أن أكرهكم على المعرفة وأجلكم إليها على كره منكم؟.

ولقد اعتذروا لها فيا لسخافة الأعتذار حيث قالوا: ((لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد ونحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره)) سبحانه الله! أما أبرتم العهد؟ أما أحكمتم العقد يوم الغدير؟ وبايعتم علياً بالخلافة بأمر الله وأمر رسوله؟ فهل كنتم تلعبون يومذاك تستهزئون بالله ورسوله؟

ولهذا طردتهم السيلة فاطمة من بيتها، وقالت لهم: ((إليكم عني)) تباعدوا عني، أمسكوا كلامكم عني (فلا عذر بعد تعذيركم): التعذير: التقصير في الأعتذار،

(١) سورة هود الآية: ٢٨.

والمعذّر: المقصر الذي يرك إنه معذور ولا عذر له، قل تعالى: ((وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ
مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ))^(١).

مجمل وصايا فاطمة الزهراء:

لقد حان لها أن تكاشف زوجها بما أضمرته في صدرها من الوصايا التي يجب تنفيذها ولو بأغلى الأثمان ولا يمكن التسامح فيها أبداً، لأن بها غاية الأهمية والخطورة وكشف ما خفي عن المسلمين.

بعدها فرغت من أعمالها المنزلية وعادت إلى فراشها وقالت: يا بن عم!! إنه قد نُعيت إليّ نفسي، وإنني لا أرى ما بي إلا أنني لا حقة بأبي بعد ساعة، وأنا أحب أن أوصيك بأشياء في قلبي قل لها علي عليها السلام: أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت.

قالت: يا بن عم!! ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، وما خالفتك منذ عاشرتك قل علي عليها السلام معاذ الله!! أنت أعلم بالله، وأبر وأتقى وأكرم، وأشد خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتي، وقد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك، إلا أنه أمر لا بد منه.

والله لقد جددت عليّ مصيبة رسول الله، وقد عظمت وفاتك وفقدك فإننا لله وإنا إليه راجعون.

يا لها من مصيبة ما أفجعها وآلمها، وأعظمها وأحزنها، هذه مصيبة لا عزاء منها، ورؤية لا خلف لها.

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٠.

ثم بكيا جميعاً ساعة، وأخذ الإمام رأسها وضمها إلى صدره ثم قال: أو صيني بما شئت، فإنك تجديني وفيأ أمضي كل ما أمرتني به، وأختار أمرك على أمري.

فقلت: جزاك الله عني خير الجزاء.

يا بن عم! أوصيك أولاً: أن تتزوج من بعلي ابنة أختي أمامة، فإنها تكون لولدي مثلي، فإن الرجل لا بد لهم من النساء.

قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني فإنهم عدوي وعدو رسول الله، ولا تترك أن يصلي عليّ أحد منهم ولا من أتباعهم، وأدفي ليلاً إذا هدأت العيون ونامت الأبصار^(١).

وعف موضع قبري، ولا تُشهد جنازتي أحداً ممن ظلمني.

يأبن العم: أنا أعلم أنك لا تقدر على عدم التزويج من بعلي فإن كنت تزوجت امرأة اجعل لها يوماً وليلة، واجعل لأولادي يوماً وليلة.

يا أبا الحسن! ولا تصح في وجههما فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين، فإنهما بالأمس فقدما جدّهما واليوم يفقدان أمهما، فالويل لأمّة تقتلها وتبغضها وتظلمهما ثم أنشأت تقول:

أبكني إن بكيت يا خير هلي
يا قرين البتول أوصيك با
أسبل اللمع فهو يوم الفراق
لنسل فقد أصبح حليف أشتيق
سى قتيل العلى بطف العراق
أبكني وأبك لليتامى، ولا تنـ

(١) روضة الواعظين - النيسابوري: ١٥١.

شكوى ودموع:

لما نفض يده من تراب القبر هلجت به الأحزان فأرسل دموعه على خديه وحول وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ ثم قال:

السلام عليك يا رسول الله عني وعن أبتك.

السلام عليك عن أبتك وزائرتك، وحبيبتك وقرّة عينك.

والبائتة في الثرى ببقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك.

قل يا رسول الله عن صفتك صبري، وعفى عن سيئة نساء العالمين تجلدي.

إلا أن في التأسّي لي بسنتك في فرقتك موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك، بعد أن فاضت نفسك بين نحري وصدري، وغمضتكم بيدي، وتوليت أمركم بنفسي.

نعم وفي كتاب الله لي أنعم القبول ((إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ))^(١).

قد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، وأختلصت الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله!!

أما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهد وهم لا يبرح من قلبي أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمدّ مقيح وهم مهيج، سرعان ما فرق الله بيننا وإلى الله أشكو، وستنبك أبتك بتضاهر أمتك عليّ وعلى هضمها حقها، فأحفها السؤال،

(١) سورة البقرة الآية: ١٥٦.

وأستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلاً، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين.

والسلام عليكما يا رسول الله سلام مودع، لا سثم ولا قل، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن لما وعد الله الصابرين، وأها وأها!! والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين علينا، لجعلت المقام عند قبرك لزاماً، والتلبث عنده عكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية بعين الله تدفن أبنتك سرّاً!!
ويهتضم حقها قهراً!!
ويمنع إرثها جهراً!!
ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر،
فإلى الله - يا رسول الله - المشتكى وفيك - يا رسول الله - أجل العزاء.

وروي أن علياً عليه السلام - لما ماتت فاطمة عليها السلام وفرغ من جهازها ودفنها - رجع إلى البيت فاستوحش فيه وجزع جزعاً شديداً ثم أنشأ يقول:

أرى علل الدنيا عليّ كثيرة وصاحبها حتى الممات عليل
لكل أجمع من خليلين فرقة وكل النبي دون الفراق قليل
وإن أفتقادي فاطماً بعد أحمدٍ دليل على أن لا يدوم ^(١) خليلُ
وروي عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام قال: لما ماتت فاطمة كان علي يزور قبرها كل يوم، وأقبل ذات يوم فانكب على القبر وأنشأ يقول:

مالي مررت على القبور مسلماً قبر الحبيب فلم يرد جوابي
أحبيب مالك لا ترد جواباً أنسيت بعدي خلة الأحباب

(١) الفصول المهمة لأبن الصباغ المالكي، ص ١٤٨.

وفي كتاب الأنوار العلوية ما ملخصه :

لما ماتت فاطمة عليها السلام أحتجب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في منزله عن الناس، وصار لا يخرج إلا للصلاة وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال عمار: فمضيت إلى دار سيدي ومولاي أمير المؤمنين، فاستأذنت عليه فأذن لي، فلما دخلت عليه وجدته جالساً جلسة الحزين الكئيب والحسن عن يمينه والحسين عن شماله، وهو ينظر إلى الحسين ويبكي.

فلم أملك نفسي دون أن أخذتني العبرة، وبكيت بكاءً شديداً، فلما سكن نشيجي قلت:

سيدي أتأذن لي بالكلام؟

قال: تكلم يا أبا اليقظان.

قلت: سيدي ألم تأمرن الناس بالصبر على المصيبة، فما هذا الحزن الطويل فالتفت إليّ وقال: ((يا عمار إن العزاء عن مثل من فقدته لعزيز إن فقدت رسول الله لفقد فاطمة. إنها كانت لي عزاء وسلوة. كانت إذا نظقت ملأت مسامعي بصوت رسول الله. وإذا مشت لم تخرم مشيته، وإنني ما أحسست بفراق رسول الله إلا بفراقها، وأن أعظم ما لقيت من مصيبتها: أنني لما وضعتها على المغتسل وجدتُ ضلعاً من أضلاعها مكسوراً وجنبها قد أسودَّ من ضرب الشيطان، وكانت تخفي ذلك عليّ مخافة أن يشتد حزني، وما نظرت عيني إلى الحسن والحسين إلا وخنقتني العبرة وما نظرت إلى زينب باكياً إلا وأخذتني الرقة عليها....)).

أسانيد خطبة فاطمة عليها السلام :

هنالك جمع كثير من أعلام العامة الذين ذكروا في كتبهم خطبة الزهراء عليها السلام ومن هؤلاء:

١- الإمام الحافظ أحمد بن موسى بن مردويه في كتاب مناقبه بسنده عن الزهري بشهادة العلامة الجليل السيد علي بن طاووس في كتاب (الطرائف)^(١).

٢- أبو المظفر شمس الدين يوسف (سبط بن الجوزي) في باب الحادي عشر من تذكرة خواص الأمة.

٣- المحدث الشهير إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم، عن صالح بن كيسان وهو ابن الزهري بنقل العلامة الخبير السيد إسماعيل عقيقي في (كفاية الموحدين).

٤- جلال الدين السيوطي في كتاب (اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) ذكر بهذه العبارة، وذكر أبو محمد بن قتيبة:

عن فاطمة عليها السلام خرجت في ثلاثة من نساءها تطأ ذيوها حتى دخلت على أبي بكر.

قال السيوطي: قال ابن قتيبة: كنت أرى أن لهذا الحديث أصلاً.

وهذه العبارة عن السيوطي تدل على أن الخطبة ليست عنده من الموضوعات وطعن على من يقول: إنها من الموضوعات.

(١) الطرائف- علي بن طاووس: ٢١٣- ٢٦٦.

٥- الزمخشري في كتاب (الفائق) في لغة (لمة) قال: وفي حديث فاطمة عليها السلام إنها خرجت في لمة من نساها تطأ ذيوها حتى دخلت على أبي بكر.

وأيضاً في كتاب (الفائق) في لغة (منبئة) أشار إلى الخطبة، وفسر بعض لغاتها.

٦- ابن الأثير الجزري في كتاب النهاية في لغة (لمة) أشار إلى الخطبة وفسر الكثير من ألفاظها المشكلة.

٧- عن عطية العوضي، قال: الخطبة عن عبد الله بن الحسن المثنى بشهادة أحمد بن أبي ظاهر في (بلاغات النساء).

٨- عبد الرحمن بن عيسى الشافعي في كتاب (الفاظ الكتابة).

٩- عمر رضا كحالة في المجلد الثالث من كتاب (أعلام النساء)^(١) نقل تمام الخطبة في ترجمته فاطمة الزهراء عليها السلام ولم يرد عليها إشكالاً وإيراداً.

١٠- المسعودي في كتاب (مروج الذهب)^(٢) قال: وما كان من فاطمة عليها السلام وكلامها متمثلة حين عدلة إلى قبر أبيها عليها السلام من قول صفية بنت عبد المطلب:

قد كان بعدك أبناء وهيمنة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

١١- أحمد بن محمد بن مكّي، عن محمد بن قاسم اليماني، عن أبي عائشة بشهادة المرزباني، وأمّه عائشة بنت طلحة بن عبد الله (المتوفى سنة ٢٨٢هـ).

(١) أعلام النساء - عمر رضا كحالة: ١٢٠٨/٣.

(٢) المسعودي - مروج الذهب: ٣٠٨/٢.

١٢- الأستاذ توفيق أبو علم قال في كتابه القيم (أهل البيت)^(١) أوتيت الزهراء (رضوان الله عليها) كسائر أهل البيت حظاً عظيماً من الفصاحة والبلاغة وأنه يتبين ذلك خاصة في خطبتها وكلامها في بيعة أبي بكر وخلافها معه بشأن فذك.

السيدة الزهراء عليها السلام أنها كانت قوية المعارضة، خطيبة بارعة إذا ما أثرت المنابر هزت القلوب والمشاعر، وأن خطبتها على جمهرة من المهلجرين والأنصار آية على تبين بديهيته وحضور ذهنها^(٢).

قال المرزبان: وحدثني أحمد بن محمد المكي، عن محمد بن القاسم اليماني قال: حدثنا ابن عائشة لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقبلت فاطمة عليها السلام في لمة من حفدتها إلى أبي بكر.

وفي الرواية الأولى قالت عائشة: لما سمعت فاطمة عليها السلام إجماع أبو بكر على منعها فذك لاثت خمارها على رأسها، وأشتملت بجلبابها وأقبلت في لمة من حفدتها.

ثم أتفتت الروايتان من هاهنا: ونساء قومها، وساق الحديث نحو ما مر... إلى قوله: أفتتحت كلامها بلحمد لله عز وجل والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قالت: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم)..... إلى آخرها.

١٣- الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتابه (الاحتجاج) مرسلًا ونحن نوردتها بلفظه، ثم تشير إلى موضع التخالف بين الروايات في أثناء شرحها إن شاء تعالى.

(١) أهل البيت - فاروق أبو علي: ١٥٧.

(٢) فاطمة الزهراء عليها السلام - بهجت قلب المصطفى: ٣٨٠ - ٣٨١.

١٤- قال ابن طيفور أحمد بن أبي طاهر: ((حدثني جعفر بن محمد - رجل من أهل ديار مصر لقيته بالرافقة - قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا جعفر الأحمر عن زيد بن علي عليه السلام عن عمته زينب بنت الحسين عليه السلام إجماع أبي بكر على منعها فذك لائت خمارها))^(١).

وقال أيضاً: ((قال أبو الفضل: ذكرت لأبي الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إياها فذك، وقلت له: إن هؤلاء يزعمون أنه مصنوع وأنه من كلام أبي العيناء (الخبر منسوق البلاغة على الكلام)).

فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه أبناءهم. وقد حدثني أبي عن جدي يبلغ به فاطمة على هذه الحكاية ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيناء وقد حدث به الحسن بن علوان عن عطية العوفي أنه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه ...))^(٢).

١٥- قال الخوارزمي: ((وأخبرني الإمام شهاب الإسلام أبو النجيب سعد بن عبد الله الهمداني فيما كتب إلي من همدان، أخبرني الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه فيما أذن لي، قال: حدثني جعفر بن محمد بن مروان أخبرنا أبي، أخبرنا سعيد بن محمد الجرمي أخبرنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن حبة عن علي عليه السلام وبهذا الأسناد عن الحافظ أبي بكر هذا، أخبرنا عبد الله بن إسحاق أخبرنا محمد

(١) بلاغات النساء - ابن طيفور: ١٤.

(٢) كشف الغمة - الأربلي: ١٠٨/٢.

بن عبید، أخبرنا محمد بن زیاد أخبرنا شرفي بن قطامي عن صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: لما بلغ فاطمة أن أبا بكر (...)^(١).

١٦- قال ابن أبي الحديد في ذكر ما ورد من السير والأخبار في أمر فذك الفصل الأول: في ما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم، لأننا مشترطون على أنفسنا ألا نحفل بذلك.

وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيفة وفذك، وما وقع من الاختلاف والأضطراب عقب وفاة النبي ﷺ وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الأدب، ثقة ورع، أثنى عليه المحدثون ورووا عن مصنفاته

قال أبو بكر: فحدثني محمد بن زكريا، قال: حدثني جعفر بن محمد بن عمارة الكندي، قال: حدثني أبي، عن الحسين بن صالح بن حي، قال: حدثني رجلان من بني هاشم، عن زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام.

قال: وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه.

قال أبو بكر: وحدثني عثمان بن عمران العجفي، عن نائل بن لميح بن عمير بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام.

١٧- قال الأربلي عند ذكره لخطبة الزهراء عليها السلام: ((ونقلتها من كتاب السقيفة عن عمر بن شيبه تأليف أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري من نسخة قديمة

(١) مقتل الحسين - الموفق بن أحمد الخوارزمي: ٧٨ - ٧٧.

مقروعة على مؤلفها المذكور قرئت عليه في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين
وثلاثمائة.

روى عن رجاله من عدة طرق أن فاطمة عليها السلام لما بلغها إجماع أبي بكر على منعها
فدكاً لثت خاها...^(١).

١٨- وروى الصدوق بعضها بعدة أسانيد قال: ((حدثنا محمد بن موسى بن
المتوكل عليه السلام)، قال: حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي عن أحمد بن عبد الله
البرقي، عن إسماعيل بن مهران، عن أحمد بن محمد بن جابر، عن زينب بنت علي،
قال: فاطمة عليها السلام في خطبتها...^(٢).

أخبرني علي بن حاتم، قال: حدثنا محمد بن أسلم، قال: حدثني عبد الجليل
الباقلاني، قال: حدثني الحسن بن موسى الخشاب، قال: حدثني عبد الله بن محمد
العلوي، عن رجال من أهل بيته، عن زينب بنت علي، عن فاطمة عليها السلام بمثله.

وأخبرني علي بن حاتم أيضاً قال: حدثني محمد بن أبي عمير، قال: حدثني محمد بن
عمارة قال: حدثني محمد بن ابراهيم المصري، قال: حدثني هارون بن يحيى الناشب،
قال: حدثنا عبد الله بن موسى العبسي عن عبيد الله بن موسى العمري، عن
حفص الأحمر، عن زيد بن علي، عن عمته زينب بنت علي، عن فاطمة عليها السلام
بمثله وزاد بعضهم على بعض في اللفظ .

١٩- السيد المرتضى قال: ((أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، قال:
حدثني محمد بن أحمد الكاتب، حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي، قال: حدثنا

(١) كشف الغمة - الأربلي: ١٠٨/٢.

(٢) علل الشرائع - الشيخ الصدوق: ٢٤٨/٨.

الزبائي، قال: حدثنا الشرقي بن القطامي عن محمد بن إسحاق، قال: حدثنا صالح بن كيسان، عن عروة عن عائشة.

قال المرزباني: وحدثنا أبو بكر أحمد بن محمد المكي، قال: حدثنا أبو العيناء محمد بن القاسم اليمامي، قال: حدثنا ابن عائشة، قال: لما قبض رسول الله ﷺ أقبلت فاطمة عليها السلام في لمة من حفدتها إلى أبي بكر.

وفي الرواية الأولى قالت عائشة: لما سمعت فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فذلك لانت خمارها على رأسها وأشتملت مجلبابها، وأقبلت في لمة حفدتها ثم أجمعت الروايان من ...^(١) وقال السيد المرتضى في وسط الخطبة: ((أو قالت: ويحمد لهبتها بجملة مكدوراً في ذات الله وأنتم في رفاهية، فكهون آمنون داعون إلى هاهنا انتهى خبر أبي العيناء عن ابن عائشة وزاد عروة بن الزبير عن عائشة...))^(٢).

وقال السيد المرتضى: ((وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني، قال: حدثني علي بن هارون، قال: أخبرني عبد الله بن أحمد بن أبي طاهر، عن أبيه قال: ذكرت لأبي الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إياها فذكر.

وقلت له: إن هؤلاء يزعمون إنه مصنوع وإنه كلام أبي العيناء لأن الكلام منسوق البلاغة فقال لي: رأيت مشائخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم (...)).

(١) الشافي في الإملاء- الشريف الرضي: ٦٩/٤ - ٧١.

(٢) الشافي في الإملاء- الشريف الرضي: ٧٤ - ٧٣/٤.

٢٠- قال الطبري الأمامي: ((حدثني أبو المفضل محمد بن عبد الله، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عثمان بن سعيد الزيات، قال: حدثنا محمد بن الحسين القصباني قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي السكوني، عن أبان بن عثمان الأحمر، عن أبان بن تغلب الربيعي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منع فذك ...))

وقال أيضاً: ((وأخبرني أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى التلعكبري قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال: حدثني محمد بن المفضل بن إبراهيم بن المفضل بن قيس الأشعري قال: حدثنا علي بن حسان عن عمه عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه عن جده علي بن الحسين، عن عمته زينب بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام قالت: لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة عليها السلام فذكاً ...

وقال أبو العباس: وحدثنا محمد بن المفضل بن إبراهيم الأشعري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عمرو بن عثمان الجعفي، قال: حدثني أبي، عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن عمته زينب بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام وغير واحد من أن فاطمة لما أجمع أبو بكر على منعها فذكاً ...)).

وقال أيضاً: ((وحدثني القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن مخلد بن جعفر بن مخلد بن سهل بن حمران الدقاق، قال: حدثني أم الفضل خديجة بنت محمد بن أحمد بن أبي الثلج، قالت: حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الصفواني، قال: حدثنا أبو

أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي البصري، قال: حدثنا محمد بن زكريا، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة الكندي، قال: حدثني أبي عن الحسن بن صالح بن حي-قال: وما رأيت عيني مثله- قال: حدثني رجلان من بني هاشم، عن زينب بنت علي عليها السلام قالت: لما بلغ فاطمة إجماع أبي بكر على منع فذك، وأنصرف وكيها عنها، لاثت خمارها وذكر الحديث.

قال الصفواني: وحدثني محمد بن محمد بن يزيد مولى بني هاشم، قال حدثني عبد الله بن محمد بن سليمان، عن عبد الله بن الحسن بن الحسن، عن جماعة من أهله وذكر الحديث.

قال الصفواني: وحدثني أبي، عن عثمان، قال: حدثنا نائل بن نجيح، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وذكر الحديث.

قال الصفواني: وحدثنا عبد الله بن الضحاك، قال: حدثنا هشام بن محمد عن أبيه وعوانة.

قال الصفواني: وحدثنا ابن عائشة ببعضه. وحدثنا العباس بن بكار قال: حدثنا حرب بن ميمون، عن زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام قالوا: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فذك^(١).

٢١- قال السيد ابن طاووس: ((ما ذكره الشيخ أسعد بن سقروة في كتاب الفائق، عن الأربعين، عن الشيخ المعظم عندهم، الحافظ الثقة بينهم أبو بكر أحمد بن

(١) دلائل الإمامة- محمد بن جرير بن رستم: ١١٢.

موسى بن مردويه الأصفهاني في كتاب المناقب قال: أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم، قال: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النووي، قال: حدثنا الزيادي محمد بن زياد قال: حدثنا شرقي بن قطامي، عن صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: لما بلغ فاطمة عليها السلام أن أبا بكر قد أظهر منعها فذك لائت خمارها (...)).

الزهراء عليها السلام تطالب بفدك أم بالخلافة:

ربّ سائل يسأل: عن سر مطالبة فاطمة الزهراء بفدك؟ وهي الزاهدة عن الدنيا وزينتها والتي كانت تعيش بمعزل عن الدنيا ومغريات الحياة.

ما الذي دعاها إلى هذه الدعوة والإصرار المتواصل والجهود الكبيرة في طلب فدك؟ وما الداعي إلى طلب الدنيا وهم الزاهدون عنها والمطلقون لها وهي عندهم أزهد من عفة عنز؟

وما الدافع وراء سيادة النساء أن تقدم ذلك الجهد وتعاني تلك المعاناة وهي العالمة غير المعلمة المدركة أن مساعيها سوف تذهب في مهب الريح لأنها لا تتمكن من الحصول على ذلك الحق ومهما طل الصراع.

ذكر ابن أبي الحديد^(١) في شرحه قال: سألت علي بن الفارقي، مدرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صداقة؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها

(١) ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة: ١٦ / ٣٣٦ باب ٤٥.

أبو بكر فذك وهي عنده صادقة؟ فتبسم، ثم قال: كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته.

قال: لو أعطاه اليوم فذك، بمجرد دعواها لجاءت إليها غداً وادعت لزوجها الخليفة وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار، والموافقة بشيء لأنه يكون قد سجل على نفسه بأنها صادقة فيما تدعي، كائناً ما كان من غير حاجة إلى بينة وشهود. إن الحكمة تقتضي أن يطالب الإنسان بحقه المغصوب، فإن الأمر لا يخلو من أحد الوجهين:

الأول: أن يفوز الإنسان ويظفر بما يريد وهو المطلوب وبه يتحقق هدفه من المطالبة.

الثاني: أن لا يفوز في مطالبته فلن يظفر بلل، فهو إذا ذاك قد أبدى ظلامته وأعلن للناس أنه مظلوم وأن أمواله غصبت منه.

وخاصة إذا كان الغاصب ممن يدعي خلافة رسول الله ﷺ وأنه يدعو إلى إصلاح الأمة وجمع الشمل ووحدة الكلم وأنه من المتقين والزاهدين والسائرين على سنة رسول الله ﷺ.

إن فاطمة عليها السلام وبما تحمله من المبادئ السامية والقيم العليا والوسائل الصحيحة في إلقاء الحججة على الغاصبين وكشف زيفهم وحقائقهم.

توجهت عليها السلام نحو مسجد أبيها رسول الله ﷺ لأجل المطالبة بحقها ولكي تكون قريبة من قبر أبيها كي تسمعه صوتها وتكشف له ظلم أصحابه لها لذلك اختارت المكان الأنسب والموضع الأقدس على قلوب المسلمين.

كما أنها أختارت الزمان المناسب أيضاً ليكون المسجد غاصاً بالناس على اختلاف طبقاتهم من المهاجرين والأنصار ولم تخرج وحدها إلى المسجد، بل خرجت في لمة من حفدتها ونساء قومها، لائحة خمارها على رأسها مشتملة بجلبابها تطأ ذيوها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وقبل ذلك تقرر اختيار موضع من المسجد لجلوس بضعة رسول الله وحبيته، وعلقوا سترأً لجلوس السيدة فاطمة خلف الستر، فنيطت دونها ملاءة ثم جلست، ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس.

ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، أفتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ ... فعاد القوم في بكائهم فلما مسكوا عادت في كلامها فقالت ﷺ:

((والحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم إلى آخر الخطبة الشريفة والحجة الدامغة على أعداء أهل البيت ﷺ).

إن الحقيقة واضحة وإن الحق مع فاطمة الزهراء ﷺ وأنهم غصبوا وغصبوا زوجها منصب الخلافة وتتابعت المظالم على أهل البيت ﷺ إلى هذا اليوم.

كان أبو بكر يتصرف بمال المسلمين تصرف المالك بدون شاهد ودليل وبينه ومنها أن جابراً أدعى أن رسول الله وعده أن يعطيه من مال البحرين فأعطه ألفاً وخمسمائة دينار من بيت المال دون أن يطلب منه بينة على ذلك.

أخرجه الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني في فتح الباري في شرح صحيح البخاري في باب من يكفل عن ميت ديناً.

فقال: ((أن هذا الخبر فيه دلالة على قبول خبر العدد من الصحابة ولو جر ذلك نفعاً لنفسه لأن أبا بكر لم يلتبس من جابر شاهداً على صحة دعواه وقد نقل نفس الخبر البخاري في صحيحه بصورة مبسطة في باب من يكفل عن ميت ديناً في كتاب الخمس في باب ما قطع النبي من البحرين.

قال: لما ورد مال البحرين أقام أبو بكر منادياً يقول: كل من وعده رسول الله ﷺ أو له طلب منه يأتي ويأخذه. فأتي جابر وقال: إن رسول الله ﷺ وعدني أن يعطيني من مال البحرين عندما تفتح البحرين ويصبح بيد المسلمين فأعطه بدون طلب بينة وشاهد ألفاً وخمسمائة دينار كما أخرج ذلك السيوطي في تاريخ الخلفاء. وإن كان جابر من الصحابة الصادقين المقربين لذا لم يكذبه أبو بكر فهلا كان أخرى به أن يصدق علياً وهو نفس رسول الله ﷺ وأن فاطمة عليها السلام هي المتصرفة وهو المدعي الذي عليه البيعة.

عن محمد بن يعقوب^(١)، عن علي بن محمد بن عبد الله عن بعض أصحابنا أظنه السيارى، عن علي بن أسباط.

قال: لما ورد أبو الحسن عليه السلام على المهدي كان يرد المظالم فقال:

يا أمير المؤمنين ما بل مظلمتنا لا ترد؟

فقال: وماذا يا أبا الحسن؟ قال: أن الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه فدك وما ولاها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب فأنزل الله على نبيه ((وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ)) لم يدر رسول الله ﷺ من هم فراجع في ذلك جبرئيل وراجع ربه فأوحى الله إليه

(١) البرهان في تفسير القرآن - السيد هاشم البحراني: ٤١٥/٢.

أدفع فذك إلى فاطمة فدعاها رسول الله ﷺ. فقال لها إن الله أمرني أن أدفع إليك فذك. فقالت: قد قبلت يا رسول الله فلما ولي أبو بكر أخرج وكلائها فأتته فسألته أن يردها عليها فقال أتتيني بأسود وأحمر يشهد لك بذلك فجاءت أمير المؤمنين وأم أيمن فشهدوا لها فكتب لها بترك التعرض فخرجت والكتاب معها فلقيها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمد؟ قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة قال: أرنيه فأبت فأنترعه من يدها ونظر فيه ثم تفل فيه وعمله وخرقه. قال: هذا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فضعي الحبل في رقابنا. فقال له المهدي: حدها؟ فقال: حد منها جبل أحد وحد منها عريش مصر، وحد منها سيف البحر، وحد منها دومة الجندل.

فقال: له كل هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين ان هذا كله لم يوجف أهله على رسول الله ﷺ بخيل ولا ركاب.

قال: كثير وأنظر فيه.

قال ابن أبي الحديد: قل لي علوي من أهل الحلة يعرف بعلي بن مهنا ذكي ذو فضائل: ما تظن قصد أبي بكر وعمر بمنع فاطمة فذك؟ قلت: ما قصدا؟ قال: أرادا أن يظهرها لعلي وقد اغتصبا الخلافة رقةً وليناً وخذلاناً ولا عندهما خوراً فأتبعا القرع بالقرح^(١).

وقال أيضاً: قلت لمتكلم من متكلمي الإمامية يعرف بعلي بن تقي من بلدة النيل: وهل كانت فذك إلا مخللاً يسيراً، وعقاراً ليس بذلك الخطير؟ قل لي: ليس الأمر كذلك بل كانت جليلة جداً وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل،

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد: ٣٣١/١٦، باب ٤٥.

وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا أن لا يتقوى علي بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة ولهذا اتبعا بمنع فاطمة وعلي وسائر بني هاشم وبني عبد المطلب حقهم في الخمس فإن الفقير الذي لا مال له يضعف همته ويتصاغر عند نفسه ويكون مشغولاً بالاحترق والاكْتساب عن طلب الملك والرئاسة.

وقال أيضاً: سألت علي بن الفارقي -مدرس المدرسة الغربية ببغداد- فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم قلت فلم لم يدفع إليها أبو بكر فذك؟ وهي عنده صادقة؟!

فتبسم ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا مع ناموسه وحرمة وقله دعابته قل: لو أعطاهما اليوم فذك بمجرد دعواها لجات إليه غداً وأدعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء لأن يكون قد أسجل على نفسه بأنها صادقة فيما تدعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بينة ولا وشهود. قل ابن أبي الحديد^(١): وهذا كلام صحيح وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والمهزل أنتهى.

أحتجاج علي عليه السلام على أبي بكر وعمر في فذك:

عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما بويع أبو بكر وأستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار بعث إلى فذك من أخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله ﷺ منها فجاءت فاطمة الزهراء عليها السلام إلى أبي بكر ثم قالت: لِمَ منعتني

(١) اللعة البيضاء - محمد علي الأنصاري: ٢٠٦.

ميراثي (يا أبا بكر) من أبي رسول الله ﷺ وأخرجت وكيلي من فلك وقد جعلها لي رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى؟

فقال لها: هاتي على ذلك بشهود {قل} فجاءت بأُم أيمن، فقالت له أم أيمن: لا أشهد يا أبا بكر حتى أحتج عليك بما قال رسول الله ﷺ أنشدك بالله ألسنت تعلم أن رسول الله ﷺ قال: ((أم أيمن امرأة من أهل الجنة))^(١) فقال: بلى، قالت: ((فأشهد أن الله عزّ أوحى إلى رسول الله ﷺ ((فَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ))^(٢) فجعل فدكاً لفاطمة بأمر الله تعالى، فجاء علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك فكتب لها كتاباً ودفعه إليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: إن فاطمة عليها السلام أدعت في فلك وشهدت لها أم أيمن وعلي عليه السلام فكتبته لها، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة عليها السلام - فتفل فيه ومزقه!!!

فخرجت فاطمة عليها السلام باكية وهي تقول: مزق الله بطنك كما مزقت كتابي فلما كان بعد ذلك جاء علي عليه السلام: إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال: يا أبا بكر! لِمَ منعت فاطمة {بنت رسول الله} حقها وميراثها من رسول الله ﷺ؟ وقد ملكته في حية رسول الله ﷺ.

فقل ابو بكر: هذا فيء المسلمين، فإن أقامت شهوداً أن رسول الله ﷺ جعله لها وإلا فلا حق لها فيه.

(١) أم أيمن: هي بركة بنت ثعلبة، كانت تطلق النبي ﷺ وتقوم عليه فقل رسول الله ﷺ: من سره ان يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن فتزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسلة بن زيد وكان رسول الله ﷺ إذا نظر إليها قل: هذه بقية أهل بيتي.
(٢) سورة الروم، الآية: ٢٨.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا أبا بكر! أتحكّم فينا بخلاف حكم الله تعالى في المسلمين؟
 قال: لا. قال: فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه، ثم ادعيت أنا فيه، من تسأل
 البيّنة؟ قال: إياك كنت أسأل البيّنة، قال: فما بل فاطمة سألتها البيّنة على ما في
 يديها؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده، ولم تسأل المسلمين بيّنة على ما
 ادعوه شهوداً، كما سألتني على ما ادعيت عليهم؟

فسكت أبو بكر فقال عمر: يا علي! دعنا من كلامك، فإننا لا نقوى على حجّتك!
 فإن أتيت بشهود عدول، وإلا فلا فهو فيء للمسلمين لا حق لك ولا لفاطمة فيه!!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا أبا بكر! أتقرأ كتاب الله؟ قال: نعم قال: أخبرني عن
 قول الله ج: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
 تَطْهِيراً))^(١) فيمن نزلت فينا أم في غيرنا؟

قال: بل فيكم، قال {يا أبا بكر}: فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول
 الله صلى الله عليه وآله بفاحشة ما كنت صانعاً بهم؟ قال: كنت أقيم عليها الحد كما أقيمه على
 نساء المسلمين، قال {له أمير المؤمنين علي عليه السلام يا أبا بكر} إذن كنت عند الله من
 الكافرين، قال: ولم؟ قال: لأنك رددت شهادة الله بالطهارة وقبلت شهادة الناس
 عليها، كما رددت حكم الله وحكم رسوله، أن جعل لها فداً وقد قبضته في حياته،
 ثم قبلت شهادة أعرابي بائل على عقبيه عليها، وأخذت منها فداً وزعمت أنه
 فيء للمسلمين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((البيّنة على المدعي واليمين على المدعى
 عليه)) فرددت قول رسول الله صلى الله عليه وآله: البيّنة على من ادعى، واليمين على من ادعى

(١) سورة الاحزاب، الآية: ٣٣.

عليه، قل: فدمدم^(١) الناس وأنكروا ونظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: ((صدق والله علي بن أبي طالب عليه السلام)) ورجع علي إلى منزله.

محاولة اغتيال الإمام علي عليه السلام من قبل الشيخين:

بعد الاحتجاج الذي أقاله الإمام علي عليه السلام على أبي بكر بلجتماع المهاجرين والأنصار. عاد أبو بكر وعمر إلى منزلهما، وبعث أبو بكر إلى عمر فدعه ثم قل له أما رأيت مجلس علي منا في هذا اليوم، والله لئن قعد مقعداً آخر مثله ليفسدن علينا أمرنا، فما الرأي؟ فقل عمر: الرأي أن تأمر بقتله، قل فمن يقتله؟؟ قل: ((خالد بن الوليد)).

فبعثا إلى خالد بن الوليد فأتاهما، فقالا له: نريد أن نحملك على أمر عظيم، قل {لهما}: إحماني على ما شئتما، ولو على قتل علي بن أبي طالب، قالا: فهو ذاك فقل خالد: متى أقتله؟ قل أبو بكر: أحضر المسجد وقم بجنبه في الصلاة، فإذا سلمت فقم إليه وأضرب عنقه^(٢) قل: نعم، فسمعت أسماء بنت عميس^(٣) وكانت تحت أبي بكر، فقالت لجارتها: إذهبي إلى منزل علي وفاطمة عليهما السلام واقربيهما السلام، وقولي لعلي: ((إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)) فجاءت، فقل أمير المؤمنين عليه السلام: ((قولي لها: إن الله يحول بينهم وبين ما يريدون ثم قام وتهياً للصلاة، وحضر المسجد وصلى خلف أبي بكر وخالد

(١) اللممة: الغضب، ودمدم عليه: كلمه مفضياً- لسان العرب: ٢٠٩/١٢.

(٢) قل رسول الله ﷺ: (الإيمان قيد الفتك)، فأين حديث رسول الله من الشيخين.

(٣) اسمها بنت عميس: وهي إحدى النسوة اللواتي ساهمن رسول الله ﷺ الأخوات .

بن الوليد يصلي بجانبه، ومعه السيف، فلما جلس أبو بكر في التشهد، ندم على ما قال وخاف الفتنة وعرف شدة علي عليه السلام وبأسه، فلم يزل متفكراً لا يجسر أن يسلم، حتى ظن الناس أنه قد سها.

ثم ألتفت إلى خالد، فقال: يا خالد! لا تفعلن ما أمرتك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا خالد! ما لني أمرك به؟

فقال: أمرني بضرب عنقك. قال: أو كنت فاعلاً؟! قال: إي والله، لو لا أنه قال لي لا تقتله قبل التسليم، لقتلتك ^(١).

قال: فأخذني علي عليه السلام فجلد به الأرض، فأجتمع الناس عليه، فقال عمر: بقتله ورب الكعبة، فقال الناس: يا أبا الحسن! الله الله، بحق صاحب القبر، فخلى عنه ثم ألتفت إلى عمر، فأخذ بتلابيبه وقال: يا بن صهاك، والله لولا عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وكتاب من الله سبق، لعلمت أننا أضعف ناصراً وأقل عدداً ^(٢)، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٣) يوماً لعلي عليه السلام:

((إن في القوم ضعائن لا يبدونها لك حتى يفقدوني)).

فقال: يا رسول الله أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبدي خضراءهم. قال: بل تصبر قال: فإن صبرت: قال: تلاقي جهداً. قال: أفي سلامة من ديني قال: نعم قال: فإذا لا أبالي.

(١) الاحتجاج - الطبرسي: ١/ ٢٤٢، الطبعة السادسة.

(٢) البحار - المجلسي: ٨/ ٩٢.

(٣) مستدرک الحاكم: ٣/ ١٤٠ - ١٤٣.

رسالة الإمام علي عليه السلام إلى أبي بكر بعد منع فاطمة عليها السلام فداك^(١):

قال عليه السلام: ((شقوا متلاطمت أمواج الفتن بميازيم^(٢) سفن النجاة وحطوا تيجان أهل الفخر بجمع أهل الغدر وأستضاءوا بنور الأنوار، واقتسموا موارث الطاهرات الأبرار، وأحتقبوا^(٣) ثقل الأوزار، بغصبهم نخلة النبي المختار، فكأنني بكم تترددون في الطمي، كما يتردد البعير في الطلحونة. أما والله لو أذن لي بما ليس لكم به علم لحصدت رؤوسكم عن أجسادكم كحب الحصيد، بقواضب^(٤) من حديد، ولقلعت من جمجم شجعانكم ما أقرح به أماقكم^(٥) وأوحش به محالكم، فاني منذ عرفت - مردي العساكر، ومفتي الجحافل، ومبيد خضرائكم ومحمد ضوضائكم، وجزار الدوارين إذ أنتم في بيوتكم معتكفون، وإني لصاحبكم بالأمس، لعمر أبي لن تحبوا أن تكون فينا الخلافة والنبوة، وأنتم تذكرون أحقاد بدر، وثرات أخذ.

أما والله، لو قلت ما سبق من الله فيكم، لتداخلت أضلاعكم في أجوافكم كتداخل أسنان دوارة الرحي، فإن نطقت تقولون، وإن سكت فيقل إن ابن أبي طالب جزع من الموت، هيهات هيهات!! الساعة يقل لي هذا؟! وأنا المميت

(١) الاحتجاج - الطبرسي: ٢٤٣/١ - ٢٥٢.

(٢) الحيازيم: جمع حيزوم وهو: ما إستدار بالصدر والظهر والطن.

(٣) إحتقبها: حَمَلْتها.

(٤) القواضب: السيف القاطع.

(٥) مؤق العين: مؤخرها.

المائت^(١)، وخواض المنايا في جوف ليل حالك^(٢)، حامل السيفين الثقيلين، الرحين الطويلين، ومنكس الرايات في غطامط^(٣) الغمرات، ومفرج الكربات عن وجه خير البريات، أيهنوا فو الله، لأبن أبي طالب أنس بللوت من الطفل إلى محالب أمه هبلتكم^(٤) الهوايل لو بحت بما أنزل الله سبحانه في كتابه فيكم، لاضطربتم اضطراب الأرشية^(٥) في الطوى البعيلة ولخرجتكم من بيوتكم هارين، وعلى وجوهكم هائمين^(٦)، ولكني أهونٌ وجدي حتى ألقى ربي، بيد جذاء صفرأ من لذاتكم، خلواً من طحناتكم فما مثل دنياكم عندي إلا كمثل غيم علا فاستعلى ثم استغلط فاستوى، ثم تمزق فأنجلي. رويدأ فعن قليل ينجلي لكم القسطل^(٧) وتجنون ثمر فعلكم مرأ، وتخصدون غرس أيديكم ذعافاً ممقراً وسمأ قاتلاً وكفى بالله حكيماً وبرسول الله خصيماً وبالقيامة موقفاً، فلا أبعد الله فيها سواكم، ولا أنفس فيها غيركم، والسلام على من أتبع الهدى)).

فلما أن قرأ أبو بكر الكتاب، رعب من ذلك رعباً شديداً، وقال: ((يا سبحان الله ما أجرأه عليّ وأنكله عن غيري:

(١) وفي مكان آخر: الموت المميت.

(٢) الحالك: شدة السواد.

(٣) الغطم: البحر العظيم الكثير الماء.

(٤) الهوايل: النساء الثكالي.

(٥) الأرشية: جمع رشاء: وهو حبل البئر.

(٦) الهائم: الهارب.

(٧) القسطل: الغبار الساطع.

معاشر المهاجرين والأنصار! تعلمون أنني شاورتكم في ضياع فلك بعد رسول الله ﷺ فقلت: إن الأنبياء لا يورثون، وإن هذه أموال يجب أن تضاف إلى مال الفيء، وتصرف في ثمن الكراع^(١) والسلاح، وأبواب الجهاد ومصالح الثغور، فأمضيا رأيكم ولم يمضه من يديه، وهو ذا يبرق وعيداً، ويرعد تهديداً، إيلاءً بحق نبيه محمد - ﷺ أن يَمْضِخَهَا^(٢) دماً ذعافاً والله لقد استقلت منها فلم أقل، وأستعزلتها عن نفسي فلم أعزل، كل ذلك احترازاً من كراهية علي بن أبي طالب، وهرباً من نزاعه. مالي ولأبن أبي طالب، هل نازعه أحد ففلج عليه؟

فقام عمر {بن الخطاب} مدافعاً ومناصراً لأبي بكر في فعلته!

فقل له عمر: أبيت أن تقول إلا هكذا؟ فأنت ابن من لم يكن مقداماً في الحروب، ولا سخياً في الجدوب^(٣) سبحانه الله! ما أهلك^(٤) فؤادك وأصغر نفسك! {قد} صَفَيْتَ لك سجالاً^(٥) لتشربها فأبيت إلا أن تظماً كظماتك، وأنحت لك رقاب العرب، وتبثُ لك إمارة أهل الإشارة والتدبير ولولا ذلك لكان ابن أبي طالب قد صبر عظامك رميماً، فأحمد الله على ما قد وهب لك مني، وأشكره على ذلك فإنه من رقى منبر رسول الله ﷺ كان حقيقاً عليه أن يحدث لله شكراً وهذا علي بن أبي طالب الصخرة الصماء^(٦) التي لا ينفجر ماؤها إلا بعد كسرها، والحبة

(١) الكراع: اسم لجماعة الخيل خصّة.

(٢) المَمْضِخُ: أنتزاع الشيء وأخذه.

(٣) الجدب: نقيض الخصب.

(٤) الملج: أفحش الجزع.

(٥) السجل: جمع السجل بالفتح وهو الدلو.

(٦) الصماء: الصلبة.

الرقشاء التي لا تحيب إلا بالرقى^(١)، والشجرة المرة التي لو طليت بالعسل لم تنبت إلا مرأً، قتل سادات قريش فأبادهم وألزم آخرهم العار ففضحهم، فطب عن نفسك نفساً، ولا تقرنك صواعقه، ولا يهولنك رواعده ويوارقه، فإني أسد بابه قبل أن يسد بابك. فقال له أبو بكر: ناشدتك الله يا عمر، لما أن تركتني من أغاليطك وتريديك^(٢)، والله لو همَّ ابن أبي طالب بقتلي وقتلك لقتلنا بشماله دون يمينه، وما ينجينا منه إلا {إحدى} ثلاث خصال:

إحداها: أنه وحيد لا ناصر له، والثانية: أنه يتبع فينا وصية {ابن عمه} رسول الله ﷺ والثالثة: أنه ما من هذه القبائل أحد إلا وهو يتخضمه كتضخم^(٣) تبنه الإبل نبات أوان الربيع، فتعلم لولا ذلك لرجع الأمر إليه وإن كنا له كارهين، أما إن هذه الدنيا أهون إليه من لقاء أحدنا الموت، أنسيت يوم أحد؟

وقد فررنا بأجمعنا وصعدنا الجبل! وقد أحاطت به ملوك القوم وصناديد موقنين بقتله، لا يجد محيصاً للخروج من أوساطهم، فلما أن سدد عليه رماحهم، نكس نفسه عن دابته حتى جاوزه طعان القوم، ثم قام قائماً في ركابه وقد طرقت^(٤) عن سرجه وهو يقول: ((يا الله يا الله يا جبرئيل يا جبرئيل يا محمد يا محمد النجاة النجاة)) ثم عمد إلى رئيس القوم فضربه ضربة على أم رأسه يبقي على فك {واحد} ولسان، ثم عمد إلى صاحب الراية العظمى، فضربه ضربة على جمجمته ففلقها، ومر السيف يهوي في جسده فبراه ودابته بنصفين، ولما أن نظر

(١) الرقى: جمع رقية وهي العوينات.

(٢) الترييد: التغير.

(٣) الخضم: الأكل بأقصى الأضراس.

(٤) أطرف: إلتف.

القوم إلى ذلك إنجلفوا^(١) من بين يديه فجعل يمسحهم بسيفه مسحاً حتى تركهم جرائيم^(٢) جموداً على تلة من الأرض، يتمرغون^(٣) في حشرات المنايا، يتجرعون كؤوس الموت، قد اختطف أرواحهم بسيفه، ونحن نتوقع منه أكثر من ذلك، ولم نكن نضبط أنفسنا من مخافته حتى ابتدأت منك إليه، التفاتة وكان منه إليك ما تعلم، ولولا أنه نزلت آية من كتاب الله لكننا من الهالكين، وهو قوله تعالى: ((وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ))^(٤) فأترك هذا الرجل ما تركك ولا يفرنك قول خالد أنه يقتله فإنه لا يجسر على ذلك ولو رامه لكان أول مقتول بيده، فإنه من ولد عبد مناف {الذين} إذا هلجوا هيبوا، وإذا غضبوا أدموا، ولا سيما علي بن أبي طالب عليه السلام نابها الأكبر وسنامها الأطول وهامتها الأعظم والسلام على من اتبع الهدى^(٥).

إن خطب الشيخين تكشف لنا ما في داخل القوم من الضغائن والأحقاد التي كانت تخفيها نفوسهم وتنسجها عقولهم التي لا تزال تعيش الجاهلية الجهلاء والعصبية الحمقاء، يطهرها الإسلام ولم تتأثر بوجود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهم منذ ثلاث وعشرون سنة. لك يا علي ماذا يضمرك القوم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) إنجلفوا: قل الجوهرى: إنجفل القوم أي أنقلعوا كلهم فمضوا.

(٢) جرائيم: جمع جرثومة والجرثومة ما اجتمع من التراب في أصول الشجر.

(٣) التمرغ: التقلب في التراب.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٥) نزهة الناظر وتبئيه الخاطر - الحلواني: ٥٥، تذكرة الخواص - ابن الجوزي: ١٦١.

الإمام علي عليه السلام بين القرآن والسنة النبوية الشريفة:

أولاً: الآيات النازلة في حق علي عليه السلام:

كان لعلي فضل السبق والجهد والإيثار والصبر على الظلم حفاظاً على بيضة الإسلام، (وحدة الكلمة، وجمع الصف، وحقناً للدماء وإحياءاً للسنة وإماتة للفتنة) هذه الصفات الكريمة في سلسلة لا تنتهي وبعضها على بعض دليل. ومن أروع حلقاتها الصلح والإخلاص. وقد بلغ به الصلح مبلغاً أضاع به الخلافة وهو لو رضي عن الصلح بديلاً في بعض أحواله لما نال منه عدو ولا أنقلب عليه صديق. اجتمع عليه مرةً كبار المهاجرين يريدون اقناعه بمسايرة معاوية إلى أن يستتب له الأمر فيقصيه. صمت علي عليه السلام غير طويل، ثم أعلن عن إباته الحيلة قال: ((لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنيا في أمري)).

ولما ظهرت حيلة معاوية أطلق الإمام علي عليه السلام هذه العبارة التي تصح أن تكون صيغةً للخُلُق العظيم، قال: ((والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية العذر كنت من أدهى الناس)).

هذا هو علي أوليس حقاً على الله أن يقول فيه ما قال!!!

إن علياً هو واحد من هؤلاء الذين عجز عنهم تاريخ الأمة أن يدرك أغوارهم ويحتوي مداركهم عبر السنين الطوال لما فيها من مآثر شتى وقيم عليا ومبادئ صادقة لقد كان بتقواه علة الكثير من تصرفاته مع نفسه والناس. ولنأتي على ما

نزل بحقه من الآيات في القرآن الكريم: عن ابن عباس قال^(١): ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي عليه السلام قال: نزلت في علي عليه السلام ثلاثمائة آية:

١- قوله تعالى: ((إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ))^(٢).

عن عباد بن عبد الله الأسدي عن علي عليه السلام (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قال علي عليه السلام: رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر وأنا الهادي^(٣).

وروى بسنده^(٤) عن ابن عباس قال: لما نزلت (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) وضع صلى الله عليه وآله يده على صدره فقال: أنا المنذر ولكل قوم هاد وأوماً بيده إلى منكب علي عليه السلام فقال: أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون بعلي وقال الفخر الرازي^(٥): في تفسيره الكبير في ذيل تفسير الآية في سورة الرعد: واعلم أن أهل الظاهر من المفسرين ذكروا ها هنا أقوالاً (إلى أن قال) والثالث المنذر النبي صلى الله عليه وآله والهادي علي عليه السلام.

قال: قال ابن عباس: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدره فقال: أنا المنذر ثم أوماً إلى منكب علي عليه السلام وقال: أنت الهادي بك يهتدي المهتدون من بعدي.

(١) الفضائل الخمسة من الصالح الستة - الفيروز آبلدي: ٣٦٤/١.

(٢) سورة الرعد الآية: ٧.

(٣) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي: ٢٢١/٦، الصواعق المحرقة - ابن حجر: ٧٦، نور الأبصار - الشبلنجي، ص ٧٣.

(٤) مستدرک الصحيحين: ١٢٩/٣، كنز العمال - المتقي الهندي: ٤١/١.

(٥) جلع البيان - ابن جرير الطبري: ١٠٨/٣.

قال السيوطي^(١): وأخرج ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما أنت منذر ووضع يده على صدره ثم وضعها على صدر علي عليه السلام ويقول: لكل قوم هاد قال: وأخرج ابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ المنذر والهادي علي بن أبي طالب.

٢- قوله تعالى: ((أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ))^(٢).

أخرج أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني والواحدي وابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن عساكر من طرق عن ابن عباس عليه السلام قال: قال الوليد بن عقبة لعلي بن أبي طالب عليه السلام: أنا أحد منك سناناً، وأبسط منك لساناً وإملاءً للكتيبة منك، فقال له علي عليه السلام: أسكت فإنما أنت فاسق.

فنزلت ((أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ)) يعني بالمؤمن: علياً والفاسق: الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله: ((أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ)) قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام والوليد بن عقبة^(٣).

وروى الواحدي^(٤) بسنده عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب عليه السلام: أنا أحدُ منك سناناً، وأبسطُ منك لساناً وإملاً للكتيبة

(١) الدر المنثور - السيوطي: ٦٠٧/٨٣.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٨.

(٣) الدر المنثور - جلال الدين السيوطي: ٥٥٣/٢١.

(٤) أسباب النزول - الواحدي: ٦٣، الرياض النضرة: ٢٠٦/٢.

منك، فقال له علي عليه السلام: أسكت فإنما أنت فاسق فنزل: ((أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ)) قال: يعني بالمؤمن علياً عليه السلام وبالفاسق الوليد بن عقبة.

٣- قوله تعالى: ((أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ))^(١).

أخرج بن أبي حاتم وأبن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ما من رجل من قريش إلا نزل فيه طائفة من القرآن. فقال له رجل: ما نزل فيك؟ قال: أما تقرأ سورة هود ((أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ)) رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيينة من ربه وأنا شاهد منه^(٢).

قال الفخر الرازي^(٣) في تفسير الآية المذكورة في سورة هود قال: فذكروا في تفسير الشاهد وجوهاً (إلى أن قال) وثالثها ان المراد هو علي بن أبي طالب عليه السلام والمعنى أنه يتلو تلك البيينة، وقوله: منه أي هذا الشاهد من محمد صلى الله عليه وسلم وبعض منه، والمراد منه تشريف هذا الشاهد بأنه بعض من محمد صلى الله عليه وسلم.

٤- قوله تعالى: ((فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ))^(٤).

قال الهيثمي^(٥): عن حبيب بن يسار لما أصيب الحسين بن علي عليهما السلام قام زيد بن أرقم على باب المسجد فقال: أفعلتموها أشهد أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم أني أستودعكما وصالح المؤمنين، فقيل لعبيد الله بن زياد: إن زيد بن أرقم

(١) سورة هود الآية: ١٧.

(٢) الدر المنثور - جلال الدين السيوطي: ٣/ ٣٣٠.

(٣) التفسير الكبير - الفخر الرازي: ٧/ ٢٠٠.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٥) المجمع - للهيثمي: ٩/ ١٩٤.

قال كذا وكذا قال: ذاك شيخ قد ذهب عقله قال رواه الطبراني. والمراد من ضمير
التثنية في قوله: اللهم اني أستودعكما هو الحسن والحسين عليهما السلام والمراد من
صالح المؤمنين هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

عن علي عليه السلام قال ^(١): قال رسول الله ﷺ في قوله: وصالح المؤمنين، قال: هو علي
بن أبي طالب عليه السلام.

٥- قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ
وُدًّا)) ^(٢).

قال الزمخشري ^(٣): وروي ان النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: يا علي قل: اللهم أجعل
لي عندك عهداً وأجعل لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله هذه الآية. وعن ابن
عباس رضي الله عنه: يعني يحبهم الله ويحبهم إلى خلقه. وعن رسول الله ﷺ (يقول الله عز وجل):
يا جبريل قد أحببت فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله
قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء ثم يضع له المحبة في أهل الأرض، وعن
قتادة: ما أقبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه ^(٤).

قال السيوطي: وأخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت في علي
بن أبي طالب عليه السلام ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ
وُدًّا)).

(١) كنز العمال - المتقي الهندي: ٣٣٧/١.

(٢) سورة مريم، الآية: ٩٦.

(٣) الكشاف - للزمخشري:

(٤) الكشاف - للزمخشري: ٤٧/٣.

قل: محبة في قلوب المؤمنين.

قل الحب الطبري^(١): ومن الآيات النازلة في فضل علي عليه السلام - قوله تعالى : (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال: قال ابن الحنفية: لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه ود لعلي عليه السلام وأهل بيته (قال) أخرجه الحافظ السلفي، وهكذا ابن حجر في صواعقه (ص ١٠٢).

٦- قوله تعالى: ((أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ))^(٢).

قل الواحلي: قال الحسن والشعبي والقرطبي: نزلت الآية في علي عليه السلام والعباس وطلحة بن شيبه، وذلك أنهم أفتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه وإلي ثياب بيته، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، وقال علي عليه السلام: ما أدري ما تقولان، لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله تعالى هذه الآية - يعني قوله تعالى: ((أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))^(٣) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ))^(٤).

(١) الدر المنثور - جلال الدين السيوطي: ٥٤٤/٥.

(٢) الصواعق المحرقة - ابن حجر: ١٠٢.

(٣) سورة التوبة، الآيتان: ١٩ - ٢٠.

روى الطبري^(١) عن السدي: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ)، قال: افتخر علي عليه السلام والعباس، وطلحة بن شيبه بن عثمان، فقال العباس: أنا أفضلكم أنا أسقي حجج بيت الله الحرام، وقال شيبه: أنا أعمار مسجد الله، وقال علي عليه السلام: أنا هاجرت مع رسول الله ﷺ وأجاهد معه في سبيل الله فأنزل الله: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾)).

٧- قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ))^(٢).

قال الفخر الرازي^(٣): وقال قوم: إنها نزلت في علي عليه السلام.

قال: ويدل عليه وجهان:

الأول: إنه ﷺ لما دفع الراية إلى علي عليه السلام يوم خيبر قال: لأدفعن الراية غدأ إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وهذا هو الصفة المذكورة في الآية.

(١) تفسير جامع البيان - ابن جرير الطبري: ٦٨/١٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٣) الفخر الرازي - التفسير الكبير:

الثاني: إنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله: ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)) وهذه الآية في حق علي عليه السلام، فكان الأولى جعل ما قبلها في حقه.

٨- قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ))^(١).

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ((اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)) قال: مع علي بن أبي طالب.

وأخرج ابن عساکر عن أبي جعفر في قوله: ((وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)) قال: مع علي بن أبي طالب.

٩- قوله تعالى: ((فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ))^(٢).

روى الطبري بسنده عن جابر الجعفي، قال: لما نزلت فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون، قال علي عليه السلام: نحن أهل الذكر.

١٠- قوله تعالى: ((وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ))^(٣).

قال ابن حجر^(٤) في صواعقه: الآية الثالثة عشرة قوله تعالى: ((وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ)) قال: أخرج الثعلبي في تفسير هذه الآية عن ابن عباس أنه قال: الأعراف موضع علي من الصراط عليه العباس وحمة وعلي بن

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٣) سورة الاعراف، الآية: ٤٦.

(٤) الصواعق المحرقة- ابن حجر: ١٠١.

أبي طالب عليه السلام وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضهم بسواد الوجوه.

١١- قوله تعالى: ((مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا))^(١).

قال ابن حجر: وسئل علي عليه السلام وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى: (رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)، قال: اللهم غفراً هذه الآية نزلت في وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، فأما عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر، وحمزة قضى شهيداً يوم أحد وأما أنا فانتظر أشقاها يخضب هذه من هذه وأشار بيده إلى لحيته ورأسه، عهد عهده إلي حبيبي أبو القاسم عليه السلام. ذكره نور الأبصار (ص ٩٧) نقلاً عن الفصول المهمة لأبن الصباغ.

١٢- قوله تعالى: ((مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾))^(٢).

قال السيوطي^(٣): في ذيل تفسير قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) في سورة الرحمن قال: وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) قال: علي وفاطمة عليهما السلام، بينهما برزخ لا يبغيان قال: النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال: الحسن والحسين عليهما السلام.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الرحمن، الآيات: ١٩ - ٢٢.

(٣) الدر المنثور - للسيوطي: ٦٩٧/٧.

وقال أيضاً: وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك في قوله: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ)، قال: علي وفاطمة عليهما السلام، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، قال: الحسن والحسين عليهما السلام.

وقال الشبلنجي في (نور الأبصار ص ١٠١): عن أنس بن مالك قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ)، قال: علي وفاطمة عليهما السلام يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال: الحسن والحسين عليهما السلام.

١٣- قوله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا))^(١).

قال الشبلنجي: عن محمد بن سيرين في قوله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا)) إنها نزلت في النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عم النبي ﷺ وزوج فاطمة عليها السلام فكان نسباً وصهراً.

١٤- قوله تعالى: ((أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدْنَاهُ وَغَدَاً حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ))^(٢).

روى بن جرير^(٣) بسنده عن مجاهد: (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدْنَاهُ وَغَدَاً حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)، قال: نزلت في حمزة وعلي بن أبي طالب عليه السلام وأبي جهل.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٦١.

(٣) جمع البيان - ابن جرير الطبري: ٦٢/٢٠.

رواه الواحدي أيضاً في أسباب النزول (ص ٢٢٥) بسنده عن مجاهد، وقال: نزلت في علي عليه السلام وحمزة وأبي جهل، وذكره المحب الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٧) وقال: قال مجاهد، نزلت في علي عليه السلام وحمزة وأبي جهل.

١٥- قوله تعالى: ((قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ))^(١).

روى الخطيب^(٢) بسنده عن ابن عباس، قل بفضل الله وبرحمته، بفضل النبي صلى الله عليه وسلم، وبرحمته علي عليه السلام.

١٦- قوله تعالى: ((فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ))^(٣).

روى الخطيب^(٤) بسنده عن أنس قال: لما نزلت سورة التين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح لها فرحاً شديداً حتى بان لنا شدة فرحه، فسألنا ابن عباس بعد ذلك عن تفسيرها فقال: أما قول الله تعالى: والتين فبلاد الشام، ثم ساق الحديث (إلى أن قل) ((فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ)) علي بن أبي طالب عليه السلام.

١٧- قوله تعالى: ((أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ))^(٥).

(١) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٢) تاريخ بغداد- الخطيب البغدادي: ١٥/٥.

(٣) سورة التين، الآية: ٧.

(٤) تاريخ بغداد- الخطيب البغدادي: ٩٧/٢.

(٥) سورة الجاثية، الآية: ٢٦.

قال فخر الرازي^(١) في ذلك تفسير الآية الكريمة في سورة الجاثية، قال: قال الكلبي: نزلت هذه الآية في علي عليه السلام وحمة وعبيدة، وفي ثلاثة من المشركين عتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة قالوا للمؤمنين: والله ما أنتم على شيء ولو كان ما تقولون حقاً لكان حالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما أنا أفضل حالاً منكم في الدنيا، فأنكر الله عليهم هذا الكلام وبين أنه لا يمكن أن يكون حال المؤمن المطيع مساوياً لحال الكافر العاصي في درجات الثواب ومنازل السعادات.

١٨- قوله تعالى: ((إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ))^(٢).

قال السيوطي^(٣): وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: والعصر إن الإنسان لفي خسر يعني أبا جهل بن هشام، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ذكر علياً عليه السلام.

١٩- قوله تعالى: ((وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ))^(٤). أخرج ابن مردويه^(٥) عن أبي هريرة ((وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ)) قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم ((وَصَدَّقَ بِهِ)) قال: علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢٠- قوله تعالى: ((وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُؤَلُونَ))^(٦).

(١) التفسير الكبير - الفخر الرازي: ٢٦٦/٢٧.

(٢) سورة العصر، الآية: ٣.

(٣) الدر المنثور - جلال الدين السيوطي: ٢٢٢/٣٠.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(٥) الدر المنثور - للسيوطي: ٢٢٨/٢٤.

(٦) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

قال ابن حجر: الآية الرابعة قوله تعالى: ((وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُولُونَ)) قال: أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: ((وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُولُونَ)) عن ولاية علي عليه السلام قال: وكان هذا هو مراد الواحدي بقوله: روي في قوله تعالى: ((وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُولُونَ)) أي عن ولاية علي عليه السلام وأهل البيت، لأن الله أمر نبيه ﷺ لأن يعرف الخلق أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلا المودة في القربى والمعنى إنهم يسألون هل والوهم حق الموالاتة كما أوصاهم النبي ﷺ أم أضاعوها وأهملوها؟ فتكون المطالبة والتبعة ^(١).

الثاني:

الآيات النازلة في أعداء علي عليه السلام:

١- قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثماً مُّبِيناً)) ^(٢).

قال الزمخشري ^(٣) ما لفظه: وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون علياً عليه السلام ويسمعونه.

قال الواحدي في (أسباب النزول ص ٢٧٣) ما لفظه: قال مقاتل: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك إن أناساً من المنافقين كانوا يؤذونه ويسمعونه.

(١) الصواعق المحرقة - ابن حجر: ٨٩

(٢) سورة الأحزاب: ٥٨.

(٣) الكشاف - للزمخشري: ٨٦٤

٢- قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ))^(١).

قال الزمخشري: وقيل: جاء علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلح، فضحكوا منه فنزلت قبل أن يصل علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والإشارة هنا إلى أبي جهل، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأشياعهم هؤلاء هم مشركوا مكة^(٢).

٣- قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانِ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَنْ لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ))^(٣) ﴿٢٩﴾ وَكَوْنُ نَشَاءٍ لَّارْتِنَاكُهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَكَتَرَفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ))^(٤).

قال السيوطي^(٥): وأخرج ابن مردويه وأبن عساكر عن أبي سعيد الخدري في قوله: ولتعرفنهم في لحن القول: قل: ببغضكم علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأخرج ابن مردويه أيضاً عن ابن مسعود قل: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام.

٤- قوله تعالى: ((سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ))^(٦).

(١) سورة المطففين، الآية: ٢٩.

(٢) الكشاف - للزمخشري: ١٧٨.

(٣) سورة محمد الآية: ٢٥، والآيتين: ٢٩ - ٣٠.

(٤) الدر المنثور - للسيوطي: ٥٠٤ / ٦٦.

(٥) سورة المعارج، الآية: ١.

نقل الكثير^(١) من المفسرين وأصحاب الحديث أحاديث عن سبب نزول هذه الآية وحاصلها: أنه عندما نصب رسول الله ﷺ علياً عليه السلام في يوم (غدِير خم) قل في حقه: ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) ولم ينقض مدة حتى أنتشر ذلك في البلاد والمدن، فقدم النعمان بن الحارث الفهري على النبي ﷺ وقال: أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أو أمر من عند الله.

فقال: ((والله، والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله)) فولى النعمان بن حارث وهو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فرماه الله بحجر على رأسه فقتله وأنزل الله تعالى: ((سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ)) روى النسائي^(٢) وجماعة وصححه الحاكم عن ابن عباس وروى ذلك عن ابن جريح والسدي والجمهور حيث قال إنكاراً وإستهزاء. اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو أئتنا بعذاب أليم، قيل هو الحارث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول رسول الله ﷺ في علي عليه السلام (من كنت مولاه فعلي مولاه) قال: اللهم إن كان ما يقول محمد ﷺ حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوق على دماغه فخرج من أسفله فهلك من ساعته.

(١) الأمل - ناصر مكارم الشيرازي: ٦/١٩.

(٢) روح المعاني - الألوسي البغدادي: ٥٥/٢٩.

الثالث: الأحاديث الواردة في فضل علي عليه السلام:

١- قال النبي ﷺ: علي وليكم من بعدي.

روى الترمذي ^(١) بسنده عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً وأستعمل عليهم علي بن أبي طالب عليه السلام فمضى في السرية فأصاب جارية فأنكروا عليه وتعاهد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا إذا لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع علي، وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدأوا برسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم أنصرفوا إلى رحلهم، فلما قدمت السرية سلموا على النبي ﷺ فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله ألم تر إلى علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم قام الثاني فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه فقال: ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي.

أستدلال الحديث:

بعد ملاحظة القرينة اللفظية المتصلة بالحديث الشريف وهي كلمة من بعدي وتوضيحه: إن للفظ الولي في اللغة معاني متعددة كالخب، والصديق، والناصر، والجار، والحليف وغير ذلك، ومن أظهر معانيه وأشهرها هو مالك الأمر فكل من ملك أمر غيره بحيث كان له التصرف في أموره وشؤونه فهو وليه فالسلطان ولي

(١) صحيح الترمذي: ٢/ ٢٩٧، مسند أحمد: ٤/ ٣٤٧، حلية الأولياء - أبو نعيم: ٦/ ٢٩٤، كنز العمل -

المتقي الهندي: ٦/ ١٥٤.

الرعية أي يملك أمرهم وله التصرف في أمورهم وشؤونهم والأب أو الجد ولي الصبي أو المجنون أي يملك أمره وله التصرف في أموره وشئونه، وهكذا ولي المرأة في نكاحها أو ولي الدم أو الميت.

إن من المعلوم أن لفظة (من بعدي) مما ينافي إرادة المحب أو الصديق أو الناصر إن كونه عليه السلام محباً للمسلمين أو صديقاً أو ناصرأ لهم مما لا ينحصر بما بعد زمان النبي صلى الله عليه وآله بل هو عليه السلام كان كذلك في زمان النبي صلى الله عليه وآله فإذا انحصر المراد من الولي في الحديث الشريف بالمعنى الأخير وهو مالك الأمر أو الأولى بالتصرف أو المتصرف في أمور المسلمين وفي شؤونهم، وذلك ما فيه من المناسبة الشديدة مع كلمة من بعدي فيتعين هو من بين سائر المعاني وهو معنى الإمام والخليفة كما هو واضح لمن أنصف.

٢- قل النبي صلى الله عليه وآله إن علياً وصي:

روى أبو نعيم بسنده عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أنس أسكب لي وضوء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال: يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغر المحجلين وخاتم الوصيين قال أنس: قلت: اللهم أجعله رجلاً من الأنصار وكتمته إذ جاء علي عليه السلام فقال: من هذا يا أنس؟ فقلت: علي، فقام مستبشراً فأعتقه ثم جعل يمسح عرق وجهه ويمسح عرق علي بوجهه، قال علي: يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي من قبل، قال: وما يمنعني وأنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي؟ قال أبو نعيم: رواه جابر الجعفي عن أبي الطفيل عن أنس نحوه.

الوصية: هي من أوصاه أو وصله توصية أي عهد إليه كما في القاموس^(١) وغيره وهي من وصى يصي إذا وصل الشيء بغيره لأن الموصى يوصل تصرف بعد الموت بما قبله، والظاهر أن الأول أقرب، وعلى كل حال لا كلام في أن الوصي - سواء كان مأخوذاً من العهد أو من وصى يصي بمعنى الوصل - هو متصرف فيما كان الموصى متصرفاً فيه، ولذا قيل: إن الوصاية هي أستنابة الموصى غيره بعد موته في التصرف فيما كان له التصرف فيه من إخراج حق وإستيفائه وولاية على طفل أو مجنون يملك الولاية عليه إلى آخره.

بذلك يتضح لك أن الوصي مما يختلف ولايته سعة وضيقاً بحسب اختلاف ولاية الموصى سعة وضيقاً، فأوصياء سائر الناس تكون ولايتهم مقصورة على الأموال من الدور والعقار ونحوهما أو على الأطفال والمجانين ومن يحكمهم من السفهاء الذين كان للموصى ولاية عليهم، وإما أوصياء الأنبياء فتكون ولايتهم تامة على جميع الأمة ذكرها وأنثاها حرها وعبيداً كبيرها وصغيرها، وعلى جميع ما في أيديهم من الأموال منقولها وغير منقولها، إذ كل نبي أولى بأمة من أنفسهم فيكون أولى بأموالهم بالأولية القطعية، فإذا كان النبي أولى بهم وبأموالهم كان الوصي كذلك.

٣- قل النبي ﷺ: إن علياً وارثي.

روى صاحب المستدرک بسندين عن أبي اسحاق قل: سألت قثم بن العباس كيف يرث علي رسول الله ﷺ دونكم؟

قل: لأنه كان أولنا به لحوقاً وأشدنا به لزوقاً.

(١) القاموس المحيط - الفيروز آبلدي: ٤/٤٠٣.

قال هذا حديث صحيح الإسناد ذكره المتقي أيضاً في كنز العمال (ج ١ ص ٤٠٠) وقال: أخرجه ابن أبي شيبة، ورواه النسائي أيضاً في خصائصه (ص ٢٠٨) بطريقتين مختلفتين في اللفظ.

وروى النسائي^(١) بسنده عن ربيعة بن ماجد إن رجلاً قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا أمير المؤمنين لم ورثت دون أعمامك؟

قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب فصنع لهم مداً من الطعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بغمر فشربوا حتى رروا وبقي الشراب كأنه لم يمس - أو لم يشرب فقال: يا بني عبد المطلب إنني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة وقد رأيتم من هذه الآية ما قد رأيتم، وأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي فلم يقم إليه أحد فقمتم إليه وكنت أصغر القوم، فقال: أجلس ثم قال: ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول: أجلس حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي ثم قال: فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي.

أستدلال الحديث:

إن الأخبار التي دلت على أن علياً عليه السلام وارث النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة وهي بيان معنى التعصيب والعول بنحو الاختصار: إن وارث الميت إذا كان منحصراً بمن له الفرض في الكتاب العزيز كالنصف أو الثلث والربع ونحو ذلك (فتارة) تزيد التركة على الفريضة فحينئذ تقول العامة بالتعصيب، أي رد الزائد على العصبة وهم أقارب الميت من أبيه وأبنة دون أمه وبنته إلى آخر فقه الميراث.

(١) خصائص النسائي: ١٨.

وإذا عرفت هذا كله فاعلم أن علياً عليه السلام ليس هو بمن يرث المال من رسول الله صلى الله عليه وآله بإجماع المسلمين العامة والخاصة جميعاً، أما عند العامة فلأنهم وإن قالوا بالتعصيب ولكنهم يقدمون العم مطلقاً ولو كان من الأب كالعباس بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله على ابن العم مطلقاً ولو كان من الأبوين كعلي عليه السلام بالنسبة للنبي صلى الله عليه وآله فالنبي صلى الله عليه وآله الذي لم يخلف إلا بنتاً واحدة ونصف أمواله بمذهب العامة لفاطمة عليها السلام ونصفه الآخر لعمه العباس، وإما عند الخاصة فلأنهم لا يقولون بالتعصيب فالمال كله لفاطمة عليها السلام فرضاً ورداً (وعيه) فعلي عليه السلام بإجماع المسلمين ممن لا نصيب له من أموال رسول الله صلى الله عليه وآله إراثاً فلا بد له من حمل تلك الأخبار الواردة كلها في إن علياً عليه السلام وارث النبي صلى الله عليه وآله على كونه وارثاً لعلمه كما في رواية ابن عباس: والله إنني لأخوه ووليه وأبن عمه ووارث علمه الخ..

وفي رواية معاذ يا رسول الله ما أرت منك؟

قل: ما يرث النبيون بعضهم من بعض كتاب الله وسنة نبيه.

وفي حديث المؤاخلة قل: وما أرت منك يا رسول الله؟ قل: ما ورثت الأنبياء من قبلي، قل: وما ورثت الأنبياء من قبلك؟ قل: كتاب ربهم وسنة نبيهم. فإذا ثبت أن علياً عليه السلام هو الوارث لعلم النبي صلى الله عليه وآله وأنه الذي ورث من رسول الله صلى الله عليه وآله علم الكتاب والسنة ثبت أنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كما هو الشأن في الأنبياء السابقين^(١).

٤- قل رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنني تارك فيكم الثقلين):

(١) فضائل الخمسة من الصالح الستة - مرتضى الفيروز آبادي: ٤١/٢.

روى الإمام أحمد^(١) بسنده عن علي بن ربيعة قال: لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده فقلت له: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: إني تارك فيكم الثقلين؟ قال نعم.

وروى أبو نعيم بسنده عن علي ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ بلحيفة فقال: أيها الناس ألت أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: فإني كائن على الحوض فرطاً وسائلكم عن اثنتين عن القرآن وعن عترتي. ولفظه: إني لكم فرط وإنكم واردون عليّ الحوض، عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى، فيه عدد الكواكب من قرحان الذهب والفضة فأنضروا كيف تخلفوني في الثقلين، قيل: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به لن تزلوا ولا تضلوا والأصغر عترتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، وسألت لهما ذلك ربي ولا تقلموهما فتهلكوا ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم.

قال الطبراني^(٢): (حدثنا حمدان بن إبراهيم العامري الكوفي قال: حدثنا يحيى بن الحسن ابن فرات القزاز قال: حدثنا أبو عبد الرحمن المسعودي، عن كثير النواء وأبي مريم الأنصاري، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: ((إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض)).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٤/ ٣٧١، مشكل الآثار - الطحاوي: ٤/ ٣٦٨.

(٢) المعجم الاوسط - للطبراني: ٤/ ٣٦٨.

عن عبد بن حميد قل^(١): ((وحدثني يحيى بن عبد الحميد ثنا شريك، عن الركين، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت قل: قال رسول الله ﷺ: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)).

أستدلال حديث الثقلين:

إن الدلالة القوية والحجج الجليلة على خلافة علي عليه السلام وإمامته من بعد النبي ﷺ بلا فصل، بل لو لم يكن للشيعنة دليل على خلافة علي عليه السلام سوى حديث الثقلين لكفاهم ذلك حجة على المخالف والاستدلال به يتوقف على بيان سنه ودلالته:

١- السند: فهو قوي جداً فإنه حديث صحيح مستفيض بل متواتر بل قد رواه أجلاء الصحابة ومشاهيرهم عن النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبي ذر، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وزيد بن أرقم، وأبي سعيد الخدري، وزيد بن ثابت، وحذيفة بن أسيد الغفاري، وعبد الله بن حنطب، وأبي هريرة، وغيرهم كثير وقد سمعت كلام المناوي في فيض القدير^(٢). حيث قل: قل السهمودي: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة.

٢- الدلالة: هي في أعلى مراتب القوة بعد رعاية القرائن القطعية والشواهد الجليلة المحفوفة به. كقوله ﷺ: إني مقبوض -أو إنما بشر يوشك أن يأتي رسول فأجيب أو إني لا أجد لني إلا نصف عمر النبي قبله وإني أوشك أن أدعى

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد: ١٠٨.

(٢) فيض القدير - المناوي: ٣/ ١٤.

فأجيب أو قوله ﷺ: وأنا تارك فيكم الثقلين، أو إني تارك فيكم الثقلين، أو خليفتي، أو فأنظروا كيف تخلفوني في الثقلين، والشواهد أن النبي ﷺ قد استخلف الكتاب وأهل بيته وترك في الأمة هذين الثقلين، ثبتت خلافة علي عليه السلام من بين أهل البيت الطاهرين بالخصوص، فإنه أعلمهم وأفضلهم ولم يدع منهم أحد منصب الخلافة والإمامة ما دام علي عليه السلام كان حياً موجوداً في دار الدنيا (هذا كله) مع قطع النظر عن الأحاديث التي كان فيها تصريح بأسم علي بن أبي طالب عليه السلام، وإن النبي ﷺ بعدما قل: إني قد تركت فيكم الثقلين، أو إني تارك فيكم أمرين كتاب الله وأهل بيتي - قد أخذ بيد علي عليه السلام وقال: من كنت مولاه - أولى به من نفسه - فعلي مولاه، أو وليه.

ومما لا يزيد في المقام توضيحاً أن المتعين من بين أهل البيت عليهم السلام الذين استخلفهم النبي ﷺ وجعلهم عدلاً للقرآن المجيد وشريكاً له - هو علي بن أبي طالب عليه السلام خاصة^(١).

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٥٤ / ٢.

دلالات آية (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ) التفسيرية:

أكد الكثير من المفسرين والحفاظ على أن الآيات من قوله تعالى: ((سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾))^(١). وكذا قوله تعالى: ((وَأِذْ قَالُوا اللّٰهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ))^(٢).

إن هذه الآيات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنص الغدير، وهذه شهادات أخواننا من أهل السنة التي تؤيد هذه التفسير وإليك شهادات الحفاظ:

١- الحافظ أبو عبيد الهروي (المتوفى سنة ٢٣٣ أو ٢٢٤ هـ): ((لما بلغ رسول الله ﷺ في غدير خم لما بلغ وشاع ذلك في البلاد أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي فقال: يا محمد! أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وإنك رسول الله، وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أم من الله؟

فقال رسول الله: ((والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله)).

فولى جابر يريد راحته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو أئتنا بعذاب اليم.

(١) سورة المعارج، الآيات: ١-٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

- فما وصل إليها حتى رمه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله وأنزل الله تعالى: (الآيات)) وهذا نص ما ورد في تفسير غريب القرآن^(١).
- ٢- نور الدين بن الصباغ المالكي (المتوفى سنة ٨٥٥ هـ).
- ٣- الشيخ محمد عبده المصري (المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ)^(٢).
- ٤- شمس الدين أبو المظفر سبط بن الجوزي (المتوفى سنة ٦٥٤ هـ)^(٣).
- ٥- شمس الدين الشربيني القاهري الشافعي (المتوفى سنة ٩٧٧ هـ)^(٤).
- ٦- الشيخ برهان الدين علي الجلي الشافعي^(٥).
- ٧- أبو عبد الله الزرقاني المالكي (المتوفى سنة ١١٢٢ هـ)^(٦).
- ٨- السيد ابن العيدروس الحسيني اليمني (المتوفى سنة ١٠٤١ هـ)^(٧).
- ٩- الشيخ زين الدين المناوي الشافعي (المتوفى سنة ١٠٣٦ هـ)^(٨).
- ١٠- السيد مؤمن الشلبنجي الشافعي المدني^(٩).

(١) موسوعة الغدير: الجزء الأول: ٤٦٠.

(٢) تفسير المنار: ٦/ ٤٦٤.

(٣) تذكرة الخواص: ٣٠.

(٤) السراج المنير: ٤/ ٣٨٠.

(٥) السيرة الحلبية: ٣/ ٢٧٤.

(٦) شرح المواهب اللدنية: ٧/ ٣.

(٧) موسوعة الغدير: ١/ ٢٩١.

(٨) فيض القدير في شرح الجامع الصغير: ٦/ ٢١٨.

(٩) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: ٧٨.

١١- السيد نور الدين الحسيني السمهودي الشافعي (المتوفى سنة ٩١١ هـ)^(١).

١٢- شهاب الدين أحمد الدولت آباي (المتوفى سنة ٨٤٩ هـ)^(٢).

الروايات التاريخية في إكمال الدين:

١- الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: (المتوفى سنة ٣٦٠ هـ).

روى في كتاب الولاية بأسناده عن زيد بن أرقم نزول الآية الكريمة يوم غدیر خم في أمير المؤمنين ﷺ.

٢- الحافظ ابن مردويه الأصفهاني: (المتوفى سنة ٤١٠ هـ) روى من طريق أبي هارون العبدی عن أبي سعيد الخدري:

إنها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدیر خم حيث قال لعلي: ((من كنت مولاه فعلي مولاه)).

ثم رواه عن أبي هريرة وفيه: أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، يعني مرجعه ﷺ من حجة الوداع. تفسير ابن كثير (١٥/٢).

وقال السيوطي في الدر المنثور (٢٥٩٢): أخرج ابن مردويه وابن عساكر بسند ضعيف عن أبي سعيد الخدري قال:

(١) موسوعة الفدير: ٢٨٣/١.

(٢) هداية العلماء: الهداية الثالثة، الحلقة الثانية.

لما نصب رسول الله ﷺ علياً يوم غدیر خُم، فنأى له بالولاية هبط جبرئيل عليه
بهذه الآية ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)).

وقال القطيفي في الفرقة الناجية: روى أبو بكر بن مردويه الحافظ بأسناده إلى أبي
سعيد الخدري:

إن النبي ﷺ يوم دعا الناس إلى غدیر خُم أمر بما كان تحت الشجرة من شوك فقم،
وذلك يوم الخميس ودعا الناس إلى علي، فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس
إلى بياض إبط رسول الله، فلم يقترفا حتى نزلت هذه الآية ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ))، فقال.... إلى آخر ما يأتي عن أبي نعيم الأصفهاني حرفياً.

٣- الحافظ أبو نعيم الأصفهاني: (المتوفى سنة ٤٣٠ هـ)^(١).

روى في كتابه ما نزل من القرآن - في علي قال: حدثنا محمد بن أحمد بن علي بن
مخلد المحتسب (المتوفى سنة ٣٥٧) قال: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، قال:
حدثني يحيى الحماني قال: حدثني قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبدي، عن
أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ دعا الناس علي في غدیر خُم، وأمر بما تحت
الشجرة من الشوك فقم، وذلك يوم الخميس، فدعا علياً، فأخذ بضبعيه، فرفعهما
حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله، ثم لم يتفرقا حتى نزلت هذه الآية:
((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)) فقال رسول الله ﷺ ((الله أكبر على إكمال الدين،
 وإتمام النعمة ورضا الرب برسالي وبالولاية لعلي ﷺ من بعدي.

(١) ما نزل من القرآن في علي - أبو نعيم الأصفهاني: ٥٦.

ثم قال: من كنت مولاة فعلي مولاة، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأنصر
من نصره، وأخذل من خذله .

فقام حسان بن ثابت، فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من
رسول الله في الولاية ماضية. ثم قال:

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيهِمْ	بِحَمِّ فَأَسْمِعِ بِالرَّسُولِ مَنَادِيَا
يَقُولُ فَمَنْ مَوْلَاكُمْ وَلِيكُمْ	فَقَالُوا وَلَمْ يَبْدُوا هُنَاكَ التَّعَامِيَا
إِلَهَكَ مَوْلَانَا وَأَنْتَ وَلِينَا	وَلَمْ تَرْمَنَا فِي الْوَلَايَةِ عَاصِيَا
فَقَالَ لَهُ قُمْ يَا عَلِي فَإِنِّي	رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَامًا وَهَادِيَا
فَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيهِ	فَكُونُوا لَهُ أَنْصَارَ صَدَقَ مَوَالِيَا
هُنَاكَ دَعَا اللَّهُمَّ وَالِ وَلِيهِ	وَكَنْ لِلذِّي عَادَى عَلِيًّا مَعَادِيَا

٤- الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ)^(١).

روى في تاريخه عن عبد الله بن علي بن محمد بن بشران، عن الحافظ علي بن
عمر الدار قطني، عن حبشون الخلال، عن علي بن سعيد الرملي، عن ضمرة، عن
بن شوذب، عن مطر الوراق، عن ابن حوشب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ .

وعن أحمد بن عبد الله النيري، عن علي بن سعيد، عن ضمرة، عن ابن شوذب
عن مطر الوراق، عن ابن حوشب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال:

(١) تاريخ بغداد- الخطيب البغدادي: ٢٩٠ / ٨.

((من صام يوم الثامن عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً)) وهو يوم غدیر خُم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب، فقال: ((ألست أولى بالمؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه)).

فقال عمر بن الخطاب: يخُ بخ يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم. فأنزل الله ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)).

٥- الحافظ أبو سعيد السجستاني: (المتوفى سنة ٤٧٧ هـ).

في كتاب الولاية بأسناده عن يحيى بن عبد الحميد الحماني الكوفي، عن قيس بن الربيع، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدري:

أن رسول الله ﷺ لما دعا الناس بغدير خُم أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقم ذلك يوم الخميس - إلى آخر اللفظ المذكور بطريق أبي نعيم الأصبهاني.

٦- أبو الحسن بن المغازلي، الشافعي^(١): (المتوفى سنة ٤٨٣ هـ).

روى في مناقبه عن أبي بكر أحمد بن محمد بن طاوآن، قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن الحسين بن السماك، قال: حدثني أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، حدثني علي بن سعيد بن قبة الرملي، قال: حدثني ضمرة بن ربيعة القرشي، عن ابن شوذب، عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة... إلى آخر اللفظ المذكور بطريق الخطيب البغدادي.

(١) مناقب علي بن أبي طالب - ابن المغازلي: ١٨.

٧- الحافظ أبو القاسم الحاكم الحسكاني^(١): (المتوفى سنة ٤٣٣ هـ)

قال: أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي، قال: أخبرنا أبو بكر الجرجاني، قال: حدثنا أبو أحمد البصري، قال: حدثنا أحمد بن عمار بن خالد، قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحِماني، قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبلي، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)).

قال: ((الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالي، وولاية علي بن أبي طالب من بعدي)).

وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأنصر من نصره، وأخذل من أخذه)).

٨- شيخ الإسلام الحموي الحنفي^(٢): (المتوفى سنة ٧٢٢ هـ) روى في فرائد السمطين في الباب الثاني عشر قل:

نبأني الشيخ تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب بن عثمان بن عبید الله الخازن قال: أنبأنا الإمام برهان الدين ناصر بن أبي المكارم المطرزي إجارة قال: أنبأنا الإمام أخطب خوارزم أبو المؤيد الموقف بن أحمد المكي الخوارزمي قال: أخبرني سيد الحفاظ فيما كتب إلي من همدان إلى آخر ما مر عن أخطب الخطباء الخوارزمي سنداً ومتمناً.

(١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ٣٣٨/٨.

(٢) فرائد السمطين - شيخ الإسلام الحموي الحنفي: ٧٢/٨.

وروى عن سيد الحفاظ أبي منصور شهر دار بن شيرويه بن شهر دار الديلمي قال: أخبرنا الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد المقرئ الحافظ قال: نبأنا أحمد^(١) بن عبد الله بن أحمد قال: نبأنا محمد بن أحمد، قال: نبأنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، قال: نبأنا يحيى الجُماني قال: نبأنا قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبيدي، عن أبي سعيد الخدري:

أن رسول الله ﷺ دعا الناس إلى علي ... إلى آخر الحديث بلفظ مر بطريق أبي نعيم (ص ٢٣٢).

ثم قال: حديث له طرق كثيرة إلى أبي سعيد سعد بن مالك الخدري الأنصاري.

حقيقة الصراع الأموي الإسلامي:

عندما أنبثق نور الرسالة في ربوع مكة وبدأ يغمر سائر مدن الحجاز -سعى الأمويون لإطفاء ذلك النور بكل ما يمتلكون من قوة وسطوة يؤذون الرسول محمد ﷺ بمختلف الأساليب والوسائل الجاهلية المتعصبة. وقد تفنن الأمويون ومن هم على شاكلتهم من المشركين في ملاحقة النبي ﷺ وأصحابه من أوائل المؤمنين بالرسالة المحمدية. وكانوا كذلك يألبون المشركين واليهود على أتباع النبي ﷺ فبعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود لمحاربة الرسالة المحمدية، ثم أرسلوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص إلى الحبشة لإقناع النجاشي بطرد المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة تخلصاً من إيذاء

(١) هو الحافظ أبو نعيم الأصفهاني.

المشركين. إلا أن ذلك لم يكفي العصبة الأموية بل ذهبوا إلى ملاحقة المستضعفين من المسلمين لإجبارهم على ترك الدين الجديد. أمثال بلال بن رباح الحبشي، وعمار بن ياسر وأمه وأبيه، وخباب بن الأرت، وصهيب بن سنان الرومي، وعامر بن فهير، وحبيب بن علي بن كعب، وآخرين. ذلك ما يتصل بإيذاء الأمويين للرسول ﷺ عن طريق إيذائهم لأتباعه وبعد انتقال النبي الكريم ﷺ إلى المدينة أستجمع الأمويون قواهم لحرب المسلمين بعد أن تحالفوا مع المشركين واليهود.

وكان قائدهم عتبة بن ربيعة (أبو هند أم معاوية) وصهره أبو سفيان رأس العداء لرسول الله ﷺ وأبن عمه الحكم بن أبي العاص فكانت معركة بدر الكبرى. قتل فيها من الأمويين عتبة وأبنة شيبه وعقبة بن أبي معيط وأسر منهم أبو العاص بن الربيع وعمرو بن أبي سفيان.

وقد نجح معاوية من القتل والأسر بعد أن هرب من المعركة.

فقد بلغ حقد أبي سفيان على النبي بعد تلك المعركة حداً يفوق الوصف لأنكسار بعض أوتاد خيمة الشرك والحقد التي كان أبو سفيان يحتمي بظلمها. فزرع حقه في نفوس المشركين والأمويين واليهود بمختلف الوسائل المتيسرة لديه. وقد منع المشركين من البكاء على قتلاهم كما منع الشعراء القول في رثائهم وطلب من شركائه في المصيبة أن يتدبروا بالصبر والجلد.

وقد برهن أبو سفيان بذلك على براعته في الوصول إلى مكان نفوس المشركين. فأستثار نوازعهم النفسية حين خاطبهم قائلاً^(١):

(١) مغازي الرسول - الواقدي: ٩٠ - ٩٣.

((فأنتم إذا نحتم عليهم وبكيتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم فأقعدهم عن عداوة محمد وأصحابه، مع أن بلغ محمداً وأصحابه شتموا بكم، فيكون أعظم المصيبتين شماتتهم ولعلكم تدركون ثأركم. فالرهن والنساء علي حرام حتى أغزوا محمداً)).

وقد ظهر أثر أبي سفيان في تأنيب المشركين على حرب النبي - بالإضافة لتهياته لمعركة أحد. وفي حرصه الشديد على دحر المسلمين في تلك المعركة وضع على ميمنة المشركين خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل وجعل على الخيالة عمرو بن العاص. ثم خاطب بني عبد الدار في مسألة اللواء فقال ((يا بني عبد الدار نحن نعرف أنكم أحق باللواء منا. إنما أوطينا - يوم بدر- من اللواء. وإنما يؤتى القوم من قبل لوائهم. فألزموا لواءكم وحافظوا عليه. أو خلوا بيننا وبينه فغضب بنو عبد الدار وقالوا نحن نسلم لواءنا؟ لا كان هذا أبداً. ثم أسندوا اللواء بالرماح وأحدقوا به))^(١).

ذلك جانب من جوانب تعبير الأمويين عن عدائهم وكرههم للدين الحنيف فقد شنوها حرباً شعواء لا هواة فيها على النبي وأصحابه ولم يشتم أندحارهم في بدر عن مواصلة الحرب ضد الإسلام ومعتنقيه. ف وقعت معركة أحد - كاد الأمويون وحلفاؤهم من المشركين أن ينالوا من الرسول فيها بعد أن قتلوا عمه الحمزة ومثلوا به على شكل من الوضاعة قل أن يحدث في التاريخ.

(١) مغازي رسول الله - الواقدي: ١٧٣.

الأمويون يعتنقون الإسلام نفاقاً:

لما رأى الأمويون فشلهم المتواصل في مقاومة النبي والإسلام لجأوا إلى إتباع أسلوب جديد للإيقاع بالإسلام. وكان هذا الأسلوب في واقعه - أكثر الأساليب خطورة للعقيدة الإسلامية.

تقمص قادتهم الإسلام والتزموا ببعض مظاهره ليتمكنوا من دحر الإسلام من الداخل - بعد أن أعزهم حربه إياه من الخارج. فأسلم في الظاهر قائدهم أبو سفيان يوم فتح مكة بعد أن لجأ إلى العباس عم النبي مضطراً والتمسه أن يأخذه إلى الرسول ﷺ.

فلما أتى به العباس قال له رسول الله: ((ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقل بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك!! والله لقد علمت لو كان معه إله غيره أغنى عنا. فقل له ويحك: ألم يأن لك أن تعلم إني رسول الله؟ قل بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه ففي النفس منها شيء. فقل له العباس ويحك: قبل أن يضرب عنقك))^(١).

ذكر ابن هشام في سيرته^(٢): ان الحارث ابن هشام خاطب أبا سفيان بعد فتح مكة على أثر سماعهما المؤذن يأذن: ((أما والله لو أعلم أن محمداً نبي لأتبعته فقل أبو سفيان لا أقول شيئاً. لو تكلمت لأخبرت عني الحصا)).

(١) كتاب العبر - ابن خلدون: ٢/ ٣٣٤.

(٢) سيرة النبي محمد - ابن هشام: ٤/ ٣٣.

الأمويون ومبادئ الإسلام السامية :

بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ ظهر الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام بأوضح صورته وذلك في محاربتهم الإمام علي بن أبي طالب وأغتصابهم إمرة المسلمين في محاربتهم علي أثناء خلافته. وكان قائدهم - آنذاك معاوية نجل أبي سفيان قائد الأمويين في حربهم مع النبي ﷺ. وإذا كان الفشل قد كتب للأمويين في صراعهم مع النبي - لتمسكهم بالأوثان فإن القضاء عليهم لم يكن في الأمر الهين من قبل علي بن أبي طالب لتقمصهم - رداء الإسلام الفضفاض. ومهما يكن من الأمر فإن عذر الأمويين بعلي - تحت زعامة معاوية قد أصاب روح الإسلام ومبادئه السامية قبل أن يصيب قلب علي ﷺ.

وبعد قتل علي ﷺ أصبح المجال واسعاً أمام قوى الشر التي حبسها الإمام علي ﷺ في نطلق ضيق من خشية الله ومبادئ الدين الحنيف فتلاشت من القلوب حرارة الإيمان التي كانت تجمع بين قلوب خليفة المسلمين وقلوب رعاياه. وأستهان الولاة والحكام بتطبيق مبادئ الدين على شئون الحياة وعمدوا إلى إسكات صوت الحق بوسائل فاسدة من الرشوة والإرهاب والتجويع والتشريد والقتل.

ذكر الزبير بن بكار في الموفقيات عن المغيرة بن شعبة أنه قال: ((قال لي عمر بن الخطاب يوماً يا مغيرة هل أبصرت بعينك العوراء منذ أصيبت؟ قلت لا. قال: أما

والله ليعودن بنو أمية الإسلام كما أعورت عينك هذه. ثم ليعمينه حتى لا يدري أين يذهب ولا أين يجيء))^(١).

وروى المبرد: ((أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية -يوم بويع له على عهده فجعل الناس يمدحونه ويطرونه- يا أمير المؤمنين ما ندري أئخذع الناس أم يخذعوننا !!! فقال له معاوية: كل من أردت خديعته فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته))^(٢).

رحم الله عمر بن عبد العزيز حين نظر إلى (ولاة) المسلمين في بعض الأيام فقال: ((الوليد بالشام، والحجاج بالعراق، قره بن شريك بمصر، وعثمان بن حبان بالحجاز، ومحمد بن يوسف باليمن أمثلات الأرض والله جوراً)) من الغريب أن يستولي الأمويون على خلافة رسول الله ويستأثروا بها دون سائر المسلمين وأن يتلقفوها كالكرة واحداً بعد الآخر منذ مصرع الإمام علي عليه السلام دون أن يكون لهم أدنى حق في ذلك. فهل يرشحهم كرههم للنبي وسعيهم لقتله وأهل بيته وتعذيب وتشريد أتباعه لتسلم إمرة المسلمين؟ أم أن خروجهم على مبائى العقيدة الإسلامية - هو الذي هيأهم لارتقاء منبر النبي؟

قل الجاحظ: ((فعتها أستوى معاوية على الملك وأستبد على بقية الشؤون وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سموه عام الجماعة. وما كان عام جماعة بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذي تحولت فيه الإملة ملكاً كروياً والخلافة غصباً قيصرياً، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق.

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد: ٣/ ١١٥.

(٢) الكمل في اللغة والأدب - المبرد: ١/ ٣٠٥. مطبعة مصطفى محمد مصر.

ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا وعلى منازل ما رتبنا^(١) حتى رد قضية رسول الله^(٢) رداً مكشوفاً وجحد حكمه جحداً ظاهراً في ولد الفراش وما يجب للعاهر^(٣) مع اجتماع الأمة أن سمية لم تكن لأبي سفيان فراشاً وأنه غنما كان بها عاهراً.

فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار. وليس قتل حجر بن علي وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر، وبيعة يزيد الخليع، والإستئثار بالفيء، وأختيار الولاة على الهوى وتعطيل الحدود بالشفاعة والقراية، من جنس جحد الأحكام المنقوصة والشرائع المشهورة والسنن المنضوبة، وسواء في باب ما يستحق من الكفار جحد الكتاب ورد السنة إذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره، إلا أن أحدهما أعظم وعقاب الآخر عليه أشد. فهذه أول كفره كانت في الأمة.

ثم لم تكن إلا فيمن يدعي إمامتها والخلافة عليها. على أن كثيراً من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك أكفاره. وقد أربت عليهم نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا فقالت لا تسبوه فإن له صحبة، وسب معاوية بدعة، ومن يبغضه فقد خالف السنة. فزعمت أن من السنة ترك البراعة ممن جحد السنة!! ثم الذي كان من يزيد ابنه ومن عماله وأهل نصرته، ثم غزو مكة ورمي الكعبة وأستباحة المدينة وقتل الحسين في أكثر أهل بيته مصابيح الظلام وأوتاد الإسلام..... فأحسبوا قتله ليس بكفر، وإبلاحة المدينة وهتك الحرمة ليس بجحد كيف تقولون في رمي الكعبة

(١) رسالة الجاحظ حيث ذكر فيها جانباً من موبقات معاوية.

(٢) قل رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

(٣) يشير إلى قضية أستلحق زياد بأبي سفيان.

وهدم البيت الحرام وقبلة المسلمين؟ فأن قلتهم ليس ذلك أرادوا بل إنما أرادوا المتحرز به والمتحصن بمحيطانه!! فما كان في حق البيت وحرمة أن يحصروه فيه إلى أن يعطي بيده!! وأي شيء بقي من رجل قد أخذت عليه الأرض إلا موضع قدمه!! وأحسبوا ما رووا عليه من الأشعار- التي قولها شرك والتمثل بها كفر- شيئاً مصنوعاً، كيف نصنع بنقر القضيب بين ثنايا الحسين!! والكشف عن عورة علي بن الحسين عند الشك في بلوغه كما يصنع أمير جيش المسلمين بذراري المشركين!! وكيف تقولون في قول عبيد الله بن زياد لأخوته وخاصة: دعوني أقتله فإنه بقية هذا النسل فأحسم به هذا القرن وأميت به هذا الداء وأقطع به هذه المائدة. وقد ذكر الجاحظ في كتاب (رسائل الجاحظ)^(١) ما نصه: خبرونا علام تدل هذه القسوة وهذه الغلظة!! بعد أن شفوا أنفسهم بقتلهم ونالوا ما أحبوا فيهم!! اتلك على نصب وسوء رأي وحقد وبغضاء ونفاق وعلى يقين مدخول وإيمان مخروج؟ أم تدل على الأخلاص وعلى حب النبي والحفظ له وعلى براءة الساحة وصحة السريرة؟ فأن كان على ما وصفنا لا يعدو الفسق والضلال، وذلك أدنى منزله.

فالفاسق ملعون ومن نهى عن لعن الملعون فملعون. وزعمت نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا أن سب ولاة السوء فتنة، ولعن الجورة بدعة وأن كانوا يأخذون السمي بالسمي والولي بالولي والقريب بالقريب، وأخافوا الأولياء وأمنوا الأعداء وحكموا بالشفاعاة والهوى وإظهار الغدرة والتهاون بالأمة والقمع للرعية والنهم في غير مداراة ولا تقية، وأن عدا ذلك إلى الكفر وجاوز الضلال إلى

(١) رسائل الجاحظ - أبو عثمان الجاحظ: ٢٩٣/٨ - ٢٩٨ (العداوة والحسد).

الجحد فذاك أضل ممن كف عن شتمهم والبراءة منهم. على أنه ليس من أستحق
 أسم الكفر بالقتل كمن أستحق برد السنة وهدم الكعبة. وليس من أستحق
 أسم الكفر بذلك كمن شبه الله بخلقه. وليس من أستحق الكفر بالتشبيه كمن
 أستحقه بالتجوير. والناطقة في هذا الوجه- أكفر من يزيد وأبيه وابن زياد وأبيه.
 ولو ثبت أيضاً- على يزيد- أنه تمثل بقول ابن الزبيري:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
 لأستطاروا وأستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا نسل
 قد قتلنا الغر من ساداتهم وعدلته بيدر فأعتدل

كان تجوير الثابتي لربه وتشبيهه بخلق أعظم من ذلك وأفضع، على أنهم مجتمعون
 على أنه ملعون من قتل مؤمناً متعمداً أو متأولاً. فإذا كان القاتل سلطاناً جائراً
 وأميراً عاصياً لم يستحلوا سبه ولا خلعه ولا نفيه ولا عييه، وأن أخاف الصلحاء
 وقتل الفقهاء وأجاع الفقير وظلم الضعيف وعطل الحدود والثغور وشرب
 الخمر وأظهر الفجور!!! ثم ما زال الناس يتسكعون مرة ويداهنون مرة،
 ويقاربونهم مرة ويشاركونهم مرة غلا بقية ممن عصمة الله. حتى قام عبد الملك بن
 مروان وأبنة الوليد وعاملها الحجاج بن يوسف ومولاه يزيد بن أبي مسلم.

فأعادوا على البيت بالهدم وعلى حرم المدينة بالغزو. فهدموا الكعبة وأستباحوا
 الحرمه وحولوا قبلة واسط وأخروا صلاة الجمعة إلى مغربان الشمس. فإذا قل
 رجل لأحدهم: أتق الله فقد أخرت الصلاة عن وقتها قتله- على هذا القول-
 جهاراً غير ختل وعلانية غير سر. ولا يعلم القتل على ذلك إلا أبقح من إنكاره.
 فكيف يكفر العبد بشيء ولا يكفر بأعظم منه!! وقد كان بعض الصالحين ربما

وعظ الجبابة وخوفهم العواقب وأراهم أن في الناس بقية ينهون عن الفساد في الارض حتى قام عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف فزجرا عن ذلك وعاقبا عليه وقتلا فيه. فصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه. فأحسب تحويل الكعبة كان غلطاً وهدم البيت كان تأويلاً، وأحسب ما رووا- من كل وجه- إنهم كانوا يزعمون أن خليفة المرء في أهله أرفع عنده من رسوله عليهم، باطلاً ومسموعاً مولداً! واحسب وسم أيدي المسلمين ونقش أيدي المسلمات وردهم بعد الهجرة- إلى قراهم، وقتل الفقهاء وسب أئمة الهدى والنصب لعترة الرسول لا يكون كفرة!! كيف نقول في جمع ثلاث صلوات- فيهن الجمعة ولا يصلون إلا أولاهن حتى تصير الشمس على أعالي الجدران كالملاء المعصفر!! فأن نطق مسلم خبط بالسيف وأخذ به العمدة وشك بالرمح وأن قل قائل أتق الله. اخذته العزة بالأثم، ثم لم يرض إلا بنشر دماغه على صدره وبصلبه حيث تراه عياله. ومما يدل على أن القوم لم يكونوا إلا في طريق التمرد على الله والأستخفاف بالدين والتهاون بالمسلمين والأبتذال لأهل الحق أكل أمرائهم الطعام وشربهم الشراب على منابرهم أيام جمعهم وجموعهم.... وقد كانت هذه الأمة لا تتجاوز معاصيها الأثم والضلال إلا ما حكيت لك عن بني أمية وبني مروان وعمالهم^(١).

(١) رسائل الجلاحظ - أبو عثمان الجلاحظ: ٢٩٣ - ٢٩٨.

كيف وصل الأمويون إلى الخلافة :

لقد كان الأمويون من ابعده المسلمين- من الناحية الشرعية- عن تولي خلافة رسول الله. ولكنهم -مع هذا- قد أرتفعوا إلى مستويات الحكم في البلاد الإسلامية. وكذلك من خلال الأساليب التي أستعانوا بها في هذا المضمار.

قل المقرزي^(١): ((كيف حدثتهم أنفسهم بذلك!! وأين بنو أمية وبنو مروان بن الحكم -طريد رسول الله- ولعينه- من هذا الحديث مع شدة عداوة بني أمية لرسول الله ومبالغتهم في أذاه وتماديهم في تكذيبه!! إذ ليس لبني أمية سبب إلى الخلافة ولا بينهم وبينها نسب. فأسباب الخلافة معروفة فمنهم من إدعاهها لعلي- بأجتماع القرابة والسابقة والوصية بزعمهم.

فإن كان الأمر كذلك فليس لبني أمية في شيء من ذلك دعوى عند أحد من أهل القبلة. وأن كانت لا تنال إلا بالسابقة فليس لهم في السابقة قديم مذكور. بل كانوا- إذا لم تكن لهم سابقة ولم يكن فيهم ما يستحقون به الخلافة- لم يكن فيهم ما يمنعهم منها أشد المنع كان أهون وكان الأمر عليهم أيسر!! فقد عرفنا كيف كان أبو سفيان في عداوته للنبي وفي محاربه وفي أجلابه عليه.... ولا يكون أمير المؤمنين إلا أولاهم بالإيمان وأقلمهم فيه. هذا وبنو أمية قد هدموا الكعبة وجعلوا الرسول دون الخليفة، وختموا في أعناق الصحابة وغيروا أوقات الصلاة، ونقشوا أكف المسلمين.... ثم أني ماذا أقول- يا عجباً- كيف يستحق خلافة رسول الله على أمته شرعاً من لم يجعل له حقاً في سهم ذي القربى؟ ثم كيف يقيم دين الله من قاتل رسول الله ونابزه وكابده وبذل جهده في قتله؟ وليت إذ ولي بني

(١) النزاع والتخلص- المقرزي: ٢٨، ٢٧، ٨، ٥.

أمية الخلافة عدلوا وأنصفوا!!! بل جاروا في الحكم- وعسفوا وأستأثروا بالفيء كله وحرموا بني هاشم جملة، وزادوا في العتو والتعدي حتى قالوا إنما ذو القربى قرابة الخليفة منهم. وحتى قرروا عند أهل الشام- أن لا قرابة لرسول الله يرثونه إلا أولاد أمية... وحتى صعد الحجاج بن يوسف يوماً أعواد منبره وقال- على رؤوس الأشهاد: أرسولك افضل أم خليفتك؟ يعرض بأن عبد الملك بن مروان افضل من رسول الله))^(١).

وسائل تثبيت الحكم لدى الأمويين :

لقد ارتفع الأمويون إلى مستويات الحكم بعد رحيل الخلفاء الأربعة وكان ارتفاعهم هذا من جراء الوسائل الفاسدة التي أستعانوا بها في هذا المضمار. وقد تلخصت أساليبهم تلك في الأمور التالية:

١- سياسة الشدة:

إن سياسة الشدة التي مارسها الأمويون ضد خصمائهم تظهر بأبشع صورها وذلك بقتل الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه، وحجر وأصحابه وقتل عمر بن سعيد الأشلق، ومصعب بن الزبير، وعبد الله بن الزبير والكثير من الصحابة الأجلة، وفي رمي الكعبة وإستباحة المدينة ثلاثة أيام، والكذب على الله ورسوله وعلى المسلمين.

فقد تبنى الأمويون- عن طريق المصانعة والمداراة بالملل- طائفة من المسلمين بعد شراء دينهم ففسدوا- على رسول الله- حديثاً مكذوباً ولفقوا على المسلمين

(١) النزاع والتخلصم - المقرئزي: ٢٨، ٢٧، ٨، ٥.

آنذاك طائفة من القصص والحكايات. كما أوجدوا مخارج شرعية كثيرة وفتاوى كاذبة لموبقات الأمويين.

وإليك البعض من هذه الأحاديث الملفقة التي ذكرها البخاري بأسانيده المختلفة.

عن عبد الله بن عمر ((قال: قال رسول الله ﷺ ((أنكم سترون بعدي أثره وأمور تنكرونها. قالوا فما تأمرنا يا رسول الله؟

قال: أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم))^(١).

وروى البخاري كذلك بأسانيده عن عبد الله بن عباس ((قال: قال رسول الله ﷺ من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه. فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا ميةً جاهلية))^(٢). وروى البخاري أيضاً عن علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيه ((قال سأل مسلمة بن زيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله أرأيت أن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعونا حقنا!! فما ترى؟ فأعرض عنه. ثم سأله. فأعرض عنه. ثم سأله في الثانية أو الثالثة - فجذبه الأشعث بن قيس - وقال: قال: رسول الله أسمعوا وأطيعوا فإن عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم.

وروى البخاري أيضاً بأسناده عن عجرمة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنه ستكون هنات وهنات. فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جمع - فأضربوه بالسيف كائناً ما كان))^(٣).

(١) صحيح البخاري: ٨/ ٨٧

(٢) المصدر نفسه.

(٣) صحيح البخاري: ٢/ ١٢١.

وكثرة ما يجري هذا الجرى من (الأحاديث الملققة) لا يكاد يقع تحت حصر. وجميعه يدعو المسلمين إلى الخضوع لأوامر الحكام الأمويين حتى وأن خرج أولئك في تصرفاتهم على مبادئ الإسلام.

ومن الأحاديث الملققة أيضاً التي كان يرويها بعض الصحابة أمثال سمرة بن جندب وأبي هريرة ممن باعوا دينهم لِدنيا معاوية.

ذكر الخطيب البغدادي قولاً مأثوراً فحواه: أنه سمع رجلاً يسأل المعافى بن عمران رأيه في المفاضلة بين عمر بن عبد العزيز ومعاوية بن أبي سفيان فغضب المعافى ((من ذلك غضباً شديداً وقال: لا يقاس بأصحاب رسول الله أحد. معاوية صلح به وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله، وقد قال رسول الله: دعوا لي أصحابي وأصهارى فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين))^(١).

٢- الأمويون يتظاهرون بتطبيق مبادئ الإسلام:

كان الأمويون يدعون في خطبهم وخطب ولائهم- إلى التمسك بالدين الذي لا يتمسكون هم ولا ولائهم بتعاليمه- وكانت غايتهم من ذلك- هي صرف الناس عن المطالبة بتطبيق الدين على شؤون الحياة من حجة وعاملاً كبيراً من العوامل التي يبرر الأمويون فيها اعتدائهم على أرواح المسلمين وممتلكاتهم.

(١) تاريخ بغداد- الخطيب البغدادي: ٢٠٩/٨ - ٢١٠.

قال تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾))^(١).

خطب زياد بن أبيه في حشد كبير من المسلمين فنعى عليهم عدم تمسكهم بالدين ونسى أو تناسى نفسه وخليفته واثر كل منها في ذلك الوجه من وجوه الحيلة الإسلامية. ثم قال: ((كأنكم لم تسمعوا نبي الله ولم تقرأوا كتاب الله ولم تعلموا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الاليم لأهل معصيته... أني لأقسم بالله لأخذن الولي بالولي والمقيم بالضامن والمقبل بالمُدبر... أيها الناس لقد أصبحنا لكم ساسة وعنكم زافة. نسومكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا. فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا))^(٢).

كان زياد بن أبيه في خطبته يتهم المسلمين الذين يطالبون الأمويين باتباع الدين في تصرفاتهم بانهم لم يقرؤوا كتاب الله ولم يسمعوا أحاديث نبيه، وأنهم جاهلون بما أعد الله من الثواب لأهل طاعته والعقاب لأهل معصيته في الوقت ذاته كان الأجدر بزياد وأسياده أتباع تعاليم دين الله وسنة نبيه. ولا ندرى فيما إذا كانت هناك طاعة لله أفضل من عصيان أوامر الخارجين على تعاليمه من الحكام وولاية السوء.

(١) سورة البقرة، الآيتين: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) الكامل في التاريخ - ابن الأثير: ٣/ ٢٢٢ - ٢٢٣.

وخطب الحجاج بن يوسف يوماً في اهل البصرة قائلاً: ((يا أهل العراق أني قد استعملت عليكم محمداً أبني وبه الرغبة عنكم... وقد أوصيته فيكم خلاف وصية رسول الله بالانصار. فإنه ((أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم)). وقد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم))^(١) وهذا يدل على إيغاله وإسرافه في قتل المسلمين على الشبهة والظن. فهل يجيز الإسلام ذلك؟

ثم خاطب الحجاج جمعاً من المسلمين فقال: ((أني لأرى رؤوساً قد أينعت وقد حان قطفها. أني لأنظر الدماء بين العمائم واللحى... ثم قرأ قوله تعالى: ((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)) وأنتم أولئك... أنكم أهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق. فأنكم طلما أوضعتم في الشر وسننتم سنن البغي... والله لأذيقنكم الهوان... ولألحونكم لحو العود ولأعصبنكم عصب السلمة حتى تذلوا. ولأضربنكم ضرب غرائب الأبل حتى تذروا العصيان وتنقادوا)).

هؤلاء الولاة الذين حكم بهم الأمويون المسلمين قرناً من الزمن وحين صار الأمر إلى عبد الملك بن مروان حج بالناس في عام (٧٥هـ) فقام خطيباً فقال^(٢): ((لست بلخليفة المستضعف - يعني عثمان - ولا بلخليفة المداهن - يعني معاوية - ولا بلخليفة المأفون - يعني يزيد - إلا وأني لا أداري هذه الأمة غلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم... والله لا يأمرني أحد بتقوى الله - بعد مقالي هذا - إلا

(١) مروج الذهب - المسعودي: ٨٥/٣ - ٨٦

(٢) ابن الأثير - الكلل في التاريخ: ٢٣/٤ - ٢٤

ضربت عنقه)) هذا حفيد طريد رسول الله ﷺ يريد بها جاهلية صرفة مبنية على القوة والحذر وإراقة الدماء. أما المبادئ الإسلامية التي اقامها رسول الله ﷺ فلا وجود لها.

٣- الأمويون يزرعون الصراع القومي بين المسلمين:

لقد أوقد الأمويون نار البغضاء بين المسلمين - العرب والموالي - على رغم أنف الإسلام. فنشروا روح التعصب القومي بين المسلمين. فطعن كل منهما في نسب صاحبه وفي دينه وأخلاقه وتاريخه. فظهرت الشعوبية والتكتلات القومية فمزقوا بذلك جسد الإسلام وتفرقت كلمتهم فاصبحوا شيعاً وأحزاباً.

وهناك ولع أشتهر به الأمويين كشرب الخمر وما يتصل به من خلاعة وتبذل، ولم يكتف الأمويون بشرب الخمر بل أسرفوا وأدمنوا وأطلقوا لأنفسهم الشريرة العنان في هذا الضرب من ضروب العبث وما يتصل به من موبقات. وكان ملوكهم - في الشام والأندلس يكثرون من شربه حتى بلغ بعضهم في شربه حداً يفوق الوصف.

ثم شياع موبقة الزنى عند الأمويين فان اصالته في هذه الاسرة من الرجال والنساء منذ عهد الجاهلية عند رؤوس الأسرة.

وعلى سبيل التمثيل لا الحصر - علاقة أبو سفيان الجنسية بالنابغة والدة عمرو بن العاص المسماة (النابغة) وبسمية أم زياد وقد ذكرها الزغشري^(١) في ربيع الأبرار فقال: ((كانت النابغة - أم عمرو بن العاص - أمة لرجل من عنزة

(١) الزغشري - ربيع الأبرار: ٤/٢١٧.

فسيبت. فأشترها عبد الله بن جدعان التيمي بمكة. فكانت بغياً. ثم أعتقها. فوقع عليها أبو لهب، وأمّية بن خلف الجمحي وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان والعاص بن وائل السهمي... ولدت عمراً)). فأدعاه كل منهم.

فحكمت أمه فيه فقالت هو من العاص. فقال أبو سفيان أما أني لا أشك أني وضعت في رحم أمه. فأبت إلا العاص فقيل لها أبو سفيان أشرف نسباً. فقالت أن العاص كثير النفقة عليّ وفي ذلك يقول حسان بن ثابت ^(١) لعمر:

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت	لنا فيك منه بينات الدلائل
ففاخر به، ما فخرت ولا تكن	نفاخر بالعاص المهجين بن وائل
وأن الذي في ذاك يا عمرو حكمت	فقال رجاء عند ذاك لنائل
من العاص عمرو تخبر الناس كلما	تجمعت الأقوام عند المحافل

ذلك ما يتعلق بالزنى عند رجل الأمويين. أما ما يتصل بالزنى عند نسائهم فيكفي أن نذكر حمّامة أم أبي سفيان -جدة معاوية- التي كانت بغياً في الجاهلية، وكانت صاحبة راية حمراء، وهند -أم معاوية- والزقاء جدة مروان بن الحكم لأبيه. فقد كانت هند -على ما يذكر الرواة- في مكة بصهر وفجور. ذكر ذلك الزمخشري: أن معاوية كان مشكوكاً في أبيه. فكان يعزى إلى أربعة مسافر بن أبي عمرو، وإلى عمارة بن الوليد بن المغيرة، وإلى العباس بن عبد المطلب، وإلى الصباح مغن كان لعمارة بن الوليد بن المغيرة.

(١) ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة: ١٠٠ / ١٠١.

وكان الصباح عسيفاً- أجيراً لأبي سفيان، شاباً وسيماً. فدعته هند إلى نفسها فغشيتها. وكان أبو سفيان دميماً قصيراً. وقيل أن عتبه بن أبي سفيان من الصباح أيضاً. وقيل انها كرهت أن تدعه في منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعتة هناك.

وأما الزقاء- جلة مروان بن الحكم لأبيه- فهي بنت وهب. وكانت من ذوات الرايات التي يستدل على ثبوت البغاء^(١) وكان يقال لأولاد عبد الملك بن مروان ((أولاد الزقاء)) في معرض الذم.

هؤلاء سقط المتاع من الرجال والنساء يدعون خلافة المسلمين رحم الله السيد جعفر الحلبي^(٢) حين قال في ميميته:

ما خلت أن الدهر من عاداته	تروي الكلاب به ويظمر الضيغم
ويقدم الأموي وهو مؤخر	ويؤخر العلوي وهو مقدم
مثل ابن فاطمة يبيت مشرداً	ويزيد في لذاته متنعماً
ويضيف الدنيا على ابن محمد	حتى تقاذفه الفضاء الأعظم
خرج الحسين من المدينة خائفاً	كخروج موسى خائفاً يتكتم
وقد أنجلى عن مكة وهو أبناها	وبه تشرفت الحطيم وزمزم
لم يدر أين يريح بدن ركابه	فكأنما المأوى عليه محرم
فمشت تؤم به العراق بخائب	مثل النعام به تحب وترسم
منعطفات كالقيء موائلاً	وإذا أرتمت فكأنما هي أسهم
حفته خير عصابة مضرية	كالبلدر حين تحف فيه الأنجم

(١) ابن الأثير- الكامل في التاريخ: ٣/٢.

(٢) الدرر النضيد في مراتي السبط الشهيد- السيد جعفر الحلبي: ١٩١.

ترى المنايا أنجدوا أو أتهموا
والكل في تسبيحة يترنم
من عزمهم طبعت فليس تلهم
فيها الحمام معنون ومرجم
يأس وأمطر من جوانبها الدم
من نسج داود أشد وأحكم
منهم عوائدها النسور الحوم
أن سوف يكثر شرهه والمطعم
لظليقهم في الفتح أن يستسلموا
من دون ذلك أن تنال الأنجم
صيد الرجال بما تكن وتكتم
من باسل هو في الوقائع معلم

ركب حجازيون بين رحالمهم
يهدون في هزج التلاوة عيسهم
متقلدين صوارماً هنديّة
بيض الصفاح كأنهن صائف
إن أبرقت رعدت فرائص كل ذي
ولصبر يعقوب النبي أدعوا به
نزلوا بحومة كربلا فتطلبت
وتباشر الوحش المثار أمامهم
طمعت أمية حين قل عديدهم
ورجوا مذلتهم فقلن رماحهم
حتى إذا أشتبك النزال وصرحت
وقع العذاب على جيوش أمية

عداء معاوية لشيعة علي عليه السلام:

لم يبق معاوية ورقة من أوراق حقله وعدائه لأهل البيت وشيعتهم إلا عمل بها
فقد كتب معاوية إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: ((أنظروا من قامت
عليه البيعة أنه يجب علياً وأهل بيته فأخوه من الديوان ولا تجيزوا له شهادة))^(١).

(١) كتاب سليم بن قيس: ٣٦٨.

ثم كتب كتاباً آخر: ((من اتهموه ولم تقم عليه بينة أنه منهم فأقتلوه))^(١).

فقتلوه على التهم والظن والشبهة تحت كل كوكب، حتى لقد كان الرجل يغلط بكلمة فيضرب عنقه. ولم يكن ذلك البلاء في بلد أكبر ولا أشد منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى أنه كان الرجل من شيعة علي عليه السلام ومن بقي من أصحابه بالمدينة وغيرها- ليأتيه من يثق به فيدخل بيته، ثم يلقي إليه سره فيخاف من خادمه ومملوكه فلا يحدّثه حتى يأخذ عليه الأيمان المغلظة ليكتمه عليه.

وأصبح الأمر لا يزداد إلا شدة وكثر عندهم عدوهم وأظهروا أحاديثهم الكاذبة في أصحابهم من الزور والبهتان، فنشأ الناس على ذلك ولم يتعلموا إلا منهم ومضى على ذلك قضاتهم وولاتهم وفقهائهم.

وكان اعظم الناس في ذلك بلاء وفتنة القراء المراؤون المتصنعون الذين يظهرون لهم الحزن والخشوع والنسك ويكذبون ويفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند وولاتهم ويدنوا بذلك مجالسهم ويصيبوا بذلك الأموال والقطائع والمنازل حتى صارت أحاديثهم تلك ورواياتهم في أيدي من يحسب أنها حق وأنها صدق فرووها وقبلوها وتعلموها وعلموها وأحبوا عليها وأبغضوا حتى جمعت على ذلك مجالسهم وصارت في أيدي الناس المتدينين الذين لا يستحلون الكذب ويبغضون عليه أهله. فقبلوها وهم يرون أنها حق ولو علموا أنها باطل لم يرووها ولم يتدينوا بها ولا تنقصوا من خالفهم فصار الحق في ذلك الزمان باطلاً والباطل حقاً والصدق كذباً والكذب صدقاً وقد قال رسول الله ﷺ: ((لتشملنكم فتنة

(١) كتاب سليم بن قيس: ٣٨.

يربو فيها الوليد وينشأ فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتخذونها سنة فإذا غير منها شيء قالوا: أتى الناس منكراً غيرت السنة!!).

ثم أشد البلاء بالأمصار كلها على شيعة علي وأهل بيته عليه السلام وكان أشد الناس بلية أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة وأستعمل عليهم زياداً أخاه وضم إليه البصرة والكوفة وجميع العراقيين. وكان يتتبع الشيعة وهو بهم عالم لأنه كان منهم فقد عرفهم وسمع كلامهم أو شيء فقتلهم تحت كل كوكب وحجر ومدر واجلامهم وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل منهم وصلبهم على جذوع النخل وسمل أعينهم وطردهم وشردهم حتى أنتزعوا عن العراق فلم يبق بالعراقيين أحد مشهور إلا مقتولاً أو مصلوباً أو طريد أو هارب.

وكتب معاوية إلى قضاته وولاته في جميع الأرضين والأمصار: ((أن لا تجيزوا لأحد من شيعة علي بن أبي طالب ولا من أهل بيته ولا من أهل ولايته الذين يرون فضله ويتحدثون بمناقبه شهادة))^(١).

ذكر المقرئ في كتابه (النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم) فأنى كثيراً ما كنت أتعجب من تطاول بني أمية إلى الخلافة مع بعدهم من جدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب بني هاشم وأقول: كيف حدثتهم أنفسهم بذلك وأين بنو أمية وبنو مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعينه من هذا الحديث مع تحكم العداوة بين بني أمية وبني هاشم في أيام جاهليتها، ثم شلة عداوة بني أمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومبالغتهم في أذاه وتلاميذهم على تكذيبه فيما جاء به منذ بعثه الله جاء بالهدى ودين

(١) كتاب سليم بن قيس: ٣٧.

الحق إلى أن فتح مكة شرفها الله تعالى فدخل من دخل منهم في الإسلام كما هو معروف مشهور وأورد قول القائل:

كم من بعيد الدار نل مراده وأخر داني الدار وهو بعيد
فلعمري، لا بعد أبعد مما كان بين بني أمية وبين هذا الأمر إذ ليس لبني أمية سبب
إلى الخلافة ولا بينهم وبينها نسب غلا أن يقولوا ((إننا من قريش)) فيساوون في
هذا الأسم قريش الظواهر، لأن قوله ﷺ: ((الأئمة من قريش)) واقع على كل
قرشي.

ومع ذلك فأسباب الخلافة معروفة، وما يدعيه كل جيل معلوم، وإلى كل ذلك قد
ذهب الناس، فمنهم من إدعاها لعلي بن أبي طالب ﷺ بأجماع القرابة والسابقة
والوصية بزعمهم فإن كان الأمر كذلك فليس لبني أمية في شيء من ذلك دعوى
عند أحد من أهل القبلة وإن كانت إنما تنال الخلافة بالوراثة، وتستحق بالقرابة،
وتستوجب بحق العصبة، فليس لبني أمية في ذلك متعلق عند أحد من المسلمين.
وإن كانت لا تنال إلا بالسابقة، فليس لهم في السابقة قديم مذکور، ولا يوم
مشهور، بل لو كانوا إذ لم تكن لهم سابقة ولم يكن فيهم ما يستحقون به الخلافة
لم يكن فيهم ما يمنعهم منها أشد المنع كان أهون وكان الأمر عليهم أيسر، فقد
عرفنا كيف كان أبو سفيان في عداوته النبي ﷺ وفي محاربتة وفي أجلابه عليه وفي
غزوه إياه، وعرفنا إسلامه كيف أسلم وأخلاصه كيف أخلص، على أنه إنما أسلم
على يد العباس ﷺ، والعباس هو الذي منع الناس من قتله وجاء به رديفاً إلى
النبي ﷺ وسأل أن يشرفه وان يكرمه وينوه به، وتلك يد بيضاء ونعمة غراء،
ومقام مشهور، وخبر غير منكور، فكان جزاء ذلك من بنيه أن حاربوا علياً وسموا

الحسن، وقتلوا الحسين وحملوا النساء على الأقتاب حواسر وأرادوا الكشف عن عورة علي بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه كما يصنع بذراري المشركين إذا دخلت ديارهم عنوة، وبعث معاوية بن أبي سفيان إلى اليمن بسر بن أرطأة، فقتل أبي عبيد الله بن العباس وهما غلامان لم يبلغا، فقالت أمهما عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان بن الديان ترثيهما:

يا من أحسن بأبيّ الذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدفُ
أحى على ودجي طفلي مرهقة مطرورة وعظيم الإثم يقترفُ
وكتلوا لصلب علي بن أبي طالب تسعة، وصلب عقيل بن أبي طالب تسعة،
ولذلك قالت نائحتهم:

عين جودي بعبرة وعويل وأندبي إن نددت آل الرسول
تسعة منهم لصلب علي قد أصيبوا وتسعة لعقيل
هذا وهم يزعمون أن عقيلاً اعان معاوية على علي، فإن كانوا كاذبين فيما أولاهم بالكذب، وإن كانوا صادقين فما جازوه خيراً إذ ضربوا عنق مسلم بن عقيل صبراً وقتلوا معه هاني بن عروة لأنه آواه ونصره.

فإن كنت لا تدرين ما الموت فأنظري إلى هاني في السوق وأبن عقيل
ترى بطلاً قد هشم السيف رأسه وآخر يرمى من طمار قتيل
وأكلت هند كبد حمزة، فممنهم آكلة الأكباد ومنهم كهف النفاق ونقروا بالقضيب بين ثنايا الحسين، ونبشوا زيدا وصلبوه وألقوا رأسه في عرصة الدار تطه الأقدام وتقر دعاغه الدجاج حتى قل القرشي:

أطردوا الديك عن ذؤابة زيد طل ما كان لا تطه الدجاج

قال شاعر لبني أمية:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلبُ
وقتلوا يحيى بن زيد وسموا قاتله نائر آل مروان وناصر الدين وضربوا علي بن
عبد الله بن العباس بالسيط مرتين على أن تزوج بنت عمه الجعفرية التي كانت
عند عبد الملك بن مروان^(١).

حديث المقداد مع سليم بحق علي عليه السلام:

المقداد يحدث سليماً بأفضل ما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله في حق علي عليه السلام:

قال سليم: سألت المقداد فقلت حدثني رحمك الله بأفضل ما سمعت من رسول
الله صلى الله عليه وآله في علي.

قال: يقول أن الله توحد بملكه فعرف أنواره نفسه ثم فرض عليهم أمره وأبلحهم
جنته فمن اراد أن يطهر قلبه من الجن والأنس عَرَفَهُ ولاية علي بن أبي
طالب عليه السلام ومن اراد أن يطمئن على قلبه أمسك عنه معرفة علي بن أبي طالب
والذي نفسي بيده ما أستوجب آدم أن يخلفه الله وينفخ فيه من روحه وان يتوب
عليه ويرده إلى جنته إلا بنبوتي والولاية لعلي بعدي والذي نفسي بيده ما أرى
إبراهيم ملكوت السموات والأرض ولا اتخذه خليلاً إلى نبوتي والإقرار لعلي
بعدي، والذي نفسي بيده ما كلم الله موسى تكليماً ولا أقام عيسى آية للعلمين إلا
بنبوتي ومعرفة علي بعلي، والذي نفسي بيده ما تنبأ نبي قط إلا بمعرفته والإقرار

(١) النزاع والتخاصم - المقرئ: ٣٦.

لنا بالولاية ولا استأهل خلق من الله النظر إليه بالعبودية له والإقرار بعلي، ثم سكت فقلت فغير هذا رحمك الله.

قل نعم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: علي ديان هذه الأمة والشاهد عليها والمتولي لحسابها وهو صاحب السنام الأعظم وطريق الحق الأبهج السبيل وصراط الله المستقيم به يهدي بعلي من الضلالة ويبصر به من العمى، به ينجو الناجون ويحار من الموت ويؤمن من الخوف، ويمحي به السيئات ويدفع الضيم وينزل الرحمة وهو عين الله الناظرة وأذنه السامعة ولسانه الناطق في خلقه وبه المبسوطة على عباده بالرحمة ووجهه في السماوات والأرض وجنبه الظاهر اليمين وجبله القوي المتين وعروته الوثقى التي لا انفصام لها وبابه الذي يؤتى منه وبيته الذي من دخله كان آمناً وعلمه على الصراط في بعثه. من عرفه نجا إلى الجنة ومن أنكره هوى إلى النار^(١).

(١) كتاب سليم بن قيس: ٢٤٧، ٢٤٨.

وفاة الزهراء عليها السلام ودفنها:

حين أحست فاطمة عليها السلام بقرب أجلها قالت لأسماء بنت عميس حين توضأت وضوءها للصلاة: هاتي طيبي الذي أتطيب به، وهاتي ثيابي التي أصلي فيها. فتوضأت ثم وضعت رأسها، فقالت لها: اجلسي عند رأسي، فإن جاء وقت الصلاة فأقيميني، فإن قمتُ وإلا فأرسلني إلى علي عليه السلام. فلما جاء وقت الصلاة، قالت: الصلاة يا بنت رسول الله فإذا هي قد قبضت، فجاء علي عليه السلام. فقالت له: قد قبضت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

قل علي عليه السلام متى؟

قالت: حين أرسلت إليك.

قال: فأمر أسماء، فغسلتها، وأمر الحسن والحسين عليهما السلام يندخلان الماء، ودفنها ليلاً، وسوى قبرها، فعوتب [على ذلك] فقال: بذلك أمرتني ^(١).

روى الشيخ المفيد عن الشيخ الصدوق، عن أبيه، عن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار، عن القاسم بن محمد الرازي، عن علي بن محمد الهرمرازي عن علي بن الحسين، عن أبيه الحسين عليه السلام قال: لما مرضت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وصت إلى علي بن أبي طالب عليه السلام أن يكتفم أمرها، ويخفي خبرها، ولا يؤذن أحداً بمرضها.

ففعل ذلك، وكان يمرضها بنفسه، وتعيه على ذلك أسماء بنت عميس على أسترار بذلك، كما وصت به.

(١) البحار - للمجلسي: ٤٣/١٨٦، عن كشف الغمة.

فلما حضرتها الوفاة وصت أمير المؤمنين عليه السلام أن يتولى أمرها، ويدفنها ليلاً ويعفي قبرها.

فتولى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ودفنها، وعفى موضع قبرها.

فلما نفص يده من تراب القبر هاج به الحزن، فأرسل دموعه على خديه وحول وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

السلام عليك يا رسول الله عليك من أبتك وحببتك، وقرّة عينك وزائرتك، والبائسة في الثرى ببقيعك، المختار الله لها سرعة اللحاق بك قلّ يا رسول الله: عن صفيتك صبري، وضعف عن سيلة النساء تجلدي إلا أن في التأسّي لي بسنتك والحزن الذي حل بي لفراقك، موضع التعزي. ولقد وسدتك في ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري، وغمضتك بيدي، وتوليت أمرك بنفسي.

نعم، وفي كتاب الله أنعم القبول، إنا لله وإنا إليه راجعون، قد أسترّجعت الوديعه، وأخذت الرهينة، وأختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله! أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد لا يبرح الحزن من قلبي، أو يختار الله لي دارك التي فيها أنت مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج، سرعان ما فرق [الله] بيننا.

وإلى الله أشكو وستبتك أبتك بتظاهر أمتك عليّ وعلى هضمها حقها فأستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلاً، وستقول، ويحكم الله وهو خير الحاكمين.

سلام عليك يا رسول الله! سلام مودع لا سنم ولا قل، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظني بما وعد الله الصابرين، الصبر أيمن وأجمل.

ولولا غلبة المستولين علينا لجلعت المقام عند قبرك لزاماً، والتلبت عنده معكوفاً،
ولأعولت إعوالم الثكلى على جليل الرزية.

فبعين الله تدفن بنتك سرّاً، ويهتضم حقها قهراً، ويمنع إرثها جهراً، ولم يطل
العهد، ولم يخلق منك الذكر، فإلى الله يا رسول الله! المشتكى، وفيك أجمل العزاء،
فصلوات الله عليها، وعليك ورحمة الله وبركاته^(١).

قل المفضل للإمام الصادق عليه السلام: يا مولاي! ما في الدموع من ثواب؟

قل: ما لا يحصى إذا كان من محقّ.

فبكى المفضل (بكاءً) طويلاً، ويقول: يأبى رسول الله! إن يومكم في القصاص
لأعظم من يوم محتكم.

فقال له الصادق عليه السلام: ولا كيوم محتنا بكرىلاء وإن كان يوم السقيفة وإحراق النار
على باب أمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة وزينب وأم كلثوم عليهن السلام وفضة،
وقتل محسن عليه السلام بالرفسة أعظم وأدهى وأمر، لأنه أصل يوم العذاب.

وقال عليه السلام: ويأتي محسن عليه السلام مخضباً محمولاً تحمله خديجة بنت خويلد عليها السلام
وفاطمة عليها السلام ابنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام وهما جدته، وأم هانئ وجمانة
عمته ابنتا أبي طالب عليهما السلام وأسماء بنت عميس الخثعمية صارخات أيديهن على
خدودهن ونواصيهن منشرة، والملائكة تسترهن بأجنحتهن.

وفاطمة عليها السلام أمه تبكي وتصيح، وتقول: هذا يومكم الذي كنتم توعدون.
وجبرئيل يصيح - يعني محسناً عليه السلام - ويقول: إني مظلوم فأنتصر.

(١) الكافي - الكليني: ٣٥٦/٢.

فيأخذ رسول الله ﷺ محسناً عليه السلام على يديه رافعاً له إلى السماء، وهو يقول: إلهي! وسيدي صبرنا في الدنيا أحساباً وهذا اليوم الذي تجرد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء، تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً^(١).

روي أنها توفيت^(٢) لثالث من جمادي الآخرة سنة إحدى عشرة من الهجرة وبقيت بعد النبي خمسة وتسعين يوماً، وروي أربعة أشهر وتولى أمير المؤمنين غسلها.

قال العقاد^(٣): وكانت وفاتها على القول الأشهر، ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة للهجرة، ودفنت ليلاً حسب وصايتها كما دفن رسول الله ﷺ.

إن تواريخ العظماء في جميع نواحي العظمة وفي جميع الأمم والعصور حافلة بالشواهد التي تعزز تلك الملاحظة وتجعلها خليقة بالتأمل والمراجعة ويدخل فيهم القديسون كما يدخل فيهم الحكماء والعلماء ولا يصعب على أحد أن يدير بصره إلى فترة من الزمن يشاهد مصداق ذلك في نفر من عظمائه ومشهور به.

إن الزهراء عليها السلام كانت نحيلة سمراء يمازج لونها شحوب في كثير من الأوقات، وقد رآها النبي ﷺ في مرض وفاته فقل لها إنها أسرع أهله لحوقاً به، فلم تمض ستة أشهر، وقيل أقل من ذلك، حتى لحقت به في تلك السنة التي تستقبل فيها الحيلة.

(١) فاطمة الزهراء عليها السلام بهجت قلب المصطفى ﷺ: ٥٣٦ - ٥٣٣.

(٢) إعلام الوري في اعلام الهدى - الفضل بن الحسن الطبرسي: ١٥٨.

(٣) فاطمة الزهراء - عباس العقاد

وكانت تشكو حيناً بعد حين، ويعودها النبي ﷺ يواسيها في مرضها فإذا هو يواسيها كذلك في حاجتها، زارها يوماً وهي مريضة فقال لها: ((كيف تجدنيك يا بنية؟)) فقالت: ((أني لوجعة)). ثم قالت: ((وانه ليزيدني أني ما لي طعام أكله... فأستعبر ﷺ وقال: ((يا بنية... أما ترضين أنك سيئة نساء العالمين!)).

وزارها يوماً وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الأبل فبكى وقال: ((تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة))^(١).

أسباب وفاة فاطمة عليها السلام:

هذه الهموم والمصائب والآلام والمواقف غير المشرفة التي صدرت من بعض المسلمين وأنقلاب الأمور وتبدل الأحوال وتغير الأوضاع المفاجئ والتسريع بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى حادثة الهجوم على دارها مما أدى إلى سقوط جنينها. والسيط التي آدمت جسمها الطاهر تركت في بدنها آثاراً عميقة.

كل هذه الأمور كانت سبباً كبيراً في إنحراف صحتها وسبباً دافعاً لقرب أجلها.

عن محمد بن هارون بن موسى التلعكبري عن أبيه، عن محمد بن همام عن أحمد البرقي، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عبد الرحمان بن أبي نجران، عن ابن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قبضت فاطمة عليها السلام في جمادي الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدى وعشرين من الهجرة.

(١) فاطمة الزهراء والفاطميون - عباس محمود العقاد: ٧٧.

وكان سبب وفاتها عليها السلام أن قنفذ (لعنه الله) - مولى عمر - لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسناً عليه السلام ومرضت من ذلك مرضاً شديداً ولم تدع أحداً من آذاها يدخل عليها.

وكان الرجلان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألا أمير المؤمنين عليه السلام أن يشفع لهما إليها. فسألها أمير المؤمنين عليه السلام فلما دخلا عليها قالا لها: كيف أنت يا بنت رسول الله؟ قالت: بخير بحمد الله.

ثم قالت لهما: ما سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله؟)).
قالا: بلى.

قالت: فو الله لقد آذيتماي. قل: فخرجا من عندها عليها السلام وهي ساخطة عليهما^(١). وعن الدقلق عن الأسلي، عن النخعي، عن النوفلي، عن ابن البطائني، عن أبيه، عن ابن جبير، عن ابن عباس - في خبر طويل - قال صلى الله عليه وسلم: وأما ابنتي فاطمة عليها السلام.... ومنعت من أرثها وكسر جنبها وأسقطت جنينها.... فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي، فتقدم عليّ محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللهم العن من ظلمها، وعاقب من غصبها، وذلل من أذلها، وخلد في نارك من ضرب جنينها حتى ألت ولدها.
فتقول الملائكة عند ذلك: آمين^(٢).

(١) البحار: ٤٣/ ١٧٠.

(٢) البحار: ٤٣/ ١٧٢ - ١٧٣.

كتاب سليم بن قيس الهلالي برواية أبان بن أبي عياش عنه عن سلمان، وعبد الله بن العباس، قالاً:

توفى رسول الله ﷺ يوم توفى، فلم يوضع في حفرته حتى نكت الناس وأرتدوا وأجمعوا على الخلاف، وأشتغل علي عليه السلام برسول الله ﷺ حتى فرغ من غسله وتكفينه وتحنيطه ووضع في حفرته ثم أقبل على تأليف القرآن، وشغل عنهم بوصية رسول الله ﷺ فقال عمر لأبي بكر: يا هذا: إن الناس أجمعين قد بايعوك ما خلا هذا الرجل وأهل بيته، فأبعث إليه.

فبعث إليه ابن عم لعمر، يقال له: قنفذ، فقال له: يا قنفذ! أنطلق إلى علي فقل له: أجب خليفة رسول الله!!

فبعثاً مراراً وأبى علي عليه السلام أن يأتيهم.

فوثب عمر غضبان، ونادى خالد بن الوليد وقنفذاً، فأمرهما أن يحملا حطباً وناراً، ثم أقبل حتى أنتهى إلى باب علي وفاطمة عليهما السلام وقاطمة عليها السلام قاعدة خلف الباب، قد عصبت رأسها ونحلت جسمها في وفاة رسول الله ﷺ.

فأقبل عمر حتى ضرب الباب، ثم نادى: يا ابن أبي طالب! أفتح الباب. فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر! مالنا ولك لا تدعنا وما نحن فيه؟ قال: أفتحي الباب وغلا أحرقنا عليكم.

فقالت: يا عمر! أما تتقي الله عز وجل تدخل علي بيتي وتهجم على داري؟ فأبى أن ينصرف.

ثم دعا عمر بالنار، فأضرمها في الباب، فأحرق الباب، ثم دفعه عمر. فأستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: يا أبتاه! يا رسول الله!

فرفع السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها، فصرخت، فرفع السوط، فضرب به ذراعها، فصاحت: يا أبتاه!

فوثب علي بن أبي طالب عليه السلام، فأخذ بتلابيب عمر، ثم هزه ووجأ أنفه ورقبته، وهم بقتله، فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما أوصاه به من الصبر والطاعة، فقال: والذي كرم محمداً صلى الله عليه وسلم بالنبوة يا ابن صهاك! لولا كتاب من الله سبق لعلمت أنك لا تدخل بيتي فأرسل عمر يستغيث، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار، فكاثروه وألقوا في عنقه حبلاً - فحالت بينهم وبينه فاطمة عليها السلام عند باب البيت، فضربها قننذ بالسوط، فماتت حين ماتت، وأن في عضدها كمثل الدمع من ضربته فأجأها إلى عضادة بيتها ودفعها، فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنبها من بطنها.

فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت عليها السلام من ذلك شهيدة.

قال ابن عباس:

إن فاطمة عليها السلام بلغها أن أبا بكر قبض فدكاً. فخرجت في نساء بني هاشم حتى دخلت على أبي بكر، فقالت: يا أبا بكر! تريد أن تأخذ مني أرضاً جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فدعا أبو بكر بدواة ليكتب به لها، فدخل عمر، فقال: يا خليفة رسول الله! لا تكتب لها حتى تقيم البيعة بما تدعي.

فقالت فاطمة عليها السلام: علي عليه السلام وأم أيمن يشهدان بذلك.

فقال عمر: لا تقبل شهادة امرأة أعجمية لا تفصح، وأما علي، فيجر النار إلى قرصته.

فرجعت فاطمة عليها السلام مغتاطة، فمرضت. وكان علي عليه السلام يصلي في المسجد الصلوات الخمسة، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله! إلى أن ثقلت فسألا عنها، وقالا: قد كان بيننا وبينها ما قد علمت فإن رأيت أن تأذن لنا لنعتذر إليها من ذنبنا!!

قل: ذاك إليكما.

فقاما مجلسا بالباب، ودخل علي عليه السلام على فاطمة عليها السلام فقال لها: أيتها الحرّة! فلان وفلان بالباب يريدان أن يسلما عليك فما تريدين؟
قالت: البيت بيتك، والحرّة زوجتك، أفعل ما تشاء.
فقال: سيدي قناعك.

فسدت قناعها وحولت وجهها إلى الخائط.

فدخلوا وسلموا، وقال: أرضي عنا رضي الله عنك.

فقالت: ما دعا إلى هذا؟

فقالا: أعترفنا بالإساءة ورجونا أن تعفي عنا.

فقالت: إن كنتما صادقين فأخبراني عما أسألكما عنه، فأني لا أسألكما عن أمر إلا وأنا عارفة بأنكما تعلمانه، فإن صدقتما علمت أنكما صادقان في مجيئكما.

قال: سلي عما بدا لك.

قالت: نشدتكما الله: هل سمعتما رسول الله ﷺ يقول: ((فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني؟)).

قالا: نعم.

فرفعت يدها إلى السماء، فقالت:

اللهم إنهما قد آذيانِي، فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك، لا والله، لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبي رسول الله ﷺ وأخبره بما صنعتما، فيكون هو الحاكم فيكما.

قال: فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثبور وجزع جزعاً شديداً.

فقال عمر تجزع يا خليفة رسول الله!! من قول امرأة؟

قال: فبقيت فاطمة عليها السلام بعد وفاة أبيها عليه السلام أربعين ليلة، فلما أشدت بها الأمر دعت علياً عليه السلام.

وقالت: يَا بن عم! ما رأني إلا لما بي، وأنا أوصيك ان تتزوج بأمة بنت أخي زينب ^(١) تكون لولدي مثلي، وأتخذ لي نعشاً، فأني رأيت الملائكة يصفونه لي، وأن لا يشهد أحد من أعداء الله جنازتي ولا دفني ولا الصلاة عليّ.

(١) أمة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد مناف القرشية.

قال ابن عباس^(١): فقبضت فاطمة عليها السلام من يومها فارتحلت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله.

الأحاديث الواردة في دفن فاطمة عليها السلام:

- ١- عن أسماء^(٢) - في حديث: أن علياً عليه السلام امرها فغسلت فاطمة عليها السلام وأمر الحسن والحسين عليهما السلام يندخلان الماء، ودفنها ليلاً وسوى قبرها.
- ٢- عن علي عليه السلام^(٣): أنه صلى على فاطمة عليها السلام وكبر عليها خمساً، ودفنها ليلاً... وعن محمد بن علي عليهما السلام أن فاطمة عليها السلام دفنت ليلاً.
- ٣- وفي دلائل الإمامة: أن علي عليه السلام - سوى في البقيع سبعة قبور، أو أربعين قبراً ولما عرف الشيوخ دفنها، وفي البقيع قبور جدد أشكل عليهم الأمر فقالوا: هاتوا من نساء المسلمين من ينش هذه القبور لتخرجها ونصلي عليها. فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فخرج مغضباً عليه قباؤه الأصفر الذي يلبسه عند الكريهة، وبيده ذو الفقار، وهو يقسم بالله: لئن حور من القبور حجر ليضعن السيف فيهم، فتلقاه عمر ومعه أصحابه فقال له: ما لك - والله - يا أبا الحسن لتنبش قبرها ونصلي عليها.

(١) بحار الأنوار - المجلسي: ١٩٧/٤٣.

(٢) كشف الغمة: ٥٠٠/١.

(٣) أخبار فاطمة - ابن بابويه: ٥٠٢/١.

فأخذ أمير المؤمنين بمجامع ثوبه وضرب به الأرض وقال له: يأبن السوداء وأما قبر فاطمة، فو الذي نفسي بيده لئن حور منه حجر لأسقين الأرض من دمائكم. وجاء أبو بكر واقسم برسول الله أن يتركه، فخلى عنه، وتفرق الناس^(١).

٤- وفي عيون المعجزات^(٢): روي أن فاطمة عليها السلام توفيت ولها ثمان عشرة سنة وشهران وأقامت بعد النبي صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً. وتولى غسلها وتكفينها أمير المؤمنين عليه السلام وأخرجها معه الحسن والحسين عليهما السلام في الليل، وصلوا عليها ولم يعلم بها أحد، ودفنها في البقيع، وجدد أربعين قبراً فأستشكل على الناس قبرها، فأصبح الناس ولام بعضهم بعضاً وقالوا: إن نبينا صلى الله عليه وآله خلف بنتاً ولم نحضر وفاتها والصلاة عليها ودفنها ولا نعرف قبرها فنزورها. فقل من تولى الأمر: هاتوا من نساء المسلمين من ينش هذه القبور، حتى نجد فاطمة عليها السلام فنصلي عليها ونزور قبرها. فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فخرج مغضباً، قد أحمرت عيناه وقد تقلد سيفه ذا الفقار، حتى بلغ البقيع، وقد اجتمعوا فيه فقال عليه السلام: لو نبشتم قبراً من هذه القبور لوضعت السيف فيكم فتولى القوم عن البقيع.

٥- قال الشيخ الطوسي: إنك تأتي الروضة فتزور فاطمة عليها السلام لأنها مقبورة هناك وقد اختلف أصحابنا في موضع قبرها، فقل بعضهم: إنها دفنت في البقيع. وقال بعضهم: أنها دفنت في بيتها فلما زاد بنو أمية في المسجد صارت من جملة المسجد وهاتان الروايتان كالتقاربتين.

(١) وفاة الصديقة الزهراء: ١٠٦ - ١١٠.

(٢) عيون المعجزات: ٥٥.

والأفضل عندي أن يزور الإنسان الوضعين جميعاً [و] إنه لا يضره ذلك ويجوز به
أجرأً عظيماً، وأما من قال: إنها دفنت في البقيع، فبعيد من الصواب^(١).

٦- ذكر صاحب كتاب أعلام الورى: وأما موضع قبرها فختلف فيه:

فقال بعضهم: إنها دفنت في بيتها، فلما زادت بني امية في المسجد، صارت في
المسجد وقال بعضهم: إنها دفنت فيها بين القبر والمنبر.

وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة،
والقول الأول بعيد والقولان الآخران أشبه وأقرب إلى الصواب، فمن استعمل
الاحتياط في زيارتها زارها في المواضع الثلاثة^(٢) وحكى ابن جماعة في قبر
فاطمة عليها السلام قولين آخرين:

أحدهما: أنه الصندوق الذي أمام مصلى الإمام بالروضة الشريفة، قال: وهو بعيد
جداً.

وثانيهما: أنه بالمسجد المنسوب إليها بالبقيع، يعني الذي بالقرب من قبة العباس
من جهة القبلة جالماً إلى المشرق.

وقد ذكر الغزالي هذا المسجد في زيارة البقيع، فقال: ويستحب له أن يخرج كل
يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله ﷺ وذكر القبور التي تزار^(٣).

(١) التهذيب - الشيخ الطوسي: ٩/٦.

(٢) أعلام الورى: ١٥٢.

(٣) وفاء الوفاء: ٩٠٥/٣.

7- ما رواه البهقي في سننه^(١): روى بسندين عن ابن شهاب، عن عائشة في قصة الميراث:

إن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً ولم يؤذن بها أبابكر، وصلى عليها علي عليه السلام.

قالوا في الزهراء عليها السلام شعراً:

١- السيد محمد جمال الهاشمي (١٣٣٢هـ / ١٣٩٧هـ)^(٢):

شعتُ فلا الشمس تحكّمها ولا القمر	زهراءُ من نورها الأكوأُنُ تزدهرُ
بنتُ الخلود لها الأجيل خاشعةٌ	أمّ الزمان إليها تنتمي العصرُ
روح الحيلة فلولا لطف عنصرها	لم تأتلف بيننا الأرواحُ والصورُ
سمت عن الأفق لا روح ولا ملكُ	وفاقت الأرض لا جنّ ولا بشرُ
مجبولة من جلال الله طينتها	يرفُ لطفاً عليها الصونُ والخضرُ
ما عاب مفخرها التأيّث أن بها	على الرجال نساءُ الأرض تفتخرُ
خصالها الغرُّ جلت أن تلوك بها	منا المقاولُ أو تدنو لها الفكرُ
معنى النبوة سرُّ الوحي قد نزلت	في بيت عصمتها الآيات والسورُ
حوت خلال رسول الله أجمعها	لولا الرسالة ساوى أصله الثمرُ
تدرجت في مرافي الحق عارجةٌ	لمشرق النور حيث السرُّ مسترُ

(١) سنن البهقي: ٢٩/٤.

(٢) ديوان مع النبي وآله - السيد محمد جمال الهاشمي: ٤١.

ثم أنثنت تملأ الدنيا معارفها

تطوي القرون عيأً وهي تنتشر

قل للذي راح يخفي فضلها حسداً
أتقرن النور بالظلماء من سفهه؟
بنت النبي النبي لولا هدايته
في عيد ميلادهما الأملاك حافلة
تزوجت في السما بالمرتضى شرفاً
على النبوة أضفت في مراتبها
أم الأئمة من طوعاً لرغبتهم
قف يا يراعي عن مدح البتول نفي
وأرجع لتخبر التاريخ عن نبأ
هل أسقط القوم ضرباً حملها فهوت
وهل كما قيل قادوا بعلها فعدت
إن كان حقاً فإن القوم قد مرقوا
٢- الشيخ محسن أبو الحب^(١):

وجه الحقيقة عنا كيف ينسُرُ
ما أنتَ في القول إلا كاذب أشرُ
والعطر فيه النبي في الورد ينتشرُ
والحور في الجنة العليا لها سمرُ
والشمس يقرنها في الرتبة القمرُ
فضل الولاية لا تبقي ولا تذرُ
يعلو الفضاء بنا أو ينزلُ القدرُ
مديحها تهتف الألواح والزبرُ
قد فاجأتنا به الأنباء والسيرُ
تثن عما بها والضلع منكسرُ
ورآه نادبةً والدمع منهمرُ
عن دينهم وبشرع المصطفى كفروا

أو قيل مريم قلت فاطم أفضلُ
أم هل لمريم مثل فاطم أشبلُ
منها عقول ذوي البصائر تذهلُ
رطباً جنياً فهي منه تأكلُ

إن قيل حوا قلت فاطم فخرها
أفهل لحوا والد كمحمدٍ
كل لها عند الولادة حالة
هذي لنخلتها التجأت فتساقطت

(١) أدب الطف - جواد شير: ٥٦/٨.

رضعت بعيسى وهي غير مروعة
وإلى الجدار وصفحة الباب التجأت
سقطت وأسقطت الجنين وحولها
هذا يعنفها وذاك يدعها
وأمامها أسد الأسود يقوده
ولسوف تأتي في القيامة فاطم
ولتعرفن جنينها وحينها
ربله ميراثي وبعلي حقه

٣- محمد مهدي القزويني (١٣٣٥هـ - ١٩١٤م)^(١):

يا عجباً يستأذن الأمين
قل سليم قلت: يا سلمان
فقال: أي وعزة الجبار
لكنها لاذت وراء الباب
فمذ رأوها عصروها عصرة
تصيح يا فضة أسنديني

٤- محمد أقبال اللاهوري (١٣٥٧هـ - ١٩٣٦م)^(٢):

نسب المسيح نبي لمريم سيرة
والنجم يشرق من ثلاث مطالع

أنى وحارسها السري الأبل
بنت النبي فأسقطت ما تحمل
من كل ذي حسب لثيم جحفل
ويردها هذا وهذا يركل
بلجبل قنفذ هل كذا معضل
تشكو إلى رب السماء وتعول
بشكاية منها السما تنزل
غصبوا وأبنائي جميعاً قتلوا

عليهم ويهجم الخوون
هل دخلوا ولم يك أستئذان
ليس على الزهراء من خمار
رعاية للستر والحجاب
كادت بروحي أن تموت حسرة
فقد وربى قتلوا جنيني

بقيت على طول المدى ذكراها
في مهد فاطمة فما أعلامها

(١) أدب الطف - جواد شبر: ٨ / ٢٩٠.

(٢) أدب الطف - جواد شبر: ٩ / ١٧٥.

هي بنت من هي زوج من هي أم من؟
هي ومضة من نور عين المصطفى
هو رحمة للعالمين وكعبة الآمال
من ذا يداني في الفخار أباهـا
هاهي الشعوب إذا تروم هداها
في الدنيا وفي آخرهاـا
٥- الشيخ محمد علي اليعقوبي (١٣٨٥هـ - ١٩٦٤م)^(١):

وخطب جرى بالطف لم ينس وقعه
لقد كان من يوم السقيفة أصله
فما عذره عند النبي ولم يزل
أفي غضبهم حق الوصي وظلمهم
لو إن رسول الله ينظر فاطماً
فلولا الجنين أسقطوه لما هوى
ومن رضهم ضلع البتولة قد غدت
ولم تلتئم طول الزمان صدره
وكل الرزايا الحادثات فروعه
يرى كل إن منهم ما يروعه
لبضعة الزهراء يجزي صنيعه
تنوح ولم تهجع لعز هجوعه
صريعاً على صدر الحسين رضيعه
ترض بجري الصافنات ضلوعه
٦- الشيخ محمد حسن سميمس (١٣٤٣هـ - ١٩١٢م)^(٢):

يارب فاطم لا طرقت بخيفة
أو هي عليك غما علمت بفاطم
لهفي عليك أما أستطعت تصدهم
أو ما رفقت لضلعها لما أنحنى
أفهل درى المسمار حين أصابها
عتبي على الأعتاب أسقط محسن
ويد الهلى سدلت عليك حجابا
وقفت وراك تناشد الأصحابا
لما أتاك بنو الضلال غضابا
كسراً ومنه تزجر الخطايا
من قبلها قلب النبي أصابا
فيها وما أنهالت لذاك ترابا

(١) الأسرار الفاطمية- المسعودي: ٥١٧.

(٢) الأسرار الفاطمية- المسعودي: ١٣٥.

٧- أبو بكر ابن قريعة (٣٦٧هـ - ١٠٦٨م)^(١):

يا من يسائل دائباً
لا تكشفن مغطاً
ولرب مستور بدا
إن الجواب لحاضر
ولا أعتداء رعية
وسيوف أعتداء بها
نشرت من أسرار آل
تغنيكم عما رواه
وأريكهم إن الحسام
ولأي حال لحادت
ولما حمت شيوخكم
ولا لبنت محمد

عن كل معضلة سخيفة
فلربما كشفت جيفة
كالطبل من تحت القطيفة
لكنني اخفيه خيفة
ألقى سياستها الخليفة
هاماتنا أبلى نقيضة
محمد جلاً طريفة
مالك وأبو حنيفة
ين أصيب في يوم السقيفة
بالليل فاطمة الشريفة؟
عن وطئ حجرتها المنيفة؟
ماتت بغصتها أسيفة

(١) الأعلام - الزركلي: ٣٣٩/٢، كشف الغمة - الأربلي: ١٣٧/٢ - ١٢٨.

فهرس الآيات القرآنية

- ١-سورة الفاتحة، الآية: (٧).
- ٢-سورة البقرة، الآيات: (٣٧، ١٢٤، ٢٣٨، ٢٦٤).
- ٣-سورة آل عمران، الآيات: (٣٣، ٤٥، ١٠٣، ١٧٥، ١٤٤).
- ٤-سورة النساء، الآيات: (١، ٧، ٤٠، ٤٦، ٥٤، ٥٩).
- ٥-سورة المائدة، الآيات: (٩٠، ١١٩).
- ٦-سورة الأنعام: الآية: (١٠٣).
- ٧-سورة الأعراف، الآيات: (٩٢، ٩٤، ١٥٧، ٢٠٤).
- ٨-سورة الأنفال، الآية: (٧٥).
- ٩-سورة التوبة، الآيات: (١٠٣، ١٢٨).
- ١٠-سورة يونس، الآية: (٣٥).
- ١١-سورة هود، الآية: (٥٦).
- ١٢-سورة يوسف، الآية: (٨٦).
- ١٣-سورة الرعد، الآية: (٥).
- ١٤-سورة إبراهيم، الآيات: (٨، ١٨، ٢٤).
- ١٥-سورة الحجر، الآية: (٨٧).
- ١٦-سورة النحل، الآيات: (٥٨، ٨٣، ٩٧).
- ١٧-سورة الأسراء، الآيات، (٢٦، ٧١، ١١١).
- ١٨-سورة الكهف، الآية: (٤٩).

- ١٩-سورة مريم، الآية: (٦).
- ٢٠-سورة طه، الآيات: (٢٩، ٣٠، ١٣٢).
- ٢١-سورة الأنبياء، الآيات: (٢٢، ٦٩).
- ٢٢-سورة الحج، الآية: (١٣).
- ٢٣-سورة النور، الآية: (٣٥).
- ٢٤-سورة الفرقان، الآية: (٣٥).
- ٢٥-سورة الشعراء، الآية: (٢١٥).
- ٢٦-سورة النمل، الآية: (١٦).
- ٢٧-سورة القصص، الآيات: (٦٨، ٨٣).
- ٢٨-سورة العنكبوت، الآية: (٨).
- ٢٩-سورة الروم، الآية: (٢١، ٣٠).
- ٣٠-سورة السجدة، الآية: (١٨).
- ٣١-سورة الأحزاب، الآيات: (٣٣، ٣٥، ٥٧).
- ٣٢-سورة يس، الآيات: (٧٨، ٧٩).
- ٣٣-سورة الصافات، الآيات: (١٥٤، ١٦٥، ١٦٦).
- ٣٤-سورة ص، الآية: (٢٦).
- ٣٥-سورة الزمر، الآية: (١٥).
- ٣٦-سورة غافر، الآية: (٧٨).
- ٣٧-سورة الشورى، الآية: (٢٣).
- ٣٨-سورة الزخرف، الآية: (٤).

- ٣٩- سورة الجاثية، الآية: (٢١).
- ٤٠- سورة محمد، الآيات: (٩، ٢٢).
- ٤١- سورة الفتح، الآية: (١٠).
- ٤٢- سورة الرحمن، الآيات: (١٩، ٢٢).
- ٤٣- سورة الحديد، الآية: (٢٦).
- ٤٤- سورة المجادلة، الآية: (١٣).
- ٤٥- سورة الحشر، الآيات: (٧، ١٦، ١٧).
- ٤٦- سورة الصف، الآية: (٦).
- ٤٧- سورة التحريم، الآية: (٤).
- ٤٨- سورة القلم، الآية: (٤).
- ٤٩- سورة المعارج، الآية: (١).
- ٥٠- سورة المطفين، الآية: (١٩).
- ٥١- سورة الأعلى، الآية: (١).
- ٥٢- سورة الضحى، الآيات: (٤، ٥).
- ٥٣- سورة التين، الآية: (٧).
- ٥٤- سورة العصر، الآية: (٣).
- ٥٥- سورة الهمة، الآيات: (٦، ٧).
- ٥٦- سورة الكوثر، الآيات: (١، ٣).

فهرس المصادر والمراجع

- ١-بحار الأنوار- محمد باقر المجلسي: ٢٣ / ٥.
- ٢-لسان العرب- أبن منظور: ٤٣ / ١١.
- ٣-إعلام الوري بأعلام الهدى- الفضل بن الحسن الطبرسي: ١٥٥.
- ٤-كشف الغمة- للأربلي: ٩٠.
- ٥-مقاتل الطالبين- أبو الفرج الأصفهاني: ٣٠.
- ٦-القاموس المحيط- الفيروز آبادي: ٥٤.
- ٧-مجمع البيان- الفضل بن الحسن الطبرسي: ٤٧ / ١.
- ٨-روض الجنان- ابي الفتوح: ٢٣ / ١.
- ٩-مأساة الزهراء- جعفر العاملي: ٣٦ / ١.
- ١٠-الأصابة- ابن حجر الهيتمي: ٥٤ / ٨.
- ١١-الكوثر في أحوال فاطمة: ١ - ٣٠٩.
- ١٢-نساء النبي وأولاده- عائشة عبد الرحمن: ٩٠، مطبعة دار الهلال- مصر.
- ١٣-فاطمة الزهراء-أم أبيها- فاضل الحسيني الميلاني: ٩.
- ١٤-الكافي- محمد بن يعقوب الكليني: ٣٥٦ / ١.
- ١٥-فاطمة الزهراء- عباس محمود العقاد: ٦٩.
- ١٦-أخبار فاطمة- ابن بابويه: ٥٠٢ / ١.
- ١٧-وفاة الصديقة الزهراء- عبد الرزاق المقرم: ١٠٦ - ١١٠.
- ١٨-عيون المعجزات- حسين بن عبد الوهاب: ٥٥.

- ١٩- التهذيب - الشيخ الطوسي: ٩ / ٦.
- ٢٠- سنن البيهقي - أحمد بن الحسين: ٢٩ / ٤.
- ٢١- فاطمة والمفضلات من النساء - عبد اللطيف البغدادي: ٩٦.
- ٢٢- حلية الأولياء - أبو نعيم: ٤٢ / ٢.
- ٢٣- مشكل الآثار - الطحاوي: ٥٠ / ١.
- ٢٤- ذخائر العقبى - محب الدين الطبري الشافعي: ٤٣.
- ٢٥- مقتل الحسين - أخطب خوارزم: ٦٠.
- ٢٦- إحقاق الحق - نور الله الحسيني المرعشي: ٥٠٢ / ٤.
- ٢٧- ينابيع المودة - القندوزي الحنفي: ٢٦٣.
- ٢٨- المحاسن - أحمد بن محمد البرقي: ٤١٩.
- ٢٩- قرب الأسناد - عبد الله جعفر الحميري: ٥٣.
- ٣٠- الأمالي - الشيخ الصدوق: ٤٩١.
- ٣١- معاني الأخبار - محمد بن علي القمي: ١٠٥.
- ٣٢- تفسير فرات الكوفي - فرات بن إبراهيم الكوفي: ١١٩.
- ٣٣- السيرة النبوية - أبين هشام: ٨٥ / ٢.
- ٣٤- كتاب المصاحف - السجستاني: ٦.
- ٣٥- الصحاح في اللغة - الجوهري: ١٣٨٤ / ٤.
- ٣٦- تاج العروس - الزبيدي: ١٨٦ / ٩.
- ٣٧- البيان في تفسير القرآن - السيد الخوئي: ١٩٧.
- ٣٨- حياة النساء - باقر شريف القرشي: ٤٦.

- ٣٩- تاريخ القرآن- أبو عبد الله الزنجاني: ٧٦.
- ٤٠- التفسير والمفسرون- محمد حسين الذهبي: ٨٥ / ١
- ٤١- الأتقان- السيوطي: ٦٤ / ١.
- ٤٢- وفيات الأعيان- ابن خلكان: ٣٦٥ / ١.
- ٤٣- الأعتقادات- الشيخ المفيد: ٨٤
- ٤٤- أوائل المقالات- الشيخ المفيد: ٨١
- ٤٥- التبيان- الشيخ الطوسي: ٣ / ١.
- ٤٦- كشف الغطاء- جعفر كاشف الغطاء: ٢٩٨ - ٢٩٩.
- ٤٧- فاطمة الزهراء- قدوة الصديقين- محمد تقي المدرسي: ٣٤.
- ٤٨- مختصر بصائر الدرجات- حسن الحلبي: ١٧٣.
- ٤٩- علل الشرائع- الشيخ الصدوق: ٢٠٧ / ١.
- ٥٠- الأرشاد- الشيخ المفيد: ٢٧٤.
- ٥١- الفضائل- شاذان القمي: ١٤١.
- ٥٢- عيون الأخبار- الشيخ الصدوق: ٤٠ - ٤١.
- ٥٣- الأختصاص- الشيخ المفيد: ٢١.
- ٥٤- أمالي الطوسي- الشيخ الطوسي: ٢٩٧ / ١.
- ٥٥- شذرات من حياة السيدة فاطمة- الشيخ حسين القرشي: ٢٥٩.
- ٥٦- صحيح مسلم- مسلم القشيري: ٧٢٦ / ٢.
- ٥٧- الدر المنثور- السيوطي: ٢٩٨ / ٢.
- ٥٨- تنزيه الأنبياء- الشريف المرتضى: ٢١، ٦٩.

- ٥٩-مهج الدعوات- ابن طاووس: ٢٠٧.
- ٦٠-الطبقات الكبرى- أبن سعد: ٤/١.
- ٦١-العقد الفريد- أبن عبد ربه: ٤٣٩ / ٢.
- ٦٢-أنساب الأشراف- البلاذري: ١١٩٣ / ٣.
- ٦٣-صحيح البخاري- شاذان القمي: ٥٨٤ / ٢.
- ٦٤-فضائل أهل البيت- أحمد بن حنبل: ٨٧.
- ٦٥-حلية الأبرار- البحراني: ٣٠٩ / ٢.
- ٦٦-المسترشد- الطبري الأمامي: ٣٤٥.
- ٦٧-الخصال- الشيخ الصدوق: ٥٥٥.
- ٦٨-شرح نهج البلاغة- أبن أبي الحديد: ٢٧٧ / ١٧.
- ٦٩-نهج البلاغة- الشريف الرضي: ٣٦٣.
- ٧٠-كتاب سليم- سليم بن قيس: ٨٣١ / ٢.
- ٧١-روضة الواعظين- النيسابوري: ١٥١.
- ٧٢-الفصول المختارة- محمد بن النعمان (المفيد): ٢٨٠.
- ٧٣-دلائل الإمامة- محمد بن جرير الطبري: ٥٢.
- ٧٤-بشارة المصطفى- محمد بن أبي القاسم الطبري: ٢٥٣، ٣٣٦.
- ٧٥-مكارم الأخلاق- الحسن بن الفضل الطبرسي: ١٠٧.
- ٧٦-أرشاد القلوب- الحسن بن محمد الدليمي: ٤٢٠.
- ٧٧-فتح الباري- أحمد الشافعي العسقلاني: ٤١٦ / ١١.
- ٧٨-فاطمة من المهدي إلى اللحد- محمد كاظم القزويني: ٤٩٨.

- ٧٩- الزهراء القدوة- محمد حسين فضل الله: ٢٠٣.
- ٨٠- بلاغات النساء- أحمد بن أبي طاهر: ١ / ١٨.
- ٨١- مناقب آل أبي طالب- محمد بن علي بن شهرا شوب: ٣ / ٤١٠.
- ٨٢- بيت الأحران- عباس القمي: ٢/١.
- ٨٣- الدر التنظيم- أبو محمد الشافعي: ٢، ٧، ٨.
- ٨٤- أمالي الشيخ المفيد- محمد بن النعمان: ٣ / ١.
- ٨٥- المناقب- الخوارزمي: ٧ / ١.
- ٨٦- زهر الآداب- إبراهيم الحصري: ٣٢ / ١.
- ٨٧- نسمة السحر- يوسف الصنعاني اليمني: ٦ / ١.
- ٨٨- أعلموا أني فاطمة- عبد الحميد المهاجر: ٩ / ٥٩٤.
- ٨٩- فلاح السائل- السيد علي بن طاووس: ٣٨٤.
- ٩٠- سنن أبي داود- سليمان بن الأشعث: ٢ / ٤٨٩.
- ٩١- اللمعة البيضاء- محمد علي الأنصاري: ١٩٦، ١٩٧.
- ٩٢- معجم البلدان- ياقوت الحموي: ٣ / ٣٥٤.
- ٩٣- أسد الغابة- ابن الأثير: ٣ / ٢٤٦.
- ٩٤- الاحتجاج- الطبرسي: ١ / ١٨٣.
- ٩٥- تاريخ أبي الفداء- محمد بن جرير الطبري: ٣ / ١٩٨.
- ٩٦- تاريخ الطبري- محمد بن جرير الطبري: ٣ / ١٩٨.
- ٩٧- السقيفة وفدك- أبو بكر الجوهري: ٦٤.
- ٩٨- كنز العمال- المتقي الهندي: ٣ / ٢٣٢٣.

- ٩٩-الكامل في التاريخ- ابن الأثير: ٢ / ٢٢٥.
- ١٠٠-أغتيال أبي بكر والسيد عائشة- الدكتور نجاح الطائي.
- ١٠١-سير أعلام النبلاء- الذهبي: ٣ / ٢٧٦.
- ١٠٢-البداية والنهاية- ابن كثير: ٨ / ٤٧.
- ١٠٣-روح المعاني- الألويسي: ١٣ / ٦٨.
- ١٠٤-رسائل الجاحظ- أبو عثمان الجاحظ: ٢٩٨.
- ١٠٥-مالك الأشتر- محمد رضا الحكيم: ١٧٤، ١٧٥.
- ١٠٦-ميزان الاعتدال- ابن عثمان الذهبي: ٣ / ٥٥٠.
- ١٠٧-لسان الميزان- ابن حجر العسقلاني: ٥ / ١٦٨.
- ١٠٨-شذرات الذهب- أبو الفلاح الحنبلي: ١ / ١٠٨.
- ١٠٩-أعلام الزركلي- خير الدين الزركلي: ٥ / ٢٣٤.
- ١١٠-تاريخ دمشق- ابن عساكر: ٢ / ٢٠٣.
- ١١١-تاريخ اليعقوبي- أحمد بن أبي يعقوب: ٢ / ١٤٧.
- ١١٢-المنتخب- أحمد الفريفي: ٥ / ١٥٧.
- ١١٣-حياة الإمام الحسن- الشيخ باقر شريف القرشي: ١ / ١٦٧.
- ١١٤-رجال حول الرسول ﷺ - خالد محمد خالد: ٣٧٧.
- ١١٥-اليقين في إمرة أمير المؤمنين- السيد بن طاووس: ٩٥.
- ١١٦-حلية الأبرار- أبو نعيم الأصبهاني: ١ / ٤٠١.
- ١١٧-مباهج المهج- قطب الدين الكيدري: ٦٥.
- ١١٨-جمهرة النسب- هشام بن محمد السائب الكلبي: ١ / ٧٩.

- ١١٩- تاريخ الخلفاء - السيوطي: ٦٩.
- ١٢٠- الإمامة والسياسة - ابن قتيبة: ٢٠ / ١.
- ١٢١- محاضرات الأدباء - الراغب الأصبهاني: ٤٧٨ / ٤.
- ١٢٢- نيل الأوطار - الشوكاني: ٥٠ / ٨.
- ١٢٣- الطرائف - ابن طاووس: ٢٤٧.
- ١٢٤- مروج الذهب - المسعودي: ١٢ / ٣.
- ١٢٥- البدء والتاريخ - مطهر المقدسي: ١٦ - ١٧.
- ١٢٦- البداية والنهاية - ابن كثير: ٢٦١ / ٨.
- ١٢٧- المناقب - ابن المغازلي: ٣١٣.
- ١٢٨- فضائل الصحابة - محمد العربي المغربي: ٥٦٠ / ٢.
- ١٢٩- المستدرک للحاكم - النيسابوري: ١٣٩ / ٣.
- ١٣٠- مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون: ٢١٩.
- ١٣١- شرح الفقه الأكبر - ملا علي القاري: ٩١.
- ١٣٢- الرياض النضرة - المحب الطبري: ٩٥ / ٢.
- ١٣٣- الفتنة الكبرى - طه حسين: ٨.
- ١٣٤- خمسون صحابي مختلق - مرتضى العسكري: ٧٥ / ١.
- ١٣٥- المصنف - ابن أبي شيبة الكوفي: ٥٧٢ / ٨، تحقيق سعدي اللحام.
- ١٣٦- الملل والنحل - الشهرستاني: ٥٧ / ١.
- ١٣٧- الوافي بالوفيات - صلاح الدين الصفدي: ١٧ / ٦.
- ١٣٨- الإمام علي بن أبي طالب - عبد الفتاح عبد المقصود: ٢٢٦.

- ١٣٩-أعلام النساء- عمر رضا كحالة: ١١٤ / ٤.
- ١٤٠-ديوان حافظ إبراهيم- حافظ إبراهيم: ٨٢ / ١.
- ١٤١-الأستيعاب- يوسف القرطبي: ٩٧٥ / ٣.
- ١٤٢-المختصر في أخبار البشر- أبو الفداء: ١٥٦ / ١.
- ١٤٣-نهاية الأرب في فنون الأدب- القشقندي: ٤٠ / ١٩.
- ١٤٤-مسند فاطمة- السيوطي: ٣٦.
- ١٤٥-تاريخ الإسلام- صائب عبد الحميد: ١١٧ / ٣.
- ١٤٦-الفرق بين الفرق- عبد القاهر البغدادي: ١٤٨.
- ١٤٧-السقيفة- سليم بن قيس الهلالي: ٨٥.
- ١٤٨-الخطط (المواعظ والأعتبار) للمقرئزي: ٣٤٦ / ٢.
- ١٤٩-مجمع البحرين- فخر الدين الطريحي: ٢٨٣ / ٥، تحقيق السيد أحمد الحسيني.
- ١٥٠-الشافى فى الإمامة- الشريف الرضى: ٨٧ / ٣- ٨٨.
- ١٥١-شواهد التنزيل- الحسكاني: ٢١٦ / ١.
- ١٥٢-تفسير الرازي- الفخر الرازي: ١٩٣ / ٢٠.
- ١٥٣-الكشاف- الزمخشري: ٦٦١ / ٢.
- ١٥٤-مختصر الأمثل- ناصر مكارم الشيرازي: ٧٦ / ٣.
- ١٥٥-الكاشف- محمد جواد مغنية: ٣٨ / ٥.
- ١٥٦-الفتح القدير- الشوكاني: ٢١٦ / ٣.
- ١٥٧-المطالب العالية- ابن حجر العسقلاني: ٣٦٧ / ٣.

- ١٥٨- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير: ٣٦.
- ١٥٩- الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد القرطبي: ٢٠٣ / ٥.
- ١٦٠- تفسير الجلالين - جلال الدين السيوطي والحنفي: ٣٦٤.
- ١٦١- نظم الدرر وتناسق الآيات والسور - إبراهيم بن محمد البقاعي: ١٦١.
- ١٦٢- البرهان - هاشم سليمان البحراني: ١٤٠ / ٥.
- ١٦٣- الفصول المهمة - ابن الصباغ المالكي، ص ١٤٨.
- ١٦٤- أهل البيت ~~عليهم السلام~~ - فاروق أبو علي: ١٥٧.
- ١٦٥- الزهراء بهجت قلب المصطفى - أحمد الرحمانى الهمداني: ٣٨٠ - ٣٨١.
- ١٦٦- بلاغات النساء - ابن طيفور: ١٤.
- ١٦٧- مثالب العرب - هشام بن محمد بن السائب الكلبي: ٨٤.

فهرست المواضيع

الصفحة	الموضوع
٣	الفصل الأول.....
٣	المقدمة.....
٧	١- تسميتها.....
٧	٢- القابها.....
١٠	٣- كنيها.....
١٧	٤- ولادتها.....
١٨	٥- حزمة ضوء من حياة الزهراء <small>عليها السلام</small>
١٨	٦- هجرتها.....
١٨	٧- زواجها.....
١٩	٨- سيرتها.....
٢٠	٩- الزهراء <small>عليها السلام</small> والقرآن الكريم.....
٣٤	١٠- فاطمة الزهراء <small>عليها السلام</small> والكتب المقدسة.....
٣٦	١١- فاطمة الزهراء <small>عليها السلام</small> والأحاديث القدسية.....








- ٣٦ ١٢- أقوال رسول الله ﷺ في فضل فاطمة ؑ
- ٣٩ ١٣- عودة إلى حديث (أن الله يرضى لرضا فاطمة).....
- ٤١ ١٤- نصوص أحاديث الصحابة في سيادة فاطمة ؑ
- ٤٢ أ- نصوص تلك الأحاديث.....
- ٤٢ ب- طرق الحديث.....
- ٥٢ ١٥- السيد فاطمة ؑ في أقوال أهل البيت ؑ
- ٥٤ ١٦- السيدة فاطمة ؑ في أقوال الصحابة.....
- ٥٦ ١٧- منزلتها عند رسول الله ﷺ.....
- ٦٦ ١٨- فقه السيدة فاطمة ؑ.....
- ٦٨ ١٩- أمثلة من فقهها.....
- ٧٠ ٢٠- مميزات السيدة فاطمة الزهراء ؑ.....
- ٧٠ ٢١- أهم مميزات الصديقة فاطمة ؑ.....
- ٧٤ ٢٢- مناقب فاطمة ؑ.....
- ٨٣ ٢٣- الموقف الجهادي لفاطمة ؑ من الهجرة حتى وفاتها.....
- ٩٠ ٢٤- فتح مكة.....
- ٩١ ٢٥- المواقف السياسية لفاطمة ؑ.....
- ٩٣ ٢٦- شيء من شعرها ؑ.....

- ١٠٢ ٢٧-المصحف
- ١٠٤ أ-المصحف في مصطلح الأمم السابقة
- ١٠٥ ب-المصحف في معاجم اللغة العربية
- ١٠٥ ج-تحريك لفظ المصحف
- ١٠٦ ٢٨-أختلاف المصاحف عند الصحابة والتابعين
- ١٠٧ ١.مصاحف الصحابة وأختلافها
- ١٠٨ أ-مصحف عمر بن الخطاب
- ١٠٨ ب-مصحف علي بن أبي طالب عليه السلام
- ١٠٩ ج-مصحف عبد الله بن مسعود
- ١١٠ د-مصحف أبي بن كعب
- ١١٤ هـ-مصحف عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
- ١١٥ ٢٩-التحريف والتبديل في مصاحف زوجات النبي صلى الله عليه وسلم
- ١١٥ أ-مصحف أم المؤمنين عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
- ١١٥ ب-مصحف أم المؤمنين حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
- ١١٦ ج-مصحف أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
- ١١٦ ٢.مصاحف التابعين وأختلافها
- ١١٦ أ-مصحف عبيد بن عمر الليثي

- ١١٧ ب- مصحف عطاء بن أبي رباح.
- ١١٧ ج- مصحف مجاهد.
- ١١٧ د- مصحف سعيد بن جبير.
- ١١٨ ٣٠- النصراني يكتب المصاحف.
- ١١٩ ٣١- المصاحف عند النصارى.
- ١١٩ أ- مصاحف الحبشة.
- ١١٩ ب- مصحف عم سهل.
- ١٢٠ ج- مصاحف الروم.
- ١٢٠ ٣٢- تحريف القرآن وتبديله.
- ١٢٢ ٣٣- نماذج من روايات التحريف عند بعض الصحابة.
- ١٢٢ ١. نقصان آية الرجم.
- ١٢٣ ٢. آية الجهاد.
- ١٢٤ ٣. آية ولاية علي عليه السلام.
- ١٢٤ ٣٤- أقوال علماء الشيعة في سلامة القرآن.
- ١٢٧ ٣٥- مصحف فاطمة عليها السلام.
- ١٣٠ ٣٦- الأحاديث الواردة في محتوى مصحف فاطمة عليها السلام.
- ١٣٨ ٣٧- الروايات النافية لوجود شيء من القرآن في مصحفها.

- ١٤٤ ٣٨-روايات أئمة الهدى عليهم السلام في مصحف فاطمة عليها السلام.....
- ١٥٤ ٣٩-حقيقة تحريف القرآن بين مصحف فاطمة عليها السلام ومصحف الصحابة.....
- ١٥٧ ٤٠-أدعية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في مصحف فاطمة عليها السلام.....
- ١٦٦ ٤١-تسيبها عليها السلام.....
- ١٦٧ ٤٢-الجفر في المصحف المنسوب إلى فاطمة عليها السلام.....
- ١٧٠ **الفصل الثاني**.....
- ١٧٠ ٤٣-السقيفة صراع على الملك أم ردة جاهلية.....
- ١٧٩ ٤٤-ضحايا السقيفة.....
- ١٨٨ ٤٥-ظهور المعارضة الممتنعة عن بيعة أبي بكر.....
- ١٨٩ ٤٦-الصحابة المعارضون لبيعة أبي بكر.....
- ٢٠٣ ٤٧-أبو بكر يهرب من صيحات المعارضين لبيعته.....
- ٢٠٤ ٤٨-علي عليه السلام أعلم الناس وأحلمهم وأتقاهم.....
- ٢٠٦ ٤٩-أبو قحافة (عبد الله بن عثمان) يسخر من بيعة أبي بكر.....
- ٢٠٧ ٥٠-أعترافات الغاصبين للخلافة.....
- ٢١١ ٥١-جواب معاوية إلى محمد بن أبي بكر.....

- ٢١٥ ٥٢-نهاية الدولة السفينانية.....
- ٢١٥ ٥٣-أبو بكر يعتذر لأمير المؤمنين عليه السلام من بيعة الناس له.....
- ٢٢٤ ٥٤-الإمام علي عليه السلام لم يبايع إلا كرهاً.....
- ٢٢٦ ٥٥-الزهراء عليها السلام توازر علياً عليه السلام في محنته.....
- ٢٢٧ ٥٦-ممارسة السلف الصالح في بيعته الخلفاء الثلاثة؟.....
- ٢٢٧ ٥٧-بيعة الخليفة الأول (أبي بكر سنة ١١هـ).....
- ٢٤٠ ٥٨-بيعة الخليفة الثاني (عمر بن الخطاب سنة ١٣هـ).....
- ٢٤٤ ٥٩-بيعة الخليفة الثالث (عثمان بن عفان سنة ٢٣هـ).....
- ٢٥١ ٦٠-إعتراف عمر بفضل علي عليه السلام وأحقية بالخلافة.....
- ٢٥٢ ٦١-مكاسب رجال الشورى بعد بيعتهم عثمان.....
- ٢٥٤ ٦٢-عثمان والثورة المضادة لحكمه.....
- ٢٥٨ ٦٣-وقفة مع بيعة علي عليه السلام.....
- ٢٦٠ ٦٤-الحديث الذي دار بين علي عليه السلام والأشعث بن قيس حول
السقيفة.....
- ٢٦٤ **الفصل الثالث**.....
- ٢٦٤ ٦٥-مظلومية السيد فاطمة عليها السلام.....
- ٢٦٦ ٦٦-الأخبار الواردة في حقيقة الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام....

- ٢٨٤ ٦٧- أبو بكر بندم على كشف بيت فاطمة 
- ٢٨٦ ٦٨- عمر يأمر بإحراق بيت فاطمة 
- ٢٩٠ ٦٩- السيد فاطمة  وفدك
- ٢٩٠ ١. لمحات تاريخية عن فدك
- ٢٩٥ ٢. فتح فدك وطريقة أنتقالها إلى المسلمين
- ٢٩٧ ٣. كيف ملكت فاطمة فدك
- ٢٩٧ ٧٠- الروايات الواردة في فدك من العامة والخاصة
- ٣٠٢ ٧١- موقف القرآن الكريم من فدك
- ٣٠٧ ٧٢- أسانيد الروايات الدالة على إعطاء النبي  فدكاً
لفاطمة 
- ٣٠٩ ٧٣- روايات المؤرخين في حادثة غضب فدك
- ٣١٢ ٧٤- الخلفية السياسية لفدك
- ٣١٥ ٧٥- الزهراء  بلاغة وفصاحة
- ٣١٥ ٧٦- الخطبة الأولى: حيث منعوها فدك
- ٣٢٢ ٧٧- الخطبة الثانية: وهي تخاطب الأنصار
- ٣٢٩ ٧٨- الخطبة الثالثة: (القتها على نساء المهاجرين والأنصار)
- ٤٠١ ٧٩- مجمل وصايا فاطمة الزهراء 

- ٤٠٦ ٨٠-أسانيد خطب فاطمة عليها السلام
- ٤١٥ ٨١-الزهراء عليها السلام تطالب بفدك أم بالخلافة.....
- ٤٢٠ ٨٢-أحتجاج علي عليه السلام على أبي بكر وعمر في فدك.....
- ٤٢٣ ٨٣-محاولة أغتتيال الإمام علي عليه السلام من قبل الشيخين.....
- ٤٢٥ ٨٤-رسالة الإمام علي عليه السلام إلى أبي بكر بعد منع فاطمة من
فدك.....
- ٤٣٠ ٨٥-الإمام علي عليه السلام بين القرآن والسنة النبوية الشريفة.....
- ٤٦٠ ٨٦-حقيقة الصراع الأموي الإسلامي.....
- ٤٧١ ٨٧-وسائل تثبيت الحكم لدى الأمويين.....
- ٤٨٤ ٨٨-حديث المقداد مع سليم بحق علي عليه السلام.....
- ٤٨٦ ٨٩-وفاة الزهراء عليها السلام ودفنها.....
- ٤٩٦ ٩٠-الأحاديث الواردة في دفن الزهراء عليها السلام.....
- ٤٩٩ ٩١-قالوا في الزهراء عليها السلام شعراً.....
- ٥٠٤ فهرس الآيات القرآنية.....
- ٥٠٧ فهرس المصادر والمراجع.....
- ٥١٦ فهرس المواضيع.....

